

في الرأي، وغير ذلك مما يسوء به الحال، أقول [القائل الطيبي]: يمكن أن يُراد بالفقرات كلّها معنى الترقّي، استعاذ أولاً من الكسل، أي أعوذ أن أتثقل في الطاعة مع استطاعتي، ثم من الهرم الذي فيه سقوط بعض الاستطاعة، فيقوم ببعض وظائف العبادات، ثم من سوء الكبر الذي يصير فيه كالحلّيس المُلقى على الأرض، لا يصدر منه شيء من الخيرات»^(١).

١٥- قوله: «وفتنة الدنيا»: قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ: «وأصل الفتنة الاختبار والامتحان، يقال: فتنت الفضة على النار: إذا خلّصتها، ثم استعمل فيما أخرجه الاختبار للمكروه، ثم كثر استعماله في أبواب المكروه، ... ومنه أعوذ بك من فتنة النار، وقيل: إنها هنا على أصلها، من التصفية... وتكون بمعنى الإزالة والصرف عن الشيء»^(٢).

١٦- قوله: «من عذاب في النار» أي: أيُّ عذابٍ، ولو كان لمدة يسيرة؛ لأنه عذاب أليم، وقال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «والتنكير في (عذاب) للتهويل والتفخيم»^(٣)، وقال ابن هبيرة رَحِمَهُ اللهُ: «أي: من عذاب النار، ويجوز أن يكون: أي من عذابٍ يكون فيها زيادة على عذابها»^(٤).

١٧- قوله: «وعذاب في القبر»: لأن القبر هو أول منازل الآخرة، فمن سلم من عذابه سلم هناك وسلم بعده، قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «الدُّعَاءُ بِالنَّجَاةِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَنَحْوِهِمَا عِبَادَةٌ وَقَدْ أَمَرَ الشَّرْعُ بِالْعِبَادَاتِ»^(٥).

١٨- قوله: «أَمْسِينَا وَأَمْسَى الْمَلِكُ لِلَّهِ»: قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «وَأَمْسَى: إذا دخل

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٧٢.

(٢) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ٢/ ١٤٦.

(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٧٢.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ٢/ ١١٣.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٦/ ٢١٣.

في المساء، وأمسى إذا صار، يعني دخلنا في المساء، وصرنا نحن، وجميع الملك، وجميع الحمد لله، أقول [القائل الطيبي]: الظاهر أنه عطف على قوله: (الملك لله)، ويدل عليه قوله بعد: (له الملك، وله الحمد)، وقوله: (وأمسى الملك لله) حال من (أمسينا)، إذا قلنا: إنه فعل تام، ومعطوف على (أمسينا) إذا قلنا: إنه ناقص، والخبر محذوف لدلالة الثاني عليه، والواو فيه كما في قول الحماسي: فأمسى وهو عريان، قال أبو البقاء: (أمسى) هاهنا الناقصة، والجملة بعدها خبر لها، فإن قلت: خبر كان مثل خبر المبتدأ، لا يجوز أن تدخل عليه الواو، قيل: الواو إنما دخلت في خبر كان؛ لأن اسم كان يشبه الفاعل، وخبرها يشبه الحال، وقوله: (ولا إله إلا الله) عطف على (الحمد لله) على تأويل، و(أمسى) الفردانية والوحدانية مختصين بالله، فإن قلت: ما معنى (أمسى الملك لله) والملك له أبداً، وكذلك الحمد؟ قلت: هو بيان حال القائل، أي عرفنا أن الملك، والحمد لله لا لغيره، فالتجأنا إليه، واستعنا به، وخصصناه بالعبادة، والثناء عليه، والشكر له، ثم طلب استمرار ذلك بدخوله في الليل^(١)، وقال المباركفوري رحمه الله: «أَيُّ: دَخَلْنَا فِي الْمَسَاءِ، وَدَخَلَ فِيهِ الْمُلْكُ كَأَيْنَا لِلَّهِ، وَمُخْتَصِّبًا بِهِ، أَوِ الْجُمْلَةُ حَالِيَّةٌ بِتَقْدِيرِ قَدْ، أَوْ بِدُونِهِ، أَيُّ: أَمْسَيْنَا، وَقَدْ صَارَ بِمَعْنَى كَانَ، وَدَامَ الْمُلْكُ لِلَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، قَالَ الطَّيْبِيُّ: عَطَفَ عَلَى أَمْسَيْنَا، وَأَمْسَى الْمُلْكُ، أَيُّ صِرْنَا نَحْنُ وَجَمِيعُ الْمُلْكِ وَجَمِيعُ الْحَمْدِ لِلَّهِ»^(٢).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- المواظبة على هذه الأذكار مع تدبر ما فيها من مقاصد، يجعل قلب المسلم متعلقاً بربه، راجياً مغفرته، وطامعاً في جنته.

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٧١.

(٢) تحفة الأحوذى، ٩/ ٢٣٥.

٢- تعاقب الليل والنهار من أعظم آيات الله في هذا الكون، وهما مطيتان يجب إحسان السير عليهما إلى الله تعالى.

٣- الملك الحقيقي هو مالك الأملاك وخالقها، أما مُلك العبد، فإما أن يزول هو عنه بوفاته، وإما أن يزول الملك عنه بضياعه، أو بانتزاعه.

٤- إثبات عذاب القبر، وهو أمر له أدلته من الكتاب والسنة^(١).

٥- قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «أما الأنبياء، فلا تشملهم فتنة القبر، ولا يُسألون، وذلك لوجهين:

أ - أنهم أفضل من الشهداء، وقد أخبر النبي ﷺ أن الشهيد يوقى فتنة القبر، وقال: «كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة»^(٢).

ب - أن الأنبياء يُسأل عنهم، فيقال: من نبيك؟

ج - والصدّيقون لا تشملهم هذه الفتنة؛ لأنهم أعلى درجة من الشهداء، وهو صدّيق لا يُختبر؛ لأن الاختبار لمن يشك فيه، وقد ذهب بعض العلماء إلى سؤاله لعموم الأدلة.

د - والمرابطون لا يسألون لقول النبي ﷺ: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمل، وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان»^(٣).

هـ - الصغار والمجانين لا يُسألون؛ لأنهم غير مكلفين، ولا حساب عليهم، وقد قال بعض العلماء: إنهم يفتنون لعموم الأدلة^(٤).

٦- مما ورد عنه ﷺ في معنى هذا الحديث قوله ﷺ: «إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ:

(١) انظر شرح الحديث (٥٥) من متن هذا الكتاب.

(٢) النسائي، كتاب الجنائز، الشهيد، برقم ٢٠٥٥، وصحح إسناده الألباني في أحكام الجنائز، ص ٣٦.

(٣) مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرباط في سبيل الله ﷻ، برقم ١٩١٣.

(٤) انظر: العقيدة الواسطية شرح ابن عثيمين، ٢/ ١١٠ - ١١٢.

أَصْبَحْتُ أَتْنِي عَلَيْكَ حَمْدًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثَلَاثًا، وَإِذَا أَمْسَى فَلْيُقَلِّمْ مِثْلَ ذَلِكَ»^(١).

٧٨- (٤) «اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا»^(٢)، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ وَإِلَيْكَ النُّشُورُ»^(٣).

أولاً: لفظ الحديث:

٢٦٥- لفظ البخاري في الأدب المفرد: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه (٤) قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَصْبَحَ قَالَ: «اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ، وَإِذَا أَمْسَى قَالَ: اللَّهُمَّ بِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ»^(٥).

(١) النسائي في الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، نوع آخر، برقم ١٠٣٣٧، وحسنه الشيخ المحدث مقبل الوداعي في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (١٣٢٠).

(٢) وإذا أَمْسَى قَالَ: اللَّهُمَّ بِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ.

(٣) أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم ٥٠٦٨، بلفظ: «النشور» في الصباح والمساء، والترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أَمْسَى، برقم ٣٣٩١، وفيه: «وإليك المصير في الصباح، وإليك النشور في المساء» وابن ماجه، كتاب الدعاء، باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أَمْسَى، برقم ٣٨٦٨، بلفظ: «وإليك المصير في المساء، وفي الصباح قوله: «وبك نموت» فقط، وابن السني في عمل اليوم والليلة، برقم ٣٥، بلفظ: «وإليك النشور» في الصباح، ولم يذكر دعاء المساء، والإمام أحمد في المسند، ٢٩٠ / ١٤، برقم ٨٦٤٩، ٤٤٤ / ١٦، برقم ١٠٧٦٣، بلفظ: «وإليك المصير» في الصباح في الموضوعين، ولم يذكر دعاء المساء، وابن حبان، ٢٤٤ / ٣، برقم ٩٦٤، وفيه لفظ: «المصير» في الصباح، ولم يذكر دعاء المساء، والبخاري في الأدب المفرد، ٤١١ / ١، برقم ١١٩٩، بلفظ: «إليك النشور» في الصباح، و«إليك المصير» في المساء، والنسائي في عمل اليوم والليلة، برقم ٨، بلفظ: «وإليك النشور في الصباح، ولم يذكر المساء، وصححه محققو المسند، ٢٩١ / ١٤، ومحقق ابن حبان، ٢٤٤ / ٣، برقم ٩٦٤، والألباني في التعليقات الحسان، برقم ٩٦٠، وفي صحيح الأدب المفرد، ٤٨٨، برقم ٥٠٨، وفي صحيح الترمذي، ١٤٢ / ٣، وفي صحيح الجامع، برقم ٣٥٢.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٥) البخاري في الأدب المفرد، ٤١١ / ١، برقم ١١٩٩، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، ٤٨٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

٢٦٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ يَقُولُ: «إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ، وَإِذَا أَمْسَى فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ» هذا لفظ أبي داود ^(١).

٢٦٧- ولفظ أحمد عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، كَانَ يَقُولُ إِذَا أَصْبَحَ: «اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ» ^(٢).

٢٦٨- ولفظ ابن ماجه عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَصْبَحْتُمْ فَقُولُوا: «اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِذَا أَمْسَيْتُمْ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ بِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ»» ^(٣).

٢٦٩- ولفظ الترمذي: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ يَقُولُ: «إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا وَبِكَ نَمُوتُ وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، وَإِذَا أَمْسَى فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بِكَ أَمْسَيْنَا وَبِكَ أَصْبَحْنَا وَبِكَ نَحْيَا وَبِكَ نَمُوتُ وَإِلَيْكَ النُّشُورُ»» ^(٤).

٢٧٠- ولفظ ابن حبان عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ إِذَا أَصْبَحَ: «اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ» ^(٥).

(١) أبو داود، برقم ٥٠٦٨، وابن ماجه، برقم ٣٨٦٨، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٧٠٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) المسند، برقم ٨٦٤٩، وصححه محققو المسند، والألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٥٠٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) ابن ماجه، برقم ٣٨٦٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) الترمذي، برقم ٣٣٩١، وفي صحيح الترمذي، ١٤٢/٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) صحيح ابن حبان، برقم ٩٦٤، وصححه محقق ابن حبان، ٢٤٤/٣، برقم ٩٦٤، والألباني في

٢٧١- ولفظ ابن السني في عمل اليوم واللييلة عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا أَصْبَحْتُمْ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ»^(١).

٢٧٢- ولفظ النسائي في عمل اليوم واللييلة عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا أصبح: «اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ»^(٢).

٢٧٣- ولفظ النسائي في الكبرى عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ إِذَا أَصْبَحَ: «اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ» وَإِذَا أَمْسَى قَالَ: «بِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ» قَالَ: وَمَرَّةً أُخْرَى: «وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ»^(٣).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا» أي: بك وحدك، لا شريك لك بنعمتك، وإعانتك أدركننا الصباح، وهو معنى: «وبك أَمْسَيْنَا» قال المباركفوري رَحِمَهُ اللهُ: «أَي: دَخَلْنَا فِي الصَّبَاحِ، اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا: الْبَاءُ مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ، وَهُوَ خَبْرُ أَصْبَحْنَا، وَلَا بُدَّ مِنْ تَقْدِيرِ مُضَافٍ، أَنِّي أَصْبَحْنَا مُلْتَبِسِينَ بِحِفْظِكَ، أَوْ مَغْمُورِينَ بِنِعْمَتِكَ، أَوْ مُشْتَغَلِينَ بِذِكْرِكَ، أَوْ مُسْتَعِينِينَ بِاسْمِكَ، أَوْ مَشْمُولِينَ بِتَوْفِيقِكَ، أَوْ مُتَحَرِّكِينَ بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ، أَوْ مُتَقَلِّبِينَ بِإِرَادَتِكَ، وَقَدَرَتِكَ»^(٤).

٢- قوله: «وبك نحيا وبك نموت»: المعنى أننا لا غنى لنا عنك طرفة عين،

التعليقات الحسان، برقم ٩٦٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(١) عمل اليوم واللييلة لابن السني، برقم ٣٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) النسائي، عمل اليوم واللييلة، ص ١٢٨، برقم ٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) سنن النسائي الكبرى، كتاب عمل اليوم واللييلة، ثواب من قال حين يصبح وحين يمسي: رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً، برقم ٩٨٣٦.

(٤) تحفة الأحوذى، ٢٣٦/٩، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ٧٧.

أو أقل من ذلك، فكل الحركات، والسكنات إنما هي من عونك وإكرامك لنا، قال المباركفوري رحمته الله: «أَيُّ أَنْتَ تُحْيِينَا وَأَنْتَ تُمِيتُنَا يَغْنِي يَسْتَمِرُّ خَالِنَا عَلَى هَذَا فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ»^(١).

٣- قوله: «وإليك النشور» أي: المرجع يوم القيامة بعد أن تخرج الأرض ما في بطنها ويبعث الناس للحساب، قال المباركفوري رحمته الله: «وإِلَيْكَ النُّشُورُ قَالَ فِي الْبَهَائَةِ: يَقَالُ نُشِرَ الْمَيِّتُ يُنْشَرُ نُشُورًا إِذَا عَاشَ بَعْدَ الْمَوْتِ أَوْ نُشِرَهُ اللَّهُ أَيُّ: أَحْيَاهُ»^(٢).

٤- قوله: «وإليك المصير»: أي: المرجع والمآب والمرد. قال الله تعالى: «إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ»^(٣)، وَإِلَيْكَ لَا إِلَىٰ غَيْرِكَ الْمَصِيرُ أَيِ الْمَرْجِعِ بِالْبَعْثِ»^(٤).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تعليم أمته كيفية الارتباط القوي بالله تعالى.
- ٢- المسلم يعترف بشكر واهب النعم: آناء الليل، وأطراف النهار.
- ٣- تقرير حقيقة وعقيدة البعث بعد الموت للحساب والجزاء.
- ٤- جعل النبي صلى الله عليه وسلم قوله: «وإليك النشور» في الصباح، وفي المساء: «وإليك المصير» في رواية البخاري في الأدب المفرد رعاية للتناسب والتشاكل؛ لأن الإصباح يشبه النشر بعد الموت، وذلك بعد قيام الإنسان من نومه الذي هو مودة صغرى. وكذلك فإن الإمساء يشبه الموت بعد الحياة؛ لأن الإنسان يصير بعد ذلك إلى النوم الذي يشبه الوفاة؛ ولذلك فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول بعد الاستيقاظ من النوم: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور»^(٥).

(١) تحفة الأحوذى، ٩ / ٢٣٦.

(٢) تحفة الأحوذى، ٩ / ٢٣٦.

(٣) سورة العلق، الآية: ٨.

(٤) تحفة الأحوذى، ٩ / ٢٣٦.

(٥) البخاري، برقم ٦٣١٢، وقد تقدم شرحه في الحديث الأول من متن هذا الكتاب في المفردة رقم ٤.

(٦) انظر: فقه الأدعية والأذكار، ص ٤٩٩.

٧٩- (٥) «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ، وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ^(١) لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»^(٢).

أولاً: لفظ الحديث:

٢٧٤- عن شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه^(٣)، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»، قَالَ: «وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مَوْقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(٤)، وهذا لفظ البخاري.

٢٧٥- وفي لفظ للبخاري عن شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي؛ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، إِذَا قَالَ

(١) أقر وأعترف.

(٢) من قالها موقناً بها حين يمسي، فمات من ليلته دخل الجنة، وكذلك إذا أصبح. أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار، برقم ٦٣٠٦.

(٣) شداد بن أوس رضي الله عنه، أبو يعلى، وهو ابن أخي حسان بن ثابت شاعر النبي ﷺ الأنصاري النجاري المدني، سكن بيت المقدس، وأعقب بها، روي له عن رسول الله خمسون حديثاً، وروى له الجماعة، مات ببيت المقدس سنة ثمان وخمسين، وهو ابن خمس وسبعين سنة. انظر: أسد الغابة، ٢/٢٣٩٢، والإصابة، ٣/٣٨٥١.

(٤) البخاري، برقم ٦٣٠٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

حِينَ يُمْسِي فَمَاتَ دَخَلَ الْجَنَّةَ - أَوْ: كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ - وَإِذَا قَالَ حِينَ يُضْبِحُ فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ مِثْلُهُ^(١).

٢٧٦- ولفظ الترمذي عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه أَيْضاً: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى سَيِّدِ الْإِسْتِغْفَارِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، وَأَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَعْتَرِفُ بِذُنُوبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، لَا يَقُولُهَا أَحَدُكُمْ حِينَ يُمْسِي فَيَأْتِي عَلَيْهِ قَدَرٌ قَبْلَ أَنْ يُضْبِحَ إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَلَا يَقُولُهَا حِينَ يُضْبِحُ فَيَأْتِي عَلَيْهِ قَدَرٌ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»^(٢).

٢٧٧- ولفظ النسائي في الكبرى عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ سَيِّدَ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ، وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِذُنُوبِي، وَأَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، إِنْ قَالَهَا حِينَ يُضْبِحُ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَإِنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٣).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي»: الرب هو المالك المتصرف، ويطلق في اللغة على السيد، والمربي، والقيم، وكل ذلك صحيح في حق الله، والرب من أسماء الله تعالى إذا أطلق، ويستعمل في حق غير الله بالإضافة، فيقال: رب

(١) البخاري، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا أصبح، برقم ٦٣٢٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) الترمذي، كتاب الدعوات، باب منه حدثنا الحسين بن حريث، برقم ٣٣٩٣.

(٣) النسائي في السنن الكبرى، كتاب الاستعاذة، الاستعاذة من شر ما صنع، وذكر الاختلاف على عبدالله بن بريدة فيه، برقم ٧٩٦٣، وسنن النسائي (المجتبى)، كتاب الاستعاذة، الاستعاذة من شر ما صنع وذكر الاختلاف على عبد الله بن بريدة فيه، برقم ٥٥٢٢.

الدار، رب الأسرة، وهكذا، قال ابن الأثير رحمته الله: «والرب: المالك، والسيد، والصاحب، والمدير، والخالق وغير ذلك إلا أنه لا يرد مطلقاً إلا على الله تعالى غالباً، فأما غير الله فيقال فيه: رب كذا»^(١).

٢- قوله: «لا إله إلا أنت»: أي: لا معبود بحقٍ غيرك، ولا معروف بهذه المعرفة سواك^(٢)، قال الطيبي رحمته الله: «إثبات للإلهية المطلقة لله تعالى على سبيل الحصر، بعد إثبات الملك له»^(٣).

٣- قوله: «خلقتني وأنا عبدك»: المعنى أنك خلقتني وحدك، فيجب صرف جميع العبادة لك وحدك ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾^(٤).

٤- قوله: «وأنا على عهدك» أي: على عهد التوحيد، وميثاق الطاعة، وهو إشارة إلى قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾^(٥).

٥- قوله: «ووعدك» أي: بتفضلك عليّ، وإدخالي الجنة حال كوني موحدًا لك، وهذا من غير إيجاب شيء عليك، بل محض جود وتمايم منه. قال ابن بطال رحمته الله: «والوعد: هو ما وعدهم تعالى أنه من مات لا يشرك منهم بالله شيئاً، وأدى ما افترض الله عليه، أن يدخل الجنة، فينبغي لكل مؤمن أن يدعو الله تعالى أن يميته على ذلك العهد، وأن يتوفاه الله على الإيمان؛ لينال ما وعد تعالى من وفي بذلك؛ اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم في دعائه بذلك»^(٦)، وقال الحافظ ابن حجر رحمته الله: «الوعد: ما قال

(١) الشافعي في شرح مسند الشافعي، ١/ ٥٣٢، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٣ من مفردات حديث المتن رقم ٢٩.

(٢) المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٧/ ٣٣.

(٣) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ٩٩٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٢ من مفردات حديث المتن رقم ٢٩.

(٤) سورة فاطر، الآية: ٣.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

(٦) شرح صحيح البخاري - لابن بطال (١٠/ ٧٦).

عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ «إِنَّ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَأَدَّى مَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَهُ الْجَنَّةَ»^(١) قُلْتُ [القائل هو الحافظ ابن حجر]: وَقَوْلُهُ: «وَأَدَّى مَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ» زِيَادَةٌ لَيْسَتْ بِشَرْطٍ فِي هَذَا الْمَقَامِ؛ لِأَنَّهُ جَعَلَ الْمُرَادَ بِالْعَهْدِ الْمِثَاقَ الْمَأْخُوذَ فِي عَالَمِ الذَّرِّ، وَهُوَ التَّوْحِيدُ خَاصَّةً، فَالْوَعْدُ هُوَ إِدْخَالُ مَنْ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ الْجَنَّةَ»^(٢)، وَقَالَ الشَّيْخُ الْبُنَا رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَوَعْدُكَ: أَيُّ مَصْدُقٍّ، وَمَوْثُقٍ بِوَعْدِكَ الَّذِي لَا يَخْلُفُ، الَّذِي وَعَدْتَ بِهِ أَهْلَ الْإِيمَانِ، وَرَاجٍ رَحِمَتِكَ بِمُقْتَضَاهُ»^(٣)، وَقَالَ الْعَلَامَةُ ابْنُ عَثِيمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَعَلَى وَعْدِكَ: أَيُّ تَطْبِيقٍ وَعْدِكَ مَا وَعَدْتَ أَهْلَ الْخَيْرِ مِنَ الْخَيْرِ، وَمَا وَعَدْتَ أَهْلَ الشَّرِّ مِنَ الشَّرِّ، وَلَكِنْ أَنَا عَلَى وَعْدِكَ، أَيُّ: فِي الْخَيْرِ؛ لِأَنَّكَ فِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ تَتَوَسَّلُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى»^(٤).

٦- قَوْلُهُ: «مَا اسْتَطَعْتُ» أَيُّ: أَجَاهِدُ نَفْسِي عَلَى الطَّاعَةِ مَا اسْتَطَعْتُ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا، فَأَنْتَ يَا رَبَّنَا مَا كَلَفْتَ نَفْسًا إِلَّا وَسْعَهَا، وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَفِي قَوْلِهِ: «مَا اسْتَطَعْتُ»: إِعْلَامٌ لِأَمْتِهِ أَنَّ أَحَدًا لَا يَقْدِرُ عَلَى الْإِتْيَانِ بِجَمِيعِ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ لِلَّهِ، وَلَا الْوَفَاءَ بِكَمَالِ الطَّاعَاتِ، وَالشُّكْرَ عَلَى النِّعَمِ، فَفَرَّقَ اللَّهُ بَعَادِهِ، فَلَمْ يَكْلِفْهُمْ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا وَسْعَهُمْ، وَاشْتَرَاطَ الْإِسْتِطَاعَةَ فِي ذَلِكَ مَعْنَاهُ: الْاعْتِرَافُ بِالْعَجْزِ، وَالْقُصُورُ عَنْ كُنْهِ الْوَاجِبِ مِنْ حَقِّهِ تَعَالَى»^(٥).

٧- قَوْلُهُ: «أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتَ» أَيُّ: أَعْتَصِمُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اقْتَرَفْتُ جَوَارِحِي مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي عَاقَبْتُهَا خَسْرًا، إِنْ لَمْ تَغْفِرْهَا لِي، قَالَ الْعَلَامَةُ ابْنُ عَثِيمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتَ: يَعْنِي: أَنْتَ تَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتَ؛ لِأَنَّ

(١) البخاري، برقم ٦٤٤٣، ومسلم، برقم ٩٣، وجملة الزيادة التي أشار إليها الحافظ ليست في الحديث.

(٢) فتح الباري، ٩٩ / ١١.

(٣) الفتح الرباني (١ / ٤٨٠).

(٤) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٨٧٧.

(٥) فتح الباري، ٩٩ / ١١.

الإنسان يصنع خيراً فيثاب، ويصنع شراً فيعاقب، ويصنع الشر فيكون سبباً لضلاله، كما قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاَعْلَمَنَّ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾^(١)، فأنت تتعوذ بالله من شر ما صنعت ثم أبوء لك بنعمتك علي يعني أعترف بنعمتك العظيمة الكبيرة التي لا أحصيها»^(٢).

٨- قوله: «أبوء لك بنعمتك علي» أي: أعترف بنعمك التي لا تعد ولا تحصى، قال الحافظ^(٣): وأصل البواء اللزوم، ومنه بؤأه الله منزلاً، إذا أسكنه فيه، فكأنه ألزمه به، قال الخطابي رَحِمَهُ اللهُ: «قوله: أبوء بنعمتك: معناه: الاعتراف بالنعمة، والإقرار بها، وأبوء بذنبي معناه: الإقرار بها أيضاً كالأول، ولكن فيه معنى ليس في الأول تقول العرب: باء فلان بذنبه إذا احتمله كرهاً، لا يستطيع دفعه عن نفسه»^(٤).

٩- قوله: «وأبوء بذنبي»: أي: أقر بالذنب نادماً على ذلك، عازماً على عدم العودة إليه، مقلعاً عنه بتوفيقك لي، وهذا القول يشمل فعل المحظورات، أو التقصير في الواجبات، وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «وأبوء لك بذنبي»: أي: اعترف أيضاً، وقيل: معناه: أحمله برغمي، لا أستطيع صرفه عني، وقال الطيبي: اعترف أولاً بأنه أنعم عليه، ولم يقيد: لأنه يشمل أنواع الإنعام، ثم اعترف بالتقصير، وأنه لم يقم بأداء شكرها، ثم بالغ فعده ذنباً مبالغاً في التقصير وهضم النفس»^(٥).

١٠- قوله: «فاغفر لي»: قال ابن منظور رَحِمَهُ اللهُ: «الْمَغْفِرَةُ: تَعْطِيَةُ الذَّنْبِ...

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٩.

(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٨٧٧.

(٣) انظر: فتح الباري، ١١ / ١٠٠.

(٤) معالم السنن، للخطابي، ٤ / ١٤٥.

(٥) فتح الباري، لابن حجر، ١١ / ١٠٠.

وَالْغُفُورُ الْغَفَّارُ، جَلَّ ثَنَاؤُهُ، ... وَمَعْنَاهُمَا: السَّائِرُ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ، الْمُتَجَاوِزُ عَنْ خَطَايَاهُمْ وَذُنُوبِهِمْ... وَمِنْهُ: غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ أَي سَتَرَهَا»^(١)، وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الغفران: تغطية الذنب بالعفو عنه»^(٢)، وقال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعنى سؤاله ﷺ المغفرة، مع أنه مغفور له، أنه يسأل ذلك تواضعاً، وخضوعاً، وإشفاقاً، وإجلالاً؛ وليقتدى به في أصل الدعاء، والخضوع، وحسن التضرع في هذا الدعاء المعين»^(٣).

١١- قوله: «فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»: أي لا يملك ذلك غيرك ﴿وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾^(٤).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- إظهار ما كان عليه النبي ﷺ من الخضوع والانكسار، والتذلل لله ﷻ.
- ٢- إثبات الربوبية في قوله: «أنت ربي» ثم الألوهية من قوله: «لا إله إلا أنت».
- ٣- الإقرار بالعهد الذي أخذه الله على بني آدم لما كانوا أمثال الذر في ظهر آدم ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا...﴾ الآية^(٥).
- ٤- «وفيه: دليل أن الواجب على العبد أن يكون على حذر من ربه في كل أحواله، وإن كان من أهل الاجتهاد في عبادته في أقصى غاياته، إذ كان الصديق مع موضعه من الدين، لم يسلم مما يحتاج إلى استغفار ربه منه»^(٦).

(١) لسان العرب، ٥/ ٢٥، مادة (غفر)، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٢ من حديث المتن رقم ٢.

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ص ٢.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٥٦.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٣٥.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

(٦) شرح صحيح البخاري - لابن بطال (٩٣/ ١٠).

٥- الاستعاذة من سيئات الأعمال، وإضافة النعماء إلى واهبها، وموجدها، ويدخل في ذلك شكر المنعم، والتبرؤ من كفران النعم.

٦- الأجر العظيم لمن قال هذا الدعاء موقناً به، وهذا على سبيل العموم، ولا يجوز لنا أن نجزم لشخص قاله بأنه من أهل الجنة.

٧- سمي النبي ﷺ هذا الدعاء: بـ«سيد الاستغفار»؛ حيث قال لشداد بن أوس رضي الله عنه: «ألا أدلك على سيد الاستغفار»^(١)، وذلك لأنه فاق جميع صيغ الاستغفار في الفضيلة، وجمع بين معاني الربوبية والألوهية والعبودية، والاعتراف بالتقصير، وطلب المغفرة، وغير ذلك.

٨- (٦) «اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ^(٢) أَشْهَدُكَ، وَأَشْهَدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ، وَمَلَائِكَتَكَ، وَجَمِيعَ خَلْقِكَ، أَنْكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ» (أربع مرّات)^(٣).

الشرح:

ثانياً: لفظ الحديث:

٢٧٨- عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه^(٤)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ

(١) الترمذي، كتاب الدعوات، باب منه، برقم ٣٣٩٣، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ١٧٤٧.

(٢) وإذا أمسى قال: اللَّهُمَّ إِنِّي أَمْسَيْتُ.

(٣) من قالها حين يصبح، أو يمسي أربع مرات، أعتقه الله من النار. أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم ٥٠٧١، ورقم ٥٠٨٠، والبخاري في الأدب المفرد، برقم ١٢٠١، والنسائي في عمل اليوم والليلة، برقم ٩، وابن السني، برقم ٧٠، وحسن سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله إسناده النسائي، وأبي داود، في تحفة الأخيار، ص ٢٣.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.

حِينَ يُضْبِحُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أَشْهَدُكَ، وَأُشْهَدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ، وَمَلَائِكَتَكَ وَجَمِيعَ خَلْقِكَ، أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَخَدَّكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا أَصَابَ فِي يَوْمِهِ ذَلِكَ مِنْ ذَنْبٍ، وَإِنْ قَالَهَا حِينَ يُمَسِّي غُفِرَ لَهُ مَا أَصَابَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ»^(١).

٢٧٩- وفي لفظ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُضْبِحُ أَوْ يُمَسِّي: اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أَشْهَدُكَ، وَأُشْهَدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ، وَمَلَائِكَتَكَ، وَجَمِيعَ خَلْقِكَ، أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، أَعْتَقَ اللَّهُ رُبْعَهُ مِنَ النَّارِ، فَمَنْ قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَعْتَقَ اللَّهُ نِصْفَهُ، وَمَنْ قَالَهَا ثَلَاثًا أَعْتَقَ اللَّهُ ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِهِ، فَإِنْ قَالَهَا أَرْبَعًا أَعْتَقَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ»^(٢).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللهم إني أصبحت»: «اللَّهُمَّ بِمَعْنَى: يَا اللَّهُ، ... الْمِيمَ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أُولَها، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الْإِسْمِ الْمُنَادَى الْمُفْرَدِ»^(٣)، و«أَصْبَحْتُ هَذِهِ اللَّفْظَةُ تَقُولُهَا الْعَرَبُ عَلَى وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ قَبْلَ الصُّبْحِ، بِمَعْنَى: أَنَّكَ قَارَبْتَ الصُّبْحَ، وَتُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى تَمَكُّنِ الصُّبْحِ، وَتَنْبِيهِهِ عَلَى قُرْبِ فَوَاتِهِ»^(٤).

٢- قوله: «أشهدك»: أي: أجعلك شاهداً على الإقرار لك بالتوحيد، فأنت على كل شيء شهيد، ومطلع على جميع الأقوال، والأفعال: دقيقها، وجليلها، وهي

(١) أبو داود، برقم ٥٠٧١، وحسن إسناده الشيخ ابن باز رحمته الله في تحفة الأخيار، ص ٢٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم ٥٠٦٩، والبخاري في الأدب المفرد، برقم ١٢٠١، وحسن إسناده الشيخ ابن باز رحمته الله في تحفة الأخيار، ص ٢٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، المفردة رقم ٦.

(٤) المنتقى شرح الموطأ، للباقي، ١/ ١٠٣.

شهادة نطق، وإخبار عما في القلب، قال الراغب: «الشهادة قول صادر عن علم بمشاهدة بصيرة، أو بصر»^(١)، وقال العظيم أبادي رَحِمَهُ اللهُ: «مَعْنَاهُ، أَعْلَمُ وَأَيُّنُ، وَأَقْضَى، وَحَقِيقَةُ الشَّهَادَةِ هُوَ تَيَقُّنُ الشَّيْءِ، وَتَحَقُّقُهُ مِنْ شَهَادَةِ الشَّيْءِ أَيُّ: حُضُورِهِ»^(٢).

٣- قوله: «وأشهد حملة عرشك»: أي: من الملائكة الكرام، وقد نص القرآن على أن حملة العرش ثمانية ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾^(٣)، قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «أَمْلَاكٌ فِي غَايَةِ الْقُوَّةِ إِذَا أَتَى لِلْفَصْلِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَالْقَضَاءِ بَيْنَهُمْ بَعْدَهُ، وَقَسْطُهُ، وَفَضْلُهُ»^(٤).

٤- قوله: «وملائكتك»: هذا عطف على ما قبله، وهو من باب عطف العام على الخاص، وهناك عكس هذا العطف في قوله: ﴿تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾^(٥) فالروح جبريل، وهو أشرف الملائكة، وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «الملائكة: هم عالم غيبي، خلقهم الله من نور، وجعلهم قائمين بطاعة الله، لا يأكلون، ولا يشربون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون، لهم أشكال، وأعمال، ووظائف مذكورة في الكتاب والسنة، ويجب الإيمان بهم، وهو أحد أركان الإيمان الستة»^(٦).

٥- قوله: «وجميع خلقك»: أي: جميع ما خلقت من العوالم التي لا يعلمها، ولا يحيط بها إلا أنت، وقال الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ: «هُوَ مِنْ عَطْفِ الْعَامِ عَلَى الْخَاصِّ؛ لِأَنَّ حَمَلَةَ الْعَرْشِ هُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَكَذَا قَوْلُهُ: «وَجَمِيعُ خَلْقِكَ»؛

(١) مفردات غريب القرآن، ١/ ٥٥٥.

(٢) عون المعبود مع حاشية ابن القيم، ٢/ ١٢٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من حديث المتن رقم ١٣.

(٣) سورة الحاقة، الآية: ١٧.

(٤) تفسير السعدي، ص ٨٨٣.

(٥) سورة القدر، الآية: ٤.

(٦) القول المفيد على كتاب التوحيد، ٢/ ٢٠٤.

لأن الملائكة من جملة الخلق»^(١).

٦- قوله: «أنت الله»: قال القاري رحمته الله: «أنتك - بفتح الهمزة - أي: على شهادتي، واعتزافي بأنك أنت الله: أي: الواجب الوجود، صاحب الكرم والجد، لا إله إلا أنت: أي: موجود»^(٢)، أي: لا معبود بحق إلا أنت.

٧- قوله: «لا إله إلا أنت»: أي: لا معبود بحق غيرك، ولا معروف بهذه المعرفة سواك^(٣)، قال الطيبي رحمته الله: «إثبات للإلهية المطلقة لله تعالى على سبيل الحصر، بعد إثبات الملك له»^(٤).

٨- قوله: «وحدك لا شريك لك»: وحدك من حيث المعنى تأكيد للإثبات، و«لا شريك لك» تأكيد للنفي، قال الطبري رحمته الله: «وحدك لا شريك لك، مخلصين لك العبادة دون ما سواك من الآلهة والأوثان»^(٥).

٩- قوله: «وأن محمداً» ذكر اسمه ﷺ تكريم له، واختصاصه بهذا التكريم، لأنك يارب «أرسلته للثقلين بجوامع الكلم، وأفصح اللغات، وجمّلتهم بمكارم الأخلاق، ونعّته بأحسن الصفات، فصار عزيزاً عند قومه، وعشيرته، وأهل ملته، مشهوراً بالأمانة، والكمال، والعدل بين رعيته، يأخذ للضعيف من القوي»^(٦).

١٠- قوله: «عبدك»: وصف النبي ﷺ بأنه عبد هو أشرف الأوصاف؛ لأن الله وصفه بها في مقام القرب في رحلة الإسراء والمعراج من قوله ﷻ: «سُبْحَانَ

(١) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين، ص ١٠١.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤/ ١٦٦٤.

(٣) المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٧/ ٣٣.

(٤) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ٩٩٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٢ من مفردات حديث المتن رقم ٢٩.

(٥) تفسير الطبري، ١/ ١٦٦، وتقدم في شرح المفردة رقم ٤ من مفردات حديث المتن رقم ٦٤.

(٦) الفتح الرباني شرح مسند أحمد، ١/ ١.

الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا...»^(١)، وكذا في مقام الدعوة إلى الله من قوله ﷺ: «وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدًّا»^(٢)، قال النووي: «عَبْدُكَ أَيُّ مُعْتَرِفٍ بِأَنَّكَ مَالِكِي وَمُدَبِّرِي وَحُكْمُكَ نَافِذٌ فِيَّ»^(٣).

١١- قوله: «ورسولك»: أي: الذي كلفه الله بالرسالة الخاتمة، ولذلك فقد ختم الله به النبوة والرسالة معاً؛ لأنه إذا انتفت النبوة، انتفت الرسالة.

وقال ابن الأثير رحمه الله: «ورسولك الذي أُرْسِلْتُ». فردَّ عَلَيَّ وقال: «ونبيك الذي أُرْسِلْتُ»^(٤)، إِنَّمَا رَدَّ عَلَيْهِ لِيُخْتَلَفَ اللفظان، وَيَجْمَعَ لَهُ الشَّائِنِ: معنى: النَّبُوءَةُ، وَالرِّسَالَةُ، وَيَكُونُ تَعْدِيداً لِلنِّعْمَةِ فِي الْحَالَيْنِ، وَتَعْظِيماً لِلِمَنَّةِ عَلَى الْوَجْهَيْنِ، وَالرَّسُولُ أَخْصَصَ مِنَ النَّبِيِّ؛ لِأَنَّ كُلَّ رَسُولٍ نَبِيٌّ، وَلَيْسَ كُلُّ نَبِيٍّ رَسُولاً»^(٥)، وقال الحميدي: «قوله: أشهد أن محمداً رسول الله أي: أعلم وأبين أن محمداً متابع للأخبار عن الله ﷻ، والرسول معناه في اللغة: الذي يتابع الأخبار بما أرسل به عن من أرسله، مأخوذ من قول العرب: جاءت رسلاً أي: متتابعة، والرسول: الإبل المتتابعة»^(٦).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- بيان أن الشهيد اسم من أسماء الله تعالى الحسنى، قال الخطابي: الشهيد هو الذي لا يغيب عنه شيء، يقال: شاهد وشهيد، كعالم وعليم^(٧).

٢- بيان عظيم ملك الله؛ لأن العرش أكبر من الكرسي^(٨)، وحملة العرش

(١) سورة الإسراء، الآية: ١.

(٢) سورة الجن، الآية: ١٩.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ٥٨/٦.

(٤) البخاري، برقم ٢٤٧، ومسلم، برقم ٢٧١٠.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ٨/٥، مادة (نبو).

(٦) تفسير غريب ما في الصحيحين: البخاري، ومسلم، ص ٢٢٥.

(٧) شأن الدعاء، ص ٧٥.

(٨) انظر تفسير آية الكرسي حديث (٧١) في متن هذا الكتاب.

الصحيح أنهم ثمانية، ومن قال بأنهم أربعة اعتمد على حديث معضل^(١)، ذكره الثعلبي من غير سند، ومن الأدلة الصحيحة على عظم خلقهم قول رسول الله ﷺ: «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش: إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبع مائة عام»^(٢).

٣- وقوله ﷺ «أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش رجلاه في الأرض السفلى وعلى قرنه العرش وبين شحمة أذنيه وعاتقه خفقان الطير سبع مائة عام، يقول ذلك الملك سبحانه حيث كنت»^(٣).

٤- إثبات أن الملائكة لهم وظائف، وهم عالم غيبي، خلقهم الله ﷻ من نور، وجعلهم طائعين له متذللين، قال تعالى: ﴿يَسْبُحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْترُونَ﴾^(٤).

٥- تقرير أن النبي ﷺ هو عبد لله تعالى، والعبد لا حق له في شيء من شؤون الربوبية، ولا الألوهية، بل هو محتاج إلى الله غاية الاحتياج، مفتقر إليه، يدعو، ويرجوه.

٦- ليس معنى أن للعرش ملائكة تحمله أن الله في حاجة إلى الملائكة، بل هو مستغن عن العرش وحملته؛ لأنه له الغنى المطلق، وليس في حاجة لعون أحد فيما خلق ويخلق؛ لأن الاحتياج صفة نقص، والله صفاته كلها كمال وجلال^(٥).



(١) وهو من أقسام الضعيف.

(٢) أبو داود، كتاب السنة، باب في الجهمية، برقم ٤٧٢٧، وأبو الشيخ في العظمة، ٩٤٨/٣، برقم ٤٧٦، وابن عساكر، ٦٠/٤٣، وقال الحافظ في الفتح، ٦٦٥/٨: «إسناده على شرط الصحيح»، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٨٥٤.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط، ٣١٤/٦، برقم ٦٥٠٣، وأبو نعيم في الحلية، ١٥٨/٣، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٨٥٣.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٢٠.

(٥) انظر: شرح حصن المسلم، لأسامة بن عبد الفتاح، ص ٢٤٨.

٨١- (٧) «اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي ^(١) مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ، فَمِنْكَ وَخَدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ، وَلَكَ الشُّكْرُ» ^(٢).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢٨٠- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَنَامٍ الْبَيَاضِيِّ ^(٣) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُضْبِحُ اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْكَ وَخَدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ، فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ يَوْمِهِ وَمَنْ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ حِينَ يُمَسِّي فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ لَيْلَتِهِ» ^(٤).

٢٨١- وفي لفظٍ عن ابنِ غنَم، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُضْبِحُ: اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ، أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ، فَمِنْكَ وَخَدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ، وَلَكَ الشُّكْرُ، فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ» ^(٥).

(١) وإذا أمسى قال: اللهم ما أمسى بي...

(٢) من قالها حين يصبح فقد أدى شكر يومه، ومن قالها حين يمسي فقد أدى شكر ليلته. أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم ٥٠٧٥، والنسائي في الكبرى، كتاب عمل اليوم واللييلة، ثواب من قال حين يصبح وحين يمسي رضيته بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ، برقم ٩٨٣٥، وابن السني، برقم ٤١، وابن حبان، ١/ ١٠١، برقم ٨٦١، والأحاديث المختارة للضياء المقدسي، ١١/ ١١٩، وحسنه محققو ابن حبان، وقال الإمام النووي في الأذكار، ص ١١١: «وروي في سنن أبي داود بإسناد لم يضعفه»، أي وافق تحسين أبي داود له، وحسن إسناده ابن باز في تحفة الأخيار، ص ٢٤، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود، برقم ١٠٧٩.

(٣) عبد الله بن غنام ﷺ بن بياضة الأنصاري البياضي، له صحبة، وله حديث في سنن أبي داود، والنسائي في القول عند الصباح، وقد صحفه بعضهم فقال: ابن عباس، وجزم أبو نعيم بأن من قال فيه ابن عباس فقد صحف، ويأتي في أكثر الروايات غير مسمى، وسماه بعضهم عبد الرحمن وهو وهم، روى عنه عبد الله بن عتبة رحمته الله. انظر: تهذيب الكمال، ٣١١/٥، والإصابة في تمييز الصحابة، ٤/ ٢٠٧.

(٤) أبو داود، برقم ٥٠٧٥، وحسن إسناده الإمام ابن باز في تحفة الأخيار، ص ٢٤، وغيره، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) أخرجه النسائي في الكبرى، كتاب عمل اليوم واللييلة، ثواب من قال حين يصبح وحين يمسي رضيته بالله ربا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً، برقم ٩٨٣٥، والبيهقي في الدعوات الكبير،

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللهم»: قال ابن منظور رحمته الله: «اللَّهُمَّ بِمَعْنَى: يَا إِلَه، ... الْمِيمَ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أُولَها، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الْإِسْمِ الْمُنَادَى الْمَفْرَدِ»^(١).

٢- قوله: «ما أصبح» أي: ما صار مصاحباً لي من عظيم النعم، قال العظيم أبادي رحمته الله: «مَا أَصْبَحَ بِي: أَيُّ: حَصَلَ لِي فِي الصَّبَاحِ، قَالَه الْقَارِي، وَقِيلَ: أَيُّ: مَا أَصْبَحَ مُتَّصِلًا بِي»^(٢).

٣- قوله: «بي من نعمة»: تشمل النعم الدينية، وأعظمها الثبات على التوحيد، والنعم الدنيوية، كالسلامة من الأمراض، والأسقام، وغير ذلك، قال العظيم أبادي رحمته الله: «بِي مِنْ نِعْمَةٍ دُنْيَوِيَّةٍ، أَوْ أُخْرَوِيَّةٍ (فَمِنْكَ)، أَيُّ: حَاصِلٌ مِنْكَ، (وَحَدِّكَ) حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ الْمُتَّصِلِ فِي مِنْكَ»^(٣).

٤- قوله: «أو بأحد من خلقك»: أي: أقرُّ، وأعترف بأن كل النعم منك^(٤).

٥- قوله: «فمنك وحدك لا شريك لك»: اعتراف بتفرد الله وحده بإسداء هذه النعم، قال الطيبي رحمته الله: «أَيُّ: إِنِّي أَقْرُّ، وَأَعْتَرِفُ بِأَنَّ كُلَّ النِّعَمِ الْحَاصِلَةِ مِنْ ابْتِدَاءِ خَلْقِ الْعَالَمِ إِلَى انْتِهَاءِ دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَمِنْكَ وَحْدَكَ، فَأَوْزَعْنِي أَنْ أَقُومَ بِشُكْرِهَا، وَلَا أَشْكُرَ غَيْرَكَ، وَقَوْلُهُ: (وَحَدِّكَ) حَالٌ مِنَ الْمُتَّصِلِ فِي قَوْلِهِ: (فَمِنْكَ) أَيُّ: فَحَاصِلُ مِنْكَ مُنْفَرِداً»^(٥).

١/ ٩٨، برقم ٤١، وهو عند ابن حبان، ٣/ ١٤٢، برقم ٨٦١، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وحسنه محققه، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(١) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، المفردة رقم ٦.

(٢) عون المعبود، ١٣/ ٢٨١.

(٣) عون المعبود، ١٣/ ٢٨١.

(٤) انظر: شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٨٦.

(٥) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٨٦.

٦- قوله: «فلك الحمد»: أي: أحمذك على هذه الأفضال، والنعم الجزال، وأعبر عن ذلك بلسان الحال، والمقال، قال الطيبي رحمته الله: «تقرير للمطلوب، ولذلك قدم الخبر على المبتدأ ليفيد الحصر، يعني: إذا كانت النعمة مختصة بك، فهي أنا أتقدم إليك، وأخص الحمد، والشكر بك قائلاً: لك الحمد، لا غيرك، ولك الشكر، لا لأحد سواك»^(١).

٧- قوله: «ولك الشكر»: بالقلب، والجوارح، وتصريف هذه النعم في مرضاتك وحدك، لا شريك لك، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله تعليقاً على هذا الحديث: «كل ما بالخلق من النعم، فمنه وحده لا شريك له؛ ولهذا هو سبحانه يجمع بين الشكر والتوحيد، ففي الصلاة أول الفاتحة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وأوسطها: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، والخطب، وكل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجزم... والتوحيد نهايته، ولهذا كان النصف من الفاتحة الذي هو لله أوله حمد، وآخره توحيد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، والحمد رأس الشكر، فالحامد يشكره أولاً على نعمه، ثم يعبد وحده؛ فإن العبد أول ما يعرف ما يحصل له من النعمة مثل خلقه حياً، وخلق طرق العلم: السمع، والبصر، والعقل»^(٢).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- الاعتراف بالنعم، وأداء شكرها هو سبيل بقائها، ونمائها ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(٣).
- ٢- من تمام رحمة الله بعبده أنه يعطيه ما يشكره عليه، ثم يشكره ربه على إحسانه إلى نفسه، لا على إحسانه إلى ربه ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾^(٤).

(١) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٨٦.

(٢) رسالة في تحقيق الشكر، لابن تيمية، ص ١٠٨.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

(٤) سورة الإنسان، الآية: ٢٢.

- ٣- نعم الله تشمل الخلق جميعاً: مؤمنهم، وكافرهم، إنسهم، وجنهم، قال الله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾^(١). قال ابن القيم: يكفيك رب لم تنزل في فضله متقلِّباً في السر والإعلان^(٢)
- ٤- أقسام الشكر ثلاثة:

- أ- شكر بالقلب: وهو الاعتراف بالنعم الباطنة، والظاهرة للمنع، وأنها وصلت إليه من غير ثمن بذله فيها، قال الله تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾^(٣).
- ب- شكر باللسان: ويكون بذكرها، وتعدادها، والثناء على واهبها، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾^(٤).
- ج- الشكر بالجوارح: ومفهومه ألا يستعان بالنعم إلا على طاعة الله، قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾^(٥).



- ٨٢- (٨) «اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَدَنِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ، وَالْفَقْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» (ثلاث مرّات)^(٦).

(١) سورة لقمان، الآية: ٢٠.

(٢) الكافية، ص ٢٨٧.

(٣) سورة النحل، الآية: ٥٣.

(٤) سورة الضحى، الآية: ١١.

(٥) سورة سبأ، الآية: ١٣.

(٦) أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم ٥٠٩٢، وأحمد، ٧٤ / ٢٤، برقم ٢٠٤٣٠، والنسائي في الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، نوع آخر وهو سيد الاستغفار، برقم ٩٨٥٠، وابن السني، برقم ٦٩، والبخاري في الأدب المفرد، برقم ٧٠١، وابن أبي شيبة في المصنف، ٢٤ / ٦، برقم ٢٩١٨٤، وحسنه بشواهده محققو المسند، ٧٥ / ٢٤، وحسنه الألباني في صحيح الأدب

أولاً: لفظ الحديث:

٢٨٢- عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، أَنَّهُ قَالَ لِأَبِيهِ^(١): يَا أَبَتِ إِنِّي أَسْمَعُكَ تَدْعُو كُلَّ غَدَاةٍ «اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَدَنِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، تُعِيدُهَا ثَلَاثًا، حِينَ تُصْبِحُ، وَثَلَاثًا حِينَ تُمَسِي»، فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو بِهِنَّ، فَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أُسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ، قَالَ عَبَّاسٌ فِيهِ: وَتَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ، وَالْفَقْرِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ تُعِيدُهَا ثَلَاثًا حِينَ تُصْبِحُ، وَثَلَاثًا حِينَ تُمَسِي، فَتَدْعُو بِهِنَّ» فَأَحِبُّ أَنْ أُسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: دَعَاؤُ الْمَكْرُوبِ: «اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأُضْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»، وَبَعْضُهُمْ يَزِيدُ عَلَى صَاحِبِهِ^(٢).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

- ١- قوله: «اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَدَنِي»: أي اجعل بدني معافى من الأمراض، والأسقام، لكي أستعين بذلك على طاعتك يا ربِّ وهذا يشمل مرض الجسد، ومرض القلب، قال المناوي رَحِمَهُ اللهُ: «من الأسقام والآلام»^(٣).
- ٢- قوله: «اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي»: وذلك بالأسماع إلا ما فيه مرضاتك،

المفرد، ص ٢٥٥، برقم ٥٤٢، وحسن العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللهُ إسناده في تحفة الأخيار، ص ٢٦.

(١) نفع بن الحارث رَحِمَهُ اللهُ، وقيل: نفع بن سروح، مولى النبي ﷺ يكنى بأبي بكرة، قال الحافظ في الفتح، ٦٤٢/٧: وإنما كني بذلك لأنه تدلى من حصن الطائف مع عشرة من العبيد من أجل أن يسلموا، ثم أعتقه النبي ﷺ، وكان رَحِمَهُ اللهُ من فضلاء الصحابة، وسكن بالبصرة، وأنجب أولاداً لهم شهرة، وقد روى خمسة منهم الحديث عن أبيهم، مات عام ٥١ هـ، وصلى عليه الصحابي أبو برزة الأسلمي رَحِمَهُ اللهُ وكان ذلك في خلافة معاوية رَحِمَهُ اللهُ. انظر: الاستيعاب، ٦/ ٢٨٣، وتهذيب التهذيب، برقم ٨٣٢٦.

(٢) أبو داود، برقم ٥٠٩٣، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٥٤٢، والعلامة ابن باز رَحِمَهُ اللهُ في تحفة الأخيار، ص ٢٦، وتقديم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا علي بن حجر، برقم ٣٥٠٢، والنسائي في السنن الكبرى، ١٠٦/٦، برقم ١٠٢٣٤، والحاكم، ٧٠٩/١، وصححه، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٧٨٣.

حتى أصل بذلك إلى محبتك، قال المناوي رَحِمَهُ اللهُ: «أي: القوة المودعة في الجارحة، وإرادة الاستماع بعيدة»^(١).

٣- قوله: «اللهم عافني في بصري» وذلك بإدامة النظر في آيات الكونية الدالة على توحيدك، وآياتك الشرعية الدالة على صدق رسلك، قال المناوي رَحِمَهُ اللهُ: «خصهما بالذكر بعد ذكر البدن؛ لأن العين هي التي تنظر آيات الله المثبتة في الآفاق، والسمع يعني الآيات المنزلة، فهما جامعان لدرك الآيات العقلية والنقلية، وإليه سرّ قوله في حديث آخر: «اللهم أمتعنا بأسماعنا وأبصارنا»^(٢)»^(٣).

٤- قوله: «لا إله إلا أنت»: أي: لا معبود بحق غيرك، ولا معروف بهذه المعرفة سواك^(٤)، قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «إثبات للإلهية المطلقة لله تعالى على سبيل الحصر، بعد إثبات الملك له»^(٥)، أي: لا معبود بحق إلا أنت يا ربي.

٥- قوله: «اللهم إني أعوذ بك من الكفر»: لأنه ليس بعده ذنب، ومن مات عليه فقد سُدَّتْ أمامه جميع أبواب الرحمة الواسعة، وكان من أصحاب النار، قال المناوي رَحِمَهُ اللهُ: «القصد باستعاذته من الكفر مع استحالته من المعصوم أن يُقتدى به في أصل الدعاء»^(٦).

٦- قوله: «والفقر»: لأن الفقير إن لم يكن عنده رضا بالقضاء تسخط على قدر الله، وقد يدفعه ذلك التسخط إلى الكفر، ولذلك قرن النبي ﷺ بينهما، قال الطيبي

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ١٧١ / ٢.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا علي بن حجر، برقم ٣٥٠٢، والنسائي في السنن الكبرى، ١٠٦/٦، برقم ١٠٢٣٤، والحاكم، ٧٠٩/١، وصححه، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٧٨٣.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ١٧١ / ٢.

(٤) المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٣٣ / ٧.

(٥) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٩٩٠ / ٣، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٢ من مفردات حديث المتن رقم ٢٩.

(٦) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ١٧١ / ٢.

رحمته: «والفقر هو الاضطرار إلى ما لا يمكن التعيش دونه، مأخوذ من الفقر كأنه كسر فقاره؛ ولذلك فسر الفقير بالذي لا شيء له أصلاً»^(١).

٧- قوله: «وأعوذ بك من عذاب القبر»: قال الراغب الأصفهاني: «والعوذ: الالتجاء إلى الغير، والتعلق به.... وأعدته بالله أعيذه، أي: ألتجئ إليه، وأستنصر به أن أفعل ذلك»^(٢)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته: «فإنَّ المُسْتَعَاذَ مِنْهُ نَوْعَانِ: فَنَوْعٌ مَوْجُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ ضَرَرِهِ ... وَنَوْعٌ مَفْقُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ وُجُودِهِ؛ ... وَيُسْتَعَاذُ مِنَ الشَّرِّ الْمَوْجُودِ أَنْ لَا يُضَرَّ، وَيُسْتَعَاذُ مِنَ الشَّرِّ الضَّارِّ الْمَفْقُودِ أَنْ لَا يُوجَدَ»^(٣)، و«من عذاب القبر»: قال العلامة ابن عثيمين رحمته: «لأن القبر فيه عذاب دائم للكافرين، وعذاب قد ينقطع للعاصيين»^(٤).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من شدة الحرص على اتباع السنة، وبذل ذلك الخير للناس، والبدء في ذلك بالأبناء، ومن يعولون.

٢- الحث على دوام طلب العافية في الأمور كلها؛ لأن في ذلك خيراً عظيماً، ولذلك قال الرسول ﷺ: «سَلُوا اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ؛ فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْعَافِيَةِ»^(٥).

٣- عدم الانتفاع بالجوارح من سمع وبصر ونحوه، وإعمالها في معاصي الله

(١) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٨/ ٢٥٩٢.

(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ٢/ ١٣٦.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمته، ١٨/ ٢٨٨، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ١٧.

(٤) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٤٢٤، وتقدم في شرح المفردة رقم ٥ من مفردات حديث المتن رقم ٥٥.

(٥) الترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا محمد بن بشار، برقم ٣٥٨٥، وأحمد في المسند، ١/ ٢١٠، برقم ٣٤، وصححه إسناده محققو المسند، ١/ ٢١١، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٣٦٣٢.

طريق موصل للبوار، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾^(١).

٤- فمن لم يفقه بقلبه، ويبصر ما ينفعه بعينه، ويسمع سماعاً نافعاً يصل إلى قلبه، تكن الأنعام خيراً منه^(٢).

٨٣- (٩) «حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ» (سَبْعَ مَرَّاتٍ)^(٣).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢٨٣- لفظ أبي داود عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه ^(٤) قَالَ: «مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَى: حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، سَبْعَ

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

(٢) شرح حصن المسلم، لأسامة بن عبد الفتاح، ص ٢٥٢.

(٣) أخرجه ابن السني، برقم ٧١ مرفوعاً، وأبو داود موقوفاً، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم ٥٠٨١، وصححه إسناده شعيب وعبد القادر الأرناؤوط في تحقيقهما لزيد المعاد، ٣٧٦/٢، وقال الإمام ابن باز في مجموع فتاويه، ٢٦/ ٦٥ عن إسناده أبي داود: «هذا الحديث جاء موقوفاً على أبي الدرداء رضي الله عنه، من رواية أبي داود بإسناد جيد، ولفظه: «مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَى: حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، سَبْعَ مَرَّاتٍ كَفَّاهُ اللَّهُ مَا أَهَمُّهُ...» وهو حديث موقوف على أبي الدرداء، وليس حديثاً مرفوعاً إلى النبي ﷺ، ولكنه في حكم المرفوع؛ لأن مثله ما يقال من جهة الرأي، والله ولي التوفيق» انتهى كلامه ﷺ، وضعفه العلامة الألباني في ضعيف سنن أبي داود، طبعة دار المعارف، ص ٤١٥، برقم ٥٠٨١، ولكنه ذكر في سلسلة الأحاديث الضعيفة، طبعة دار المعارف، ١١/ ٤٤٩، برقم ٥٢٨٦، أن الموقوف رجاله ثقات، واستنكر اللفظ الذي في آخره.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤ من أحاديث الشرح.

مَرَاتٍ كَفَاهُ اللَّهُ مَا أَهَمَّهُ صَادِقًا كَانَ بِهَا، أَوْ كَاذِبًا»^(١).

٢٨٤- ولفظ ابن السني عن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَالَ فِي كُلِّ يَوْمٍ حِينَ يُضْبَحُ وَحِينَ يُمَسِّي: حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَبَّحَ مَرَاتٍ كَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مَا أَهَمَّهُ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^(٢).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «حسبي الله» أي: كافيني كل هم وغم وسوء، قال العلامة السعدي رحمته الله: «أي: الله كافٍ في جميع ما أهمني»^(٣).

٢- «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ»: قال العلامة السعدي رحمته الله: «الذي له جميع معاني الألوهية، وأنه لا يستحق الألوهية والعبودية إلا هو، فألوهية غيره، وعبادة غيره باطلة»^(٤).

٣- قوله: «عليه توكلت»: قولاً باللسان، وإن كان محل ذلك القلب؛ لأن التوكل عمل قلبي وأخذٌ بالأسباب المشروعة، قال العلامة السعدي رحمته الله: «أي: اعتمدت ووثقت به، في جلب ما ينفع، ودفع ما يضر»^(٥).

٤- قوله: «وهو رب العرش العظيم»: وصف العرش بذلك؛ لأن الكرسي وسع السموات والأرض ونسبة الكرسي إلى العرش كحلقة ملقاة في أرض فلاة^(٦). قال

(١) أبو داود، برقم ٥٠٨١، وصححه إسناده محققاً زاد المعاد، ٣٧٦/٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) ابن السني في عمل اليوم والليلة، ص ١٣٢، برقم ٧١، والفردوس بمأثور الخطاب للدبلي، ٤٧٥/٣، برقم ٥٤٧٢، وصححه إسناده محققاً زاد المعاد، ٣٧٦/٢، وضعفه الألباني في ضعيف

أبي داود، برقم ٥٠٨١، وتقدم في تخريج حديث المتن أن الإمام ابن باز رحمته الله جَوَّدَ إسناده في سنن أبي داود موقوفاً في حكم الرفع.

(٣) تفسير السعدي، ص ٣٥٦.

(٤) تفسير السعدي، ص ٩٥٣.

(٥) تفسير السعدي، ص ٣٥٦.

(٦) تقدم الكلام في الحديث رقم ٧١، وفيه: «وسع كرسيه السموات والأرض»: وسع بمعنى شمل، أي: أن كرسيه محيط بالسموات والأرض، وأكبر منهما؛ لأنه لولا أنه أكبر ما وسعهما شرح الواسطية ابن عثيمين،

الإمام ابن خزيمة رحمته الله: «وسمى الله بعض خلقه عظيماً، فقال: وهو رب العرش العظيم، فالله العظيم، وأوقع اسم العظيم على عرشه، والعرش مخلوق»^(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ»، وَهُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ: الْعَرْشُ وَغَيْرُهُ، وَرَبُّ كُلِّ شَيْءٍ: الْعَرْشُ وَغَيْرُهُ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي رَزِينٍ رضي الله عنه قَدْ أَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ بِخَلْقِ الْعَرْشِ، وَأَمَّا فِي حَدِيثِ عِمْرَانَ فَلَمْ يُخْبَرْ بِخَلْقِهِ؛ بَلْ أَخْبَرَ بِخَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَعُلِمَ أَنَّهُ أَخْبَرَ بِأَوَّلِ خَلْقِ هَذَا الْعَالَمِ، لَا بِأَوَّلِ الْخَلْقِ مُطْلَقًا، وَإِذَا كَانَ إِنَّمَا أَجَابَهُمْ بِهَذَا عَلِمَ أَنَّهُمْ إِنَّمَا سَأَلُوهُ عَنْ هَذَا، لَمْ يَسْأَلُوهُ عَنْ أَوَّلِ الْخَلْقِ مُطْلَقًا؛ فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَجَابَهُمْ عَمَّا لَمْ يَسْأَلُوهُ عَنْهُ، وَلَمْ يُجِبْهُمْ عَمَّا سَأَلُوا عَنْهُ، بَلْ هُوَ ﷺ مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ، مَعَ أَنَّ لَفْظَهُ إِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى هَذَا؛ لَا يَدُلُّ عَلَى ذِكْرِهِ أَوَّلِ الْخَلْقِ، وَإِخْبَارِهِ بِخَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَعْدَ أَنْ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ يَقْصِدُ بِهِ الْإِخْبَارَ عَنْ تَرْتِيبِ بَعْضِ الْمَخْلُوقَاتِ عَلَى بَعْضٍ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَسْأَلُوهُ عَنْ مُجَرَّدِ التَّرْتِيبِ، وَإِنَّمَا سَأَلُوهُ عَنْ أَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ، فَعُلِمَ أَنَّهُمْ سَأَلُوهُ عَنْ مَبْدَأِ خَلْقِ هَذَا الْعَالَمِ، فَأَخْبَرَهُمْ بِذَلِكَ كَمَا نَطَقَ فِي أَوَّلِهَا فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾^(٢).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- بيان أن معنى «الحسيب» العليم بعباده، كافٍ المتوكلين، المجازي لعباده

ص ١٧١، قال ابن عباس: «الكرسي موضع قدمي الله ﷻ» رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في «المستند» (٥٨٦)، قال الألباني في «مختصر العلو» ص ٤٥: «إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات» والكرسي ليس هو العرش بل العرش أكبر منه. قال النبي ﷺ: «مَا السَّمَوَاتُ السَّنْبُعُ مَعَ الْكُرْسِيِّ، إِلَّا كَخَلْقَةِ مُلْقَاةٍ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلَاةِ عَلَى الْخَلْقَةِ» صحيح ابن حبان، ٧٧ / ٢، برقم ٣٦١، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، برقم ٨٦٢، وصححه الألباني في الصحيحة، برقم ١٠٩، وقال: لا يصح حديث مرفوع إلى النبي ﷺ في صفة العرش إلا هذا الحديث.

(١) كتاب التوحيد، ٦١ / ١.

(٢) مجموع الفتاوى، ٢١٤ / ١٨.

بالخير والشر بحسب حكمته، وعلمه بدقيق أعمالهم، وجليها^(١).

٢- حقيقة التوكل: هو الأخذ بالأسباب الشرعية مع الاعتماد بالقلب على الله، والثقة به سبحانه في جلب النفع، ودفع المضار، وهو ثمرة من ثمار اليقين.

٣- بيان أن «الوكيل» من الأسماء الحسنى، ومعناه المقيم الكفيل بأرزاق العباد، وحقيقته أن يستقل بأمر الموكول إليه، قال الله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾^(٢).

٤- قال القرطبي: «يجب على كل مؤمن أن يعلم أن كل ما لا بد له منه، فالله سبحانه هو الوكيل، والكفيل المتوكل بإيصاله إلى العبد، إما بنفسه، فيخلق له الشبع والري، كما يخلق له الهداية في القلوب، أو بواسطة سبب ملك، أو غيره يوكله به»^(٣).

٨٤- (١٠) «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ: فِي دِينِي، وَدُنْيَايَ، وَأَهْلِي، وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»^(٤).

(١) تفسير السعدي (٢٠٣/٥).

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢.

(٣) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ١/ ٥٨٠.

(٤) أبو داود، كتاب السنة، باب ما يقول إذا أصبح، برقم ٥٠٧٤، وابن ماجه، كتاب الأدب، باب الدعاء، برقم ٣٨٧١، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٢/ ٣٢٢، وفي صحيح الأدب المفرد، برقم ١٢٠٠.

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢٨٥- لفظ أبي داود عن ابن عمر رضي الله عنهما^(١)، قال: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُ هَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ، حِينَ يُمَسِّي، وَحِينَ يُصْبِحُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي، وَدُنْيَايَ، وَأَهْلِي، وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَتِي»، وَقَالَ عُثْمَانُ: «عَوْرَاتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ اخْفِظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي» قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «قَالَ وَكِيعٌ^(٢): يَغْنِي الْخُسْفَ»^(٣).

٢٨٦- ولفظ ابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُ هَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ حِينَ يُمَسِّي، وَحِينَ يُصْبِحُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ، وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا، وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ، وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي، وَدُنْيَايَ، وَأَهْلِي، وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، وَاخْفِظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»^(٤).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ»: قال ابن منظور رحمته الله: «اللَّهُمَّ بِمَعْنَى: يَا أَلله، ... الْمِيمَ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أُولَها، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الْإِسْمِ الْمُنَادَى الْمُفْرَدِ»^(٥)، وقال العسكري رحمته الله: «الْمُسْأَلَةُ يَقَارِنُهَا الْخُضُوعُ

(١) تقدمت ترجمته في الحديث ٤٣ من أحاديث الشرح.

(٢) وكيع بن الجراح؛ أبو سفيان الكوفي، من علماء الحديث، وثقه أحمد، وابن معين، وغيرهما، روى له الجماعة. مات عام ١٩٧ يوم عاشوراء. انظر: تهذيب التهذيب، ١١ / ١٠٩.

(٣) أبو داود، برقم ٥٠٧٤، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٢ / ٣٣٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) ابن ماجه، برقم ٣٨٧١، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٢ / ٣٣٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) لسان العرب، ١٣ / ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، المفردة رقم ٦.

والاستكانة... والدُّعاء إِذَا كَانَ لِلَّهِ تَعَالَى فَهُوَ مِثْلُ الْمَسْأَلَةِ مَعَهُ اسْتِكَانُهُ وَخُصُوعٌ^(١).

٢- قوله: «العفو»: محو الذنوب مع سترها، قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «العفو: هو التجاوز عن الذنب، ومحوه»^(٢).

٣- قوله: «والعافية»: إنجاء الله لعبده من الفتن المضلة الظاهرة، والباطنة، وربطه على قلبه؛ حيث يلقاه سالماً من كل سوء، ومن كل ذنب، قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «العافية هي دفاع الله عن العبد الأسقام، والبلايا»^(٣).

٤- قوله: «في الدنيا»: ويكون ذلك بالوقاية، والحفظ من البلايا، والأسقام، والآثام، قال المناوي رَحِمَهُ اللهُ: «والعافية: في نوائب الدنيا، وذكرهما في الحديث في الدارين إيذاناً بأنهما يرجعان إلى شيء واحد، فيقال في محل العقوبة: عفا عنه، وفي محل الابتلاء: عافاه، ثم المطلوب عافية لا يصحبها أشر، ولا بطر، واغترار بدوامها»^(٤).

٥- قوله: «والآخرة»: ويكون ذلك بالنجاة من أهوال يوم القيامة، وما قبل ذلك من عذاب القبر، قال الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ: «فعافية الآخرة السلامة من العذاب، ومن الفرع، ومن أهوال يوم القيامة، وسؤال العافية إلى الآخرة مع العفو من التأكيد، وملاءمة اللاحق السابق، وإلا فالعفو إذا حصل فيها، فقد حصلت»^(٥).

٦- قوله: «العفو والعافية»: قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «العفو هو التجاوز عن الذنب ومحوه، والعافية هي دفاع الله عن العبد الأسقام والبلايا، ويندرج تحت

(١) الفروق اللغوية للعسكري، ص ٣٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من حديث المتن رقم ٦١.

(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦ / ١٨٨١.

(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦ / ١٨٨١.

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٢ / ٤٢.

(٥) التنوير شرح الجامع الصغير، ٢ / ٥٥٢.

قوله: «في الدنيا والآخرة» كل مشنوء ومكروه»^(١).

٧- قوله: «في ديني»: أي: بكوني على التوحيد من غير خلل، ولا خدش في ذلك، قال ابن منظور رحمته الله: «والدين الطاعة، وَقَدْ دِنْتَهُ، وَدِنْتُ لَهُ، أَي: أَطَعْتَهُ... والجمع الأديان، يُقَالُ: دَانَ بِكَذَا دِيَانَةً، وَتَدَيَّنَ بِهِ فَهُوَ دَيِّنٌ، وَتَدَيَّنَتْ، وَدَيَّنْتُ الرَّجُلَ تَدَيِّنًا، إِذَا وَكَلْتَهُ إِلَى دِينِهِ، وَالْدِّينُ: الْإِسْلَامُ، وَقَدْ دِنْتُ بِهِ ... الدِّينُ: مَا يَتَدَيَّنُ بِهِ الرَّجُلُ»^(٢).

٨- قوله: «ودنيائي»: أي: بالنجاة من كل المصائب، والمعائب، والتي تؤثر على سلامة القلب، وانشغاله عن الذكر، والطاعة، قال القاري رحمته الله: «السلامة من العيوب في ديني، ودنيائي، أي: في أمورهما»^(٣).

٩- قوله: «وأهلي»: أي: بالوقاية من الفتن، والحماية من البلايا، والمحن، و الشروخ كلها: ظاهرها وباطنها، قال ابن فارس رحمته الله: «أَهْلُ الرَّجُلِ: زَوْجُهُ، وَالتَّاهُلُ التَّرْجُحُ، وَأَهْلُ الرَّجُلِ: أَخْصُ النَّاسِ بِهِ، وَأَهْلُ الْبَيْتِ: سُكَّانُهُ»^(٤).

١٠- قوله: «ومالي»: أي: بالحفظ من التلف، أو السرقة، أو إنفاقه في غير طاعة الله تعالى، قال ابن منظور رحمته الله: «المالُ: مَعْرُوفٌ، مَا مَلَكَتْهُ مِنْ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ»^(٥).

١١- قوله: «اللهم استر عوراتي»: جمع عورة: وهي كل ما يستحي منه المرء إذا ظهر، وهذا يشمل كل خلل، أو تقصير يصاب به العبد، في أهله، أو نفسه، أو ماله، أو غير ذلك، قال ابن الأثير رحمته الله: «كُلُّ مَا يُسْتَحْيَا مِنْهُ إِذَا ظَهَرَ، ... الْمَرْأَةُ

(١) شرح المشكاة للطيب: الكاشف عن حقائق السنن، ٦ / ١٨٨١.

(٢) لسان العرب، ١٣ / ١٦٩، مادة (دين).

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨ / ٢٦٩.

(٤) مقاييس اللغة، ١ / ١٥٠، مادة (أهل).

(٥) لسان العرب، ١١ / ٦٣٥، مادة (مول).

عَوْرَةٌ: جَعَلَهَا نَفْسَهَا عَوْرَةً؛ لِأَنَّهَا إِذَا ظَهَرَتْ يُسْتَحْيَا مِنْهَا كَمَا يُسْتَحْيَا مِنَ الْعَوْرَةِ إِذَا ظَهَرَتْ ... طَرِيقِ مُعْوَرَةٍ: أَيُّ: ذَاتِ عَوْرَةٍ يُخَافُ فِيهَا الضَّلَالُ وَالانْقِطَاعُ، وَكُلُّ عَيْبٍ وَخَلَلٍ فِي شَيْءٍ فَهُوَ عَوْرَةٌ»^(١)، وَقَالَ الْعَلَامَةُ الشُّوْكَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَسَتْرُ الْعَوْرَاتِ عَامٌّ لِعَوْرَةِ: الْبَدَنِ، وَالْدِّينِ، وَالْأَهْلِ، وَالْدُّنْيَا، وَالْآخِرَةِ»^(٢).

١٢- قوله: «وَأَمِنْ رُوعَاتِي»: أَيُّ: أَرْزُقْنِي الْأَمْنَ مِنْ كُلِّ خَوْفٍ، أَوْ قَلَقٍ، أَوْ فَزَعٍ، وَالرُّوعَاتُ جَمْعُ رُوعَةٍ، وَهِيَ الْأَمْرُ الْمَزْعَجُ، قَالَ الطَّيْبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الرُّوعَاتُ: جَمْعُ رُوعَةٍ، وَهِيَ الْفَزَعَةُ»^(٣).

١٣- قوله: «أَحْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي»: قَالَ الطَّيْبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «اسْتَوْعَبَ الْجِهَاتِ السَّتْ بِحَذَائِيرِهَا؛ لِأَنَّ مَا يَلْحَقُ الْإِنْسَانَ مِنْ نَكْبَةٍ وَفِتْنَةٍ، فَإِنَّهُ يَحِيقُ بِهِ، وَيَصِلُ إِلَيْهِ مِنْ إِحْدَى هَذِهِ الْجِهَاتِ»^(٤).

١٤- قوله: «وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي»: قَالَ الصَّنْعَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مِنْ الثَّلَاثِ الْجِهَاتِ، وَهِيَ الْجِهَاتُ الَّتِي قَالَ: فِيهَا إِبْلِيسُ إِنَّهُ يَأْتِي بَنِي آدَمَ مِنْهَا، إِلَّا أَنَّهُ زِيدَ هُنَا جِهَةُ الْفَوْقِ وَالتَّحْتُ»^(٥).

١٥- قوله: «أُغْتَالُ»: الْاِغْتِيَالُ أَنْ يُؤْتَى الْأَمْرُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ، وَأَنْ يَدْهَى بِمَكْرُوهِ لَمْ يَكُنْ فِي حَسْبَانِهِ، قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْاِغْتِيَالُ: الْاِحْتِيَالُ، وَحَقِيقَتُهُ: أَنْ يُدْهَى الْإِنْسَانُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ»^(٦).

١٦- قوله: «وَأَعُوذُ بِعِظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»: يَرَادُ بِذَلِكَ الْخُسْفُ،

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ٣/ ٣١٩.

(٢) نيل الأوطار، للشوكانى، ٥/ ٣٥١.

(٣) شرح المشكاة للطيبى: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٨١.

(٤) شرح المشكاة للطيبى: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٨١.

(٥) التنوير شرح الجامع الصغير، ٣/ ١٣٠.

(٦) جامع الأصول، ٤/ ٢٤٦.

والمهالك التي تكون من جهة التحت، قال الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ: «(وخص الاستعاذة بالعظمة عن الاغتيال من تحته؛ لأن اغتيال الشيء أخذه خفية هو أن يخسف به الأرض، كما صنع تعالى بقارون، أو بالغرق كما صنع بفرعون، فالكل اغتيال من التحت)»^(١).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- شدة اعتناء النبي ﷺ بالمواظبة على هذا الدعاء؛ لقول الراوي: لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي، وحين يصبح؛ وذلك لما فيه من الأمور الجامعة لصلاح حياة العبد في الدنيا قبل الآخرة، وفي الآخرة أعظم وأكمل.

٢- من أكرمه الله بالعافية في الدنيا والآخرة، فقد أعظم الله له العطية، ويشهد لذلك قول النبي ﷺ: «سَلُوا اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ؛ فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْعَافِيَةِ»^(٢).

٣- بدأ النبي ﷺ بطلب العافية في الدين قبل الدنيا، والأهل، والمال دليل على أن من رزقه الله ذلك، فقد فاز فوزاً عظيماً.

٤- الحث على ستر العورات، وعدم التكشف إلا في حدود ما أباحه الشرع، وعورة الرجل هي ما بين السرة والركبة، أما عورة المرأة فجميع جسدها؛ لقول النبي ﷺ: «المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان»^(٣).

(١) سبل السلام شرح بلوغ المرام، للصنعاني، ٤/ ٢٢١.

(٢) الترمذي، كتاب الدعوات، أحاديث شتى من أبواب الدعوات، برقم ٣٥٥٨، والمسند، ١/ ٢١٠، برقم ٣٤، وصححه إسناده محققو المسند، ١/ ٢١١، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٨٢١، وصححه الجامع، برقم ٣٦٣٢.

(٣) الترمذي، كتاب الرضاع، باب حدثنا محمد بن بشار، برقم ١١٧٣، وابن حبان، ١٢/ ٤١٣، برقم ٥٥٩٩، وصححه محقق صحيح ابن حبان، ١٢/ ٤١٣، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح، برقم ٣١٠٩، والإرواء، برقم ٢٧٣.

والحديث يشمل سؤال الله ﷻ ستر جميع العورات الحسية والمعنوية في الدنيا، والآخرة، والعلم عند الله تعالى.

٥- العبد لا يأمن من أي جهة يأتيه الهلاك، وتزيين الشيطان؛ لذلك جاء هذا الدعاء جامعاً للجهات الست، وهو إشارة إلى قوله: ﴿ثُمَّ لَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾^(١).

ويرى ابن جرير رحمه الله أن المراد أن الشيطان يصدّهم عن جميع طرق الخير، ويحسّن لهم جميع طرق الشر^(٢).

٦- قال الإمام الطيبي رحمه الله: عمّ النبي ﷺ الجهات؛ لأن الآفات تأتي منها وبالع في جهة السفلى لرداء الآفة^(٣). قال وكيع في قوله عليه الصلاة والسلام: «أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي» يعني الخسف^(٤)؛ ولذا قال في «القاموس» خسف الله بفلان الأرض أي: غيبه فيها^(٥).

٧- الاغتيال من جهة التحت الذي يراد به الخسف والعذاب من فوق الذي يراد به الرجم من الأمور التي كان يستعيز النبي ﷺ منها بشدة، ودليل ذلك كما روى البخاري أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾^(٦)، قال رسول الله ﷺ: «أعوذ بوجهك» قال: ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾، قال: «أعوذ بوجهك» ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧.

(٢) انظر: تفسير الطيبي، ١٣ / ٣٣٩، وتفسير ابن كثير، آية ١٧ من سورة الأعراف.

(٣) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، ٥ / ١٦٠.

(٤) صحيح ابن حبان، ٣ / ٢٤١.

(٥) انظر: القاموس المحيط، ص ١٠٣٩، مادة (خسف).

(٦) سورة الأنعام، الآية: ٦٥.

بَغْضُكُمْ بِأَسْ بَعْضٍ ﴿١﴾ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا أَهْوَنُ، أَوْ: هَذَا أَيْسَرُ»^(١).

٨- الخسف من العقوبات التي أوقعها الله بالمكذبين والمفسدين من الأمم السابقة، وهذا غير بعيد على من سار على دربهم في زماننا هذا، قال الله تعالى: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٢).

٩- والمراد بالحاصب أي: الريح الشديدة، كما حدث مع قوم عاد لما كذبوا رسولهم هود، وكانت الصيحة لقوم ثمود لما كذبوا رسولهم صالح، والخسف لقارون، والغرق لقوم نوح، وفرعون وقومه، لما كذبوا موسى عليهم جميعاً الصلاة والسلام.

والخلاصة أن معنى الحاصب: رِيحٌ شَدِيدَةٌ تَحْمِلُ الثَّرَابَ وَالْحَصْبَاءَ؛ وَقِيلَ: هُوَ مَا تَنَاطَرَ مِنْ دُقَاقِ الْبَرْدِ وَالثَّلْجِ، وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ ... أَي: عَذَابًا يَخْصِبُهُمْ، أَي يَزِمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ؛ وَقِيلَ: حَاصِبًا أَي: رِيحًا تَقْلَعُ الْحَصْبَاءَ لِقُوَّتِهَا، وَهِيَ صِغَارُهَا وَكِبَارُهَا. وَفِي حَدِيثٍ عَلَيَّ ﷺ قَالَ لِلْحَوَارِجِ: أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ، أَي: عَذَابٌ مِنَ اللَّهِ، وَأَصْلُهُ رُمِيَتْ بِالْحَصْبَاءِ مِنَ السَّمَاءِ، وَيُقَالُ لِلرَّيْحِ الَّتِي تَحْمِلُ التَّرَابَ وَالْحَصَى: حَاصِبٌ، وَلِلسَّحَابِ يَزْمِي بِالْبَرْدِ وَالثَّلْجِ: حَاصِبٌ؛ لِأَنَّهُ يَزْمِي بِهِمَا رَمِيًّا^(٣)، وَيَرَى الْإِمَامُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ الْحَاصِبَ^(٤) هُوَ: الْمَطَرُ الَّذِي فِيهِ حِجَارَةٌ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ، وَغَيْرُ

(١) البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِّنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾، برقم ٤٦٢٨.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٠.

(٣) انظر: لسان العرب، ١/ ٣٢٠، مادة (حصب).

(٤) تفسير القرآن العظيم، ٥/ ٩٦.

واحد، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾^(١)، وقد قال في الآية الأخرى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾^(٢)، وقال: ﴿أَمْنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمْنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ﴾^(٣)، وقال الألوسي: هو مطر الحجارة، أي مطراً يحصبكم، أي يرميكم بالحصباء، وهو صغار الحجارة، ... وعن قتادة أنه فسر الحاصب بالحجارة نفسها، ولعله حيثئذ صيغة نسبة، أي ذا حصب، ويراد منه الرمي، وقال الفراء: الحاصب الريح التي ترمي بالحصباء، وقال الزجاج: هو التراب الذي فيه الحصباء، والصيغة عليه صيغة نسبة أيضاً، وجاء بمعنى ما تنثر من دقائق الثلج، والبرد، ... وبمعنى السحاب الذي يرمي بهما، واختار الزمخشري، ومن تبعه تفسير الفراء، والظاهر أن الكلام عليه على حقيقته، فالمعنى: أو إن لم يصيبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف، أصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم، فيها الحصباء يركمكم بها، فيكون أشد عليكم من الغرق في البحر، ويقال نحو هذا على سائر تفاسير الحاصب، في وصف الريح بالرمي بالحصباء: إنه عبارة عن شدتها^(٤).

٨٥- (١١) ﴿اللَّهُمَّ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، رَبِّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِكُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ

(١) سورة القمر، الآية: ٣٤.

(٢) سورة هود، الآية: ٨٢.

(٣) سورة الملك، الآيتان: ١٦ - ١٧.

(٤) انظر: تفسير روح المعاني للألوسي، ١١٧/١٥.

بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّكَه، وَأَنْ أَقْتَرِفَ عَلَى نَفْسِي سُوءًا، أَوْ أَجْرَهُ إِلَى مُسْلِمٍ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢٨٧- لفظ البخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة رضي الله عنه^(٢)، قال: قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلِّمْنِي شَيْئًا أَقُولُهُ إِذَا أَصْبَحْتُ وَأَمْسَيْتُ، قَالَ: قُلْ: «اللَّهُمَّ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، رَبِّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِكُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّكَه، قُلْهُ إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ»^(٣).

٢٨٨- ولفظ أبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه^(٤)، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رضي الله عنه، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مُزِنِي بِكَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ إِذَا أَصْبَحْتُ، وَإِذَا أَمْسَيْتُ، قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، رَبِّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِكُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّكَه» قَالَ «قُلْهَا إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ»^(٥).

٢٨٩- ولفظ الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه^(٦)، قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: يَا رَسُولَ

(١) الترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا الحسن بن عرفة، برقم ٣٥٢٩، وأبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم ٥٠٦٧، والبخاري في الأدب المفرد، ص ٤١٣، برقم ١٢٠٤، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١٤٢/٣، وصحیح الأدب المفرد، برقم ١٢٠٤.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث ٣ من أحاديث الشرح.

(٣) الأدب المفرد، برقم ١٢٠٤، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١٤٢/٣، وصحیح الأدب المفرد، برقم ١٢٠٤، وتقدم تخريجه في حديث المتن.

(٤) أبو داود، برقم ٥٠٦٧، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١٤٢/٣، وتقدم تخريجه في حديث المتن.

(٥) تقدمت ترجمته في الحديث ٣ من أحاديث الشرح.

(٦) تقدمت ترجمته في الحديث ٢١٤ من أحاديث الشرح.

اللَّهُ مُزْنِي بِشَيْءٍ أَقُولُهُ إِذَا أَصْبَحْتُ، وَإِذَا أَمْسَيْتُ؟ قَالَ: قُلْ: «اللَّهُمَّ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، رَبِّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ، وَشَرِّكَ»، قَالَ: «قُلْهُ إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ»^(١).

٢٩٠- وفي لفظ للترمذي عَنْ أَبِي رَاشِدٍ الْخُبْرَانِيِّ، قَالَ: أَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ رضي الله عنه، فَقُلْتُ لَهُ: حَدِّثْنَا مِمَّا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَلْفَى إِلَيَّ صَحِيفَةً، فَقَالَ: هَذَا مَا كَتَبَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَتَنَظَرْتُ فِيهَا فَإِذَا فِيهَا: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِي مَا أَقُولُ إِذَا أَصْبَحْتُ، وَإِذَا أَمْسَيْتُ، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ قُلْ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، رَبِّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّكَ، وَأَنْ أَقْتَرِفَ عَلَى نَفْسِي سُوءًا أَوْ أَجْرَهُ إِلَى مُسْلِمٍ»^(٢).

٢٩١- ولفظ أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه^(٣)، عن أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلِّمْنِي مَا أَقُولُ إِذَا أَصْبَحْتُ، وَإِذَا أَمْسَيْتُ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، قُلْ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، رَبِّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّكَ، وَأَنْ أَقْتَرِفَ عَلَى نَفْسِي سُوءًا، أَوْ أَجْرَهُ إِلَى مُسْلِمٍ»^(٤).

(١) الترمذي، برقم ٣٣٩٢، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/ ١٢٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) الترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا الحسن بن عرفة، برقم ٣٥٢٩، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٧٩٨.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث ٨١ من أحاديث الشرح.

(٤) مسند أحمد، ١١/ ٤٣٧، برقم ٦٨٥١، واللفظ له، والبخاري في الأدب المفرد، ص ٤١٣، برقم ١٢٠٤، وأبو يعلى، ٧٨/ ١، برقم ٧٧، والضياء المقدسي في المختارة، ١/ ١١٣، وقال: «إسناده صحيح»، وصححه لغيره محققو المسند، ١١/ ٤٣٨، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، ص ٤٨٩، برقم ٩١٨.

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللهم»: قال ابن منظور رَحِمَهُ اللهُ: «اللَّهُمَّ بِمَعْنَى: يَا اللَّهُ، ... الْمِيمُ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أُولَها، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الْإِسْمِ الْمُنَادَى الْمُفْرَدِ»^(١).

٢- قوله: «عالم» أي: أن علم الله محيط بالسرائر، والخفيات، والظواهر، والبواطن، وهذا معنى العليم، والعلَّام، قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «العالم بكل شيء، أخبره بمدة لبثهم، وأن علم ذلك عنده وحده، فإنه من غيب السموات والأرض، وغيبها مختص به، فما أخبر به عنها على السنة رسله، فهو الحق اليقين، الذي لا يشك فيه، وما لا يطلع رسله عليه، فإن أحداً من الخلق، لا يعلمه»^(٢).

٣- قوله: «الغيب»: هو كل ما غاب عن العباد مشاهدةً، وإدراكاً، قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «التصديق التام بما أخبرت به الرسل، المتضمن لانقياد الجوارح، وليس الشأن في الإيمان بالأشياء المشاهدة بالحس، فإنه لا يتميز بها المسلم من الكافر، إنما الشأن في الإيمان بالغيب، الذي لم نره، ولم نشاهده، وإنما نؤمن به، لخبر الله، وخبر رسوله، فهذا الإيمان الذي يميز به المسلم من الكافر؛ لأنه تصديق مجرد لله ورسوله، فالمؤمن يؤمن بكل ما أخبر الله به، أو أخبر به رسوله، سواء شاهده، أو لم يشاهده، وسواء فهمه وعقله، أو لم يهتد إليه عقله وفهمه... ويدخل في الإيمان بالغيب، الإيمان بجميع ما أخبر الله به من الغيوب الماضية، والمستقبلية، وأحوال الآخرة، وحقائق أوصاف الله وكيفيتها، وما أخبرت به الرسل من ذلك، فيؤمنون بصفات الله ووجودها، ويتيقنونها، وإن لم يفهموا كيفيتها»^(٣).

(١) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، المفردة رقم ٦.

(٢) تفسير السعدي، ص ٤٧٤.

(٣) تفسير السعدي، ص ٤٠.

٤- قوله: «والشهادة»: كل ما شاهده العبد من الأمور المحسوسة، قال القرطبي رحمته الله: «عالم الغيب والشهادة: أي: هو عالم بما غاب عن الخلق، وبما شهدوه»^(١)، وقال العلامة السعدي رحمته الله: إنه يعلم ما غاب عن العباد من الجنود والمخلوقات التي لا يعلمها إلا هو وما يشاهدونه من المخلوقات^(٢).

٥- قوله: «فاطر السموات والأرض» أي: ابتداء خلقهما، قال تعالى: ﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾^(٣)، قال الطيبي رحمته الله: «وفاطر السموات والأرض»: أي مبدعهما ومخترعهما»^(٤)، وقال الإمام ابن كثير رحمته الله: «أَيُّ: خَلَقَهُمَا وَابْتَدَعَهُمَا عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ»^(٥).

٦- قوله: «رب كل شيء»: من إنس، وجن، وملائكة، وجمادات، وغير ذلك جميع المخلوقات؛ لأن كل مخلوق مربوب، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «ولا وجود لشيء إلا بقدرته، ومشيتته، فهو إله الخلق كلهم، لا إله غيره، ولا صلاح للخلق إلا بأن يكون هو المعبود المقصود بالقصد الأول من جميع حركاتهم، فكما أن ما لا يريده ويشاؤه لا يكون، فما لا يراد لأجله ويقصد له؛ فإنه فاسد، لا صلاح فيه، فكل عمل باطل، إلا ما أريد به وجهه»^(٦)، وقال الحافظ ابن حجر رحمته الله: «رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ، وَالْأَزْوَاحِ مَرْبُوبَةٌ، وَكُلُّ مَرْبُوبٍ مَخْلُوقٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ»^(٧).

(١) تفسير القرطبي، ٩/ ٢٤٦.

(٢) تفسير السعدي، ص ٨٦٨.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٥١.

(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤/ ١١٩٧.

(٥) تفسير ابن كثير، ٣/ ٢٩١، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من مفردات حديث المتن رقم ٢٩.

(٦) جامع المسائل لابن تيمية، ٦/ ١٠٩.

(٧) فتح الباري لابن حجر، ١٣/ ٤٤٤.

٧- قوله: «ومليكه»: أي: مالكة متصرف فيه على حسب إرادته، وحكمته، قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(١)، قال العيني رحمه الله: «الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ، وَالْإِحْيَاءُ، وَالْإِمَاتَةُ»^(٢).

٨- قوله: «أشهد أن لا إله إلا أنت» أي: أقر، وأعترف بتفردك بالألوهية الحق، وبالخلق، والرزق، والتدبير، وأن إليك المرجع والمآب؛ لأنه لا معبود بحق إلا أنت، وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: «مَعْنَاهُ، أَعْلَمُ وَأُبَيِّنُ،... وَإِنَّمَا حَقِيقَةُ الشَّهَادَةِ هُوَ تَيَقُّنُ الشَّيْءِ وَتَحَقُّقُهُ مِنْ شَهَادَةِ الشَّيْءِ أَيَّ حُضُورِهِ»^(٣).

٩- قوله: «أعوذ بك» أي: أُلجأ إليك، وأستجير بك، وأتحصن قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: «والعوذ: الالتجاء إلى الغير، والتعلق به.... وأعدته بالله أعينه، أي: ألتجئ إليه، وأستنصر به أن أفعل ذلك»^(٤)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فَإِنَّ الْمُسْتَعَاذَ مِنْهُ نَوْعَانِ: فَنَوْعٌ مَوْجُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ ضَرَرِهِ ... وَنَوْعٌ مَفْقُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ وُجُودِهِ؛... وَيُسْتَعَاذُ مِنَ الشَّرِّ الْمَوْجُودِ أَنْ لَا يُضَرَّ، وَيُسْتَعَاذُ مِنَ الشَّرِّ الضَّارِّ الْمَفْقُودِ أَنْ لَا يُوجَدَ»^(٥).

١٠- قوله: «من شر نفسي» أي: إذا أَمَرْتَنِي بِسُوءٍ، وَجَرَّتَنِي إِلَى الشَّهَوَاتِ وَالشَّبَهَاتِ، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رحمه الله: «اسْتَعَاذَ ﷺ مِنْ شَرِّهَا عَمُومًا، وَمِنْ شَرِّ مَا يَتَوَلَّدُ مِنْهَا مِنَ الْأَعْمَالِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَتَرْتَبُ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْمَكَارِهِ، وَالْعُقُوبَاتِ، وَجَمَعَ بَيْنَ الِاسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرِّ النَّفْسِ، وَسَيِّئَاتِ الْأَعْمَالِ»^(٦).

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١٨ / ٢٤٠.

(٣) عون المعبود مع حاشية ابن القيم، ٢ / ١٢٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من حديث المتن رقم ١٣.

(٤) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ٢ / ١٣٦.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ١٨ / ٢٨٨، وتقدم في شرح المفردة رقم ١.

من مفردات حديث المتن رقم ١٧.

(٦) إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، ١ / ٧٤.

١١- قوله: «ومن شر الشيطان»: اسم لإبليس الملعون، مأخوذ من شطن أي: بُعد، وإنما سُمِّي بذلك؛ لأنه بعيد عن رحمة الله^(١)، قال الإمام ابن القيم رحمته الله: «أوقع الاستعاذة من شر الشيطان الموصوف بأنه الوسواس الخناس، الذي يوسوس في صدور الناس، ولم يقل: من شر وسوسته: لتعم الاستعاذة: شره جميعه»^(٢).

١٢- قوله: «وشركه»: شِرْكُه - بكسر الشين، وسكون الراء -: وسوسته للبعد للإشراك بالله، ويجوز أن تفتح الشين والراء، فيقال: وشركه، أي حبائله، ومصايد، قال الصنعاني رحمته الله: «ما يدعو إليه، ويوسوس به من الإشراك بالله تعالى، وهذا على رواية كسر السين، وسكون الراء، ويروى بفتحهما، أي: حبائله، ومصائده، واحداً شركة، فإن قلت: لما قدمت الاستعاذة من شر النفس على الاستعاذة من شر الشيطان، مع أن دفع كيده أهم؛ فإنه لا يأتي الشر للنفس إلا من وسوسته»^(٣).

١٣- قوله: «وأن أقترف على نفسي سوءاً»: أي: ألمّ به، وأقع فيه، فأتردى بسببه في النار، إن لم تتجاوز عني، قال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «أقترف: يعني أجرّ على نفسي سوءاً، أو أجرّهُ إلى مسلم»^(٤).

١٤- قوله: «أو أجره إلى مسلم»: أي: أتسبب في جر الإيذاء لأي مسلم، فأحمل بذلك الأوزار المضاعفة، قال الإمام ابن القيم رحمته الله: «فذكر مصدري

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٤٧٤، مادة (شطن)، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٧ من الحديث الأول من أحاديث المتن في المقدمة في فضل الذكر.

(٢) التفسير القيم، ص ٦٧٢.

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨/ ٧٩.

(٤) شرح رياض الصالحين ١٤٥٤

الشر، وهما: النفس، والشيطان، وذكر مورده، ونهايته، وهما: عوده على النفس، أو على أخيه المسلم، فجمع الحديث مصادر الشر، وموارده في أوجز لفظه، وأخصره، وأجمعه، وأبينه»^(١).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- إثبات صفة العلم لله تعالى، وأن هذا العلم علم شامل محيط لجميع خلقه، بخلاف علم العبد القاصر، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾^(٢).
قال ابن القيم رحمه الله:

وهو العليم أحاط علماً بالذي	في الكون من سر ومن إعلان
وبكل شيء علمه سبحانه	فهو المحيط وليس ذا نسيان
وكذاك يعلم ما يكون غداً وما	قد كان والموجود في ذا الآن
وكذاك أمر لم يكن لو كان	كيف يكون ذا الأمر ذا إمكان ^(٣)

٢- اختصاص الله وحده بعلم الغيب، فالغيب عنده شهادة، والسر عنده علانية، قال الله تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِّنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٍ بِالنَّهَارِ﴾^(٤)، والسارب هو من يمشي في طريق مكشوف.

٣- من أسماء الله: فاطر السموات والأرض، وهو الخالق على غير مثال سابق، والمراد بالسموات والأرض العالم كله، قال ابن عباس رحمه الله: كنت لا أدري ما فاطر السموات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي استحدثت حفرها، وأصل الفطر الشق، وفطر ناب

(١) بدائع الفوائد، ٢/ ٢٠٩.

(٢) سورة الطلاق، الآية: ١٢.

(٣) النونية، لابن القيم، ١٢٥/٢.

(٤) سورة الرعد، الآية: ١٠.

البعير إذا شق اللحم وطلع^(١).

٤- إثبات ربوبية الله لكل الخلق، وأن نواصيهم بيده، وأنهم في الحقيقة مربوبون، ولا غنى لهم عن ربهم طرفة عين، أو أقل من ذلك.

٥- مشروعية التوسل إلى الله تعالى بصفات الكمال، ونعوت الجلال، وأفعاله الدالة على عظيم خلقه قبل الشروع في سؤاله ﷻ.

٦- نفس العبد إذا ألفت بزمامها إلى الشيطان، كان ذلك مصدر كل شر، وتولد عن ذلك المعاصي، والموبقات، التي تجر إلى نار جهنم، أما حديث: «أعدى عدو لك نفسك التي بين جنبيك» فقد ضعفه بعض العلماء رحمه الله^(٢).

٧- قال ابن القيم رحمه الله معلقاً على هذا الحديث: «فذكر النبي ﷺ مصدري الشر، وهما: النفس، والشيطان، وذكر مورديه ونهايته، وهما: عوده على النفس، أو على أخيه المسلم، وفيه تعوذ النبي ﷺ من أربعة شُرور: الأول: شر النفس الذي يترتب عليه الذنوب والآثام. الثاني: شر الشيطان بتهييج الباطل في نفسه وقلبه.

الثالث: اقتراف الإنسان السوء على نفسه، وهذه موبقة لنفس الإنسان.

الرابع: جر السوء على المسلمين، وهذه شر من النفس عائد على الآخرين»^(٣).

قال الشاعر:

وخالف النفس والشيطان واعصهما وإن هما محضاك النصيح فاتهم

٨- يدل الحديث عن النبي ﷺ بأن يقول المسلم هذا الذكر المبارك في ثلاثة مواضع:

(١) انظر: تفسير الجزائري، ص ١٤٥٢، وانظر شأن الدعاء، ص ١٠٣ للخطابي.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير، ٢٩٤/٣، برقم ٣٤٤٥، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة، ٣٧٧/٩، برقم ٤٣٧٥.

(٣) انظر: بدائع الفوائد، ٢٠٩/٢.

الموضع الأول: إذا أصبح.

الموضع الثاني: إذا أمسى.

الموضع الثالث: إذا أخذ المسلم مضجعه عند النوم.

لقوله ﷺ: «قلها إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك»^(١).

٩- قال أبو هريرة راوي الحديث: إن أبا بكر رضي الله عنه سأل النبي ﷺ أن يعلمه

شيئاً يقوله إذا أصبح، وإذا أمسى، فعلمه هذا الذكر النافع، وهذا فيه دليل على حرص الرسول ﷺ على تعليم أصحابه، وأمثه من بعده.

١٠- وأيضاً فيه دليل على حرص أبي بكر رضي الله عنه على تعلم الخير العظيم

من رسول الله ﷺ.

٨٦- (١٢) «بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ، فِي

الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» (ثلاث مرّات)^(٢).

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم ٥٠٦٧، والترمذي، كتاب الدعوات، باب من حدثنا محمود بن غيلان، برقم ٣٣٩٢، والضياء في المختارة، ١/١١٣، برقم ٣٠، وقال: «إسناده صحيح»، وابن أبي شيبة، ٣٢٢/٥، برقم ٢٦٥٢٣، والحاكم، ١/٦٩٤، وقال: «صحيح الإسناد»، والبخاري في الأدب، المفرد، ص ٤١٢، برقم ١٢٠٢، والدارمي، ٢/٣٧٨، برقم ٢٦٨٩، وابن حبان، ٣/٢٤٢، برقم ٩٦٢، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٤٤٠٢، والصحيحة، برقم ٢٧٥٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم ٥٠٨٨، والترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى، برقم ٣٣٨٨، وابن ماجه، برقم ٣٨٦٩، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يقول إذا انتهى إلى قوم فجلس إليهم، برقم ١٠١٧٨، وأحمد، ١/٤٩٨، برقم ٤٤٦، وابن ماجه، كتاب الدعاء، باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح، برقم ٣٨٦٨، وحسن إسناده محققو المسند، ١/٤٩٨، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٢/٣٣٢، وصحيح الترمذي، برقم ٢٦٩٨، وصحيح الجامع الصغير، برقم ٥٧٤٥، وحسن إسناده العلامة ابن باز رحمه الله في تحفة الأخيار، ص ٣٩.

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢٩٢- لفظ أبي داود عن أبان بن عثمان^(١)، قال سَمِعْتُ عُثْمَانَ - يَغْنِي ابْنَ عَفَانَ^(٢) - يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَمْ تُصِبْهُ فَجَاءَةٌ بَلَاءٌ حَتَّى يُصْبِحَ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَمْ تُصِبْهُ فَجَاءَةٌ بَلَاءٌ حَتَّى يُمَسِيَ»، قَالَ فَأَصَابَ أَبَانَ بْنُ عُثْمَانَ الْفَالَجُ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ الَّذِي سَمِعَ مِنْهُ الْحَدِيثَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: مَا لَكَ تَنْظُرُ إِلَيَّ؟ فَوَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ عَلَى عُثْمَانَ، وَلَا كَذَبَ عُثْمَانُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَلَكِنَّ الْيَوْمَ الَّذِي أَصَابَنِي فِيهِ مَا أَصَابَنِي غَضَبْتُ فَتَسَيْتُ أَنْ أَقُولَهَا^(٣).

٢٩٣- ولفظ الترمذي عَنْ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَانَ ﷺ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءٍ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ، وَلَا فِي السَّمَاءِ،

(١) أبو سعيد الأموي، من ثقات أواسط التابعين، وهو أحد أولاد عثمان بن عفان ﷺ.

(٢) عثمان بن عفان ﷺ ذو النورين، أبو عمرو، ويقال: أبو عبد الله، يلتقي مع الرسول ﷺ في الأب الرابع، وهو عبد مناف، أسلم قديماً، وهاجر الهجرة، وتزوج ابنة الرسول ﷺ رقية، وكان ذلك قبل البعثة، فماتت عنده، ثم تزوج أم كلثوم، فماتت عنده أيضاً، ومناقبه تطول، فمنها: أن النبي ﷺ بشره بالجنة على بلوى تصيبه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عثمان بن عفان ﷺ، برقم ٣٦٩٥، وأن الملائكة تستحي منه لشدة حيائه مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل عثمان بن عفان ﷺ، برقم ٢٤٠١، وأنه الذي جهز جيش العسرة، وحفر بئر رومة من حر ماله البخاري، كتاب الوصايا، باب إذا وقف أرضاً أو بشراً، واشترط لنفسه مثل دلاء المسلمين، برقم ٢٧٧٨، قتل شهيداً على يد الخوارج يوم الجمعة لثمان خلون من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، وقد ناهز التسعين عاماً، ودفن خلف البقيع بعد أن ولي الخلافة اثنتي عشرة سنة. انظر: الاستيعاب، ١٧٩٧/٣، وأسد الغابة، ٣/٣٥٨٣، وسير أعلام النبلاء، قسم الخلفاء الراشدين، ص ١٤٩.

(٣) أبو داود، برقم ٥٠٨٨، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٣٣٢/٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، «فَيَضُرُّهُ شَيْءٌ»، وَكَانَ أَبَانُ، قَدْ أَصَابَهُ طَرْفُ فَالِجٍ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ أَبَانُ: «مَا تَنْظُرُ؟ أَمَا إِنَّ الْحَدِيثَ كَمَا حَدَّثْتُكَ، وَلَكِنِّي لَمْ أَقُلْهُ يَوْمَئِذٍ لِيَمْضِيَ اللَّهُ عَلَيَّ قَدْرَهُ»^(١).

٢٩٤- ولفظ ابن ماجه عن أَبَانِ بْنِ عُثْمَانَ قَالَ: سَمِعْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رضي الله عنه يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ، وَمَسَاءٍ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّهُ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ، وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، «فَيَضُرُّهُ شَيْءٌ». قَالَ: وَكَانَ أَبَانُ قَدْ أَصَابَهُ طَرْفٌ مِنَ الْفَالِجِ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ أَبَانُ: مَا تَنْظُرُ إِلَيَّ؟ أَمَا إِنَّ الْحَدِيثَ كَمَا قَدْ حَدَّثْتُكَ، وَلَكِنِّي لَمْ أَقُلْهُ يَوْمَئِذٍ لِيَمْضِيَ اللَّهُ عَلَيَّ قَدْرَهُ»^(٢).

٢٩٥- ولفظ أحمد عن أَبَانِ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّهُ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ، وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ»^(٣).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «بِسْمِ اللَّهِ»: أي: بِسْمِ اللَّهِ أَسْتَعِذُّ، وبه أتحصن قولاً باللسان، وتوكلأ بالجنان، قال الإمام ابن كثير رحمته الله: «(من قدره باسم، تقديره: باسم الله ابتدائي، ومن قدره بالفعل أمراً، وخبراً نحو: أبدأ بيسم الله، أو ابتدأت بيسم الله، فكلاهما صحيح ... فالمشروع ذكر اسم الله في كل أمر، تبركاً، وتيمناً، واستعانة على الإتمام والتقبل»^(٤).

٢- قوله: «لا يضر مع اسمه شيء»: أي: من تعوذ باسم الله صادقاً لا تضره مصيبة؛ لأنه في حفظ صاحب الملكوت والجبروت القادر على كل شيء،

(١) الترمذي، برقم ٣٣٨٨، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٦٩٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) ابن ماجه، برقم ٣٨٦٨، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٢/ ٣٣٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) مسند أحمد، برقم ٤٤٦، وحسن إسناده محققو المسند، ١/ ٤٩٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١/ ١٢١، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من مفردات حديث المتن رقم ١٨.

قال القاري رحمته الله: قوله: «لا يضر مع اسمه شيء»: أي: «مع ذكر اسمه باعتقاد حسن ونية خالصة»^(١).

٣- قوله: «في الأرض»: أي: لا يضره أحد من أهل الأرض: من إنس، أو جن، أو دابة، أو هامة، وقال الشيخ الجمل رحمته الله: «سنة التسمية في الوضوء والغسل: بسم الله... وفي الأكل بسم الله... وفي التوضيعة بسم الله، والله أكبر، وفي وضع الميت في القبر: بسم الله، وعلى ملة رسول الله، وفي دخول المسجد: بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعند قراءة القرآن من موضع لا تسمية فيه بعد التعوذ بسم الله الرحمن الرحيم... وتنسئ لكل أمر ذي بال: عبادة، أو غيرها: كغسل، وتيمم، وتلاوة، ولو من أثناء سورة، وجماع، وذبح، وخروج من منزل، لا للصلاة، والحج، والأذكار، وتكره لمكروه»^(٢).

وقال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «وهذه الكلمات كلمات يسيرة، لكن فائدتها عظيمة: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض، ولا في السماء، وهو السميع العليم؛ لأن الله ﷻ بيده ملكوت السموات، والأرض، واسمه مبارك إذا ذكر على الشيء؛ ولهذا يسن ذكر الله تعالى بالتسمية على الأكل، إذا أردت أن تأكل تقول: بسم الله، إذا أردت أن تشرب تقول: بسم الله، إذا أردت أن تأتي أهلك تقول بسم الله، فالتسمية مشروعة في أماكن كثيرة، ولكنها على القول الراجح على الأكل والشرب واجبة، يجب على الإنسان إذا أراد أن يأكل أن يقول بسم الله، وإذا أراد أن يشرب أن يقول بسم الله؛ لأمر النبي ﷺ بذلك؛ ولأن النبي ﷺ ذكر أن من لم يسم الله على أكله شاركه الشيطان في ذلك، فلا تنس أن تقول في كل مساء، وفي كل صباح: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤/ ١٦٥٩.

(٢) حاشية الجمل على المنهج لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري (١/ ٣٥٧).

الأرض، ولا في السماء، وهو السميع العليم، ثلاث مرات»^(١).

٤- قوله: «ولا في السماء»: أي: من تعوذ باسم الله لا يأتيه الضرر من جهة السماء: كخسف، أو ريح، أو حجارة من السماء، أو غير ذلك، قال الله تعالى: ﴿أَمْثُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمْثُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾^(٢)، وإنما كان أهل السماء من الملائكة في أمن وأمان؛ لأنهم في ذكر متواصل لا يفترون عن ذلك، قال الله تعالى: ﴿يَسْبَحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾^(٣).

٥- قوله: «وهو السميع»: أي: السميع لأقوال عباده، وخلقه، لا يختلط عليه صوت بصوت، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي الدُّنْيَا يَسْمَعُ دُعَاءَ الدَّاعِينَ، وَيَجِيبُ السَّائِلِينَ، مَعَ اخْتِلَافِ اللُّغَاتِ، وَفُتُونِ الْحَاجَاتِ، وَالْوَاحِدُ مِمَّا قَدْ يَكُونُ لَهُ قُوَّةُ سَمْعٍ يَسْمَعُ كَلَامَ عَدَدٍ كَثِيرٍ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ، كَمَا أَنَّ بَعْضَ الْمُقَرَّرِينَ يَسْمَعُ قِرَاءَةَ عِدَّةٍ؛ لَكِنْ لَا يَكُونُ إِلَّا عَدَدًا قَلِيلًا قَرِيبًا مِنْهُ، وَيَجِدُ فِي نَفْسِهِ قُرْبًا وَدُنُوًّا، وَمَيَّلًا إِلَى بَعْضِ النَّاسِ الْحَاضِرِينَ وَالْغَائِبِينَ دُونَ بَعْضٍ، وَيَجِدُ تَفَاوُتَ ذَلِكَ الدُّنُوِّ وَالْقُرْبِ، وَالرَّبُّ تَعَالَى وَاسِعٌ عَلِيمٌ، وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتِ كُلَّهَا، وَعَطَاؤُهُ الْحَاجَاتِ كُلَّهَا»^(٤).

وقال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «فالسميع من أسماء الله، والعليم من أسماء الله، فالسميع من أسماء الله تعالى، ولها معنيان: الأول السمع الذي هو إدراك كل صوت، فالله تعالى لا يخفى عليه شيء كل صوت، فالله يسمعه مهما بُعد، ومهما ضعف... قالت عائشة رضي الله عنها: «الحمد لله الذي وسع سمعه

(١) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٤٥٨.

(٢) سورة الملك، الآيتان: ١٦ - ١٧.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٠.

(٤) مجموع الفتاوى، ٥ / ١٣٣.

الأصوات، والله لقد جاءت المجادلة إلى رسول الله ﷺ تكلمه، وإنني لفي الحجرة، ويخفى عليّ بعض حديثها، والله تعالى من فوق سبع سموات يسمع كلامهما»^(١)، فالله تعالى يسمع كلامك، وإن خُفْتُ: ضَعُفٌ،... فإياك أن تُسمعَ الله ﷻ كلاماً لا يرضاه منك، واحرص على أن تُسمعَ الله ما يرضاه منك، ومن معاني السميع أنه سميع الدعاء، أي: مجيب الدعاء... فهو جل وعلا يجيب دعاء المضطر وإن كان كافراً؛ ولهذا يجيب الله ﷻ دعاء المضطرين في البحر، إذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين، فينجيهم، ويجيب جل وعلا دعوة المظلوم، قال النبي ﷺ: «واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»^(٢)، ويجيب ﷻ من تعبد له، وحمده، وأثنى عليه، كما يقول المصلي سمع الله لمن حمده»^(٣).

٦- قوله: «العليم»: أي: العليم بأفعالهم متى، وكيف ستقع، لا تخفى عليه خافية، وقال الإمام الطبري رحمه الله: «العليم بما في ضمائر نفوسنا من الإذعان لك في الطاعة، والمصير إلى ما فيه لك الرضا والمحبة، وما نبدي ونخفي من أعمالنا»^(٤).

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «وأما العليم فهو من أسمائه أيضاً، وعلم الله تعالى علم واسع، محيط بكل شيء، قال الله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ

(١) انظر: البخاري معلقاً، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾، قبل الحديث رقم ٧٣٨٦، وأحمد، ٤٠ / ٢٢٨، وابن ماجه، برقم ٢٠٦٣، النسائي، برقم ٣٤٦٠، واللفظ له، وصححه محققوا المسند، ٤٠ / ٢٢٨، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ١٨٨.

(٢) البخاري، برقم ٢٤٤٨، ومسلم، برقم ١٩.

(٣) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٤٥٨.

(٤) تفسير الطبري، ٣ / ٧٣.

فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ^(١)، يعلم ما في الأرحام، ومفاتيح الغيب خمس، مذكورة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾^(٢)، فالله ﷻ عنده مفاتيح الغيب، ما تسقط من ورقة من شجرة إلا يعلمها، إذا سقطت ورقة في شجرة في أبعاد الفيافي، ولو كانت الورقة صغيرة، فالله يعلمها، وإذا كان يعلم الساقط فهو جل وعلا يعلم الحادث الذي يخلقه، فكل شيء فالله به عليم، قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾^(٣)، أنت الآن مثلاً في بلدك مستقر، ولا عندك نية تسافر يميناً، ولا شمالاً، فإذا أراد الله أن تموت بأرض جعل لك حاجة تحملك تلك الحاجة إلى تلك الأرض، وتموت هناك^(٤).

٧- الفالج: شلل يصيب أحد شقي الجسم طويلاً، والجمل الضخم ذو السنامين، جمعه: فوالج^(٥).

٨- الفُجَاءة: أي: البلاء الذي يأتي بغتة من غير مقدمات، قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «فجئه الأمر، وفجأه فُجَاءة وفُجَاءة بالضم والمد، فاجأه، ومفاجأة إذا جاءه بغتة من غير تقدم سبب»^(٦)، وقال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «يُقَالُ: فَجِئَهُ الْأَمْرُ، وَفَجَأَهُ فُجَاءة - بِالضَّمِّ وَالْمَدِّ - وَفَاجَأَهُ مُفَاجَأَةً، إِذَا جَاءَهُ بَغْتَةً مِنْ غَيْرِ تَقْدُمِ سَبَبٍ،

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

(٢) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

(٣) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

(٤) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٤٥٨.

(٥) انظر: المعجم الوسيط، ٢/ ٦٩٩، مادة (فلج).

(٦) شرح المشكاة للطبيي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٧٨.

وَقِيْدَهُ بَعْضُهُمْ بِفَتْحِ الْفَاءِ، وَسُكُونِ الْجِيمِ مِنْ غَيْرِ مَدٍّ عَلَى الْمَرَّةِ»^(١).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- قال العظيم أبادي: «وَأَمَّا الْمَوَاضِعُ الَّتِي وَرَدَ فِيهَا بِسْمُ اللَّهِ مَعَ زِيَادَةِ عَلَيْهِ غَيْرِ لَفْظِ (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، فَالْمَسْنُونُ فِيهَا أَنْ يَفْتَصِرَ عَلَى بِسْمِ اللَّهِ مَعَ تِلْكَ الزِّيَادَةِ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَزِيدَ بَيْنَ بِسْمِ اللَّهِ وَبَيْنَ تِلْكَ الزِّيَادَةِ لَفْظَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ؛ لِأَنَّ مَجْمُوعَ بِسْمِ اللَّهِ، وَتِلْكَ الزِّيَادَةِ دَعَاءُ وَاحِدٍ، وَذَكَرَ وَاحِدٌ، وَلَمْ يَثْبُتْ جَوَازُ زِيَادَةِ بَيْنَ كَلِمَاتِ دَعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ وَذِكْرِهِ، فَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ عِنْدَ الذَّبْحِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَأَمَّا الْمَوَاضِعُ الَّتِي جَاءَ فِيهَا ذِكْرُ اسْمِ اللَّهِ، مِنْ غَيْرِ تَضْرِيحٍ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَوْ بِبِسْمِ اللَّهِ، فَلَا فَضْلَ أَنْ يَقُولَ فِيهَا: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِتَمَامِهِ مِنْ ثَلَاثَةِ وُجُوهِ: الْأَوَّلُ: أَنَّهُ إِذَا أَتَى فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِتَمَامِهِ كَانَ مُحَرِّزاً مَا وَرَدَ فِي الْقَوْلِ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِتَمَامِهِ مِنَ الْفَضِيلَةِ»^(٢).

٢- صدق اللجوء إلى الله، واعتماد القلب عليه ركن ركين، وحصن حصين للعبد: من الشرور والآفات، فضلاً من الله ونعمة.

٣- مالك الملك، لا يقع في ملكه إلا ما أراد وقدر، قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٣) وهذا يبعث الطمأنينة في قلب من أسلم وجهه لخالقه.

٤- إثبات صفة السمع لله ﷻ على الوجه اللائق به، ليس كسمع المخلوقين؛ لأن سمعه ﷻ مستغرق لجميع المسموعات، فهو يسمع دعاء خلقه مع اختلاف ألستهم، ولغاتهم، ويعلم ما في قلب الداعي قبل أن يدعو، فسبحان من وسع

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٤١٢، مادة (فجأ).

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، ١٣/ ١٢٩.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

سمعه الأصوات كما قالت أمنا عائشة في قصة المجادلة^(١).

٥- تقرير أن لله ﷻ العلم الشامل المحيط، ومتى علم العبد ذلك دفعه إلى خشية ربه، واطمئن قلبه إلى عبادة خالقه.

٦- قال العلامة الشيخ ابن عثيمين: (٢): ﴿السميع﴾ له معنيان: أحدهما:

بمعنى المجيب، مثل قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾^(٣).

والثاني: السميع بمعنى إدراك الصوت، وهو على أقسام:

أ - سمع يراد به عموم إدراك سمع الله ﷻ، وأنه ما من صوت إلا يسمعه مثال ذلك: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾^(٤).

ب - سمع يراد به النصر والتأييد، مثل قوله: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾^(٥).

ج - سمع يراد به التهديد والوعيد مثل قوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾^(٦).

قال ابن القيم رحمه الله:

وهو السميع يرى ويسمع كل ما	في الكون من سر ومن إعلان
ولكل صوت منه سمع حاضر	فالسر والإعلان مستويان
والسمع منه واسع الأصوات لا	يخفى عليه بعيدا والداني ^(٧)

٧- ضرب أهل العلم مثلاً للعالم المستيقن بأن الله يعلمه، ويراقبه برجل

(١) ابن كثير، ٨ / ٣٤ في تفسير سورة المجادلة.

(٢) انظر: شرح العقيدة الواسطية، ١ / ٢٠٦، ٢٠٧.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٣٩.

(٤) سورة المجادلة، الآية: ١.

(٥) سورة طه، الآية: ٤٦.

(٦) سورة الزخرف، الآية: ٨٠.

(٧) النونية، لابن القيم، ٢ / ٢١٥.

جالس في حضرة ملك جبار، يحيط به جنده، وحرسه، وعن يمينه ويساره أهله، وبين يديه سيافه شاهراً سيفه، فهل يستطيع ذلك الرجل أن يعبث بحرمة الملك؟ - والله المثل الأعلى - فمن علم أن جبار السموات والأرض عالم به، مراقب له، كان ذلك أعظم زاجراً له عن ترك فرائضه، وارتكاب محظوراته ومحارمه^(١)، وهذا من ثمار معرفة معنى اسم الله «العليم».

٨- جاء في نهاية هذا الحديث أن أبان بن عثمان قد أصابه طرف من الفالج، فجعل الرجل الذي سمع منه الحديث ينظر إليه، فقال له: مالك تنظر إلي؟ فوالله ما كذبت على عثمان، ولا كذب عثمان على النبي ﷺ، ولكن اليوم الذي أصابني فيه ما أصابني، غضبت فنسيت أن أقولها.

٩- وهذا الجزء من الحديث فيه فوائد:

أ- أن الغضب آفة تحول بين المرء وعقله.

ب- إذا أراد الله إنفاذ قدره، صرف العبد عما يحول بينه وبين ذلك.

ج- شدة حرص رواة الحديث على التحمل والأداء.

د- قوة يقين السلف الأول في الله ﷻ^(٢).

١٠- قال القرطبي رحمه الله عن هذا الحديث: هذا خبر صحيح، وقول صادق، علمناه

دليلاً وتجربة، فإني منذ سمعته عملت به، فلم يضرني شيء إلى أن تركته، فلدغنتي عقرب بالمدينة ليلاً، فتفكرت فإذا أنا قد نسيت أن أتعوذ بتلك الكلمات^(٣).

(١) انظر: أسماء الله الحسنى للأشقر، ص ١١٥.

(٢) انظر: بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، للشيخ/ سليم الهلالي، ح ١٤٥٧.

(٣) الفتوحات الربانية لابن علان، ١٠٠/٣.

٨٧- (١٣) «رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا» (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) ^(١).

الشرح:

أولاً لفظ الحديث:

٢٩٦- عَنْ أَبِي سَلَامٍ، قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ فِي مَسْجِدِ حِمَاصٍ، فَقَالُوا: هَذَا خَادِمُ النَّبِيِّ ﷺ ^(٢)، قَالَ: فَقُمْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: حَدِّثْنِي حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَا يَتَدَاوُلُهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ الرِّجَالُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَقُولُ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمَسِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا، إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُرْضِيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وهذا لفظ أحمد ^(٣).

٢٩٧- ولفظ أبي داود عَنْ أَبِي سَلَامٍ، أَنَّهُ كَانَ فِي مَسْجِدِ حِمَاصٍ، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ، فَقَالُوا: هَذَا خَدَمَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَامَ إِلَيْهِ فَقَالَ: حَدِّثْنِي بِحَدِيثٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَتَدَاوُلْهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ الرِّجَالُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمَسَ: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا، إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُرْضِيَهُ» ^(٤).

٢٩٨- وفي لفظ عند الطبراني عَنِ الْمُتَذَكِّرِ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وَكَانَ يَكُونُ بِإِفْرِيقِيَّةَ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا،

(١) أخرجه أحمد، ٣١/٣٠٢، برقم ١٨٩٦٧، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، ذَكَرَ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ إِذَا أَصْبَحَ، برقم ٩٨٣٢، وابن السني، برقم ٦٨، وأبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم ٥٠٧٢، والترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى، برقم ٣٣٨٩، وقال محققو المسند، ٣١/٣٠٢: «صحيح لغيره» وحسنه ابن باز رحمته الله في تحفة الأخيار ص ٣٩.

(٢) هو ثوبان بن بُعْدَد، وتقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٢٢ من أحاديث الشرح.

(٣) أحمد، برقم ١٨٩٦٧، وصححه لغيره محققو المسند، ٣١/٣٠٢، وحسنه ابن باز في تحفة الأخيار، ص ٣٩.

(٤) أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم ٥٠٧٢، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود، ص ٤١٣.

وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، فَأَنَا الرَّعِيمُ لَا خُذَ يَدِهِ حَتَّى أُذْجَلَهُ الْجَنَّةَ»^(١).

٢٩٩- ولفظ أبي داود الآخر: حَدَّثَنِي أَبُو هَانِيءٍ الْخَوْلَانِيُّ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا عَلِيٍّ الْجَنْبِيَّ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»^(٢).

٣٠٠- ولفظ الترمذي عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُمْسِي: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُرْضِيَهُ»^(٣).

٣٠١- ولفظ ابن السني عَنْ أَبِي سَلَامٍ، قَالَ: مَرَّ بَنَا رَجُلٌ طَوِيلٌ أَشْعَثُ، فَقِيلَ: إِنَّ هَذَا خَادِمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُ: أَخْدَمْتَ النَّبِيَّ ﷺ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: حَدَّثَنِي عَنْهُ حَدِيثًا لَمْ يَتَدَاوَلْهُ الرِّجَالُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ أَحَدٌ، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ، وَحِينَ يُمْسِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ ﷻ أَنْ يُرْضِيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٤).

٣٠٢- ولفظ النسائي في الكبرى عَنْ أَبِي سَلَامٍ، أَنَّهُ كَانَ فِي مَسْجِدِ حِمَصَ، فَمَرَّ رَجُلٌ فَقُمْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: حَدَّثَنِي حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَمْ يَتَدَاوَلْهُ الرِّجَالُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَقُولُ حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثًا، وَحِينَ يُمْسِي: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ

(١) أخرجه الطبراني في الكبير، ٣٥٥ / ٢٠، برقم ٨٣٨، وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب، ٥٠٨ / ١، فقال: «رواه الطبراني بإسناد حسن» وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ١١٦ / ١٠: «رواه الطبراني وإسناده حسن» وحسنه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب في الطبعة الأخيرة، برقم ٦٥٧، وقال: «فيه رشدين، لكنه قد توبع، ولهذا أورده في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٢٦٨٦».

(٢) أبو داود، كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، برقم ١٥٢٩، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٤١٨ / ١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) الترمذي، برقم ٣٣٨٩، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي، ي ٣٧٠.

(٤) عمل اليوم والليلة لابن السني، ص ٦٢، برقم ٦٨.

دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا، إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُرْضِيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «رضيت بالله رباً» أي: عبدته وحده لا شريك له ولا رب سواه، عن قناعة، ويقين، فهو المستحق لذلك المتفرد بصفات الكمال ونعوت الجلال، وهذا الرضا شامل للأحكام الشرعية والأمور القدرية، قال الإمام النووي رَضِيَ رَضِيْتُ بِالشَّيْءِ قَنَعْتُ بِهِ، وَاكْتَفَيْتُ بِهِ، وَلَمْ أَطْلُبْ مَعَهُ غَيْرَهُ»^(٢)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَضِيَ رَضِيْتُ بِهِ: «تتضمن الرضا بعبادته وحده، لا شريك له، وبالرضا بتدبيره للعبد، واختياره له»^(٣).

٢- قوله: «وبالإسلام ديناً»: لأنه هو الدين؛ ولأن ما قبله من الأديان قد أصابها التحريف وهو الدين الحق الذي شرعه الله ﷻ حيث قال جل ذكره: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾، والدين هو ما يدان لله تعالى به أي: يطاع فيه ويخضع له به من الشرائع والعبادات، قال الإمام النووي رَضِيَ رَضِيْتُ بِهِ: «وَلَمْ يَسْلُكْ إِلَّا مَا يُوَافِقُ شَرِيعَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ، ... وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضُ رَضِيَ رَضِيْتُ بِهِ: مَعْنَى الْحَدِيثِ صَحَّ إِيمَانُهُ، وَاطْمَأْنَنْتَ بِهِ نَفْسُهُ، وَخَافَرَ بَاطِنُهُ؛ لِأَنَّ رِضَاهُ بِالْمَذْكُورَاتِ دَلِيلٌ لِثُبُوتِ مَعْرِفَتِهِ، وَنَفَازِ بَصِيرَتِهِ، وَمُخَالَطَةِ بِشَاشَتِهِ قَلْبِهِ»^(٤).

٣- قوله: «وبمحمد نبياً»: لأنه هو النبي الخاتم الذي ختم الله به الرسل والأنبياء، ومن لوازم ذلك متابعة الرسول الكريم ﷺ والعمل بما شرع، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَضِيَ رَضِيْتُ بِهِ: «والرضا بمحمد رسولاً يتضمن الرضا بجميع

(١) النسائي في السنن الكبرى، برقم ٩٨٣٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ٢/ ٢.

(٣) كتاب الإيمان الأوسط لابن تيمية، ص ٥٩، وتقدم في شرح المفردة رقم ٤ من مفردات حديث المتن رقم ٢٣.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ٢/ ٢، وتقدم في شرح المفردة رقم ٥ من مفردات حديث المتن رقم ٢٣.

ما جاء به من عند الله، وقبول ذلك بالتسليم، والانشراح، كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾^(١)، وفي الصحيحين عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ»^(٢)، وفي رواية: «وجد بهن حلاوة طعم الإيمان» وفي بعض الروايات: «طعم الإيمان وحلاوته»، وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»^(٣)، وفي رواية: «من أهله وماله والناس أجمعين»^(٤)، وفي مسند الإمام أحمد عن أبي رزين العقيلي قال: قلت: يا رسول الله، ما الإيمان؟ قال: «أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً رسول الله»^{(٥) (٦)}.

٤- وقال الإمام ابن القيم رحمته الله: «وَرِضَاهُ بِمُحَمَّدٍ رَسُولًا يُوجِبُ أَنْ يَرْضَىٰ بِحُكْمِهِ لَهُ وَعَلَيْهِ، وَأَنْ يُسَلِّمَ لِذَلِكَ وَيَتَّقَادَ لَهُ وَلَا يُقَدِّمَ عَلَيْهِ غَيْرَهُ، وَهَذَا يُوجِبُ أَنْ يَكُونَ حُبُّهُ كُلَّهُ لِلَّهِ، وَبُغْضُهُ كُلَّهُ لِلَّهِ، وَعَطَاؤُهُ لِلَّهِ وَمَنْعُهُ لِلَّهِ، وَفِعْلُهُ لِلَّهِ وَتَرْكُهُ لِلَّهِ، وَإِذَا قَامَ بِذَلِكَ كَانَتْ نِعْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَكْثَرَ مِنْ عَمَلِهِ، بَلْ فِعْلُهُ ذَلِكَ مِنْ

(١) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(٢) البخاري، كتاب الإيمان، باب مَنْ كَرِهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ مِنَ الْإِيمَانِ، برقم ٢١، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، برقم ٤٣.

(٣) البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، برقم ١٦، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، برقم ٧٠- (٤٤).

(٤) البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، برقم ٣٥٨٩، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، برقم ٦٩- (٤٤).

(٥) مسند أحمد، ١١٣/ ٢٦، برقم ١٦١٩٤، وضعفه محققو المسند، ١١٤/ ٢٦.

(٦) كتاب الإيمان الأوسط لابن تيمية رحمته الله (ص: ٥٩).

أَعْظَمَ نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْهِ، حَيْثُ وَفَّقَهُ لَهُ وَيَسَّرَهُ لَهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ وَجَعَلَهُ مِنْ أَهْلِهِ وَحَضَّهُ بِهِ، فَهُوَ يَسْتَوْجِبُ شُكْرًا آخِرًا عَلَيْهِ»^(١).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- حقيقة هذا الذكر المبارك انقياد المسلم لربه بقلبه وقالبه وليس مجرد قولاً من غير فهم ولا تدبر.

٢- الإسلام هو الاستسلام لله تعالى، فلا يقدم العقل على النقل، ولا الهوى على الشرع؛ بل هو عبد يسلم زمام نفسه إلى خالقه.

٣- قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالرُضَى به رباً يتضمن توحيده، وعبادته، والإنابة إليه، والتوكل عليه، وخوفه، ورجاءه، ومحبته، والصبر له، وبه، والشكر على نعمه، يتضمن رؤية كل ما منه نعمة، وإحساناً، وإن ساء عبده، فالرضا به يتضمن شهادة أن لا إله إلا الله، والرضى بمحمد رسولاً، يتضمن شهادة أن محمداً رسول الله، والرضى بالإسلام ديناً: يتضمن التزام عبوديته، وطاعته، وطاعة رسوله، فجمعت هذه الثلاثة الدين كله، وأيضاً: فالرُضَى به رباً يتضمن اتخاذه معبوداً دون ما سواه، واتخاذه ولياً، ومعبوداً، وإبطال عبادة كل ما سواه، وقد قال تعالى لرسوله: ﴿أَغْنِزِ اللَّهُ أَبْنِي حَكَمًا﴾^(٢)، وقال: ﴿أَغْنِزِ اللَّهُ اتَّخِذْ وَلِيًّا﴾^(٣)، وقال: ﴿قُلْ أَغْنِزِ اللَّهُ أَبْنِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٤)، فهذا هو عين الرضى به رباً»^(٥)، وقال أيضاً في موضع آخر: «الرضى عنه في كل ما قضى ههنا ثلاثة أمور: الرضاء بالله، والرضا عن الله، والرضا بقضاء الله، منها: أنه إذا لم يكن

(١) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة، ص ٢٥٠.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١١٤.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٤.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٦٤.

(٥) مدارج السالكين، ٢/ ١٨٥.

راضياً عن ربه، فهو ساخط عليه؛ إذ لا واسطة بين الرضى والسخط، وسخط العبد على ربه مناف لرضاه به رباً، قالوا: وأيضاً فعدم رضاه عنه يستلزم سوء ظنه به، ومنازعته له في اختياره لعبده، وأن الرب تبارك وتعالى يختار شيئاً، ويرضاه، فلا يختاره العبد، ولا يرضاه، وهذا مناف للعبودية، فالرضى به فرض، والرضى عنه، وإن كان من أجل الأمور، وأشرف أنواع العبودية، فلم يطالب به العموم لعجزهم عنه، ومشقته عليهم، وأوجبته طائفة كما أوجبوا الرضى به، واحتجوا بحجج^(١).

٤- الرضا برسالة الرسول الكريم ﷺ مستلزم لقبول سنته: القولية، والفعلية، والتقريرية، مع انتفاء الحرج في النفس وتمام التسليم بالجوارح.

٥- جاء في رواية الترمذي «نبياً» وعند أبي داود وغيره: «رسولاً».

٦- جاء في تنمة هذا الحديث أن الرسول ﷺ قال: «من قال» ثم ذكر الحديث - قال: «كان حقاً على الله أن يرضيه».

وهذا الحق هو محض فضل من الله تعالى لم يوجب عليه أحد من خلقه، ولا يطالبه به؛ لأن أحداً لا يوجب على ربه شيئاً؛ لأن ثواب الله فضل، وعقابه عدل، وهذا معتقد أهل السنة والجماعة، بخلاف قول المعتزلة، والخوارج الذين أوجبوا على الله الثواب والعقاب.

٧- المسلم الصادق يطمع بقوله هذا الذكر في رضا خالقه ومولاه، ورضا الله صفة ثابتة له ﷻ وهي من الصفات الفعلية المتعلقة بمشيئته سبحانه، ورضاه ليس كرضا أحد من خلقه بل رضى يليق بجلاله، ورضى الله على قسمين:

أ- يرضى عن العمل لقوله ﷻ: ﴿وَلَا تَشْكُرُوا لَكُمْ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٣).

(١) مدارج السالكين، ٢/ ١٨٧.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٧.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣.

ب - ويرضى عن العامل كقوله سبحانه: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾^(١)، وكقوله عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَضِيَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ الْيُسْرَ، وَكَرِهَ لَهَا الْعُسْرَ، قَالَهَا ثَلَاثًا»^(٢).

٨٨- (١٤) «يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيْثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ»^(٣).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٠٣- عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه^(٤)، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِفَاطِمَةَ رضي الله عنها: «مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَسْمَعِي مَا أَوْصِيكَ بِهِ، أَنْ تَقُولِي إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتِ: يَا حَيُّ، يَا قَيُّوْمُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيْثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ»^(٥).

٣٠٤- ولفظ الحاكم عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِفَاطِمَةَ: «مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَسْمَعِي مَا أَوْصِيكَ بِهِ أَنْ تَقُولِي إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا

(١) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

(٢) وتامه عن مِخْجَنِ بْنِ الْأَذْرَعِ السُّلَمِيِّ، «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَضِيَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ الْيُسْرَ، وَكَرِهَ لَهَا الْعُسْرَ، قَالَهَا ثَلَاثًا».

المعجم الكبير للطبراني، ٢٠/٢٩٨، برقم ٧٠٧، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ١٧٦٩.

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، ماذا يقول إذا أمسى، برقم ١٠٤٠٥،

والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، ١/٥٤٥، والبخاري في الأدب المفرد، ص ٢٤٤، برقم ٧٠١،

والأحاديث المختارة للفضياء المقدسي، ٣/٢٣، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم

٥٤٢، وصحيح الترغيب والترهيب، ١/٢٧٣.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث ٢٣ من أحاديث الشرح.

(٥) النسائي في الكبرى، برقم ١٠٤٠٥، وغيره، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٥٤٢، وتقدم

تخريجه في تخريج حديث المتن.

أَمْسَيْتَ: يَا حَيُّ، يَا قَيُّوْمُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيْثُ، أَصْلِحْ لِيْ شَأْنِيْ كُلَّهُ، وَلَا تَكْلِنِيْ إِلَى نَفْسِيْ طَرْفَةَ عَيْنٍ»^(١).

٣٠٥- ولفظ البخاري في الأدب المفرد عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ^(٢)، أَنَّهُ قَالَ لِأَبِيهِ ﷺ: يَا أَبَتِ، إِنِّي أَسْمَعُكَ تَدْعُو كُلَّ غَدَاةٍ: اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَدْنِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، تُعِيدُهَا ثَلَاثًا حِينَ تُمْسِي، وَحِينَ تُصْبِحُ ثَلَاثًا، وَتَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، تُعِيدُهَا ثَلَاثًا حِينَ تُمْسِي، وَحِينَ تُصْبِحُ ثَلَاثًا، فَقَالَ: نَعَمْ، يَا بُنَيَّ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ بِهِنَّ، وَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أَسْتَرَّ بِسُتَّتِهِ، قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعَاؤُ الْمَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحِمَتَكَ أَرْجُو، وَلَا تَكْلِنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»^(٣).

ثانیا: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ»، قال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللهُ: «يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيْثُ» فِي دَفْعِ هَذَا الدَّاءِ مُنَاسَبَةٌ بَدِيعَةٌ، فَإِنَّ صِفَةَ الْحَيَاةِ مُتَضَمِّنَةٌ لِجَمِيعِ صِفَاتِ الْكَمَالِ، مُسْتَلْزِمَةٌ لَهَا، وَصِفَةُ الْقَيُّوْمِيَّةِ مُتَضَمِّنَةٌ لِجَمِيعِ صِفَاتِ الْأَفْعَالِ، وَلِهَذَا كَانَ اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ: هُوَ اسْمُ الْحَيِّ الْقَيُّوْمِ، وَالْحَيَاةُ التَّامَّةُ نَضَادُ جَمِيعِ الْأَسْقَامِ وَالْآلَامِ، وَلِهَذَا لَمَّا كُمِلَتْ حَيَاةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَمْ يَلْحَقْهُمْ هَمٌّ وَلَا غَمٌّ، وَلَا حَزَنٌ وَلَا شَيْءٌ مِنَ الْآفَاتِ، وَنَقْصَانُ الْحَيَاةِ تَضَرُّرٌ

(١) أخرجه الحاكم وصححه، ٥٤٥/١، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢٧٣/١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) وتقدم ترجمته في الحديث، رقم ٢٧٩ من أحاديث الشرح.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، ص ٢٤٤، برقم ٧٠١، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٥٤٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

بِالْأَفْعَالِ، وَتُنَافِي الْقِيُومِيَّةَ، فَكَمَالُ الْقِيُومِيَّةِ لِكَمَالِ الْحَيَاةِ، فَالْحَيُّ الْمُطْلَقُ التَّامُّ الْحَيَاةَ لَا تَقْوَتُهُ صِفَةُ الْكَمَالِ الْبَتَّةَ، وَالْقِيُومُ لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ فِعْلٌ مُمَكِّنُ الْبَتَّةَ، فَالتَّوَسُّلُ بِصِفَةِ الْحَيَاةِ الْقِيُومِيَّةِ لَهُ تَأْثِيرٌ فِي إِزَالَةِ مَا يُضَادُّ الْحَيَاةَ، وَيَضُرُّ بِالْأَفْعَالِ»^(١).

٢- قوله: «يا حي» أي: يا من له الحياة الكاملة التي لا تكون لغيره، والتي لا يعترها موت، ولا نعاس، ولا نوم، ولا مرض، وهذه الحياة التامة مستلزمة للقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، وغير ذلك من صفات الكمال، والعظمة.

وقال الإمام ابن القيم رحمته الله: «فإن الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال ولا يتخلف عنها صفة منها إلا لضعف الحياة فإذا كانت حياته تعالى أكمل حياة وأتمها استلزم إثباتها إثبات كل كمال يضاد نفي كمال الحياة وبهذا الطريق العقلي أثبت متكلمو أهل الإثبات له تعالى: صفة السمع، والبصر، والعلم، والإرادة، والقدرة، والكلام، وسائر صفات الكمال»^(٢). وقال العلامة ابن أبي العز الحنفي رحمته الله: «أَشَارَ إِلَى مَا تَقَعُ بِهِ التَّفَرُّقَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ، بِمَا يَتَّصِفُ بِهِ تَعَالَى دُونَ خَلْقِهِ، فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ حَيٌّ لَا يَمُوتُ؛ لِأَنَّ صِفَةَ الْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ مُحْتَصَةً بِهِ تَعَالَى، دُونَ خَلْقِهِ، فَإِنَّهُمْ يَمُوتُونَ، وَمِنْهُ: أَنَّهُ قَيُّومٌ لَا يَنَامُ، إِذْ هُوَ مُخْتَصٌ بِعَدَمِ النَّوْمِ وَالسَّنَةِ، دُونَ خَلْقِهِ، فَإِنَّهُمْ يَنَامُونَ، وَفِي ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ نَفْيَ التَّشْبِيهِ لَيْسَ الْمُرَادُ مِنْهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ، بَلْ هُوَ سُبْحَانَهُ مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ، لِكَمَالِ ذَاتِهِ، فَالْحَيُّ بِحَيَاةٍ بَاقِيَةٍ لَا يُشَبِّهُ الْحَيَّ بِحَيَاةٍ زَائِلَةٍ، وَلِهَذَا كَانَتِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعًا وَلَهْوًا وَلَعِبًا، وَأَنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ، فَالْحَيَاةُ الدُّنْيَا كَالْمَنَامِ، وَالْحَيَاةُ الْآخِرَةُ كَالْيَقَظَةِ، وَلَا يُقَالُ: فَهَذِهِ الْحَيَاةُ الْآخِرَةُ كَامِلَةٌ، وَهِيَ لِلْمَخْلُوقِ؛ لِأَنَّا نَقُولُ: الْحَيُّ الَّذِي الْحَيَاةُ مِنْ صِفَاتِ ذَاتِهِ اللَّازِمَةِ لَهَا، هُوَ الَّذِي وَهَبَ

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ١٨٧)

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٤١٠)

الْمَخْلُوقَ تِلْكَ الْحَيَاةَ الدَّائِمَةَ، فَهِيَ دَائِمَةٌ بِإِدَامَةِ اللَّهِ لَهَا، لَا أَنْ الدَّوَامَ وَصَفَ لَزَمَ لَهَا لِذَاتِهَا، بِخِلَافِ حَيَاةِ الرَّبِّ تَعَالَى، وَكَذَلِكَ سَائِرُ صِفَاتِهِ، فَصِفَاتُ الْخَالِقِ كَمَا يَلِيْقُ بِهِ، وَصِفَاتُ الْمَخْلُوقِ كَمَا يَلِيْقُ بِهِ»^(١). وقال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ونحن نقطع بأن الله جل وعلا صفة حياة حقيقية لا ثقة بكماله وجلاله، كما أن للمخلوقين حياة مناسبة لحالهم، وعجزهم، وفنائهم، وافتقارهم، وبين صفة الخالق والمخلوق من المخالفة كمثل ما بين ذات الخالق والمخلوق. وذلك بون شاسع بين الخالق وخلق»^(٢).

٣- قوله: «يا قيوم» أي: يا من أنت قائم بتدبير الملكوت كله: علويه، وسفليه من غير تعب، ولا نصب، فأنت منزّه عن كل نقص وسوء^(٣). قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «قيوم: القيوم: القائم الدائم، ووزنه فيعول من القيام، وهو من أبنية المبالغة»^(٤)، وقال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَيُومٌ: وَهِيَ مِنْ أُنْيَةِ الْمُبَالِغَةِ، وَمَعْنَاهَا الْقِيَامُ بِأُمُورِ الْخَلْقِ وَتَدْبِيرِ الْعَالَمِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ، وَأَصْلُهَا مِنَ الْوَاوِ قَيُومًا وَقَيُومٌ وَقَيُومٌ، يَوْزَنُ فَيَعَالٍ وَيَفْعَلُ وَيَفْعُولُ. وَالْقَيُومُ: مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْمَعْدُودَةِ، وَهُوَ الْقَائِمُ بِنَفْسِهِ مُطْلَقًا لَا بغيره، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَقُومُ بِهِ كُلُّ مَوْجُودٍ حَتَّى لَا يَتَصَوَّرَ وُجُودَ شَيْءٍ وَلَا دَوَامَ وَجُودِهِ إِلَّا بِهِ»^(٥)، وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما القيوم فهو متضمن كمال غناه، وكمال قدرته؛ فإنه القائم بنفسه لا يحتاج إلى من يقيمه بوجه من الوجوه وهذا من كمال غناه بنفسه عما سواه، وهو المقيم لغيره فلا قيام لغيره إلا بإقامته وهذا من كمال قدرته وعزته فانتظم

(١) شرح الطحاوية - ط دار السلام (ص: ١٢٠)

(٢) الأسماء والصفات نقلاً وعقلاً، للشنقيطي، ص ٧.

(٣) انظر شرح الحديث (٧١) شرح آية الكرسي.

(٤) جامع الأصول في أحاديث الرسول (٤ / ١٧٢)

(٥) لسان العرب (١٢ / ٥٠٤)

هذان الإسمان صفات الكمال والغنى التام والقدرة التامة»^(١).

٤- قوله: «برحمتك»: الرحمة هنا هي صفة لله تعالى وهي متعلق الاستغاثة؛ لأنه يستغاث بالله أو بصفة من صفاته، وهي تليق بجلاله ﷻ، وكان النبي ﷺ إذا كربه أمر وأهمه قال: «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث»^(٢)، قال الصنعاني رحمه الله: «شق عليه، وأهمه شأنه قال: «يا حي، يا قيوم»: هما على أكثر الأقوال الاسم الأعظم»^(٣).

٥- قوله: «برحمتك أستغيث» أي: ألجأ إليك أن ترحمني وأتشبث بأسباب ذلك بتحقيق العبودية، والاستعانة بك وحدك، قال الصنعاني رحمه الله: «بصفة الرحمة أطلب الاستغاثة، ولما كانت حياة القلب في خلوصه عما سوى الله تعالى، وكان الكرب ينافي ذلك، توسل باسمه الحي إلى إزالة ما يضاد حياة قلبه، وبالقيوم إلى إقامته على نهج الفلاح»^(٤).

٦- قوله: «أصلح لي شأني كله»: أي: في أمور الحياة والبرزخ والقيامة، قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله: «والتوفيق إرادة الله من نفسه أن يفعل بعبده ما يصلح به العبد، بأن يجعله قادراً على فعل ما يرضيه، مريداً له، محباً له، مؤثراً له على غيره، ويُبْعِضُ إليه ما يسخطه، ويكرهه إليه، وهذا مجرد فعله، والعبد محل له، قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانُ وَزَيْنَةُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّةَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ * فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾»^(٥)، فهو سبحانه عليم بمن يصلح لهذا الفضل، ومن لا يصلح له، حكيم يضعه في مواضعه، وعند أهله، لا يمنع أهله، ولا يضعه

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٤١٠)

(٢) الترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا محمد بن حاتم، برقم ٣٥٢٤، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، ٤٤٨/٣.

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، ٤٤٣/٨.

(٤) التنوير شرح الجامع الصغير، ٤٤٣/٨.

(٥) سورة الحجرات، الآيتان: ٧-٨.

عند غير أهله، وذكر هذا عُقِيب قوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ﴾، ثم جاء به بحرف الاستدراك فقال: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ﴾^(١)، يقول سبحانه: لم تكن محبتكم للإيمان، وإرادته، وتزيينه في قلوبكم: منكم، ولكن الله هو الذي جعله في قلوبكم كذلك، فأثرتموه، ورضيتموه؛ فكذلك لا تقدموا بين يدي الله ورسوله، ولا تقولوا حتى يقول، ولا تفعلوا حتى يأمر، فالذي حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ أعلم بمصالح عباده وما يصلحهم منكم، وأنتم فلولا توفيقه لكم لما أذعنت نفوسكم للإيمان، فلم يكن الإيمان بمشورتكم، وتوفيق أنفسكم، ولا تقدمتم به عليها، فنفسكم تقصر وتعجز عن ذلك، ولا تبلغه، فلو أطاعكم رسولي في كثير مما تريدون لشق عليكم ذلك ولهلكتم، وفسدت مصالحكم وأنتم لا تشعرون، ولا تظنوا أن نفوسكم تريد لكم الرشد والصلاح، كما أردتم الإيمان، فلولا أنني حَبَّبْتُهُ إِلَيْكُمْ، وزَيَّيْتُهُ فِي قُلُوبِكُمْ، وكَرَّهْتُ إِلَيْكُمْ ضَدَّهُ، لما وقع منكم، ولا سمحت به أنفسكم^(٢).

٧- قوله: «لا تكلني إلى نفسي»: لا تتخلي عني، وتتركني، فأزل، وأشقى، وأصل وكل ألجأ، قال ابن الأثير رحمته الله: «وَوَكَّلْتُ أَمْرِي إِلَى فُلَانٍ: أَيُّ أَلْجَأْتَهُ إِلَيْهِ، وَاعْتَمَدْتُ فِيهِ عَلَيْهِ، وَوَكَّلَ فُلَانٌ فُلَانًا، إِذَا اسْتَكْفَاهُ أَمْرَهُ ثِقَةً بِكِفَايَتِهِ، أَوْ عَجْزاً عَنِ الْقِيَامِ بِأَمْرِ نَفْسِهِ، وَمِنْهُ حَدِيثُ الدُّعَاءِ: «لَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ فَأَهْلِكْ»^(٣)، وقال الحافظ ابن حجر رحمته الله: «قوله: وَكَلْتُ إِلَيْهَا» بِضَمِّ الواو وكسر الكاف مُخَفَّفًا وَمُشَدَّدًا وَسُكُونُ اللَّامِ، وَمَعْنَى الْمُخَفَّفِ أَيُّ

(١) سورة الحجرات، الآية: ٧.

(٢) مدارج السالكين، ١/ ٤١٤.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ٥/ ٢٢١، مادة (وكل).

صُرِفَ إِلَيْهَا، وَمَنْ وَكَّلَ إِلَى نَفْسِهِ هَلْكَ، وَمِنْهُ فِي الدُّعَاءِ: «وَلَا تَكْلِنِي إِلَى نَفْسِي»، وَوَكَّلَ أَمْرَهُ إِلَى فُلَانٍ صَرَفَهُ إِلَيْهِ؛ وَوَكَّلَهُ بِالتَّشْدِيدِ اسْتَحْفَظَهُ^(١).

٨- قوله: «طرفة عين»: أي لحظة، ولمحة، والمراد من ذلك دوام الحفظ، قال القاري: «طرفة عين: أي لحظة ولمحة؛ فإنها أعدى لي من جميع أعدائي، وأنها عاجزة لا تقدر على قضاء حوائجي، قال الطيبي: الفاء في فلا تكلني مرتب على قوله: رحمتك أرجو، فقدم المفعول ليفيد الاختصاص والرحمة عامة، فيلزم تفويض الأمور كلها إلى الله، كأنه قيل: فإذا فوضت أمري إليك، فلا تكلني إلى نفسي؛ لأنني لا أدري ما صلاح أمري، وما فساد، وربما زاولت أمراً، واعتقدت أن فيه صلاح أمري، فانقلب فساداً، وبالعكس، ولما فرغ عن خاصة نفسه، وأراد أن ينفي تفويض أمره إلى الغير، ويثبت لله، قال: وأصلح لي شأني، أي: أمري كله، تأكيد لإفادة العموم»^(٢).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- شفقة النبي ﷺ على أمته في شخص ابنته فاطمة حيث علمها ما فيه الفوز، والصلاح.
- ٢- التبرؤ من حول الإنسان، وطوله إلى حول الله، وقوته؛ لأن الله إذا تخلى عن عبده طرفة عين، كان ذلك من أعظم أسباب الخذلان.
- ٣- الاستغاثة لا تكون إلا بالله وحده، فلا يستغاث بغيره ﷺ من رسول مرسل، أو ملك مقرب، فضلاً عن ولي، أو عبد صالح، أو غير ذلك أحياء كانوا أم مقبورين، إلا الاستغاثة بالحي الحاضر القادر فيما يقدر عليه؛ لقول الله تعالى في شأن موسى ﷺ: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾^(٣).

(١) فتح الباري، لابن حجر، ١٣ / ١٢٤.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١ / ٣٥٧.

(٣) سورة القصص، الآية: ١٥.

٤- إثبات صفة الرحمة لله ﷻ، وأن هذه الرحمة قد وسعت كل شيء فما من مخلوق إلا وقد وصلت إليه، قال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(١).

٥- رحمة الله عامة، وخاصة، أما العامة، فهي لجميع خلقه، ولولا ذلك ما قامت لهم قائمة، فهو يطعمهم، ويسقيهم، ويكسوهم: مؤمنهم، وكافرهم، والخاصة، فهي لأهل الإيمان، فهي مستمرة معهم حتى يدخلهم جنته، ومن أدلة الرحمة العامة قوله: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾^(٢)، فكل ما بلغه علمه - وقد بلغ كل شيء - بلغته رحمته، ومن أدلة الرحمة الخاصة قوله ﷻ: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾^(٣).

٦- قال رجل لأبي رجاء العطاردي رَحِمَهُ اللهُ: أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في مستقر رحمته! فقال أبو رجاء: وهل يستطيع أحد ذلك؟ قال: فما مستقر رحمته؟ قال: الجنة، فقال أبو رجاء: لم تُصَبِّ، قال الرجل: فما مستقر رحمته؟ قال أبو رجاء: «رب العالمين»^(٤).

٧- قال الألباني رَحِمَهُ اللهُ: وهذا الأثر يدل على فضله، وعلمه، ودقة ملاحظته؛ فإن الجنة لا يمكن أن تكون مستقر رحمته تعالى؛ لأنها^(٥) صفة من صفاته، بخلاف الجنة، فإنها خلق من خلق الله، وإن كان استقرار المؤمنين فيها، إنما هو برحمة الله، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.

(٢) سورة غافر، الآية: ٧.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٤٣.

(٤) اسمه عمران بن ملحان، ثقة مخضرم أسلم في حياة النبي ﷺ ولم يره، مات سنة خمس ومائة وله مائة سنة. انظر: تقريب التهذيب، ٣/ ٢٨٠.

(٥) قال الألباني: صحيح الإسناد. انظر: الأدب المفرد، برقم ٧٦٨.

(٦) أي الرحمة.

وَجُوهُهُمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ^(١)، يعني الجنة^(٢).

٨- وقد بوب البخاري في كتابه الأدب المفرد^(٣) هذا الأثر تحت باب قال

فيه: باب: من كره أن يقال: اللهم اجعلني في مستقر رحمتك.

٨٩- (١٥) «أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمَلِكُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ^(٤)، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذَا الْيَوْمِ^(٥): فَتَحَهُ، وَنَصْرَهُ، وَنُورَهُ، وَبَرَكَتَهُ، وَهُدَاهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِيهِ، وَشَرِّ مَا بَعْدَهُ»^(٦).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٠٦- لفظ أبي داود عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه^(٧) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

«إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمَلِكُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذَا الْيَوْمِ: فَتَحَهُ، وَنَصْرَهُ، وَنُورَهُ، وَبَرَكَتَهُ، وَهُدَاهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٧.

(٢) انظر تعليق الشيخ الألباني رحمته الله على هذا الحديث في كتاب «الأدب المفرد».

(٣) الأدب المفرد، ص ٢٦٩، قبل الحديث رقم ٧٦٨.

(٤) وإذا أمسى قال: أمسينا وأمسى الملك لله رب العالمين.

(٥) وإذا أمسى قال: اللهم إني أسألك خير هذه الليلة: فتحها، ونصرها، ونورها، وبركتها، وهداها، وأعوذ بك من شر ما فيها، وشر ما بعدها.

(٦) أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم ٥٠٨٤، والمعجم الكبير للطبراني،

٣/ ٢٩٦، برقم ٣٤٥٣، والدعاء للطبراني، ص ٢٨٣، برقم ٩٠٨، والفردوس بمأثور الخطاب للديلمي،

١/ ٤٥٣، وقال النووي في الأذكار، ص ١١٦: «وروي في سنن أبي داود، بإسناد لم يضعفه»، وحسن

إسناده شعيب وعبد القادر الأرنؤوط في تحقيق زاد المعاد، ٢/ ٣٧٣.

(٧) تقدمت ترجمته في الحديث ٧١ من أحاديث الشرح.

شَرِّ مَا فِيهِ، وَشَرِّ مَا بَعْدَهُ، ثُمَّ إِذَا أَمْسَى فَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ»^(١).

٣٠٧- لفظ الطبراني عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذَا الْيَوْمِ فَتَحَهُ وَنَصْرَهُ وَثَوْرَهُ وَبَرَكَتَهُ وَهُدَاهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِيهِ وَمِنْ شَرِّ مَا قَبْلَهُ وَشَرِّ مَا بَعْدَهُ، ثُمَّ إِذَا أَمْسَى فَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ»^(٢).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «أَصْبَحْنَا» أي: دَخَلْنَا فِي الصَّبَاحِ... أي: أَصْبَحْنَا مُتَلَبِّسِينَ بِحِفْظِكَ، أَوْ مَعْمُورِينَ بِنِعْمَتِكَ، أَوْ مُسْتَغْلِينَ بِذِكْرِكَ، أَوْ مُسْتَعِينِينَ بِاسْمِكَ، أَوْ مَسْمُولِينَ بِتَوْفِيتِكَ، أَوْ مُتَحَرِّكِينَ بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ، أَوْ مُتَقَلِّبِينَ بِإِزَادَتِكَ، وَقَدَرَتِكَ»^(٣).

٢- «وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ»^(٤): قال ابن هبيرة رَحِمَهُ اللَّهُ: «في هذا الحديث خيرٌ، وبركةٌ، وتعليمٌ لهذه الكلمات، وهي تشتمل على معانٍ، منها: أنه إذا أَمْسَى، وإذا أَصْبَحَ يُقَرُّ بِأَنَّ الْمُلْكَ لِلَّهِ... وَالْمُلْكُ حَقِيقَةٌ لِلَّهِ ﷻ، وَأَنَّ الْمُلْكَ لِلَّهِ ﷻ مَلَكًا، وَوَلَايَةً، وَاسْتِحْقَاقًا، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ ذَلِكَ، وَاعْتَقَدَهُ بِقَلْبِهِ، خَرَجَ مِنْ قَلْبِهِ تَعْظِيمُ مَلُوكِ الدُّنْيَا، ثُمَّ أَتْبَعَ ذَلِكَ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ، وَذَلِكَ عَلَى نِعْمَةِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي لَا تُحْصَى، مِنْهَا: أَنْفَرَادُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْمُلْكِ، فَإِنَّ الْمَلِكَ يَغَارُ مِنْ أَنْ يَكُونَ الْمُلْكُ إِلَّا لَهُ وَحْدَهُ، فَإِذَا قَضَى ﷻ بِمَا يُوَافِقُ مَحَبَّةَ الْمُؤْمِنِ، تَعَيَّنَ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَحْمَدَ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ الْقَضَاءِ»^(٥).

٣- قوله: «رَبِّ الْعَالَمِينَ»: جَمَعَ عَالَمٍ، وَهُوَ كُلُّ مَا سِوَى اللَّهِ ﷻ، مِثْلَ عَالَمِ الْإِنْسِ، وَعَالَمِ الْجِنِّ، وَعَالَمِ الْمَلَائِكَةِ، وَعَالَمِ الْحَيَوَانَاتِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَهُوَ تَعَالَى

(١) أبو داود، برقم ٣٤٥٣، وحسن إسناده محقق زاد المعاد، ٢/ ٣٧٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) المعجم الكبير للطبراني، ٣/ ٢٩٦، برقم ٣٤٥٣.

(٣) تحفة الأحوذى، ٩/ ٢٣٦، وتقدم في المفردة رقم ١ من حديث المتن رقم ٧٧.

(٤) وإذا أَمْسَى قال: «أَمْسَيْنَا، وَأَمْسَى الْمُلْكُ لِلَّهِ».

(٥) الإفصاح عن معاني الصحاح، ٢/ ١١٢، وتقدم في المفردة رقم ٢ من حديث المتن رقم ٧٧.

الرب المدبر لشئون هذه العوالم التي ظهرت لنا، والتي لم تظهر لنا، وكذا رب كل عالم لم نقف على معرفته، قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «الرب: هو المربي لجميع العالمين - وهم من سوى الله - بخلقه إياهم، وإعداده لهم الآلات، وإنعامه عليهم بالنعم العظيمة، التي لو فقدوها، لم يمكن لهم البقاء، فما بهم من نعمة، فمنه تعالى... فدل قوله ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على انفراده بالخلق والتدبير، والنعم، وكمال غناه، وتماز فقر العالمين إليه، بكل وجه واعتبار»^(١).

٤- قوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ»: قال ابن منظور رَحِمَهُ اللهُ: «اللَّهُمَّ بِمَعْنَى: يَا اللَّهُ، ... الْمِيمُ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أُولَها، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الْإِسْمِ الْمُنَادَى الْمُفْرَدِ»^(٢)، وقال العسكري رَحِمَهُ اللهُ: «الْمَسْأَلَةُ يَقَارِنُهَا الْخُضُوعُ وَالْإِسْتِكَانَةُ... وَالِدُعَاءُ إِذَا كَانَ لِلَّهِ تَعَالَى فَهُوَ مِثْلُ الْمَسْأَلَةِ مَعَهُ اسْتِكَانُهُ وَخُضُوعُهُ»^(٣).

٥- قوله: «خير هذا اليوم»: الخير هنا يشمل كل نفع في الدين، والذي يترتب عليه زيادة الإيمان، ويشمل كذلك كل نفع دنيوي يكسبه العبد»^(٤).

٦- قوله: «فتحه»: أي: ما فيه من فتح، وخير، والاستفتاح هو طلب النصر، ومن ذلك قوله ﷺ: «إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ»^(٥)، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «فتحه: الفتح: النصر والظفر»^(٦)، وقال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ اللهُ: «الفتح: إزالة الإغلاق والإشكال، وذلك ضربان: أحدهما: يدرك بالبصر...

(١) تفسير السعدي، ص ٣٩.

(٢) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، المفردة رقم ٦.

(٣) الفروق اللغوية للعسكري، ص ٣٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من حديث المتن رقم ٦١.

(٤) تقدم في شرح المفردة رقم ٩ من مفردات حديث المتن رقم ٧٧.

(٥) سورة الأنفال، الآية: ١٩.

(٦) جامع الأصول، لابن الأثير، ٤/ ٢٥٠.

والثاني: يدرك بالبصيرة: كفتح الهمّ، وهو إزالة الغم، وذلك ضروب: أحدها: في الأمور الدنيوية كغم يفرج، وفقر يزال بإعطاء المال ونحوه... والثاني: فتح المستغلق من العلوم، نحو قولك: فلان فتح من العلم باباً مغلقاً، وقوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(١)، قيل: عنى فتح مكة، وقيل: بل عنى ما فتح على النبي ﷺ من العلوم، والهدايات التي هي ذريعة إلى الثواب، والمقامات المحمودّة التي صارت سبباً لغفران ذنوبه، وفتحة كل شيء: مبدؤه الذي يفتح به ما بعده، وبه سمي فاتحة الكتاب، وقيل: افتتح فلان كذا: إذا ابتدأ به، وفتح عليه كذا: إذا أعلمه ووقفه عليه^(٢).

٧- قوله: «ونصره»: أي: على النفس، والهوى، والدنيا، والشياطين الإنسية، والجنية، وقال المناوي رَحِمَهُ اللهُ: «(النصر) من الله للعبد على أعداء دينه ودينه، إنما يكون (مع الصبر) على الطاعة، وعن المعصية، فهما أخوان شقيقان متلازمان، والثاني بسبب الأول، وقد أخبر الله أنه مع الصابرين، أي بهدايته ونصره المبين»^(٣).

٨- قوله: «ونوره»: أي: بالتوفيق إلى العلم النافع، والعمل الصالح الخالص الصائب، قال في لسان العرب: «(في أسماء الله تعالى: النور؛ قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: هُوَ الَّذِي يُبَصِّرُ بِنُورِهِ ذُو الْعَمَايَةِ، وَيَرْشُدُ بِهِدَاهُ ذُو الْعَوَايَةِ، وَقِيلَ: هُوَ الظَّاهِرُ الَّذِي بِهِ كُلُّ ظُهُورٍ، وَالظَّاهِرُ فِي نَفْسِهِ، الْمُظْهَرُ لِغَيْرِهِ يُسَمَّى نُورًا، قَالَ أَبُو مَنْصُورٍ: وَالنُّورُ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ ﷻ... وَالنُّورُ: الضِّيَاءُ، وَالنُّورُ: ضِدُّ الظُّلْمَةِ، وَفِي الْمُحْكَمِ: النُّورُ الضُّوءُ، أَيَّا كَانَ، وَقِيلَ: هُوَ شِعَاعُهُ وَسَطْوَعُهُ... وَقَدْ نَارَ نُورًا، وَأَنَارَ، وَاسْتَنَارَ، وَنُورَ؛ الْأَخِيرَةُ عَنِ اللَّحْيَانِيِّ، بِمَعْنَى وَاحِدٍ، أَيَ أَضَاءَ، كَمَا يُقَالُ: بَانَ الشَّيْءُ، وَأَبَانَ، وَبَيَّنَّ، وَتَبَيَّنَّ،

(١) سورة الفتح، الآية: ١.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ١٧١ / ٢.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٢٩٨ / ١.

وَأَسْتَبَانَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَاسْتَنَارَ بِهِ: اسْتَمَدَّ شُعَاعَهُ. وَنَوَّرَ الصَّبْحُ: ظَهَرَ نُورُهُ»^(١).

٩- قوله: «وبركته»: تكون بركة اليوم بتيسير الرزق الحلال الطيب، وكذلك بالتوفيق إلى شكر النعم، والثناء على مسديها ﷺ، وتعلّم العلم الشرعي مع العمل به، والدعوة إلى الله به، والتوفيق للعمل الصالح، والإخلاص في القول والعمل، قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «البركة تكون بمعنى النماء والزيادة، وبمعنى الثبات واللزوم، ويحتمل أن تكون هذه البركة دينية، وهي ما يتعلق بهذه المقادير من حقوق الله تعالى في الزكوات، والكفارات، فتكون بمعنى الثبات والبقاء لها لبقاء الحكم بها ببقاء الشريعة، وإثباتها، وأن تكون دنيوية من تكثير المكيال، والقدر بها، حتى يكفي منه ما لا يكفي من غيره في غير المدينة»^(٢).

١٠- قوله: «وهده»: أي: بالثبات على طريق الحق الموصل لمرضاة رب العالمين، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «الهُدَى: الرَّشَادُ، وَالِدَّلَالَةُ، وَيُؤْنِثُ وَيُذَكَّرُ، يُقَالُ: هَدَاهُ اللهُ لِلدِّينِ هُدًى، وَهَدَيْتُهُ الطَّرِيقَ، وَإِلَى الطَّرِيقِ هِدَايَةٌ: أَيُّ: عَرَفْتُهُ، وَالْمَعْنَى: إِذَا سَأَلْتَ اللهَ الْهُدَى، فَأَخْطَرَ بِقَلْبِكَ هِدَايَةَ الطَّرِيقِ، وَسَلَّ اللهُ الْاِسْتِقَامَةَ فِيهِ، كَمَا تَتَحَرَّاهُ فِي سُلُوكِ الطَّرِيقِ؛ لِأَنَّ سَالِكَ الْفَلَاةِ يَلْزَمُ الْجَادَّةَ، وَلَا يُفَارِقُهَا، خَوْفًا مِنَ الضَّلَالِ»^(٣).

١١- قوله: «وأعوذ بك»: قال الراغب الأصفهاني: «والعوذ: الالتجاء إلى الغير، والتعلق به.... وأعدته بالله أعينه، أي: ألتجئ إليه، وأستنصر به أن أفعل ذلك»^(٤).

١- قوله: «من شر ما فيه»: أي: من الفتن، والمحن التي لا صارف لها إلا الله،

(١) لسان العرب، ٥/ ٢٤٠، مادة (نور).

(٢) شرح المشكاة للطبيي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ٢٠٥٤.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥/ ٢٥٣، مادة (هدي).

(٤) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ٢/ ١٣٦، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ١٧.

قال الفيومي رَحِمَهُ اللهُ: «الشَّرُّ: الشُّوءُ، وَالْفَسَادُ، وَالظُّلْمُ، وَالْجَمْعُ: شُرُورٌ»^(١)، وقال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ اللهُ: «الشَّرُّ: الذي يرغب عنه الكلُّ، كما أَنَّ الخير هو الذي يرغب فيه الكلُّ»^(٢)، وقال القاري رَحِمَهُ اللهُ: «من شر مافيه»: «أَيُّ: فِي هَذَا الْيَوْمِ»^(٣).

٢- قوله: «وشر ما بعده»: أي: من الأيام والليالي، وفي ذلك إشعار بأن درء المفسد أهم من جلب المنافع^(٤)؛ لأن السلامة لا يعدلها شيء^(٥).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- الفتح، والنصر، والنور، والبركة، والهداية، وغير ذلك هي رزق يسوقه الله لمن أقبل على ربه، وأخلص لله في سؤاله.

٢- الحث على قول هذا الذكر في الصباح والمساء، وهذا إشارة إلى أن المسلم العاقل لا يضيع وقت الصبح في نوم أو غفلة فهو وقت تقسم فيه الأرزاق وكان من دعاء النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا»^(٦).

٣- من أمسك بزمام يومه من أوله بالذكر والدعاء سلم له ذلك اليوم وكذا ليله وقد قال بعضهم: «يومك مثل جملك إن أمسكت أوله تبعك آخره» وكان ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقعد يذكر ربه حتى يصلي الضحى ويقول: «الحمد لله الذي أقالنا يومنا هذا ولم يهلكنا بذنوبنا»^(٧).

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١ / ٣٠٩، مادي (شر).

(٢) المفردات في غريب القرآن، ١ / ٤٤٨، مادة (شر).

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤ / ١٦٧٤.

(٤) انظر شرح عون المعبود، ٥٠٨٤.

(٥) وإذا أمسى تؤنث الضمائر.

(٦) أبو داود، كتاب الجهاد، باب في الابتكار في السفر، برقم ٢٦٠٦، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١٢٤/٢.

(٧) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ترتيب القراءة واجتناب الهذ، وهو الإفراط في السرعة، وإباحة سورتين فأكثر في ركعة، برقم ٨٢٢.

٤- طلب الفتح من الله إشارة إلى أن من أسمائه الحسنی «الفتاح»، قال ابن القيم رحمته الله:

وكذلك الفتح من أسمائه
الفتح في أوصافه أمان
فتح بحكم وهو شرع إلها
والفتح بالأقدار فتح ثانٍ
والرب فتاح بذین كليهما
عدلاً وإحساناً من الرحمن^(١)

٥- طلب النصر من الله تعالى: هو إثبات أن من أسمائه الحسنی: النصير، قال الحليمي رحمته الله: النصير هو الموثوق منه بأن لا يسلم وليه، ولا يخذله^(٢).

٦- البركة كلها لله، ومن الله؛ ولذا قال الرسول ﷺ: «البركة من الله»^(٣)، وقال أيضاً: «وكلتا يدي ربي يمين مباركة»^(٤)، وحقيقة البركة كثرة الخير، ودوامه، وهو المستحق لذلك على الإطلاق، تبارك ربنا، وتباركت أفعاله وأوصافه.

٧- ورد اسم الفتح في القرآن مرة واحدة مفرداً في قوله: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾^(٥)، ومرة بصيغة الجمع في قوله: ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾^(٦)، وكذلك: خير الناصرين جاء مرة واحدة في القرآن بصيغة الجمع في قوله: ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾^{(٧)(٨)}.

(١) النونية، ٢٣٤/٢.

(٢) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي، ص ٧٠.

(٣) البخاري، كتاب الأشربة، باب شرب البركة والماء المبارك، برقم ٥٦٣٩.

(٤) الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب حدثنا محمد بن بشار، برقم ٣٣٦٨، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٨٨١/٣.

(٥) سورة سبأ، الآية: ٢٦.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ٨٩.

(٧) آل عمران: ١٥٠.

(٨) انظر: شرح حصن المسلم لأسامة بن عبد الفتاح، ص ٢٧٦.

٩- (١٦) «أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ^(١)، وَعَلَى كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ، وَعَلَى دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَعَلَى مِلَّةِ أَبِيْنَا إِبْرَاهِيمَ، حَنِيفًا مُسْلِمًا، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ»^(٢).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٠٨- لفظ الإمام أحمد عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَى^(٣)، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ، وَعَلَى كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ، وَعَلَى دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَعَلَى مِلَّةِ أَبِيْنَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ»^(٤).

٣٠٩- ولفظ النسائي عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَى ﷺ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَصْبَحَ قَالَ: «أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ، وَكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ، وَدِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَمِلَّةِ أَبِيْنَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ»^(٥).

(١) وإذا أمسى قال: أمسينا على فطرة الإسلام.

(٢) أحمد، ٧٧/٢٤، برقم ١٥٣٦٠، ورقم ١٥٥٦٣، والسنن الكبرى للنسائي، ٣/٦، عمل اليوم والليلة، ذكر ما كان النبي ﷺ يقول إذا أصبح، برقم ٩٨٢٩، وابن السني في عمل اليوم والليلة، برقم ٣٤، ومصنف ابن أبي شيبة، ٥/٣٢٤، برقم ٢٦٥٤٠، والدعوات الكبير للبيهقي، ١/٨٦، وصحح النووي إسناده في الأذكار، ص ١١٥، وقال محققو مسند الإمام أحمد، ٧٧/٢٤: «إسناده صحيح على شرط الشيخين» وصححه الألباني في صحيح الجامع، ٢٠٩/٤.

(٣) عبد الرحمن بن أبزى الخزاعي ﷺ: ذكره الذهبي من بقايا صغار الصحابة ﷺ، وهو مولى نافع بن عبد الحارث وكان عالماً بالفرائض، قارئاً لكتاب الله، حتى قال فيه عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ: «إن هذا القرآن يرفع الله به أقواماً، ويضع به آخرين» مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها، برقم ٨١٦. وذلك لما استخلفه نافع بن عبد الحارث على مكة لما استدعاه عمر إلى عسفان، وقد عاش إلى نيف وسبعين سنة. سير أعلام النبلاء، ٣/٢٠١، ترجمة رقم (٤٣).

(٤) أحمد، برقم ١٥٣٦٠، وغيره، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ٢٠٩/٤، وتقدم تخريجه في حديث المتن.

(٥) السنن الكبرى للنسائي، برقم ٩٨٢٩، وتقدم تخريجه في حديث المتن.

٣١٠- ولفظ ابن أبي شيبه عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبَرَى، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَصْبَحَ قَالَ: «أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ، وَكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ، وَدِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ»^(١).

٣١١- ولفظ البيهقي عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبَرَى، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ، وَكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ، وَدِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا، وَلَمْ يَكْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ»^(٢).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «أصبحنا» أي: دَخَلْنَا «فِي الصَّبَاحِ، ... أَيِ أَصْبَحْنَا مُلْتَبِسِينَ بِحِفْظِكَ، أَوْ مَغْمُورِينَ بِنِعْمَتِكَ، أَوْ مُشْتَغِلِينَ بِذِكْرِكَ، أَوْ مُسْتَعِينِينَ بِاسْمِكَ، أَوْ مَشْمُولِينَ بِتَوْفِيقِكَ، أَوْ مُتَحَرِّكِينَ بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ، أَوْ مُتَقَلِّبِينَ بِإِرَادَتِكَ، وَقُدْرَتِكَ»^(٣).

٢- قوله: «على فطرة الإسلام»: أي: دين الإسلام الذي فطر الله الناس عليه، والمتضمن لمعرفة الله، وتوحيده، والالتزام بشرائع الإسلام الظاهر منها، والباطن؛ قال الله ﷻ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتُ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٤)، وقال ابن الأثير رحمه الله: «فطرة الإسلام: الفطرة: ابتداء الخلقة، وهي إشارة إلى كلمة التوحيد حين أخذ الله العهد بها على ذرية آدم، فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا: بَلَى﴾^(٥)، وقيل: الفطرة هاهنا: السنة»^(٦)، وقال شيخ

(١) مصنف ابن أبي شيبه، برقم ٢٦٥٤٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) الدعوات الكبير، للبيهقي، ٨٦/١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) تحفة الأحوذى، ٢٣٦/٩، وتقدم الشرح مستوفى في شرح مفردات حديث المتن رقم ٧٧، المفردة رقم ١.

(٤) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

(٦) جامع الأصول، ٢٥٣/٤.

الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «الاستسلام لله دون ما سواه، فهو بفطرته لا يريد أن يعبد إلا الله، فلا يطمئن قلبه، ويحصل لذته، وفرحه، وسروره إلا بأن يكون الله هو معبوده دون ما سواه، وكل معبود دون الله يوجب الفساد، لا يَحْضِلُ به صلاح القلب، وكماله، وسعاده المقتضية لسروره، ولذته، وفرحه، وإذا لم يحصل هذا لا يبقى طالبًا لما يلتذ به، فيقع في المحرمات من الصُّور والشرب، وأخذ المال، وغير ذلك؛ ولهذا لَمَّا كانت امرأة العزيز مشركة طالبةً للفاحشة، ويوسف شاب غريب، فالداعي المطيع معه أقوى، لكن معه من الإيمان ما يَصُدُّه عن ذلك، وتلك هي وقومها كانوا مشركين»^(١).

٣- قوله: «وعلى كلمة الإخلاص»: هي كلمة التوحيد التي من أجلها خلق الله الخلق، ومن أجلها أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، ومن أجلها انقسم الناس إلى فريقين: فريق في الجنة، وفريق في السعير، وقال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «كلمة الإخلاص: قول: لا إله إلا الله»^(٢)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ، وَهِيَ الْبَرَاءَةُ مِنْ كُلِّ مَعْبُودٍ إِلَّا مِنَ الْخَالِقِ الَّذِي فَطَرَنَا... وَنَبِّئْنَا ﷺ هُوَ الَّذِي أَقَامَ اللَّهُ بِهِ الدِّينَ الْخَالِصَ لِلَّهِ: دِينَ التَّوْحِيدِ، وَقَمَعَ بِهِ الْمُشْرِكِينَ، مَنْ كَانَ مُشْرِكًا فِي الْأَصْلِ، وَمِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكُتُبِ»^(٣).

٤- قوله: «وعلى دين نبينا محمد»: أي: دين الإسلام الذي لا يقبل الله من الناس غيره؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٤)؛ لأنه تضمن إثبات التوحيد لله، ونفي الشريك،

(١) جامع المسائل لابن تيمية، ٥/ ٢٥٣.

(٢) جامع الأصول، ٤/ ٢٥٣.

(٣) مجموع الفتاوى، ١٠/ ٥٢.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

والند، والصاحب عنه رحمته، قال الملا علي القاري رحمته: «وهو أخص مما قبله؛ لأن ملل الأنبياء كلهم تُسمّى إسلاماً على الأشهر، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(١)؛ ولقول إبراهيم عليه السلام: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢)؛ ولوصية يعقوب عليه السلام لبيه: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٣)، قال التوربشتي: كذا في الحديث، وهو غير ممتنع، ولعله قال ذلك جهراً ليسمعه غيره، فيتعلم أقول [القائل الملاء علي القاري]: لا وجه لقوله (لعل)؛ فإن الرواية متفرعة على السماع، وهو لا يتحقق إلا بالجهر»^(٤).

٥- قوله: «وعلى ملة أينا إبراهيم»: وهي الحنفية السمحة، قال القاري رحمته: «وعلى ملة أينا إبراهيم، وهو أبو العرب؛ فإنهم من نسل إسماعيل، ففيه تغليب، أو الأنبياء بمنزلة الآباء؛ ولذا قال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾^(٥)، وفي قراءة شاذة: وهو أب لهم»^(٦).

٦- قوله: «حنيفاً»: الحنيف هو الميل من الشرك إلى التوحيد؛ لأن أصل الحنف هو الميل، ومنه قولهم رجل أحنف أي: مائل القدمين بعضهما إلى بعض، قال ابن الأثير رحمته: «حنفاء: أي: طاهري الأعضاء مِنَ الْمَعَاصِي، لَا أَنَّهُ خَلَقَهُمْ كُلَّهُمْ مُسْلِمِينَ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرًا وَمِنْكُمْ مُؤْمِنًا﴾^(٧)، وَقِيلَ أَرَادَ أَنَّهُ خَلَقَهُمْ حُنَفَاءَ مُؤْمِنِينَ لَمَّا أَخَذَ عَلَيْهِمْ

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٣١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٣٢.

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨ / ٢٩٢.

(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٦.

(٦) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨ / ٢٩٢.

(٧) سورة التغابن، الآية: ٢.

الْمِيثَاقَ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾^(١)، فَلَا يُوجَدُ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ مُقَرَّرٌ بِأَنَّهُ لَهُ رَبًّا وَإِنْ أَشْرَكَ بِهِ، وَاخْتَلَفُوا فِيهِ. وَالْحُنَفَاءُ جَمْعُ حَنِيفٍ: وَهُوَ الْمَائِلُ إِلَى الْإِسْلَامِ، الثَّابِتُ عَلَيْهِ، وَالْحَنِيفُ عِنْدَ الْعَرَبِ: مَنْ كَانَ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام، وَأَصْلُ الْحَنْفِ الْمَيْلُ^(٢)، وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ رحمته الله: «حنفاء: أَيُّ سَالِمِينَ مِنْ آفَاتِ الْجَحْدِ وَالْإِنْكَارِ وَالْكُفْرِ، قَالُوا: فَلَا وَجْهَ لِلْإِنْكَارِ مَنْ أَنْكَرَ رِوَايَةَ مَنْ رَوَى: حُنَفَاءُ مُسْلِمِينَ، قَالَ أَبُو عُمَرَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: يَعْني - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - مُوَحِّدِينَ، لَا عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ فِي شَرِيعَتِهِ، بَلْ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ فِي نَفْسِ الشِّرْكَ، وَدَفَعَ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ، وَكُلِّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّهُمْ بِالْإِسْلَامِ دِينَ إِبْرَاهِيمَ، وَشَرَعَ لَهُ مِنْهَا جَا أَرْتَضَاهُ، لَيْسَ لَهُ مِنْهُ شَيْءٌ يَنْفِي دِينَ إِبْرَاهِيمَ وَالْمُسْلِمُونَ كُلُّهُمْ حُنَفَاءُ عَلَى الْإِتْسَاعِ،... فَهَذَا قَدْ وَصَفَ الْحَنِيفِيَّةَ بِالْإِسْلَامِ بِإِسْنَادٍ، قَدْ قِيلَ: الْحَنِيفُ مَنْ كَانَ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ، ثُمَّ سُمِّيَ مَنْ كَانَ يَخْتَرُ، وَيَحُجُّ الْبَيْتَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ حَنِيفًا، وَالْحَنِيفُ الْيَوْمَ: الْمُسْلِمُ، وَيُقَالُ: إِنَّمَا سُمِّيَ إِبْرَاهِيمُ حَنِيفًا؛ لِأَنَّهُ كَانَ حَنْفًا عَمَّا كَانَ يُعْبَدُ أَبُوهُ وَأُمُّهُ مِنْ الْأَلِهَةِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، أَيُّ: عَدَلَ عَنْ ذَلِكَ وَمَالَ، وَأَصْلُ الْحَنْفِ: مَيْلٌ مِنْ إِبْهَامِي الْقَدَمِينَ كُلِّ وَاحِدَةٍ عَلَى صَاحِبَتِهَا»^(٣).

٧- قوله: «مسلمًا»: قَالَ الرَّاغِبُ الْأَصْفَهَانِيُّ رحمته الله: «والمسلم المطيع والمستسلم للحق، وهذا من الأسماء التي يتخصص بها كل ذي حق، ولهذا قَالَ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾»^(٤)، واليهود منسوب إلى يهودا، والنصارى إلى ناصرة، وهما نسبتان حصلتا بعد إبراهيم، فكذبوا في نسبته إليهما، ثم المسلمون

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٤٥١، مادة (حنف).

(٣) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ٨/ ٣٨٢.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

موافقون لإبراهيم في كثير من الأحكام: كحج البيت، والختان، والمضمضة وغير ذلك، وهم يخالفونه في أكثر ذلك»^(١).

٨- قوله: «وما كان من المشركين» أي: إن إبراهيم عليه السلام قد حقق التوحيد المتضمن لنفي الشرك، قال العلامة السعدي رحمه الله: أي: أن: «الله تعالى برأ خليله من اليهود، والنصارى، والمشركين، وجعله حنيفاً مسلماً»^(٢).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- من توفيق الله لعبده أن يفتح المسلم يومه بإعلان التوحيد المتضمن لأقسامه الثلاثة، وهي:

الأول: توحيد الربوبية: وذلك بالاعتقاد الجازم، واليقين الراسخ أن الله وحده هو الرب المنفرد بالخلق، والرزق، والملك، والتدبير، والإحياء، والإماتة، وغير ذلك من لوازم الربوبية.

الثاني: توحيد الإلهية: والذي يسمى بتوحيد العبادة الذي هو أفراد الله بجميع أنواع العبادات: من نيات القلوب، وأقوال الألسن، وأعمال الجوارح: فعلاً، وتركاً، رغبة في ثوابه، وخوفاً من عقابه.

الثالث: توحيد الأسماء والصفات: وذلك بإثبات ما أثبتته الله لنفسه، وكذلك ما صح عن نبيه ﷺ من جميع الأسماء والصفات على الوجه اللائق به ﷻ من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكيف، ولا تمثيل، ولا نفي لهذه الصفات^(٣).

٢- خلق الله الناس جميعاً على الفطرة السوية، ولكن الشياطين أفسدت الكثير من هذه الفطر؛ قال الرسول ﷺ في الحديث القدسي: «إني خلقت عبادي حنفاء

(١) تفسير الراغب الأصفهاني ومقدمته، ٢/ ٦١٨.

(٢) تفسير السعدي، ص ١٣٤.

(٣) انظر «المفيد على كتاب التوحيد» للشيخ/ محمد بن عبد الوهاب. وما قاله الشيخ عبد الله القصير، ص ١٣، ١٥.

كلهم، وأنهم أتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم» الحديث^(١).

٣- اقتداء الرسول ﷺ بالأنبياء من قبله امتثالاً لأمر الله ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ﴾^(٢)، وإنما خص إبراهيم ﷺ بذلك؛ لأن الله أثنى عليه ثناء جلياً بقوله ﷻ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٣)، فجمع الله تعالى لإبراهيم في هذه الآية من الصفات ما جعله إماماً في التوحيد؛ ولأنه كان في زمان ومكان لا يستقيم على التوحيد فيهما غيره، وثناء الله على عبد من عباده حثاً على الاقتداء به.

٤- من الأمور التي تعين العبد على تحقيق التوحيد الأمور الآتية:

أ- العلم به، وهو: معرفة حقيقته، وكيفية تحقيقه «أي التوحيد الخالص»، قال الله ﷻ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾^(٤).

ب- اعتقاده؛ لأن العلم به لا يغني عن اعتقاده، ويدخل في ذلك أعمال القلوب: كالمحبة، والخشية، والإنابة، والرغبة، والرغبة، وتجريد ذلك لله.

ج- الانقياد لهذا التوحيد، وعدم التكبر عليه؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾^(٥).

٩١- (١٧) «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ» (مائة مرة)^(٦).

(١) مسلم، برقم ٢٨٦٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٢٠.

(٤) سورة محمد، الآية: ١٩.

(٥) سورة الصافات، الآية: ٣٥.

(٦) مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، برقم ٢٦٩٢، والترمذي،

الشرح

أولاً: لفظ الحديث:

- ٣١٢- لفظ مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ^(١)، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ: حِينَ يُضْبِحُ وَحِينَ يُمَسِّي: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِأَفْضَلٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ» هذا لفظ مسلم وغيره ^(٢).
- ٣١٣- ولفظ الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُضْبِحُ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ، وَإِذَا أَمْسَى كَذَلِكَ، لَمْ يُؤَافِ أَحَدٌ مِنَ الْخَلَائِقِ بِمِثْلِ مَا وَافَى» ^(٣).
- ٣١٤- ولفظ أبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُضْبِحُ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ، وَإِذَا أَمْسَى كَذَلِكَ، لَمْ يُؤَافِ أَحَدٌ مِنَ الْخَلَائِقِ بِمِثْلِ مَا وَافَى» ^(٤).
- ٣١٥- ولفظ ابن حبان: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُضْبِحُ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ، وَإِذَا أَمْسَى مِائَةَ مَرَّةٍ، غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ، وَإِنْ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ رَبْدِ الْبَحْرِ» ^(٥).
- ٣١٦- عن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ

الدعوات، باب حدثنا محمد بن عبد الملك، برقم ٣٤٦٩، وأبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم ٥٠٩١، وابن حبان، ١٤١/٣، برقم ٨٥٩، وصححه محقق المسند، والألباني في التعليقات الحسان، ٧٤٦/٣، برقم ٨٥٦، ورقم ٨٢٦، ٦٨٦/٣.

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٢) مسلم، برقم ٢٦٩٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) الترمذي، برقم ٣٤٦٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) أبو داود، برقم ٥٠٩١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) ابن حبان، برقم ٨٥٩، وصححه الألباني في التعليقات الحسان، برقم ٨٥٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»^(١).
 ٣١٧- ولفظ مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَخَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَذَلٌ عَشْرَ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُجِيتٌ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِزْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ، يَوْمَهُ ذَلِكَ، حَتَّى يُمْسِيَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»^(٢).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «سبحان الله»: أي: أنزه ربي، وخالقي عن كل عيب، ونقص، فهو له الأسماء الحسنى، والصفات الغلا، ومن لوازم ذلك نفي الشريك، والصاحبة، والولد، وجميع الرذائل، ويطلق التسبيح، ويراد به جميع ألفاظ الذكر، ويطلق ويراد به النافلة، وأما صلاة التسابيح، فسميت بذلك لكثرة التسبيح فيها، وقال ابن الأثير رحمته الله: «التسبيح: التنزيه، والتقديس، والتبرئة من النقائص، ثم استعمل في مواضع تقرب منه اتساعاً...، فمعنى سبحان الله: تنزيه الله»^(٣).

٢- قوله: «وبحمده»: أي: بتوفيقك، وإعانتك ياربى سبحتك، والله ﷻ هو الحميد في ذاته، وأفعاله، وأسمائه، وصفاته، وهو الذي افتتح الخلق بالحمد بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾^(٤)، وهو الذي ختم أمر العالم بالحمد بقوله: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٥)، نزه الله

(١) البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح، برقم ٦٤٠٥، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، برقم ٢٦٩١.

(٢) مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، برقم ٢٨ - (٢٦٩١).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٣٣٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ٦ من مفردات حديث المتن رقم ٢.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١.

(٥) سورة الزمر، الآية: ٧٥.

«عما يصفه به الواصفون، وسَلَّمَ على المرسلين لسلامة ما وصفوه به من كل نقص وعيب، وحمد نفسه؛ إذ هو الموصوف بصفات الكمال التي يستحق لأجلها الحمد، ومنزه عن كل نقص ينافي كمال حمده»^(١).

والحمد هو الثناء، والثناء ناشئ عن التوفيق للخير، والإنعام على المثني، فنزل الناشئ عن السبب منزلة السبب، فقال: ونحن نسبح بحمدك، أي بتوفيقك، وإنعامك، والحمد مصدر مضاف إلى المفعول نحو قوله: من دعاء الخير، أي بحمدنا إياك^(٢).

٣- قوله: «مائة مرة»: أي: من نوى المائة قالها؛ فيكون بذلك ذكرًا مقيدًا، والحكمة في تحديد المائة يعلمها الله تعالى وحده، قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ: «ذكر هذا العدد من المائة، وهذا الحصر لهذه الأذكار لا دليل على أنها غاية، وحدٌ لهذه الأجور»^(٣).

٤- قوله: «لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به»: قال المباركفوري رَحِمَهُ اللهُ: «قال القاري: أي فيهما، بأن يَأْتِي بِنِعْضِهَا فِي هَذَا، أَوْ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، وَهُوَ الْأَظْهَرُ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلٍ مِمَّا جَاءَ، أَيِ الْقَائِلِ بِهِ، وَهُوَ قَوْلُ الْمَائَةِ الْمَذْكُورَةِ، ... قَالَ الطَّبَّيُّ أَنْ يَكُونَ مَا جَاءَ بِهِ أَفْضَلَ مِنْ كُلِّ مَا جَاءَ بِهِ غَيْرُهُ ...»^(٤).

٥- قوله: «إلا أحد قال مثل ما قال»: قال المباركفوري: «إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ، وَأُجِيبَ أَنَّ الْإِعْتِرَاضَ الْمَشْهُورَ بِأَنَّ الْإِسْتِثْنَاءَ مُنْقَطِعٌ، أَوْ كَلِمَةٌ أَوْ بِمَعْنَى الْوَاوِ، إِلَّا مِمَّا جَاءَ بِهِ مَنْ قَالَ مِثْلَهُ، أَوْ زَادَ عَلَيْهِ، قِيلَ: الْإِسْتِثْنَاءُ مُنْقَطِعٌ،

(١) جلاء الأفهام لابن القيم، ص: ١٧٠.

(٢) تفسير البحر المحيط، لأبي حيان، ١ / ١١٨.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٨ / ١٩١.

(٤) تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذي، ٩ / ٣٠٨.

وَالْتَقْدِيرُ لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا رَجُلٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي بِمُسَاوَاتِهِ، فَلَا يَسْتَقِيمُ أَنْ يَكُونَ مُتَّصِلًا إِلَّا عَلَى تَأْوِيلٍ نَحْوِ قَوْلِهِ وَبَلَدَةٌ لَيْسَ بِهَا أَنْيْسٌ، وَقِيلَ بِتَقْدِيرٍ: لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِمِثْلِ مَا جَاءَ بِهِ، أَوْ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ... إلخ، وَالْإِسْتِثْنَاءُ مُتَّصِلٌ، كَذَا فِي الْمِرْقَاةِ^(١).

٦- قوله: «أو زاد عليه»: أي: من نوى الزيادة على المائة، فهو أفضل ممن اقتصر على المائة، ويكون بذلك ذكرًا مطلقًا، وعلى هذا فإن الزيادة لا تضر، بل الذي يضر هو النقصان. قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: وليس هذا من الحدود التي نُهي عن اعتدائها، ومجاوزة أعدادها، وأن الزيادة لا فضل فيها، أو تبطلها، كالزيادة في عدد الطهارة، وعدد ركعات الصلاة، ويحتمل أن يكون المراد الزيادة من أعمال الخير، لا من نفس التهليل، ويحتمل أن يكون المراد مطلق الزيادة؛ سواء كانت من التهليل، أو من غيره، وهذا الاحتمال أظهر، والله أعلم^(٢).

٧- «غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ»: أي: سُتِرَتْ بِمَحْوِهَا، مع التجاوز عن المؤاخذه ومناقشة الحساب، قال ابن منظور: «الْعَفْوُ الْعَقَارُ: ... السَّائِرُ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ، الْمُتَجَاوِزُ عَنْ خَطَايَاهُمْ وَذُنُوبِهِمْ... وَأَصْلُ الْعَفْرِ: التَّغْطِيَةُ، وَالسُّتْرُ، غَفَرَ اللهُ ذُنُوبَهُ: أَي: سَتَرَهَا... وَقَدْ غَفَرَهُ يَغْفِرُهُ غَفْرًا: سَتَرَهُ. وَكُلُّ شَيْءٍ سَتَرْتَهُ، فَقَدْ غَفَرْتَهُ؛ ... وَمِنْهُ: غَفَرَ اللهُ ذُنُوبَهُ أَي: سَتَرَهَا... وَالْعَفْرُ، وَالْمَغْفِرَةُ: التَّغْطِيَةُ عَلَى الذُّنُوبِ، وَالْعَفْوُ عَنْهَا»^(٣).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- الحث على تسبيح الله وحمده بالغدو والآصال، وذلك الأمر يجعل

(١) تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذي، ٣٠٨ / ٩.

(٢) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٢٠ / ١٧.

(٣) لسان العرب، ٢٥ / ٥، مادة (غفر)، وتقدم في شرح ألفاظ حديث المتن رقم ٤٩، المفردة رقم ١.

صاحبه معلقاً قلبه بمن يعلم السر وأخفى.

٢- السنة عقد هذه التسيّحات بيده اليمنى على أنامل أصابعه؛ اقتداءً بالرسول الكريم ﷺ؛ قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: «رأيت رسول الله ﷺ يعقد التسيّح يمينه»^(١).

٣- إثبات محبة الله للحمد، والثناء عليه ﷺ؛ ولذلك قال النبي ﷺ: «أما إن ربك يحب الحمد»^(٢)، وذلك لما قال الأسود بن سريع رضي الله عنه للرسول ﷺ: «إني مدحت ربي بمحامد».

٤- قال ابن القيم رحمته الله^(٣): وحمد الله على قسمين:

أ- حمد الأسماء والصفات، وهذا متضمن للثناء عليه بكماله، القائم بذاته، وعلى ما له من الأسماء الحسنى، والصفات العُلا.

ب- حمد النعم، والآلاء: وهذا مشهود للخلقة: برّها، وفاجرّها، مؤمنّها، وكافرّها، وذلك ظاهر بإجابة دعوة المضطّرين، وإغاثة الملهوفين، وابتدأؤه بالنعم قبل السؤال، ومن غير استحقاق، ودفع المحن والبلايا بعد انعقاد أسبابها، وصرّفها بعد وقوعها.

٥- قال النووي رحمته الله: وظاهر إطلاق الحديث أنه يحصل هذا الأجر لمن قال هذا في يومه؛ سواء قاله متواليًا، أو متفرّقًا في مجلس واحد، أو في مجالس، ولكن الأفضل أن يأتي به متواليًا أول النهار؛ ليكون حرزًا له في جميع نهاره^(٤).

(١) سنن أبي داود، كتاب الوتر، باب التسيّح بالحصى، برقم ١٥٠٢، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ١٥٠١.

(٢) الأدب المفرد، ص ١٢٥، برقم ٣٤٢، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٦٦٤.

(٣) انظر: طريق الهجرتين، ص ٢٤٢.

(٤) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٢٠/١٧.

٩٢- (١٨) «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (عشر مرّات) ^(١)، أو (مرّة واحدة) ^(٢) عند الكسل.

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣١٨- لفظ النسائي في السنن الكبرى عن أبي أيوب رضي الله عنه ^(٣)، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرًا كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةً مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ» ^(٤).

٣١٩- وفي لفظ آخر للنسائي في السنن الكبرى عن أبي أيوب رضي الله عنه، أنه قال وهو في أرض الروم: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ غُدُوَةً: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ، وَكُنَّ لَهُ بِقَدْرِ عَشْرِ رِقَابٍ، وَأَجَارَهُ اللَّهُ مِنْ

(١) النسائي في عمل اليوم والليلة، برقم ٢٤، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢٧٢/١.

(٢) أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم ٥٠٧٧، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢٧٠/١، وفي صحيح أبي داود، ٩٥٧/٣، وفي صحيح ابن ماجه، ٣٣١/٢.

(٣) أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه: هو خالد بن زيد الخزرجي، البصري، خضعه الرسول ﷺ بالتزول عليه في بني النجار إلى أن بنيت له حجرة أم المؤمنين سودة بنت زمعة رضي الله عنها، وقد آخى الرسول ﷺ بينه وبين مصعب بن عمير رضي الله عنه، وشهد المشاهد كلها مع الرسول ﷺ، له مائة وخمسة وخمسون حديثاً، اتفق البخاري ومسلم على سبعة، وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بخمسة، مات رضي الله عنه سنة خمسين من الهجرة. انظر: سير أعلام النبلاء، ترجمة رقم (١٨٠).

(٤) السنن الكبرى للنسائي، كتاب عمل اليوم والليلة، ثواب من قال ذلك عشر مرات، برقم ٩٨٥٢، والطبراني في المعجم الكبير، ٤/ ١٨٧، برقم ٤٠٩٣، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٦٦٠: «حسن صحيح».

الشَّيْطَانِ، وَمَنْ قَالَهَا عَشِيَّةً كَانَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ»^(١).

٣٢٠- وفي رواية للإمام أحمد في المسند عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، مَنْ قَالَهَا عَشْرَ مَرَّاتٍ حِينَ يُصْبِحُ، كُتِبَ لَهُ بِهَا مِائَةٌ حَسَنَةٍ، وَمُحِي عَنْهُ بِهَا مِائَةٌ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ عِدْلُ رَقَبَةٍ، وَحُفِظَ بِهَا يَوْمَئِذٍ حَتَّى يُمْسِيَ، وَمَنْ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ حِينَ يُمْسِي، كَانَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ»^(٢).

٣٢١- وفي الصحيحين، واللفظ لمسلم عن أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه، يُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مَرَّاتٍ، كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ»^(٣).

٣٢٢- ورواية أَبِي دَاوُدَ عَنْ أَبِي عِيَّاشٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحَدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَانَ لَهُ عِدْلُ رَقَبَةٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَكُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَحُطَّ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ، وَكَانَ فِي حِزْزٍ مِنَ الشَّيْطَانِ حَتَّى

(١) السنن الكبرى للنسائي، كتاب عمل اليوم والليلة، ثواب من قال ذلك دبر صلاة الغداة: لا إله إلا الله، برقم ٩٨٤٦، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته، برقم ٦٤٣٧.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٣) مسند أحمد، ١٤/ ٣٣٦، برقم ٨٧١٩، وصححه إسناده محققو المسند، وحسن إسناده أيضاً الإمام ابن باز رحمته الله في تحفة الأخيار، ص ٤٤.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، برقم ٢٦٩٣، واللفظ له، والبخاري، كتاب الدعوات، باب فضل التهليل، برقم ٦٤٠٤.

(٥) أبو عيَّاش الزرقي، اختلف في اسمه فقليل اسمه زيد بن الصامت وقيل عبيد بن زيد بن الصامت، وقيل غير ذلك، له صحبة معروفة، ومشاهده كمشاهد رسول الله ﷺ غُيِّرَ بعد النبي ﷺ، روى عنه مجاهد، وأبو صالح السمان، وعاش إلى زمن معاوية، ومات بعد الأربعين، وقيل بعد الخمسين. انظر: الاستيعاب، لابن عبد البر، ٤/ ١٧٢٤، والإصابة، لابن حجر، ٧/ ٢٩٤.

يُمْسِي، وَإِنْ قَالَهَا إِذَا أَمْسَى كَانَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ حَتَّى يُضْبَحَ»^(١).

قال في حديث حماد: فرأى رجلاً رسول الله ﷺ فيما يرى النائم، فقال يا رسول الله إن أبا عياش يحدث عنك بكذا وكذا، قال رسول الله ﷺ: «صدق أبو عياش»^(٢).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «لا إله إلا الله»: قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «يعني: لا معبود بحق إلا الله ﷻ، وألوهية الله فرع عن ربوبيته؛ لأن من تأله الله فقد أقر بالربوبية؛ إذ إن المعبود لابد أن يكون رباً، ولا بد أن يكون كامل الصفات؛ ... حتى يعبد بمقتضى هذه الصفات؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾»^(٣)، أي: تعبدوا له، وتوسلوا بأسمائه إلى مطلوبكم»^(٤).

٢- قوله: «وحده لا شريك له»، قال المناوي: «لا إله منفرد إلا هو وحده، لا شريك له عقلاً ونقلاً»^(٥).

٣- قوله: «لَهُ الْمُلْكُ»: تَخْصِيصٌ لَهُ بِالْمُلْكِ، وَالْحَمْدُ، لِأَنَّ الْأَلِفَ وَاللَّامَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِلْجِنْسِ، فَجُعِلَ جِنْسُ الْمُلْكِ، وَهُوَ جَمِيعُهُ لِلَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّهُ لَا مُلْكَ لِأَحَدٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا لَهُ»^(٦).

٤- قوله: «وله الحمد»: أي: الحمد المطلق، فهو محمود في السراء حمد شكر، وفي الضراء حمد تفويض، وكان النبي ﷺ إذا أتاه ما يسره قال:

(١) أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم ٥٠٧٧، وتقدم تخريجه في حديث المتن.
(٢) هذه تنتمى رواية أبي داود عن أبي عياش، وصحح الألباني الرواية كلها، وليس فقط هذه الزيادة، في صحيح سنن أبي داود، برقم ٥٠٧٧.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٤) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٦٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ٢.

(٥) فيض القدير، ٢٠٠ / ٥.

(٦) المنتقى، شرح الموطأ للبايجي، ٣ / ٧٧.

«الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات»^(١)، وإذا أتاه ما لا يسره قال: «الحمد لله على كل حال»^(٢).

٥- قوله: «وهو على كل شيء قدير»: قال ابن جرير: «وهو على كل شيء ذو قدرة، لا يتعذر عليه شيء أراده»^(٣)، وقال الإمام ابن القيم رحمته الله: «يسوق الأقدار إلى موافقتها، ويجريها على نظامها، ويقدم ما يشاء تقديمه، ويؤخر ما يشاء تأخيرها، فأزمنة الأمور كلها بيده»^(٤).

٦- قوله: «عدل رقة»: أي: كأنه أعتق رقة في الفضل، وليس في الأجزاء العدل: المثل، والمُعادل، قال ابن الأثير رحمته الله: «العَدْلُ والعَدْلُ بالكسر والفَتْح، وهُمَا بِمَعْنَى الْمِثْلِ، وَقِيلَ: هُوَ بِالْفَتْحِ مَا عَادَلَهُ مِنْ جَنْسِهِ، وَبِالْكَسْرِ مَا لَيْسَ مِنْ جَنْسِهِ. وَقِيلَ بِالْعَكْسِ»^(٥)، وقال العظيم أبادي: أي مثل عتقها، وَهُوَ بِفَتْحِ الْعَيْنِ وَكَسْرِهَا بِمَعْنَى الْمِثْلِ، وَقِيلَ بِالْفَتْحِ الْمِثْلُ مِنْ غَيْرِ الْجِنْسِ وَبِالْكَسْرِ مِنَ الْجِنْسِ وَقِيلَ بِالْعَكْسِ»^(٦).

٧- قوله: «حرز من الشيطان»: أي: مانع من كيده، ومكره، ووسوسته، وذلك بحفظ الله له، قال القاري رحمته الله: «أَيُّ: حِفْظٌ رَفِيعٌ، وَحِصْنٌ مَنِيْعٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، أَيْ: مِنْ شَرِّ إِغْوَائِهِ حَتَّى يُمَسِّيَ، وَإِنْ قَالَهَا إِذَا أَمْسَى كَانَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ، أَيْ: مَا ذُكِرَ مِنَ الْجَزَاءِ حَتَّى يُصْبِحَ»^(٧).

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الأدب، باب فضل الحامدين، برقم ٣٨٠٣، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٢٦٥.

(٢) انظر: التخریج في الحاشية السابقة، فهما حديث واحد.

(٣) تفسير الطبري، ٢٣ / ١٦٥.

(٤) مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية، ٣ / ٣٤٩، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٥ من مفردات المتن رقم ٢.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣ / ١٩١، مادة (عدل).

(٦) عون المعبود وحاشية ابن القيم، ١٣ / ٢٨٤.

(٧) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤ / ١٦٦٢.

٨- قوله: «من ولد إسماعيل»؛ لأنهم أشرف من غيرهم من العرب، ومن باب أولى أشرف من العجم، قال ابن الملقن رحمته الله: «ووجه كونها منهم أن عتق من كان من ولده له فضل على عتق غيره، وذلك أن محمدًا وإسماعيل وإبراهيم صلوات الله وسلامه عليهم بعضهم من بعض»^(١).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

تقدمت الفوائد لهذا الحديث في شرح الحديث رقم (٦٧) من المتن من هذا الكتاب.

٩٣- (١٩) «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (مائة مرة إذا أصبح، وإذا أمسى)^(٢).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٢٣- لفظ البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه^(٣): أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدَلُ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيتَ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِزْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ»^(٤).

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢٩/ ٣٦٣.

(٢) البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، برقم ٣٢٩٣، وكتاب الدعوات، باب فضل التهليل، برقم ٦٤٠٣، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، برقم ٢٦٩١.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٤) البخاري، برقم ٣٢٩٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

٣٢٤- ولفظ النسائي في السنن الكبرى عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه (١): عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَخَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، مِائَةً مَرَّةً إِذَا أَصْبَحَ، وَمِائَةً إِذَا أَمْسَى، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلٍ مِنْهُ إِلَّا مَنْ قَالَ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ» (٢).

٣٢٥- ولفظ آخر عند النسائي في السنن الكبرى عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ فِي يَوْمٍ مِائَتِي مَرَّةً: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَخَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَمْ يَسْبِقْهُ أَحَدٌ كَانَ قَبْلَهُ، وَلَا يَدْرِكُهُ أَحَدٌ كَانَ بَعْدَهُ إِلَّا مَنْ عَمِلَ أَفْضَلَ مِنْ عَمَلِهِ» (٣).

٣٢٦- ولفظ النسائي في الكبرى أيضاً عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ فِي يَوْمٍ مِائَتِي مَرَّةً: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَخَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَمْ يَسْبِقْهُ أَحَدٌ كَانَ قَبْلَهُ، وَلَا يَدْرِكُهُ أَحَدٌ كَانَ بَعْدَهُ إِلَّا مَنْ عَمِلَ أَفْضَلَ مِنْ عَمَلِهِ» (٤).

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٨٣ من أحاديث الشرح.

(٢) النسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، فضل من قال ذلك مائة مرة إذا أصبح، ومائة مرة إذا أمسى، برقم ١٠٤١٠، وهو في عمل اليوم والليلة للنسائي المطبوع مفرداً، برقم ٥٧٥، وأشار الألباني إلى ثبوته في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٢٧٦٢.

(٣) السنن الكبرى للنسائي، كتاب عمل اليوم والليلة، فضل من قال ذلك مائة مرة إذا أصبح ومائة مرة إذا أمسى، برقم ١٠٤١١، وهو في عمل اليوم والليلة للنسائي المطبوع مفرداً، برقم ٥٧٦، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٢٧٦٢.

(٤) السنن الكبرى للنسائي، كتاب عمل اليوم والليلة، فضل من قال ذلك مائة مرة إذا أصبح ومائة مرة إذا أمسى، برقم ١٠٤١٢، وهو في عمل اليوم والليلة للنسائي المطبوع مفرداً، برقم ٥٧٧، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٦ / ٦٢٠، برقم ٢٧٦٢، وقال الألباني عن الأحاديث الثلاثة المذكورة آنفاً: «أخرجه النسائي في اليوم و الليلة، ٥٧٦، و ٥٧٧، وكذا ابن السني، برقم ٧٣، وابن الأعرابي في المعجم، (ق ٢١٦ / ١)، والحاكم، ١ / ٥٠٠، وقال: «مائة» وأحمد، ٢ / ١٨٥، و ٢١٤، والخطيب في التاريخ، ٣ / ٢٥ من طرق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: فذكره قلت [القائل الألباني]: وهذا إسناد حسن للخلاف المعروف في

٣٢٧- وعند النسائي في السنن الكبرى أيضاً عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه ^(١) قال: قال ﷺ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ مِائَةَ مَرَّةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، كَانَ أَفْضَلَ مِنْ مِائَةِ بَدَنَةٍ، وَمَنْ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مِائَةَ مَرَّةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، كَانَ أَفْضَلَ مِنْ مِائَةِ فَرَسٍ يُحْمَلُ عَلَيْهَا، وَمَنْ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ مِائَةَ مَرَّةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، كَانَ أَفْضَلَ مِنْ عِتْقِ مِائَةِ رَقَبَةٍ، وَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِائَةَ مَرَّةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، لَمْ يَجِئْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَدٌ بِعَمَلٍ أَفْضَلَ مِنْ عَمَلِهِ إِلَّا مَنْ قَالَ قَوْلَهُ أَوْ زَادَ» ^(٢).

٣٢٨- وعند الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه ^(٣)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ فِي يَوْمٍ مِائَتِي مَرَّةٍ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَمْ يَسْبِقْهُ أَحَدٌ كَانَ قَبْلَهُ، وَلَمْ يَذْرِكْهُ أَحَدٌ كَانَ بَعْدَهُ، إِلَّا بِأَفْضَلٍ مِنْ عَمَلِهِ» يَعْنِي: إِلَّا مَنْ عَمِلَ بِأَفْضَلٍ مِنْ عَمَلِهِ ^(٤).

عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، ولذا قال في الفتح، ١١/ ٢٠٢: إسناده صحيح إلى عمرو، وقال الهيثمي في المجمع، ١٠/ ٨٦: رواه أحمد، والطبراني إلا أنه قال: «كل يوم» ورجال أحمد ثقات، وفي رجال الطبراني من لم أعرفه، قلت [القائل الألباني]: وليس المراد من الحديث أن يقول المائتي مرة في وقت واحد، كما تبادر لبعض المعاصرين ممن ألف في سنية السبحة، وإنما تقسيمها على الصباح والمساء، فقد جاء ذلك صريحاً في رواية شعبة، عن عمرو بن شعيب به، ولفظه: «من قال ... مائة مرة إذا أصبح، ومائة مرة إذا أمسى ...» أخرجه النسائي، برقم ٥٧٥، وابن دوست العلاف في الأمالي، (ق ١٢٤/ ٢)، والحكم هو ابن عتيبة الكندي مولاهم، ثقة محتج به في الصحيحين، ومثله شعبة، وهو ابن الحجاج الإمام.

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٨١ من أحاديث الشرح.
(٢) السنن الكبرى للنسائي، كتاب عمل اليوم والليلة، من أوى إلى فراشه فلم يذكر الله تعالى، برقم ١٠٦٥٧، والطبراني في مسند الشاميين، ١/ ٢٩٦، برقم ٥١٦، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٦٥٨.
(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٨٣ من أحاديث الشرح.

(٤) أخرجه الإمام أحمد، ١١/ ٥٨٢، برقم ٧٠٠٥، والطبراني في الدعاء، ص ١٢٦، ومعجم ابن الأعرابي، ٣/ ١٠١٤، برقم ٣٣٤، وحسن إسناده محققو المسند، ١١/ ٥٨٣، وحسنه

٣٢٩- ولفظ محمد بن فضيل الضبي: «من قال مائة مرة عند طلوع الشمس: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، ومثله قبل غروبها، لم يسبقه أحد كان قبله، ولم يلحقه أحد كان بعده، وكان أفضل أهل زمانه عملاً، إلا من جاء بمثل ما جاء به، أو أفضل»^(١).

ثانياً: شرح مفردات الحديث^(٢):

١- قوله: «لا إله إلا الله» أي: لا معبود بحق إلا الله، وفيها نفي لجميع المعبودات، وهي لا إله، ثم إثبات العبادة لله وحده، من قوله «إلا الله».

٢- قوله: «وحده لا شريك له»، قال المناوي: «لا إله منفرد إلا هو وحده، لا شريك له عقلاً ونقلاً، ... وهو تأكيد لقوله: «وحده»؛ لأن المتصف بالوحدانية لا شريك له»^(٣).

٣- قوله: «لَهُ الْمُلْكُ»: تَخْصِيصٌ لَهُ بِالْمُلْكِ، وَالْحَمْدُ، لِأَنَّ الْأَلِفَ وَاللَّامَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِلْجِنْسِ، فَجُعِلَ جِنْسُ الْمُلْكِ، وَهُوَ جَمِيعُهُ لِلَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّهُ لَا مُلْكَ لِأَحَدٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا لَهُ»^(٤).

٤- قوله: «وله الحمد»: أي: الحمد المطلق، فهو محمود في السراء حمد شكر، وفي الضراء حمد تفويض قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «الحمد، هو: الإخبار بمحاسن المحمود على وجه المحبة له»^(٥).

الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ١٥٩١، وينحوه النسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، فضل من قال ذلك مائة مرة إذا أصبح ومائة مرة إذا أمسى، برقم ١٠٤١٢.

(١) أخرجه محمد بن فضيل الضبي في الدعاء، ص ٣٦١.

(٢) تقدمت معانٍ كثير من مفردات الحديث في شرح مفردات حديث المتن رقم ٦٧، ٦٨، ٦٩.

(٣) فيض القدير، ٥/ ٢٠٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من مفردات حديث المتن ٦٧.

(٤) المتتقى، شرح الموطأ للباقي، ٣ / ٧٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ٣ من مفردات حديث المتن ٦٧.

(٥) بدائع الفوائد، ٥٣٧/٢، وتقدمت في شرح المفردة رقم ٤ من مفردات حديث المتن ٢.

٥- قوله: «وهو على كل شيء قدير»: قال ابن جرير رحمته الله: «وهو على إحيائكم بعد مماتكم، وعقابكم على إشراككم به الأوثان وغير ذلك مما أراد بكم، وبغيركم قادر»^(١)، وقال الإمام ابن القيم رحمته الله: «... فأزمة الأمور كلها بيده، ومدار تدبير الممالك كلها عليه، وهذا مقصود الدعوة، وزبدة الرسالة»^(٢).

٦- قوله: «عدل»: قال الفراء: العدل -بفتح العين- هو ما عدل الشيء من غير جنسه، وبالكسر هو المثل، قال ابن الأثير رحمته الله: «العدل، والعدل بالكسر والفتح في الحديث، وهما بمعنى المثل، وقيل: هو بالفتح ما عادله من جنسه، وبالكسر ما ليس من جنسه، وقيل بالعكس»^(٣)، وقال ابن الملقن رحمته الله: «قال ابن التين: وقرأناه بفتح العين، قال الأخفش: العدل -بالكسر- المثل، وبالفتح أصله، مصدر قولك: عدلت لهذا عدلاً حسناً، تجعله اسماً للمثل، فتفرق بينه وبين عدل المتاع»^(٤).

٧- قوله: «عشر رقاب»: أي: كأنه أعتق عشر رقاب في سبيل الله، قال الباجي رحمته الله: «معناه أن ثوابها يعدل ثواب عتق عشر رقاب»^(٥).

٨- قوله: «كتب له مائة حسنة»: أي: في صحيفة حسناته التي يلقي الله بها يوم القيامة، قال القاري رحمته الله في معنى كتب: «أثبت أجره في صحيفة عمله إثباتاً»^(٦).

٩- قوله: «سبحان الله مائة مرة»: «التسبيح: التنزيه، والتقديس، والتبرئة من النقائص، ثم استعمل في مواضع تقرب منه اتساعاً...، فمعنى سبحان الله: تنزيه الله»^(٧).

(١) تفسير الطبري، ١٥ / ٢٣٢.

(٢) مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية، ٣ / ٣٤٩، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٥ من مفردات حديث المتن رقم ٢.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣ / ١٩١، مادة (عدل).

(٤) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢٩ / ٣٦٢.

(٥) المتقى شرح الموطأ، ١ / ٣٥٤.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢ / ٣٣٠.

(٧) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣ / ٩٣٥.

١٠- قوله: «أفضل من مائة بدنة»: أي: أفضل وأكبر مزية عند الله من تقديم مائة بعير، قال الفيروزبادي رَحِمَهُ اللهُ فِي معنى الفضل: «الفضل: ضد النقص،... ورجل فضال كشداد ومنبر ومحراب ومعظم: كثير الفضل، والفضيلة: الدرجة الرفيعة في الفضل... وفضله تفضيلاً: مزّاه، والفضال ككتاب والتفاضل: التمازي، وفاضلني ففضلته: كنت أفضل منه، وتفضل: تمزّى، أو تطوّل، كأفضل عليه، أو ادّعى الفضل على أقرانه، وأفضل عليه في الحسب و عنه: زاد، والفواضل: الأيادي الجسيمة أو الجميلة»^(١)، وقال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ فِي معنى البدنة: «البدن السمن والاكتناز... أما البدنة فحيث أطلقت في كتب الحديث والفقه فالمراد بها البعير؛ ذكرًا كان أو أنثى، وشرطها أن تكون في سن الأضحية، وهي التي استكملت خمس سنين، ودخلت في السادسة... وأما أهل اللغة، فقال كثيرون منهم أو أكثرهم: تطلق على الناقة والبقرة»^(٢).

١١- قوله: «الله أكبر»: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «الله أكبر: إثبات عَظَمَتِهِ؛ فَإِنَّ الْكِبْرِيَاءَ تَتَضَمَّنُ الْعَظَمَةَ، وَلَكِنَّ الْكِبْرِيَاءَ أَكْمَلُ؛ وَلِهَذَا جَاءَتْ الْأَلْفَاظُ الْمَشْرُوعَةُ فِي الصَّلَاةِ وَالْأَذَانِ بِقَوْلٍ: «الله أكبر»؛ فَإِنَّ ذَلِكَ أَكْمَلُ مِنْ قَوْلٍ: اللهُ أَعْظَمُ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا عَذَّبْتُهُ»^(٣)، فَجَعَلَ الْعَظَمَةَ كَالْإِزَارِ وَالْكِبْرِيَاءَ كَالرِّدَاءِ وَمَعْلُومٌ أَنَّ الرِّدَاءَ أَشْرَفُ فَلَمَّا كَانَ

(١) القاموس المحيط، ص ١٣٤٨، مادة (فضل).

(٢) تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، ٢/ ٢٧٩.

(٣) أخرجه أبو داود، برقم ٤٠٩٠، وابن ماجه، برقم ٤١٧٤، وأحمد، ١٤/ ٤٧٣، برقم ٨٨٩٤، وابن حبان، ١٢/ ٤٨٦، برقم ٥٦٧١، وحسنه محققو المسند، ١٤/ ٤٧٣، وصححه لغيره الألباني في التعليقات الحسان، ٨/ ١٩٧، برقم ٥٦٤٢، وأخرجه مسلم عن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْعَزُّ إِزَارُهُ، وَالْكَبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يَنَازَعَنِي عَذَّبْتُهُ».

التَّكْبِيرُ أَبْلَغُ مِنَ التَّعْظِيمِ صَرَّحَ بِلَفْظِهِ وَتَضَمَّنَ ذَلِكَ التَّعْظِيمُ»^(١).

١٢- قوله: «فرس يحمل عليها»: التي تركب في سبيل الله والركاب التي يحمل عليها في سبيل الله فترجع منافعها الى جماعة المسلمين»^(٢).

١٣- قوله: «ومن قال: لا إله إلا الله»: أي: الذي يقول: لا إله إلا الله: يعني: لا معبود بحق إلا الله ﷻ، وألوهية الله فرع عن ربوبيته؛ لأن من تأله الله فقد أقر بالربوبية»^(٣).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- الفضل العظيم الذي أعده الله لمن ذكره ذكرًا يدفعه إلى مراقبته وخشيته، قال ابن عبد البر رحمه الله: «في هذا الحديث دليل على أن الذكر أفضل الأعمال، ألا ترى أن هذا الكلام إذا قيل مائة مرة يعدل عشر رقاب، إلى ما ذكر فيه من الحسنات، ومحو السيئات، وهذا أمر كثير، فسبحان المتفضل المنعم، لا إله إلا هو العليم، الخبير»^(٤).

٢- الذكر من أيسر العبادات، لكنه يترتب عليه الثواب الجزيل لمن قاله صادقاً مخلصاً لله فيه.

٣- اشتمال هذا الذكر رغم قلة ألفاظه على معاني التوحيد والبراءة من الشرك، والإقرار لله بالربوبية والإذعان له بألوهيته.

٤- تفيد رواية النسائي في السنن الكبرى، وأحمد في المسند أنه يشرع قول مائة مرة في الصباح، ومائة مرة في المساء: «لا إله إلا الله وحده لا

(١) مجموع الفتاوى، ١٠/ ٢٥٣، وانظر شرح المفردة رقم ٨ من مفردات حديث المتن رقم ٢.

(٢) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، للأزهري، ص ٢٥٧.

(٣) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين رحمه الله، شرح الحديث رقم ٦٠، وتقدم مستوفى في شرح حديث المتن رقم ٦٧، المفردة رقم ١.

(٤) التمهيد، لابن عبد البر، ١٩/ ٢٢.

شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير»^(١)، وأن من قال ذلك لم يسبقه أحد كان قبله، ولم يدركه أحد كان بعده، وكان أفضل أهل زمانه عملاً، إلا من جاء بمثل ما جاء به، أو أفضل.

٥- يفيد حديث عبد الله بن عمرو في سنن النسائي الكبرى، والطبراني أنه يشرع قول هذه الأذكار:

أ- من قال: سبحان الله مائة مرة قبل طلوع الشمس، ومائة مرة قبل غروبها، كان أفضل له من مائة بدنة.

ب- ومن قال: الحمد لله مائة مرة قبل طلوع الشمس، ومائة مرة قبل غروبها، كان أفضل له من مائة فرس.

ج- ومن قال: الله أكبر مائة مرة قبل طلوع الشمس، ومائة مرة قبل غروبها، كان أفضل له من عتق مائة رقبة.

د- ومن قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير مائة مرة قبل طلوع الشمس، ومائة مرة قبل غروبها، لم يجئ يوم القيامة أحدٌ بعمل أفضل من عمله، إلا من قال قوله أو زاد، وفي لفظ محمد بن فضيل الضبي المذكور في ألفاظ الحديث المذكور آنفاً: «وكان أهل أفضل زمانه عملاً، إلا من جاء بمثل ما جاء به أو أفضل».

هـ- وثبت في حديث أبي هريرة في البخاري كما تقدم أن من قال هذا الذكر مائة مرة في اليوم، كانت له عدل عشر رقاب، وكتب له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت حرزاً له من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي،

(١) النسائي في السنن الكبرى، برقم ١٠٤١٠، وأحمد، برقم ٧٠٠٥، وحسن إسناده محققو المسند، وتقدم تخريجه في أحاديث الشرح، برقم ٣١١، و٣١٢.

ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به، إلا أحد عمل بأفضل من ذلك^(١).

٩٤- (٢٠) «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ: عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِينَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ» (ثلاث مرّاتٍ إذا أصبح)^(٢).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٣٠- عَنْ جُوَيْرِيَةَ رضي الله عنها^(٣)، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى، وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: «مَا زِلْتُ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكَ عَلَيْهَا؟» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ قُلْتُ بِعْدَكَ أَرْبَعُ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وَزَنْتَ بِمَا قُلْتُ مِنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنْتَهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِينَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ»^(٤).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «سبحان الله»: قال ابن الأثير رحمته الله: «التسبيح: التنزيه، والتقديس، والتبرئة من

(١) البخاري، برقم ٣٢٩٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التسبيح أول النهار وعند النوم، برقم ٢٧٢٦.

(٣) جويرة بنت الحارث رضي الله عنها: زوج النبي ﷺ أم المؤمنين سبأها رسول الله ﷺ يوم المريسيع في غزوة بني المصطلق في الخامسة من الهجرة، وقد أعتق بسببها مائة أهل بيت من بني المصطلق؛ ولذا قالت عائشة رضي الله عنها: فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها أبو داود، كتاب العتق، باب في بيع المكاتب إذا فسخت المكاتب، برقم ٣٩٣١، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم ٣٩٣١، وكان اسمها «بزة» فسمّاها النبي ﷺ جويرة مسلم، كتاب الأداب، باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن، برقم ٢١٤٠، وكانت من أجمل النساء وقد تزوجها النبي ﷺ وهي ابنة عشرين سنة، وكان زوجها ابن عمها مسافع بن صفوان قبل أن يسلم، وقد أسلم أبوها كذلك، وكان سيّداً مطاعاً. وتوفيت سنة خمسين. انظر: سير أعلام النبلاء، ٢/ ٢٦١، برقم ٣٩.

(٤) مسلم، برقم ٢٧٢٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

النقائص، ثم استعمل في مواضع تقرب منه اتساعاً...، فمعنى سبحان الله: تنزيه الله^(١).

٢- قوله: «وبحمده»: قال القاضي عياض رحمته الله: «وبحمدك: سبحتك، ومعنى هذا: أي بفضلك، وهدايتك لذلك، التي توجب حمدك سبحتك، واستعملتني لذلك، لا بحولي، وقوتي»^(٢)، قال الإمام ابن القيم رحمته الله: نَزَّهَ اللهُ «عما يصفه به الواصفون، وسَلَّمَ على المرسلين لسلامة ما وصفوه به من كل نقص وعيب، وحمد نفسه؛ إذ هو الموصوف بصفات الكمال التي يستحق لأجلها الحمد، ومنزه عن كل نقص ينافي كمال حمده»^(٣).

٣- قوله: «عدد خلقه»: قال الطيبي رحمته الله: «أي: سبحته تسبيحاً يساوي خلقه عند التعداد، وزنة عرشه، ومداد كلماته في المقدار، ويوجب رضا نفسه، أو يكون ما يرتضيه لنفسه، (عدد خلقه): منصوب على المصدر، أي: أعدُّ تسبيحه، وتحميده بعدد خلقه»^(٤). والمعنى: أن الله مستحق للتسبيح والحمد بعدد ما خلق في السموات، والأرض، وما بينهما، وليس المراد أن العبد يسبح ربه بهذا القدر؛ لأن فعل العبد محصور، ولا يقدر على ذلك^(٥).

٤- قوله: «ورضا نفسه»: أي: حتى يرضى ربنا؛ لأن التسبيح والتحميد من الأمور التي يحبها الله ويرضاها، فله الحمد حتى يرضى وله الحمد بعد الرضا، قال القرطبي رحمته الله: «يعني أن رضاه عمن رضي عنه من النبيين والصالحين لا ينقطع، ولا ينقضي، وإنما ذكر النبي ﷺ هذه الأمور على جهة الإغناء، والكثرة التي لا تنحصر، متبهاً على أن الذاكر بهذه الكلمات ينبغي له أن يكون بحيث لو

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٣٣٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ٦، من مفردات حديث المتن رقم ٢.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٢/ ٣٩٩.

(٣) جلاء الأفهام لابن القيم، ص: ١٧٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من مفردات حديث المتن رقم ٩١.

(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٢٢.

(٥) انظر فقه الأدعية والأذكار للشيخ/ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر. القسم الثالث.

تمكن من تسبيح الله، وتحميده، وتعظيمه، عدداً لا يتناهى، ولا ينحصر لفعل ذلك، فحصل له من الثواب ما لا يدخل في حساب»^(١).

٥- قوله: «وزنة عرشه»: أي: لله الحمد والتسبيح بما يوازن العرش الذي هو أعظم المخلوقات^(٢)، ويفهم من ذلك أن التضعيف الأول للعدد والكمية، والثاني للصفة والكيفية، والثالث للعظم والثقل وكبر المقدار^(٣)، قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «لا يعلم ثقلها إلا الله ﷻ، لأن العرش أكبر المخلوقات التي نعلمها، فإن النبي ﷺ يروى عنه أنه قال: «إن السموات السبع والأرضين السبع في الكرسي كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض، وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على هذه الحلقة» إذاً فهو مخلوق عظيم، لا يعلم قدره إلا الله ﷻ»^(٤).

٦- قوله: «ومداد كلماته»: المداد هو الحبر الذي يكتب به، وكلمات الله لا حصر لها، ولا نهاية^(٥).

٧- قوله: «بكرة»: أي: أول النهار ومن ذلك قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾^(٦)، وكان خروجه ﷺ لصلاة الصبح، قال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ اللهُ: «البكرة التي هي أول النهار، فاشتق من لفظه لفظ الفعل، ف قيل: بكر فلان بكوراً: إذا خرج بكراً، والبكور: المبالغ في البكرة»^(٧).

٨- قوله: «وهي في مسجدتها»: أي موضع صلاتها في بيتها، قال الطيبي

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٥٣ / ٧.

(٢) راجع الكلام عن العرش في تفسير آية الكرسي الحديث (٧١) من أحاديث المتن.

(٣) انظر فقه الأدعية والأذكار للشيخ/ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر. القسم الثالث.

(٤) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، شرح الحديث رقم (١٤٣٤).

(٥) انظر: المنار المتيف لابن القيم، ص ٣٥.

(٦) سورة غافر، الآية: ٥٥.

(٧) مفردات ألفاظ القرآن، ١ / ١١٠.

رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: موضع سجودها للصلاة»^(١).

٩- قوله: «بعد أن أضحى»: أي: بعد دخول وقت الضحى، قال الطيبي

رَحِمَهُ اللَّهُ: «بعد أن أضحى، أي: دخل في الضحى»^(٢).

١٠- قوله: «قلت بعدك»: أي: بعد أن خرجت من عندك للصلاة، قال

القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَي: بَعْدَ أَنْ خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِكَ»^(٣).

١١- قوله: «أربع كلمات»: أي: من الذكر، قال القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «نَضْبُهُ عَلَى

الْمُضَدِّرِ أَي: تَكَلَّمْتُ بَعْدَ مُفَارَقَتِكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ»^(٤).

١٢- قوله: «لوزنتهن»: أي: لساوتهن وقد يكون المعنى هو الرجحان كقول

القائل حاجبته فحججته أي: غلبته بالحجة، قال القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَي: لَتَرَجَّحَتْ

تِلْكَ الْكَلِمَاتُ عَلَى جَمِيعِ أَذْكَارِكَ، وَزَادَتْ عَلَيْهِنَ فِي الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ، يُقَالُ وَازَنَهُ

فَوَزَنَهُ: إِذَا غَلَبَ عَلَيْهِ، وَزَادَ فِي الْوِزْنِ، كَمَا يُقَالُ: حَاجَبْتُهُ فَحَجَبْتُهُ، أَوْ

لَسَاوْتُهُنَّ، يُقَالُ: هَذَا يَزُنُ دَرَهْمًا، أَوْ يُسَاوِيهِ... أَي: سَاوَتْهُنَّ، أَوْ غَلَبَتْهُنَّ، وَالضَّمِيرُ

رَاجِعٌ إِلَى مَا يَقْتَضِيهِ الْمَعْنَى، لَا إِلَى لَفْظَةِ (مَا) فِي قَوْلِهِ (مَا قُلْتُ) وَفِيهِ تَبْيِهُ عَلَى

أَنَّهَا كَلِمَاتٌ كَثِيرَةٌ الْمَعْنَى، لَوْ قُوبِلَتْ بِمَا قُلْتُ لَسَاوَتْهُنَّ»^(٥).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- ما كانت عليه جويرية عليها السلام، وكذا سائر أمهات المؤمنين - رضي الله

عنهن - من حسن التبعد لله تعالى، والإكثار من ذكره ﷻ.

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦ / ١٨٢٢.

(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦ / ١٨٢٢.

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤ / ١٥٩٥.

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤ / ١٥٩٥.

(٥) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤ / ١٥٩٥.

٢- الإرشاد النبوي الكريم بتعليم زوجته ما أتاه الله من جوامع الكلم.

٣- من الذكر ما هو قليل في كلماته، ولكنه عظيم المعنى، ويترتب عليه الفضل الكبير.

٤- اتخاذ المرأة مكاناً للصلاة في بيتها أمر مشروع، وذلك شامل للفرض والنفل، وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في المسجد؛ لقول النبي ﷺ: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وبيوتهن خير لهن وليخرجن تفلات»^(١) وهذا الخروج مشروط بأمن الفتنة وعدم التعطر وهو معنى تفلات، ولبس اللباس الشرعي، وكذا قوله: «خير مساجد النساء قعر بيوتهن»^(٢).

٥- أهمية معرفة العبد بمعاني هذه الكلمات، وأنه بحسب ما يقوم به العبد من تأمل، وتدبر لهذه المعاني يكون صلاح قلبه، واستقامة جوارحه على الطاعة.

٦- قال الإمام ابن القيم رحمه الله في بيان فوائد هذا الحديث: «فإن ما يقوم بقلب الذاكر حين يقول: «سبحان الله وبحمده، عدد خلقه» من معرفته، وتنزيهه، وتعظيمه، من هذا القدر المذكور من العدد، أعظم مما يقوم بقلب القائل: سبحان الله فقط، وهذا يسمى الذكر المضاعف، وهو أعظم ثناء من الذكر المفرد؛ فلهذا كان أفضل منه، وهذا إنما يظهر في معرفة هذا الذكر، وفهمه؛ فإن قول المسبح: سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، يتضمن إنشاءً، وإخباراً عما يستحقه الرب من التسبيح، عدد كل مخلوق كان، أو هو كائن إلى ما لا نهاية له، فتضمن الإخبار عن تنزيهه الرب، وتعظيمه، والثناء عليه هذا العدد العظيم الذي لا يبلغه العادون، ولا يحصيه المحصون، وتضمن إنشاء العبد لتسبيح هذا شأنه، لا أن ما أتى به العبد من التسبيح هذا قدره، وعدده، بل أخبر أن ما يستحقه الرب ﷻ من

(١) تفلات: أي تاركات للطيب، يقال: رجل ثقل، وامرأة ثقلة، ومثقال. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ١٩٠.

(٢) أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما جاء في خروج النساء إلى المسجد، برقم ٥٦٥، وصححه الألباني في الإرواء، برقم ٥١٥.

(٣) مسند أحمد، ٤٤/ ١٦٤، برقم ٢٦٥٤٢، والمستدرک للحاکم، ١/ ٢٠٩، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٣٤١: «حسن لغيره».

التسبيح هو تسبيح يبلغ هذا العدد الذي لو كان في العدد ما يزيد لذكره؛ فإن تجدد المخلوقات لا ينتهي عدداً، ولا يحصى لحاضر، وكذلك قوله: «ورضا نفسه» فهو يتضمّن أمرين عظيمين: أحدهما: أن يكون المراد تسبيحاً هو والعظمة والجلال سيان، ولرضا نفسه، كما أنه في الأول مخبر عن تسبيح مساوٍ لعدد خلقه، ولا ريب أن رضا نفس الرب لا نهاية له في العظمة، والوصف، والتسبيح ثناء عليه سبحانه، يتضمن التعظيم والتتزيه؛ فإذا كانت أوصاف كماله، ونعوت جلاله لا نهاية لها، ولا غاية، بل هي أعظم من ذلك، وأجلّ، كان الثناء عليه بها كذلك؛ إذ هو تابع لها إخباراً، وإنشاءً، وهذا المعنى ينتظم المعنى الأول من غير عكس، وإذا كان إحسانه سبحانه، وثوابه، وبركته، وخيره، لا منتهى له، وهو من موجبات رضاه، وثمرته، فكيف بصفة الرضا..

وفي الأثر: «إذا باركت لم يكن لبركتي منتهى»^(١) فكيف بالصفة التي صدرت عنها البركة، والرضا يستلزم المحبة، والإحسان، والجود، والبر، والعفو، والصفح، والمغفرة، والخلق يستلزم: العلم، والقدرة، والإرادة، والحياة، وكل ذلك داخل في رضا نفسه، وصفة خلقه، وقوله: «وزنة عرشه» فيه إثبات للعرش، وإضافته إلى الرب ﷻ، وأنه أثقل المخلوقات على الإطلاق، إذ لو كان شيء أثقل منه، لوزن به التسبيح، وهذا يردّ على من يقول: إن العرش ليس بثقل، ولا خفيف، وهذا لم يعرف العرش، ولا قدره حق قدره.

فالتضعيف الأول للعدد، والكمية، والثاني للصفة، والكيفية، والثالث للعظم، والثقل، وليس للمقدار.

(١) أخرجه الإمام أحمد في الزهد، ١/ ١٣١، وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ٤/ ٤١، وكرر ذكره الإمام ابن القيم رحمه الله في: الداء والدواء، ص ٣٠، وفي الجواب الكافي، ص ٩، وقبله ابن الجوزي رحمه الله في ذم الهوى، ص ١٨٢.

٧- وقوله: «ومداد كلماته» هذا يعمّ الأقسام الثلاثة، ويشملها؛ فإن مداد كلماته ﷻ، لا نهاية لقدره، ولا لصفته، ولا لعدده، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾^(١)، وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٢)، ومعنى هذا أنه لو فرض البحر مداداً، وبعده سبعة أبحر تمده كلها مداداً، وجميع أشجار الأرض أقلاماً، وهو ما قام منها على ساق من النبات، والأشجار المثمرة وغير المثمرة، وتستمدّ بذلك المداد، لفنيت البحار، والأقلام، وكلمات الرب لا تنفى، ولا تنفد، فسبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته.

فأين هذا من وصف من يصفه بأنه ما تكلم، ولا يتكلم، ولا يقوم به كلام أصلاً، وقول من وصف كلامه بأنه معنى واحد، لا ينقضي، ولا يتجزأ؟^(٣).

٨- معتقد أهل السنة والجماعة أن الله يتكلم بكلام حقيقي متى شاء، وكيف شاء، وبما شاء أي من: أمر، أو نهى، أو غير ذلك، وأن هذا الكلام بحرف، وصوت لا يماثل أصوات المخلوقين:

أما الدليل على أن الله يتكلم بحرف فقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾^(٤) فهذه حروف.

وأما الدليل على أن الله يتكلم بصوت، فإن عيسى يسمع ما قاله الله، وأما الدليل على أن هذا الكلام لا يماثل أصوات المخلوقين، فقوله ﷻ: ﴿لَيْسَ

(١) سورة الكهف، الآية: ١٠٩.

(٢) سورة لقمان، الآية: ٢٧.

(٣) المنار المنيف، للإمام ابن قيم الجوزية رحمته: ص ٣٥.

(٤) سور المائدة، الآية: ١١٦.

كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»^(١)،^(٢).

وأما الدليل على أن الله قد تكلم، فقوله ﷻ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^(٣).

وأما الدليل على أن الله يتكلم متى شاء، فقول الرسول ﷺ: «إذا أراد الله أن يوحى بالأمر تكلم بالوحي»^(٤).

وأما الدليل على أن الله سيتكلم يوم القيامة، فقوله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾^(٥).

٩٥- (٢١) «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا

مُتَقَبَّلًا» (إذا أصبح)^(٦).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٢) انظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين، ١/ ٤١٩، ٤٢٠.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٦٤.

(٤) كتاب التوحيد، لابن خزيمة، ص ٢١٦، برقم ٢٠٦، والطبري، ٢٠/ ٣٩٧، وهو عند البخاري معلقاً موقوفاً، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾، قبل الحديث رقم ٧٤٨١، وهو بلفظ: «عَنْ ابْنِ مَشْغُودٍ: إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ شَيْئًا» وهو عند أبي داود مرفوعاً، كتاب السنة، باب في القرآن، برقم ٤٧٣٨، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٤٣٦.

(٥) سورة القصص، الآية: ٦٥.

(٦) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة، برقم ٥٤، وأحمد، ٤٤/ ١٤٠، برقم ٢٦٥٢١، وابن ماجه، كتاب الصلاة، باب ما يقال بعد التسليم، برقم ٩٢٥، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ٧٥٣، وحسن إسناده عبد القادر وشعيب الأرناؤوط في تحقيق زاد المعاد، ٢/ ٣٧٥، وتقدم برقم ٧٣، وضعفه محققو المسند، وقالوا في آخر تحقيقهم، لمسند أحمد، ٤٤/ ١٤٢: «وقد حسنه لشاهده الحافظ، كما في نتائج الأفكار، ٣١٣/ ٢».

٣٣١- عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها ^(١)، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ حِينَ يُسَلِّمُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا ، وَرِزْقًا طَيِّبًا ، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا» ^(٢).

ثانيًا : شرح مفردات الحديث وفوائده :

تقدمت المفردات والفوائد في شرح الحديث رقم (٧٣) من أحاديث المتن.

٩٦- (٢٢) «أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ» (مِائَةً مَرَّةً فِي الْيَوْمِ) ^(٣).

الشرح :

أولاً : لفظ الحديث :

٣٣٢- لفظ البخاري عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ^(٤) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً» ^(٥).

٣٣٣- ولفظ ابن ماجه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةً مَرَّةً» ^(٦).

٣٣٤- ولفظ الطبراني عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي

(١) تقدمت ترجمتها في الحديث ٦٨ من أحاديث الشرح.

(٢) أحمد، برقم ٢٦٦٠٦، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ٧٥٣، وتقدم تخريجه في متن الحديث.

(٣) البخاري، كتاب الدعوات، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة، برقم ٦٣٠٧، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، برقم ٢٧٠٢، وانظر: سنن ابن ماجه، كتاب الأدب، باب الاستغفار، برقم ٣٨١٥، وصححه الأرناؤوط محقق سنن ابن ماجه، ٧١٩/٤، والألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ٣٨٠٥.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٥) البخاري، برقم ٦٣٠٧، وتقدم تخريجه في متن الحديث.

(٦) سنن ابن ماجه، برقم ٣٨١٥، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ٣٨٠٥، وتقدم تخريجه في متن الحديث.

- لَاَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ، مِائَةَ مَرَّةٍ»^(١).
- ٣٣٥- ولفظ مسلم: عَنِ الْأَعْرَ الْمَزْنِيِّ رضي الله عنه^(٢)، وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّهُ لَيَغَانُ»^(٣) عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ»^(٤).
- ٣٣٦- ولفظ لمسلم عَنْ أَبِي بُزْدَةَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ الْأَعْرَ^(٥)، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، يُحَدِّثُ ابْنَ عَمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ»^(٦).
- ٣٣٧- وفي لفظ للطبراني عَنْ أَبِي بُزْدَةَ رضي الله عنه، قَالَ: جَلَسْتُ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ وَاسْتَغْفِرُوا، فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ»^(٧).
- ٣٣٨- وعند النسائي في السنن الكبرى عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه^(٨) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ»^(٩).
- ٣٣٩- وعند أحمد عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ رَجُلًا ذَرَبَ اللِّسَانَ عَلَى

(١) المعجم الكبير للطبراني، ١٩/ ٥٠، برقم ١٢٥، والمعجم الصغير للطبراني، ١/ ١٥١.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢١ من أحاديث الشرح.

(٣) الغَيْن: الغَيْم، وَغِيْنَتِ السَّمَاءُ ثَغَانٌ: إِذَا أَطْبَقَ عَلَيْهَا الْغَيْمُ، وَقِيلَ: الْغَيْنُ: شَجَرٌ مُلْتَفٌّ. أَرَادَ مَا يَغْشَاهُ مِنَ السَّهْوِ الَّذِي لَا يَخْلُو مِنْهُ الْبَشَرُ؛ لِأَنَّ قَلْبَهُ أَبَدًا كَانَ مَشْغُولًا بِاللَّهِ تَعَالَى؛ فَإِنْ عَرَضَ لَهُ وَقْتُ مَا عَارِضَ بَشَرِي يَشْغَلُهُ مِنْ أُمُورِ الْأُمَّةِ، وَالْجَلَّةِ، وَمَصَالِحِهِمَا، عَدَّ ذَلِكَ ذَنْبًا وَتَقْصِيرًا، فَيَفْزَعُ إِلَى الْإِسْتِغْفَارِ. النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ، ٣/ ٤٠٢، مادة (غين).

(٤) مسلم، برقم ٤١- (٢٧٠٢)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢١ من أحاديث الشرح.

(٦) مسلم، برقم ٤٢- (٢٧٠٢)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٧) المعجم الكبير، ١/ ٣٠١، برقم ٨٨٨، والدعاء للطبراني أيضاً، ص ٥١٤، برقم ١٨٣١، ورقم ١٨٣٢.

(٨) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١ من أحاديث الشرح.

(٩) النسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، كم يستغفر في اليوم ويتوب، برقم ١٠٢٧٤، وذكر الحافظ ابن حجر في فتح الباري، ١١/ ١٠١ بهذا اللفظ رواية عن أبي سلمة رضي الله عنه، وعزاه إلى النسائي أيضاً.

أَهْلِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ خَشِيتُ أَنْ يُدْخِلَنِي لِسَانِي النَّارَ، قَالَ: «فَأَيْنَ أَنْتَ مِنَ الْإِسْتِغْفَارِ؟ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ»، قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: فَذَكَرْتُهُ لِأَبِي بُرْدَةَ فَقَالَ: «وَأَتُوبُ إِلَيْهِ»^(١).

٣٤٠- وعند النسائي في السنن الكبرى عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه^(٢) قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: أَخْرَفَنِي لِسَانِي، وَذَكَرَ مِنْ ذَرَابَتِهِ عَلَى أَهْلِهِ، قَالَ: «فَأَيْنَ أَنْتَ مِنَ الْإِسْتِغْفَارِ؟ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ»^(٣).

٣٤١- وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما^(٤)، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ يَقُولُ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ» مِائَةَ مَرَّةٍ^(٥).

٣٤٢- وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما^(٦)، قَالَ: إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»^(٧).

٣٤٣- وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما^(٨) أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، فِي الْمَجْلِسِ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِئَةَ مَرَّةٍ»^(٩).

(١) مسند أحمد، ٣٨ / ٣٨٩، برقم ٢٣٣٧١، وصححه لغيره محققو المسند، ٣٨ / ٣٩٠.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٦ من أحاديث الشرح.

(٣) النسائي في الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، كيف الاستغفار، برقم ١٠٢٨٥، و١٠٢٨٦.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٣ من أحاديث الشرح.

(٥) مسند أحمد، ٨ / ٣٥٠، برقم ٤٧٢٦، وابن أبي شيبة ٦ / ٥٧، برقم ٢٩٣٤٣، والبخاري في الأدب المفرد، ص ٢١٧، برقم ٦١٨، ، والترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا قام من المجلس، برقم ٣٤٣٤، والنسائي في الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، كيف الاستغفار، برقم ١٠٢٩٢، وصححه محققو المسند، ٨ / ٣٥٠، والألباني في صحيح الجامع، برقم ٣٤٨٦.

(٦) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٣ من أحاديث الشرح.

(٧) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، برقم ١٥١٦، وابن ماجه، كتاب الأدب، باب الاستغفار، برقم ٣٨١٤، والأدب المفرد للبخاري، ص ٢١٧، برقم ٦١٨، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، ص ٢٤١، برقم ٤٨٢.

(٨) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٢ من أحاديث الشرح.

(٩) قال الحافظ ابن حجر رحمته الله في فتح الباري، ١١ / ١٠١: «أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ مِنْ طَرِيقِ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «أستغفر الله»: الاستغفار هو طلب المغفرة، وهي الصفح عن الذنب، وتبديله، قال ابن رجب الحنبلي رحمته الله: «معناه: أطلب مغفرتَهُ، فهو كقوله اللهم اغفر لي، فالاستغفار التأم الموجب للمغفرة: هو ما قارنَ عدم الإصرار...، وإن قال بلسانه: أستغفر الله، وهو غير مقلع بقلبه، فهو داع لله بالمغفرة، كما يقول: اللهم اغفر لي، وهو حسن، وقد يُرجى له الإجابة»^(١).

٢- قوله: «وأَتُوبُ إليه» أي: أحقق التوبة بشروطها الخمسة، وهي:

أ - الندم على فعل المعصية.

ب - الإقلاع عنها.

ج - العزم على عدم العودة إليها.

د - الإخلاص في التوبة.

هـ - أن تكون في زمن التوبة أي: قبل الموت^(٢).

و- وأن ترد الحقوق إلى أهلها، أو طلب العفو منهم، ويرى الإمام ابن قدامة رحمته الله: أن مظالم العباد تكفر، فإن غصب الأموال تكفر بالتصدق بماله الحلال، ويكفر تناول أعراضهم بالثناء على أهل الدين، ويكفر قتل النفوس بالعتق، هذا فيما يتعلق بحق الله تعالى، فإذا فعل ذلك، لم يكفه حتى يخرج من مظالم العباد، فإذا قتل خطأ، أوصل الدية إلى مستحقيها، إما منه أو من عاقلته، وإن قتل عمدًا، وجب عليه القصاص بشروطه، فعليه أن يبذل نفسه لولي الدم، إن شاء قتله، وإن شاء عفا عنه، وإن زنا، أو سرق، أو شرب

عَمَرَ رحمته الله «قلت: ولم أجده في السنن الكبرى المطبوعة، فلعله في نسخة أخرى عند ابن حجر رحمته الله.

(١) تفسير ابن رجب الحنبلي، ١/ ١٥٢، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ٦٦.

(٢) يأتي بيان ذلك في أواخر هذا الكتاب، في الحديث رقم ٢٤٨ من أحاديث المتن، وما بعده إن شاء الله.

الخمر، أو باشر ما يجب فيه حدُّ الله تعالى؛ فإنه يستر نفسه، فإن رفع أمره إلى الوالي حتى أقام عليه الحدَّ خالف الأولى، وكان كفارة له، ولكن الأفضل أن يستتر بستر الله مع التوبة النصوح، وأما المظالم المتعلقة بالأموال، نحو الغصب، والخيانة، والتلبس في المعاملات، فيجب عليه رد ذلك إلى أصحابه، والخروج منه، وليؤدِّ إليهم حقوقهم، ويستحلهم، فإن كثر ظلمه بحيث لا يقدر على أدائه، فليفعل ما يقدر عليه من ذلك، ويستكثر من الحسنات، لتؤخذ منه في القصاص يوم القيامة، فتوضع في موازين أرباب المظالم، فإنها إن تفي بذلك أخذ من سيئاتهم، فتوضع فوق سيئاته، وإن كان عنده أموال من شي من ذلك لم يعرف مالكة، ولا ورثته، تصدق به عنه، وإن اختلط الحلال بالحرام، عرف قدر الحرام بالاجتهاد، وتصدق بمقداره، وإذا كانت الجناية على الأعراض، وإيذاء القلوب، فعليه أن يطلب كل واحد منهم، وليستحله، وليعرفه قدر الجناية، فإن الاستحلال المبهم لا يكفي، وربما لو عرف ذلك لم تطب نفسه بالإحلال، إلا أن تكون تلك الجناية إذا ذكرت كثر الأذى، كنسبته إلى عيب من خفايا عيوبه، أو كزنى بجارته، فليجتهد في اللطف به، والإحسان إليه، ثم ليستحله مبهماً، ولا بد أن يبقى في مثل ذلك مظلمة تجبر بالحسنات يوم القيامة، وكذلك من مات من هؤلاء؛ فإنه يفوت أمره، ولا يتدارك إلا بكثير الحسنات، لتؤخذ منه عوضاً يوم القيامة، ولا خلاص إلا برجحان الحسنات^(١).

٣- قوله: «(في اليوم مائة مرة)»: أي: من نوى المائة قالها؛ فيكون بذلك ذكراً مقيداً، والحكمة في تحديد المائة يعلمها الله تعالى وحده^(٢).

(١) انظر: فتح الباري، لابن حجر، ١١/ ١٠٠.

(٢) تقدم في شرح المفردة رقم ٣ من مفردات حديث المتن رقم ٩١.

٤- قوله: «أكثر من سبعين مرة»: جاء تفسير قوله: «أكثر» في رواية مسلم بأن ذلك مائة مرة^(١). قال القاضي عياض رحمته الله: «وهذا الحصر لهذه الأذكار لا دليل على أنها غاية، وحدٌ لهذه الأجور»^(٢).

٥- قوله: «إنه ليغان على قلبي»: قال ابن الأثير رحمته الله، أي: ليغشى ويغشى، والمراد به: السهو؛ لأنه كان عليه السلام لا يزال في مزيد من الذكر والقربة ودوام المراقبة، فإذا سها عن شيء منها في بعض الأوقات، أو نسي، عدّه ذنباً على نفسه، ففرغ إلى الاستغفار^(٣).

٦- وقع الإشكال من وقوع الاستغفار والتوبة من النبي عليه السلام، وهو معصوم؛ لأن هذا دليل على وقوع الذنب، وهذا لا إشكال فيه؛ لأنه قال ذلك على سبيل التواضع، وتعليم الأمر، ثم إن هذا هو هدي الأنبياء من قبله، ألم يقل إبراهيم: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(٤)، وهذا كليم الله موسى عليه السلام لما أفاق قال: ﴿سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «وقد ذكر الفقهاء والمفسرون وجوهاً عديدة في استغفاره عليه السلام منها: أنه يراد به ما كان من سهو أو غفلة، أو أنه لم يكن عن ذنب، وإنما كان لتعليم أمته، ورأي السبكي: أن استغفار النبي عليه السلام لا يحتمل إلا وجهاً واحداً، وهو: تشريفه من غير أن يكون ذنب؛ لأنه عليه السلام لا ينطق عن الهوى، وقد ثبت «أنه عليه السلام كان يستغفر في اليوم الواحد سبعين مرة، ومائة مرة»، بل كان أصحابه

(١) انظر: مختصر منهاج القاصدين، ص ١٤.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٨ / ١٩١.

(٣) انظر: جامع الأصول، ٤ / ٣٨٦.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٢٨.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

يعدّون له في المجلس الواحد قبل أن يقوم: «رب اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التّوّاب الغفور مائة مرّة»^(١)»^(٢).

وقال في موضع آخر: وَإِذَا عُرِفَ أَنَّ الْإِغْتِبَارَ بِكَمَالِ النَّهَايَةِ، وَهَذَا الْكَمَالُ إِنَّمَا يَحْصُلُ بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، وَلَا بُدَّ لِكُلِّ عَبْدٍ مِنَ التَّوْبَةِ وَهِيَ وَاجِبَةٌ عَلَى الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وكثير من النصوص فيها استغفار النبي ﷺ، وَنُصُوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فِي هَذَا الْبَابِ كَثِيرَةٌ مُتَطَاهِرَةٌ وَالْآثَارُ فِي ذَلِكَ عَنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَعُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ كَثِيرَةٌ. لَكِنَّ الْمُنَازِعُونَ يَتَأَوَّلُونَ هَذِهِ النُّصُوصَ مِنْ جَنَسِ تَأْوِيلَاتِ الْجَهْمِيَّةِ وَالْبَاطِنِيَّةِ كَمَا فَعَلَ ذَلِكَ مَنْ صَنَّفَ فِي هَذَا الْبَابِ، وَهِيَ مَعْلُومَةُ الْبُطْلَانِ كَذِبِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ إِلَى الْأَرْضِ، وَآدَمُ عِنْدَهُمْ مِنْ جُمْلَةِ مَوَارِدِ النَّزَاعِ، وَلَا يَخْتَاجُ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ ذَنْبُهُ عِنْدَ الْمُنَازِعِ فَإِنَّهُ نَبِيٌّ أَيْضًا، وَمَنْ قَالَ: إِنَّهُ لَمْ يَصُدِّرْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ذَنْبٌ يَقُولُ ذَلِكَ عَنْ آدَمَ وَمُحَمَّدٍ وَغَيْرِهِمَا، وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَجْعَلُ الذَّنْبَ ذَنْبًا لِمَنْ لَمْ يَفْعَلْهُ، فَمِنْ الْمُتَمَنِّعِ أَنْ يُضَافَ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ ذَنْبُ آدَمَ ﷺ أَوْ أُمَّتِهِ أَوْ غَيْرِهِمَا، وَلَوْ جَازَ هَذَا لَجَازَ أَنْ يُضَافَ إِلَى مُحَمَّدٍ ذُنُوبُ الْأَنْبِيَاءِ كُلِّهِمْ، وَحِينَئِذٍ فَلَا يَخْتَصُّ آدَمُ بِإِضَافَةِ ذَنْبِهِ إِلَى مُحَمَّدٍ، بَلْ تُجْعَلُ ذُنُوبُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ عَلَى قَوْلِ هَؤُلَاءِ ذُنُوبًا لَهُ، فَإِنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَغْفِرْ ذُنُوبَ جَمِيعِ الْأُمَمِ، قِيلَ: وَهُوَ أَيْضًا لَمْ يَغْفِرْ ذُنُوبَ جَمِيعِ أُمَّتِهِ، وَقَدْ مَيَّزَ بَيْنَ ذَنْبِهِ وَذُنُوبِ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾^(٣)، فَكَيْفَ يَكُونُ ذَنْبُ الْمُؤْمِنِينَ

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الوتر، باب في الاستغفار، برقم ١٥١٦، وابن ماجه، كتاب الأدب، باب فضل التسييح، برقم ٣٨١٤، والترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا قام من المجلس، برقم ٣٤٣٤، ومسنّد أحمد، ٨/ ٣٥٠، برقم ٤٧٢٦، وعند أبي داود، «الرحيم» بدل «الغفور» وصححه إسناده محقق المسند، ٨/ ٣٥٠، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٣٤٨٦.

(٢) أسباب رفع العقوبة لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص: ٤)

(٣) سورة محمد، الآية: ١٩.

ذَنْبًا لَهُ؟ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الرَّسُولَ وَالْمُؤْمِنِينَ عَلِمُوا أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾^(١) مُخْتَصَّ بِهِ دُونَ أُمَّتِهِ^(٢).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- جواز الحلف من غير استحلاف، وهذا يكون لبيان حقيقة الأمر وأهميته.
- ٢- حض الأمة على الإكثار من التوبة، والإنابة إلى الله تعالى؛ لأن العبد لا ينفك: إما عن وقوع في ذنب، أو تقصير في طاعة.
- ٣- التوبة من الذنوب واجبة على الفور لأمر النبي ﷺ بها؛ حيث قال: «يا أيها الناس توبوا إلى الله»^(٣)، وفي ذلك فائدتان:
- أ - الامتثال لأمر الله حيث قال: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٤).

ب - الاقتداء بالرسول ﷺ في ذلك الأمر^(٥)، حيث كان يعلم الناس بالقول والفعل.

٤ - تكفير الذنوب على قسمين:

- أ - المحو لقوله عليه الصلاة والسلام: «وَاتَّبِعِ السَّيْئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحَّهَا»^(٦)، وهذا مقام العفو.
- ب - التبديل ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٧)، وهذا هو مقام المغفرة، ومن تأمل المقامين وجد فرقاً لطيفاً؛

(١) سورة الفتح، الآية: ٢.

(٢) انظر: الفتاوى الكبرى، ٥ / ٢٧١.

(٣) مسلم، برقم ٤٢ - (٢٧٠٢)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) سورة النور، الآية: ٣١.

(٥) انظر: شرح رياض الصالحين لابن عثيمين، شرح الحديث رقم ١٤.

(٦) الترمذي، كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في معاشرته الناس، برقم ١٩٨٧،

وصححه الألباني في المشكاة، برقم ٥٠٨٣.

(٧) سورة الفرقان، الآية: ٧٠.

لأن المغفرة فيها زيادة إحسان، وتفضل على العفو، وكلاهما خير وبشرى^(١).

٩٧- (٢٣) «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ» (ثلاث

مَرَّاتٍ إِذَا أَمْسَى)^(٢).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٤٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه^(٣)، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُمَسِّي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ حُمَةٌ تِلْكَ اللَّيْلَةَ». قَالَ سَهِيلٌ^(٤): فَكَانَ أَهْلُنَا تَعَلَّمُوهَا فَكَانُوا يَقُولُونَهَا كُلَّ لَيْلَةٍ فَلَدَغَتْ جَارِيَةٌ مِنْهُمْ، فَلَمْ تَجِدْ لَهَا وَجَعًا^(٥).

٣٤٥- وجاء عند مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه^(٦): أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَقِيتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغْتَنِي الْبَارِحَةَ! فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم: «أَمَا لَوْ قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ تَضُرَّكَ»^(٧).

(١) انظر: بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، لسليم الهلالي، حديث، رقم ١٣.
(٢) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب في الاستعاذة، برقم ٣٦٠٤، وأحمد، ٢٧٤ / ١٣، برقم ٧٨٩٨، والنسائي في الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقول إذا نزل منزلاً، برقم ١٠٣٩٤، وابن السني، برقم ٦٨، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١٨٧ / ٣، وصحيح ابن ماجه، ٢٦٦ / ٢، وحسنه الإمام ابن باز رحمته الله في تحفة الأخيار، ص ٤٥، وقال عنه محققو المسند، ٢٧٤ / ١٣: «إسناده صحيح على شرط مسلم».

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث ٣ من أحاديث الشرح.

(٤) وهو سهيل بن أبي صالح: ذكوان السمان: صدوق تغير حفظه بأخرة، أحد رواة الحديث، روى له البخاري مقروناً وتعليقاً، كما روى له الجماعة، من السادسة، مات في خلافة المنصور. انظر: تقريب التهذيب، ١٨٥ / ٢.

(٥) الترمذي، برقم ٣٦٠٤، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١٨٧ / ٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٦) تقدمت ترجمته في الحديث ٣ من أحاديث الشرح.

(٧) مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، برقم ٢٧٠٩.

٣٤٦- عَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمِ السَّلَمِيَّةِ^(١)، أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «إِذَا نَزَلَ أَحَدُكُمْ مَنْزِلًا، فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ الثَّامَاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْهُ»^(٢).

ثانيًا: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «أعوذ»: أي: ألتجئ، وأتحصن، وأعتصم، وأستجير، والعوذ: الالتجاء إلى الغير، والتعلق به، يقال: عاذ فلان بفلان، ... وأعدته بالله أعيده، أي: ألتجئ إليه، وأستنصر به أن أفعل ذلك^(٣)، وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «أعوذ: أي: ألجأ، وألوذ، وأعتصم»^(٤).

٢- قوله: «بكلمات الله»: هي القرآن الكريم، وقيل: هي كلماته الكونية القدريّة، الكاملة الشاملة الفاضلة، وهي أسماء الله الحسنى، وكتبه المنزلة؛ لأن الكلمات ههنا محمولة على أسماء الله الحسنى، وكتبه المنزلة؛ لأن الاستعاذة إنما تكون بها^(٥)، وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «وكلمات الله التامات تشمل كلماته الكونية والشرعية، فأما الكونية فهي التي ذكرها الله في قوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾»^(٦)، فيحميك الله تعالى

(١) خولة بنت حكيم السلمية رَحِمَهُ اللهُ: تكنى بأم شريك، وهي امرأة عثمان بن مظعون رَحِمَهُ اللهُ، وهي من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ البخاري، برقم ٥١١٣ وهي من السابقات إلى الإسلام، وقد روت عن النبي ﷺ خمسة عشر حديثًا. انظر: أسد الغابة، ٧/ ١٠٤، والاستيعاب، ٤/ ١٨٣٠.

(٢) مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، برقم ٢٧٠٨، وسيأتي في متن هذا الكتاب برقم (٢١٦).

(٣) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ٢/ ١٣٦.

(٤) تفسير السعدي، ص ٩٣٧.

(٥) مرقاة المفاتيح، ١/ ٤٠٢.

(٦) مرقاة المفاتيح، ٢/ ٢٦٦.

(٧) سورة يس، الآية: ٨٢.

بكلماته الكونية، يدفع عنك ما يضرّك إذا قلت هذا الكلام، كذلك الكلمات الشرعية، وهي الوحي، فيها وقاية من كل سوء، وشر: وقاية من الشر قبل نزوله، [وبعد نزوله]، أما قبل نزوله، فقد ثبت عن النبي ﷺ أن من قرأ آية الكرسي في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح^(١)، وأما بعد نزول الأثر فقد ثبت عنه ﷺ أن الفاتحة إذا قرئ بها على المريض؛ فإنه يبرأ بها، حتى إن الصحابي رضي الله عنه لما قرأ الفاتحة على سيد القوم الذي لدغ، قام كأنما نشط من عقال، يعني: برأ حاله لأن القرآن شفاء ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢)، فاحرص يا أخي المسلم إذا نزلت منزلاً في بر، أو بحر، أو منزلاً اشتهيته للنوم، وما أشبه ذلك، فقل: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق؛ فإنه لا يضرّك شيء حتى ترتحل من منزلك ذلك، والله الموفق^(٣).

٣- قوله: «التامات»: صفة لكلام الله، أي: الكاملات التي لا يطرأ عليها نقص، ولا عيب، ووصفها بالتامة لخلوها عن النواقص، والعوارض، بخلاف كلمات الناس؛ فإنهم متفاوتون في كلامهم على حسب تفاوتهم في العلم، واللهجة، وأساليب القول...، وكلمات الله تعالى متعالية عن هذه القوادح، فهي لا يسعها نقص، ولا يعترىها اختلال، واحتج الإمام أحمد بها على القائلين بخلق القرآن، فقال: لو كانت كلمات الله مخلوقة، لم يُعَذَّبْ بها الله؛ إذ لا يجوز الاستعاذة بمخلوق^(٤).

٤- قوله: «من شر ما خلق» أي: من كل مخلوق يأتي بشر من: جن، أو إنس،

(١) انظر: صحيح البخاري، برقم ٢٣١١، وسيأتي تخريجه مفصلاً في تخريج حديث المتن رقم ١٠٠.

(٢) سورة هود، الآية: ٥٧.

(٣) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩٨٣.

(٤) مرقاة المفاتيح، ٢/ ٢٦٦.

أو دابة، أو ريح، أو بلاء، أو داء، أو غير ذلك، من مخلوقات الله ﷻ، قال الشيخ البعلبي: «فَأَمَرَهُ أَنْ يَسْتَعِيدَ بِهِ مِنَ الشَّرِّ الَّذِي فِي الْمَخْلُوقِ، فَهُوَ الَّذِي يُعِيدُ مِنْهُ، وَيُنْجِي مِنْهُ، وَإِذَا أَخْلَى الْعَبْدُ قَلْبَهُ مِنْ مَحَبَّتِهِ وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَطَلَبَ مَرْضَاتِهِ، وَأَخْلَى لِسَانَهُ مِنْ ذِكْرِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، وَجَوَارِحَهُ مِنْ شُكْرِهِ وَطَاعَتِهِ، فَلَمْ يَرُدْ مِنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ، وَنَسِيَ رَبَّهُ، لَمْ يَرِدِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يُعِيدَهُ مِنْ ذَلِكَ، وَنَسِيَهُ كَمَا نَسِيَهُ، وَقَطَعَ الْإِمْدَادَ الْوَاصِلَ إِلَيْهِ مِنْهُ كَمَا قَطَعَ الْعَبْدُ الْعُبُودِيَّةَ وَالشُّكْرَ وَالتَّقْوَى الَّتِي تَنَالُهُ مِنْ عِبَادِهِ، ... فَالَّذِي إِلَى الرَّبِّ وَيَدَيْهِ، وَمِنْهُ، هُوَ الْخَيْرُ، وَالشَّرُّ كَانَ مِنْهُمْ مَضْرُورُهُ، وَإِلَيْهِمْ كَانَ مُنْتَهَاهُ، فَمِنْهُمْ ابْتَدَأَتْ أَسْبَابُهُ بِخِذْلَانِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُمْ تَارَةً، وَبِعُقُوبَتِهِ لَهُمْ بِهِ تَارَةً، وَإِلَيْهِمْ انْتَهَتْ غَايَتُهُ وَوُقُوعُهُ، فَتَأَمَّلْ هَذَا الْمَوْضِعَ»^(١).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- مشروعية قول هذا الذكر والاجتهاد في إمراره على القلب، مع تحقق اليقين في صدق من جاء به، وأنه لا ينطق عن الهوى ﷻ.
- ٢- الذكر مع العبد بمنزلة السلاح، والسلاح بضاربه، فقد يكون السلاح مع عبد، ولكنه لا يحسن استخدامه، فلا تتحقق من ذلك مصلحة.
- ٣- ما كان عليه السلف الصالح من قوة اليقين، وصدق التوكل.
- ٤- الاستعاذة بكلام الله دليل على أنه صفة من صفاته، وأن كلام الله ليس بمخلوق، وأنه منه بدأ، وإليه يعود، وهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة.
- ٥- دل الحديث على أن كلمات الله تامة، وقد جاء في القرآن بيان ذلك في قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٢)، فوصف الله هذه الكلمات بوصفين: بالصدق في الأخبار،

(١) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة، ص ٢٥٩.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١١٥.

والعدل في الأحكام، فلا مغير لها بزيادة ولا نقصان، ولا تقديم ولا تأخير.

٦- يقال هذا الدعاء عند نزول الإنسان منزلاً في سفر أو حضر؛ لقول الرسول

ﷺ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ»^(١).

وسمعت شيخنا ابن باز رحمه الله يذكر أنه يدخل في المنازل: الطائرات، والسيارات، والقطارات؛ لأنها منازل متحركة، يأكل فيها الإنسان، ويشرب، ويقضي حاجته.



٩٨- (٢٤) «اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ» (عشر مرّات)^(٢).

(١) مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، برقم ٢٧٠٨، وسيأتي في متن هذا الكتاب برقم (٢١٦).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في الصلاة على النبي ﷺ، برقم ٦١، وذكره عدد من المحدثين، وأشاروا إلى مخرجه الطبراني، ولم أجده في معاجم الطبراني الثلاثة ولا في غيرها، وقد ذكر محقق المعجم الكبير أن فيه جزأين مفقودان، وقد ذكره الإمام ابن القيم في جلاء الأفهام، ص: ٤١٨ بإسناده كاملاً، فقال: «قال الطبراني: حدثنا حفص بن عمر الصباح، حدثنا يزيد بن عبد ربه الجرجسي، حدثنا بقية بن الوليد، حدثني إبراهيم بن محمد بن زياد الألهاني، قال: سمعت خالد بن معدان يحدث عن أبي الدرداء ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى علي حين يصبح عشراً وحين يمسي عشراً أدركته شفاعتي يوم القيامة». قال أبو موسى المدني: «رواه عن بقية غير واحد، ويزيد بن عبد ربه كان يسكن بحمص قرب كنيسة جرجس، فنسب إليها» وقال شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط محققاً جلاء الإفهام، ص ٤١٨ عن الإسناد الذي ساقه الإمام ابن القيم معزواً إلى الطبراني: «رواه ثقات» وقال المنذري في الترغيب والترهيب، ١/ ٢٦١: «رواه الطبراني بإسنادين أحدهما جيد» وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ١٠/ ١٢٠: «أخرجه الطبراني بإسنادين أحدهما جيد» وقال محقق جلاء الأفهام، طبعة مكتبة الباز، ص ٢٠٩: «إسناده صحيح، رواه الطبراني في الكبير، ١/ ١٥٨» وحسنه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٦٣٥٧، ثم ضعفه في سلسلة الأحاديث الضعيفة، برقم ٥٧٨٨، كما حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ٢٧٣ الطبعة القديمة، طبعة المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ، برقم ٦٥٩.

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٤٧- عن أبي الدرداء رضي الله عنه ^(١)، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ حِينَ يُضْبِحُ عَشْرًا، وَحِينَ يُمَسِّي عَشْرًا، أَدْرَكْتُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ^(٢).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

سبقت الإشارة إلى معنى الصلاة على النبي ﷺ في الحديثين الثالث والخمسين، والرابع والخمسين من متن هذا الكتاب ^(٣).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- إثبات الشفاعة، وقد تقدم بيان ذلك ^(٤).

٢- فضيلة الصلاة على الرسول الكريم ﷺ، وقد ذكر الإمام ابن القيم تسعاً وثلاثين فائدة، وثمره لمن أكثر من الصلاة والسلام على النبي ﷺ.

وسأذكر هذه الفضائل، والفوائد، والثمرات، ومواطن الصلاة على النبي ﷺ في شرح أحاديث فضل الصلاة على النبي ﷺ في آخر الكتاب في فوائد حديث المتن رقم ٢١٩ إن شاء الله تعالى، وقد بلغت مواطن الصلاة على النبي ﷺ أربعين موطناً، وبلغت الفوائد، والثمرات الحاصلة بالصلاة عليه ﷺ تسعاً وثلاثين فائدة كما ذكرها الإمام ابن القيم رحمته الله، وقد لخصتها كلها في فوائد حديث المتن رقم ٢٢٩.

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤ من أحاديث الشرح.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في الصلاة على النبي ﷺ، برقم ٦١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) وسيأتي المزيد من الفوائد إن شاء الله في أواخر شرح هذا الكتاب، الحديث رقم ٢١٩ من المتن وما بعده.

(٤) راجع الحديث، رقم ٢٥ من متن هذا الكتاب.

٢٨ - أَذْكَارُ النَّوْمِ

٩٩- (١) «يَجْمَعُ كَفَّيْهِ ثُمَّ يَنْفُثُ فِيهِمَا فَيَقْرَأُ فِيهِمَا:
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ
 يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ
 الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ
 النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ
 الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ
 الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ يَبْدَأُ بِهِمَا
 عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ» (يفعل ذلك ثلاث مرّات) (١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٤٨- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (٢): «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ
 كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا، فَقَرَأَ فِيهِمَا: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَقُلْ أَعُوذُ
 بِرَبِّ النَّاسِ، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ،

(١) البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل المعوذات، برقم، برقم ٥٠١٧، ومسلم، كتاب السلام،
 باب رقية المريض بالمعوذات والنفث، برقم ٢١٩٢.

(٢) تقدمت ترجمتها في الحديث ٥٤ من أحاديث الشرح.

وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ. يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ». هذا لفظ البخاري^(١).

٣٤٩- ولفظ مسلم: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا مَرَضَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ نَفَثَ عَلَيْهِ بِالْمُعَوَّذَاتِ، فَلَمَّا مَرَضَ مَرَضُهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، جَعَلْتُ أَنْفُثُ عَلَيْهِ، وَأَمْسَحُهُ بِيَدِ نَفْسِهِ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَهٍ مِنْ يَدِي» وَفِي رَوَايَةٍ يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ: بِمُعَوَّذَاتٍ^(٢).

٣٥٠- وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٣)، قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَقُوذُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي نَقَبٍ مِنْ تِلْكَ النَّقَابِ، إِذْ قَالَ لِي: «يَا عُقْبُ، أَلَا تَرْكَبُ؟»، قَالَ: فَأَجَلَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَرْكَبَ مَرْكَبَهُ، ثُمَّ قَالَ: «يَا عُقْبُ، أَلَا تَرْكَبُ؟» قَالَ: فَأَشْفَقْتُ أَنْ تَكُونَ مَعْصِيَةً، قَالَ: فَتَزَلَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَرَكِبْتُ هُنَيْئَةً، ثُمَّ رَكِبَ، ثُمَّ قَالَ: «يَا عُقْبُ، أَلَا أَعْلَمُكَ سُورَتَيْنِ مِنْ خَيْرِ سُورَتَيْنِ قَرَأَ بِهِمَا النَّاسُ؟» قَالَ: قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَأَقْرَأْنِي: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، ثُمَّ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَرَأَ بِهِمَا، ثُمَّ مَرَّ بِي، قَالَ: «كَيْفَ رَأَيْتَ يَا عُقْبُ؟ اقْرَأْ بِهِمَا كُلَّمَا نِمْتَ، وَكُلَّمَا قُمْتَ»^(٤).

٣٥١- وعن نوفل الأشجعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٥): «اقْرَأْ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾»، ثم نم

(١) البخاري، برقم ٥٠٧١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) مسلم، برقم ٢١٩٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١٣ من أحاديث الشرح.

(٤) أخرجه أحمد في المسند بلفظه، ٥٢٨/٢٨، برقم ١٧٢٩٦، والنسائي، كتاب الاستعاذة، ٢٥٣/٨، برقم ٥٤٣٧، لفظ: «اقرأ بهما كلما نمت وقمت» وأبو يعلى، برقم ١٧٣٦، وابن خزيمة، برقم ٥٣٤، والطحاوي في مشكل الآثار، برقم ١٢٤، والنسائي في عمل اليوم والليلة، برقم ٨٨٩، وأخرجه بنحوه ابن أبي شيبة، ٥٣٩/١٠، برقم ١٠٢٦٠، وغيرهم، وقال محققو المسند، ٥٢٩/٢٨: «إسناده صحيح» وقال العلامة الألباني في صحيح النسائي، ٤٥٦/٣: «حسن الأسناد».

(٥) نوفل بن فروة الأشجعي، له صحبة، نزل الكوفة لم يرو عنه غير بنه: فروة، وعبد الرحمن، وسحيم بن نوفل، وأخرج له أصحاب السنن، وأحمد، وابن حبان، والحاكم. انظر: الاستيعاب، =

على خاتمتهما، فإنها براءة من الشرك»^(١)، وكذا قوله ﷺ: «وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ تَعْدِلْ رُبَّ الْقُرْآنِ»^(٢)..

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «يجمع كفيه» أي: بضم بعضهما إلى بعض، مع إصاق إحداهما بالأخرى، وهما مفتوحتان إلى جهة فمه الشريف من أجل النفث فيهما.

٢- قوله: «ينفث»: النفث: بالفم يشبه النفخ، وهو أقل من التفل؛ لأن التفل يكون معه شيء من الريق، وأما النفث فقد يكون معه شيء من الريق، وقد لا يكون، وقال ابن منظور رحمه الله: «النَّفْثُ: أَقْلُ مِنَ التَّفْلِ، لِأَنَّ التَّفْلَ لَا يَكُونُ إِلَّا مَعَهُ شَيْءٌ مِنَ الرِّيقِ؛ وَالنَّفْثُ: شَبِيهُ النَّفْخِ؛ وَقِيلَ: هُوَ التَّفْلُ بِعَيْنِهِ. نَفَثَ الرَّاقِي، وَفِي الْمُحْكَمِ: نَفَثَ يَنْفِثُ وَيَنْفُثُ نَفْثًا وَنَفْثَانًا... وَالنَّفْثُ بِالْفَمِ، شَبِيهُ النَّفْخِ... وَالْحَيَّةُ تَنْفُثُ السَّمَّ حِينَ تَنْكُزُ، وَالْجُرْحُ يَنْفُثُ الدَّمَ إِذَا أَظْهَرَهُ، وَسَمٌّ نَفِثٌ وَدَمٌ نَفِثٌ إِذَا نَفَثَهُ الْجُرْحُ»^(٣).

٣- قوله: «يمسح بهما» أي: بكفيه ﷺ، قال الزرقاني رحمه الله: «مَسَحَهَا عَلَى كُلِّ مَا يُزَجَى بَرَكَتُهُ وَشِفَاؤُهُ وَخَيْرُهُ... وَالتَّبَرُّكُ بِالْيَمْنَى دُونَ الشِّمَالِ، وَتَفْضِيلُهَا

٤/ ١٥١٣، والإصابة في تمييز الصحابة، ٦/ ٤٨٢.

(١) أخرجه أحمد، (٢٢٤/ ٥٣٩)، برقم ٢٣٨٠٧، وأبو داود، كتاب الأداب، باب ما يقول عند النوم، برقم ٥٠٥٥، والترمذي، كتاب الدعوات، باب منه حدثنا محمود بن غيلان، برقم ٣٤٠٣، والحاكم، (٥٨٧/ ٢)، وقال: «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي، وابن أبي شيبة، (٣٢٣/ ٥)، برقم ٢٦٥٢٨، وابن السني، ص ٢٥٤، برقم ٦٩٤، والنسائي في الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، قراءة قل يا أيها الكافرون عند النوم وذكر اختلاف الناقلين للخبر في ذلك، برقم ١٠٦٣٧، وابن حبان، (٧٠/ ٣)، برقم ٧٩٠، والدارمي (٥٥١/ ٢)، برقم ٣٤٢٧، وحسنه محققو المسند، (٣٩/ ٢٢٤)، وحسنه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٦٠٥.

(٢) الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في إذا زلزلت، برقم ٢٨٩٤، والحاكم، (٧٥٤/ ١)، وقال: «صحيح الإسناد» والبيهقي في شعب الإيمان، (٤٩٦/ ٢)، برقم ٢٥١٤. وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، (٢/ ١٣١).

(٣) لسان العرب، (٢/ ١٩٥)، مادة (نفث).

عَلَيْهَا، وَفِي ذَلِكَ مَعْنَى الْقَالَ»^(١).

٤- قوله: «ما استطاع من جسده» أي: ما أمكن مسحه من جسده الشريف، قال القاري رَحِمَهُ اللهُ: «أَيُّ: مَا أَمْكَنَهُ، وَقَدَّرَ عَلَيْهِ»^(٢).

٥- قوله: «يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده»: قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «بيان لجملته قوله: «يمسح بهما ما استطاع من جسده»، أو بدل منه... لكن قوله: «ما استطاع من جسده» وقوله: «يبدأ» يقتضيان أن يقدر: يبدأ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده، ثم ينتهي إلى ما أدبر من جسده»^(٣).

٦- قوله: «يا عقب»: هذا ترخيم لاسم «عقبة»، وهو نداء تحب وتلطف، وقد عرّف البلاغيون الترخيم فقالوا: «... فقد يحذف العربي في النداء آخر حرف في الكلمة، أو الحرفين الأخيرين منها، وَقَدْ يَحْذَفُ الْجُزْءُ الثَّانِي مِنْ جُزْئِ الْكَلِمَةِ الْمُرَكَّبَةِ تَرْكِيباً مُزْجِئاً، وَقَدْ يَحْذَفُ فِي التَّرْخِيمِ الْمُضَافُ إِلَيْهِ، وَمِنْ دَوَاعِيهِ إِلَى ذَلِكَ الْإِيجَازُ، وَالتَّحَبُّبُ لِلْمُنَادَى أَحْيَاناً، وَمِرَاعَاةُ جَمَالِ فَنِّي فِي نَسَقِ الْكَلَامِ»^(٤).

٧- قوله: «فأجللت»: قال العلامة السندي رَحِمَهُ اللهُ: «أي: عظمت، فأشفقت، أي خفت»^(٥).

٨- قوله: «في نقب من تلك النقاب»: قال ابن منظور رَحِمَهُ اللهُ: «الطَّرِيقُ بَيْنَ الدَّارَيْنِ، كَأَنَّهُ نَقَبٌ مِنْ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ؛ وَقِيلَ: هُوَ الطَّرِيقُ الَّتِي تَعْلُو أَنْشَارُ الْأَرْضِ... وَهُوَ الطَّرِيقُ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ»^(٦).

(١) شرح الزرقاني على الموطأ، ٤ / ٥١٨.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١ / ٤٠٨.

(٣) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٥ / ١٦٥٢.

(٤) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، لعبد الرحمن حسن حبنكة، ص ٢٥٧.

(٥) حاشية السندي على النسائي، ٨ / ٢٥٣.

(٦) لسان العرب، ١ / ٧٦٧، مادة (نقب).

٩- قوله: «اقرأ بهما كُلَّمَا نِمْتَ وكلما قُمْتَ»، قال الإمام ابن خزيمة رَحِمَهُ اللهُ: «هَذِهِ اللَّفْظَةُ «كُلَّمَا نِمْتَ وَقُمْتَ» مِنَ الْجِنْسِ الَّذِي أَعْلَمْتُ أَنَّ الْعَرَبَ يُوقِعُ اسْمَ النَّائِمِ عَلَى الْمُضْطَجِعِ، وَيُوقِعُهُ عَلَى النَّائِمِ الزَّائِلِ الْعَقْلِ، وَالنَّبِيِّ ﷺ إِنَّمَا أَرَادَ بِقَوْلِهِ فِي هَذَا الْحَبَرِ: «اقْرَأْ بِهِمَا إِذَا نِمْتَ»، أَي: إِذَا اضْطَجَعْتَ، إِذِ النَّائِمُ الزَّائِلُ الْعَقْلِ مُحَالٌ أَنْ يُخَاطَبَ، فَيَقَالُ لَهُ: إِذَا نِمْتَ - وَزَالَ عَقْلُهُ - فَاقْرَأْ بِالْمُعَوِّذَتَيْنِ، ... وَإِنَّمَا أَرَادَ بِالنَّائِمِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، الْمُضْطَجِعِ، لَا النَّائِمَ الزَّائِلَ الْعَقْلِ، إِذِ النَّائِمُ الزَّائِلُ الْعَقْلِ غَيْرُ مُخَاطَبٍ بِالصَّلَاةِ، وَلَا يُمَكِّنُهُ الصَّلَاةُ لِرِزْوَالِ الْعَقْلِ»^(١). وأما قمت فيقول العلامة البهوتي رَحِمَهُ اللهُ: «كُلَّمَا: تَعُمُّ الْأَوْقَاتِ، فَهِيَ بِمَعْنَى كُلِّ وَقْتٍ، فَمَعْنَى كُلَّمَا قُمْتَ قُمْتَ: كُلِّ وَقْتٍ تَقُومُ فِيهِ، أَقُومُ فِيهِ»^(٢).

١٠- تقدم شرح مفردات المعوذات الثلاث في شرح مفردات الحديث رقم ٧٠ من أحاديث المتن.

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- الإرشاد النبوي الكريم بفعله بقراءة هذه السور الثلاث عند النوم؛ لما فيها من التعوذات المباركة، لاسيما أن الإنسان وهو نائم معرض لأي مكروه: حسي، أو معنوي.

٢- جاء في بعض هذا الحديث أن عائشة قالت: «فلما اشتكى (أي رسول الله ﷺ، أي: مرض في مرض موته) كان يأمرني أن أفعل ذلك»^(٣) أي: أن النبي ﷺ كان ينفث هو في يديه، ثم يأمر عائشة أن تمر يده على جسده الشريف؛ لشدة مرضه عليه الصلاة والسلام.

(١) صحيح ابن خزيمة، ١/ ٢٩٥.

(٢) شرح منتهى الإرادات، للبهوتي، ٣/ ١١٣.

(٣) البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، برقم ٤٤٣٩.

٣- هذه السور الثلاث تسمى المعوذات؛ لأن سورتي الفلق، والناس تشتملان على جمل نافعة من التعوذ، أما سورة الإخلاص، فقد جاء ذكرها على سبيل التغليب؛ لما اشتملت عليه من صفات الرب ﷻ، قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: وإنما رقى بالمعوذات لأنهن جامعات^(١).

٤- الاستعاذة من كل مكروه جملة وتفصيلاً^(٢).

٥- مما ينبغي أن يعلم أن مسح الوجه والبدن - أي: بعد النفث فيهما بالمعوذات - خاص بحالتي النوم والمرض، ولم يثبت أن النبي ﷺ فعل ذلك في مواطن أخرى، وهذا ما ذكره شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ^(٣).

٦- مما يسن قراءته أيضاً قبل النوم، وفيه معاني التوحيد والبراءة من الشرك شأنه شأن سورة الإخلاص، سورة الكافرون.

١٠٠- (٢) ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾^(٤).

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ، ١٨٣/١٤ .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ، ١٨٣/١٤ .

(٣) مجموع الفتاوى، ٥١٩/١٢ .

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥، من قرأها إذا أوى إلى فراشه فإنه لن يزال عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح، البخاري، كتاب الوكالة، باب إذا وُكِّلَ رجلاً، فَتَرَكَ الْوَكِيلَ شَيْئًا فَأَجَازَهُ الْمُوَكَّلُ فَهُوَ جَائِزٌ، وَإِنْ أَقْرَضَهُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى جَازٍ، برقم ٢٣١١.

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٥٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ^(١)، قَالَ: وَكَلَّنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ، فَجَعَلَ يَخْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، وَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا زُفْعَنَكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ، وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، قَالَ: فَخَلَيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «أَمَّا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ»، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِنَّهُ سَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ، فَجَاءَ يَخْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَا زُفْعَنَكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ، لَا أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «أَمَّا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ»، فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَجَاءَ يَخْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَا زُفْعَنَكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَهَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ، أَنَّكَ تَزْعُمُ لَا تَعُودُ، ثُمَّ تَعُودُ قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمَكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هُوَ؟ قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ ^(٢)، حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا، فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «مَا هِيَ»، قُلْتُ: قَالَ لِي: إِذَا

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَافْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾^(١)، وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ - وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الْخَيْرِ - فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَّا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُحَاطَبُ مِنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟»، قَالَ: لَا، قَالَ: «ذَاكَ شَيْطَانٌ»^(٢).

ثانياً: شرح مفردات آية الكرسي:

١- قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا معبود بحق سواه، فهو الإله الحق الذي تتعين أن تكون جميع أنواع العبادة والطاعة والتأله له تعالى، لكماله، وكمال صفاته، وعظيم نعمه.

٢- قوله تعالى: ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ هذان الاسمان الكريمان يدلان على سائر الأسماء الحسنی دلالة مطابقة وتضمناً ولزوماً، فالحي من له الحياة الكاملة المستلزمة لجميع صفات الذات: كالسمع، والبصر، والعلم، والقدرة، ونحو ذلك، والقيوم: هو الذي قام بنفسه وقام بغيره، وذلك مستلزم لجميع الأفعال التي اتصف بها رب العالمين من فعله ما يشاء من الاستواء، والنزول، والكلام، والقول، والخلق، والرزق، والإماتة، والإحياء، وسائر أنواع التدبير، كل ذلك داخل في قيومية الباري.

٣- قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سَنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ والسنة النعاس.

٤- قوله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: هو المالك، وما سواه مملوك، وهو الخالق الرازق المدبر، وغيره مخلوق مرزوق مدبر، لا يملك لنفسه، ولا لغيره مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض.

٥- قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، أي: لا أحد يشفع عنده

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٢) البخاري، برقم ٢٣١١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

بدون إذنه، فالشفاعة كلها لله تعالى، ولكنه تعالى إذا أراد أن يرحم من يشاء من عباده أذن لمن أراد أن يكرمه من عباده أن يشفع فيه، لا يتدنى الشافع قبل الإذن.

٦- قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: ما مضى من جميع الأمور. العلم هو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكًا جازمًا، «وما بين أيديهم» أي: المستقبل، «وما خلفهم» الماضي، و(ما) من صيغ العموم، تشمل كل ماضٍ، وكل مستقبل، وتشمل ما كان من فعله، وما كان من أفعال الخلق، وقيل: «يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ»: قال أبو جعفر الطبري رحمته الله: «يعني تعالى ذكره بذلك أنه المحيط بكل ما كان وبكل ما هو كائن علما، لا يخفى عليه شيء منه»^(١)، وقال الإمام ابن كثير رحمته الله: «دليل على إحاطة علمه بجميع الكائنات: ماضيها وحاضرها ومستقبلها كقوله إخبارًا عن الملائكة: ﴿وَمَا تَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾»^(٢)، وقال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «يعلم ما بين أيديهم»: أي: المستقبل؛ «وما خلفهم» أي: الماضي؛ وقد قيل بعكس هذا القول؛ ولكنه بعيد؛ فاللفظ لا يساعد عليه؛ و(ما) من صيغ العموم؛ فهي شاملة لكل شيء؛ سواء كان دقيقاً أم جليلاً؛ وسواء كان من أفعال الله أم من أفعال العباد»^(٤).

٧- قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ قال العلامة السعدي رحمته الله: أي: ما يستقبل منها، فعلمه تعالى محيط بتفاصيل الأمور، متقدمها ومتأخرها، بالظواهر والبواطن، بالغيب والشهادة، والعباد ليس لهم من الأمر شيء ولا من العلم

(١) تفسير الطبري، ٥ / ٣٩٦.

(٢) سورة مريم، الآية: ٦٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١ / ٦٧٩.

(٤) تفسير القرآن، للعلامة ابن عثيمين، ٥ / ١٩٨.

مثقال ذرة إلا ما علمهم تعالى^(١).

٨- قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ وهذا يدل على كمال عظمته وسعة سلطانه، إذا كان هذه حالة الكرسي أنه يسع السموات والأرض على عظمتها، وعظمة من فيهما، والكرسي ليس أكبر مخلوقات الله تعالى، بل هنا ما هو أعظم منه وهو العرش، وما لا يعلمه إلا هو، وفي عظمة هذه المخلوقات تحير الأفكار وتكل الأبصار، وتقلقل الجبال، وتكع^(٢) عنها فحول الرجال، فكيف بعظمة خالقها ومبدعها، والذي أودع فيها من الحكم والأسرار ما أودع، والذي قد أمسك السموات والأرض أن تزولا من غير تعب ولا نصب.

٩- قوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْوِدُهُ حِفْظُهُمَا﴾ أي: لا يثقله.

١٠- قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ بذاته فوق عرشه، العلي بقهره لجميع المخلوقات، العلي بقدره لكمال صفاته.

١١- قوله تعالى: ﴿الْعَظِيمُ﴾ الذي تتضاءل عند عظمته جبروت الجبابرة، وتصغر في جانب جلاله أنوف الملوك القاهرة، فسبحان من له العظمة العظيمة، والكبرياء الجسيمة، والقهر، والغلبة لكل شيء^(٣).

ثالثاً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «يحثو»: يقال حثوث له إذا أعطيته شيئاً يسيراً، قال ابن الملقن رحمته الله: «يحثو - هو بالواو، ويقال بالياء -: وهي أعلى اللغتين، وكله بمعنى الغرف»^(٤).

(١) تفسير السعدي، ص ١١٠.

(٢) قال ابن الأثير رحمته الله: «كاع: هُوَ الْجَبَان. يُقَالُ: كَعَّ الرَّجُلُ عَنِ الشَّيْءِ يَكْعُ كَعًا فَهُوَ كَاعٌ، إِذَا جَبُنَ عَنْهُ وَأَخْجَمَ». النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/ ١٨٠، مادة (كع).

(٣) شرح جميع مفردات آية الكرسي من تفسير السعدي، ص: ١١٠، وقد تقدم في شرح الحديث رقم ٧١ من المتن في هذا الكتاب.

(٤) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ١٥/ ١٩٨.

وقال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «أي: فطفق يثر الطعام في الوعاء، أي: في ذيله»^(١).

٢- قوله: «لأرفعنك» أي: لأذهبن بك، وأشكوك إلى رسول الله ﷺ. قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «هو من رفع الخصم إلى الحاكم، أي: لأذهبن بك إلى رسول الله ﷺ ليحكم عليك بقطع اليد؛ لأنك سارق»^(٢).

٣- قوله: «فإنني محتاج وعلي عيال» أي: لأنفق عليهم، قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «إشارة إلى أنه في نفسه فقير، وقد اضطر الآن إلى ما فعل، لأجل العيال»^(٣).

٤- قوله: «فرصدته» أي: رقبته، قال القاري رَحِمَهُ اللهُ: «أي: انتظرته، ورآفته»^(٤).

٥- قوله: «وكانوا أحرص شيء على الخير»: يقصد الصحابة رضي الله عنهم جميعاً، قال القسطلاني رَحِمَهُ اللهُ: «وكانوا أي: الصحابة أحرص شيء على تعلم الخير، وفعله، وكان الأصل أن يقول: وكنا؛ لكنه على طريق الالتفات، وقيل: هو مدرج من كلام بعض رواته، وبالجمله، فهو مسوق للاعتذار عن تخليه سبيله بعد المرة الثالثة، حرصاً على تعلم ما ينفع»^(٥).

٦- قوله: «فخليت عنه»: وَخَلَّى عَنِ الشَّيْءِ: أَرْسَلَهُ، وَخَلَّى سَبِيلَهُ فَهُوَ مُخَلَّى عَنْهُ، وَرَأَيْتَهُ مُخَلِّياً^(٦).

٧- قوله: «ما فعل أسيرك؟»: قال العيني: «وفيه تفسير لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾^(٧)، يعني الشياطين، إن المراد بذلك ما هم عليه

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٥ / ١٦٤٤.

(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٥ / ١٦٤٥.

(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٥ / ١٦٤٥.

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤ / ١٤٦٣.

(٥) شرح القسطلاني، ٤ / ١٦٥.

(٦) لسان العرب، ١٤ / ٢٤٢، مادة (خلي).

(٧) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.

من خلقهم الروحانية؛ فإذا استحضروا في صورة الأجسام المدركة بالعين جازت رؤيتهم، كما شخّص الشيطان لأبي هريرة في صورة سارق»^(١).

٨- قوله: «البارحة»: البارحة: أقرب ليلة مضت^(٢).

٩- قوله: «إنك ترغم»: يقال: زَعَمُوا في حديث لا سَدَّ له، ولا ثَبَّت فيه، وإنما يُحَكَّى على الألسن على سبيل البلاغ، فَضَمَّ من الحديث ما كان هذا سبيله، والزَّعَم بالضم والفتح: قريب من الظن^(٣).

١٠- قوله: «دعني»: أي: اتركني، قال ابن الأثير: «يقال ودع الشيء يدعه ودعا إذا تركه، والنحاة يقولون إن العرب أماتوا ماضي يدع ومصدره واستغنوا عنه بترك»^(٤)، وقال الحافظ ابن حجر: «(قَالَ: دَعْنِي أَعْلَمَكَ)؛ فِي رِوَايَةِ أَبِي الْمُتَوَكِّلِ: (خَلَّ عَنِّي)»^(٥).

١١- قوله: «لن يزال عليك»: قال الحافظ ابن حجر: «(لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ)؛ فِي رِوَايَةِ الْكُشْمِيهَنِيِّ: (لَمْ يَزَلْ)، قال ابن بطال رحمه الله: «إذا كان من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة كفتاه، ومن قرأ آية الكرسي، كان عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح، فما ظنك بمن قرأها كلها من كفاية الله له، وحرزه، وحمايته من الشيطان وغيره، وعظيم ما يدخر له من ثوابها»^(٦).

١٢- قوله: «من الله حافظ»: أي من عند الله، أو من جهة أمر الله، أو من

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١٨ / ١٣.

(٢) القاموس المحيط، ص: ٢٧٢، مادة (برح).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢ / ٣٠٢، مادة (زعم).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥ / ١٦٥، مادة (ودع).

(٥) فتح الباري، لابن حجر، ٤ / ٤٨٨.

(٦) شرح صحيح البخاري، لابن بطال، ١٠ / ٢٤٧.

بأس الله، ونَقَمَتَهُ»^(١).

١٣- قوله: «ولا يقربك شيطان حتى تصبح»: قال ابن حجر: «(ولا يقربك شيطان)، ويَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِنَفْيِ الْقُرْبِ هُنَا أَنَّهُ لَا يَقْرَبُ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي يُوسَّوسُ فِيهِ، وَهُوَ الْقَلْبُ»^(٢).

١٤- قوله: «ذاك شيطان»: أي: شيطان من الشياطين^(٣).

رابعاً: ما يستفاد من الحديث:

١- معجزة ظاهرة للرسول ﷺ لقوله: «ما فعل أسيرك البارحة؟» وذلك قبل إخبار أبي هريرة للنبي ﷺ بما وقع، ثم إخباره له أنه سيعود، وإخباره في الثالثة أنه شيطان.

٢- الحكمة قد يتلقاها الفاجر، ولا يتنفع بها، وتؤخذ عنه، فيتنفع بها.

٣- الكافر قد يُصدق ببعض ما يُصدق به المؤمن، ولا يكون بذلك مؤمناً.

٤- الشيطان قد يتصور ببعض الصور فتمكن رؤيته، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾^(٤) مخصوص بما إذا كان على صورته التي خلق عليها.

٥- الجن يأكلون من طعام الإنس، ويتكلمون بكلامهم.

٦- صحة التوكيل لقول أبي هريرة: «وكلني رسول الله ﷺ»، ويفهم أيضاً جواز جمع زكاة الفطر قبل ليلة الفطر.

٧- قبول العذر، والستر على من يظن به الصدق.

٨- السارق لا تقطع يده في المجاعة، ويحتمل أن يكون القدر المسروق لم يبلغ

(١) فتح الباري لابن حجر، ٤/ ٤٨٨.

(٢) فتح الباري، ٦/ ٣٤٣.

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر، ٤/ ٤٨٨.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.

النصاب، ولذلك جاز للصحابي العفو عنه قبل تبليغه للشارع.

٩- اشتملت هذه الآية (آية الكرسي) على توحيد الإلهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وعلى إحاطة ملك الله ﷻ، وإحاطة علمه، وسعة سلطانه، وجلاله، ومجده، وعظمته، وكبريائه، وعلوه على جميع مخلوقاته، فهذه الآية بمفردها عقيدة في أسماء الله، وصفاته، متضمنة لجميع الأسماء الحسنى، والصفات العلا^(١).

١٠- فضل آية الكرسي وأن لها تأثيراً بأمر الله في دفع الشيطان، وكذلك سورة البقرة^(٢).

١٠١- (٣) ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِضْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (٣).

(١) تفسير السعدي، ص: ١١٠.

(٢) انظر فتح الباري، ٤/ ٦٠٢، ٦٠٣.

(٣) البخاري، كتاب المغازي، باب حدثني خليفة، برقم ٤٠٠٨، ومسلم، صلاة المسافرين قصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، برقم ٨٠٧، والآيتان من سورة البقرة، ٢٨٥-٢٨٦.

الشرح:

أولاً: اللفظ الحديث:

٣٥٣- عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ رضي الله عنه ^(١)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَّتَاهُ»، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ^(٢): فَلَقِيتُ أَبَا مَسْعُودٍ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ فَسَأَلْتُهُ فَحَدَّثَنِيهِ ^(٣).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «الآيتان من آخر سورة البقرة»: أي من قوله: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾ إلى نهاية السورة.

٢- قوله: «كفّته»: جاء في معناها المعاني الآتية:

أ - أي أجزأتا عنه قيام الليل.

ب - وقيل أجزأتاه فيما يتعلق بالاعتقاد؛ لما اشتملتا عليه من الإيمان، والأعمال إجمالاً.

ج - وقيل كفّته من كل سوء: من شياطين الإنس والجن.

د - وقيل من كل الآفات.

٣- وقال الإمام النووي: «اختلف العلماء في معنى كفّته؛ فقليل: من الآفات في

ليلته، وقيل: كفّته من قيام ليلته. قلت: ويجوز أن يُراد الأمران» ^(٤).

٤- قال الحافظ ابن حجر: وكأنهما اختصتا بذلك لما جاء فيهما من

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١٩٨ من أحاديث الشرح.

(٢) عبد الرحمن هو أبو بكر الكوفي، ثقة من كبار التابعين.

(٣) البخاري، برقم ٤٠٠٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) الأذكار النووية، ص ١٢٦.

الثناء على الصحابة ﷺ بجميل انقيادهم إلى الله، وابتها لهم ورجوعهم إليه، وما حصل لهم من الإجابة إلى مطلوبهم^(١).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

هذا الحديث دليل قوي، وصريح في الرد على من كره أن يقال سورة البقرة، وسورة آل عمران إلى آخره، بل يقال: السورة التي يذكر فيها البقرة وهكذا. وقولهم هذا خلاف ما صح من الأحاديث عن النبي ﷺ، وبه قال الصحابة ومن بعدهم، وهو الصحيح، وقد اعتمد من عارض هذا بحديث أنس رفعه: «لا تقولوا سورة البقرة وسورة آل عمران، وكذا القرآن كله»^(٢).

رابعاً: تفسير كلمات الآيتين الكريمتين:

- ١- قوله تعالى: «آمن الرسول»: أي: صدق تصديقاً جازماً، ليس فيه شك ولا تردد.
- ٢- قوله تعالى: «والمؤمنون»: هذه شهادة للصحابة ﷺ بالإيمان بما آمن به الرسول الكريم ﷺ.
- ٣- قوله تعالى: «وملائكته»: أي: التي نصت عليهم الشرائع السماوية جملة وتفصيلاً.
- ٤- قوله تعالى: «وكتبه»: أي: بما فيها من الأخبار، والأوامر، والنواهي قبل التبديل، والتحريف الذي حدث للتوارة والإنجيل.
- ٥- قوله تعالى: «ورسله»: من ذكرهم الله، وما سكت عنهم في القرآن

(١) فتح الباري ٥٦/٩، ويشير إلى إجابة الله لهم بقوله: «قد فعلت» وفي لفظ: «نعم» وذلك عند قولهم: «رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نُسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا...» الآيات. انظر صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنه ﷺ لم يكلف إلا ما يطاق، برقم ١٢٦.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، ٥١٩/٢، برقم ٢٥٨٢، وفيه: «وقال: عبيس بن ميمون منكر الحديث، وهذا لا يصح، وأخرجه أيضاً: الطبراني في الأوسط، ٤٧/٦، برقم ٥٧٥٥، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ٢٥٧/١٤: «منكر». وانظر: فتح الباري ٨٨/٩.

الكريم لقوله ﷺ: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقُصِّصْهُمْ عَلَيْكَ﴾^(١)، وأنهم لا يفرقون بين أحد منهم.

٦- قوله تعالى: «سمعنا وأطعنا»: أي: ما أمرتنا به، ونهيتنا عنه، وهذا سماع فهم واستجابة.

٧- قوله تعالى: «غفرانك»: لأن العبد لا بد أن يحدث له تقصير في هذا الباب.

٨- قوله تعالى: «لا يكلف الله نفساً إلا وسعها»: التكليف هو الإلزام بما فيه كلفة، ومشقة تحتمل.

٩- قوله تعالى: «وسعها»: أي: إلا ما تتسع لها طاقتها، ويكون في قدرتها.

١٠- قوله تعالى: «لها ما كسبت»: أي: من الخير.

١١- قوله تعالى: «وعليها ما اكتسبت»: أي: من الشر - وفي الإتيان بـ«كسب» في الخير دلالة على أن عمل الخير يحصل للإنسان بأدنى سعي، بل بمجرد نية القلب.

١٢- قوله تعالى: «اكتسبت» دلالة على أن عمل الشر لا يكتب على الإنسان حتى يعمل، ويحصل سعيه.

١٣- قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا﴾: أي: لا تعاقبنا.

١٤- قوله تعالى: ﴿إِنْ نَسِينَا﴾: النسيان هو ذهول القلب عما أمر به فيتركه نسياناً.

١٥- قوله تعالى: ﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾: والخطأ أن يقصد شيئاً يجوز له قصده،

ثم يقع فعله على ما لا يجوز له فعله.

١٦- قوله تعالى: ﴿إِصْرًا﴾: الإصر هو الأمر الغليظ الصعب، أو هو الذنب الذي ليس فيه توبة، ولا كفارة، ويطلق الإصر على العهد؛ لقوله: ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾^(١)؛ لأن الإصر يطلق على الحبل الذي تربط به الأحمال ونحوها.

١٧- قوله تعالى: ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾: لأن العفو والمغفرة يحصل بهما: دفع المكاره، والشرور، والرحمة يحصل بها صلاح الأمور، وكل خير في الدنيا والآخرة.

١٨- قوله تعالى: ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾: أي: مليكنا، وإلهنا، لا مولى لنا سواك^(٢).

خامساً: مما ورد في فضل خواتيم سورة البقرة الأحاديث الآتية:

١- قول النبي ﷺ: «... وَأُعْطِيَتْ آخِرُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فَهُنَّ مِنْ كَنْزٍ مِنْ يَتِّ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ»^(٣)، وفي رواية الإمام أحمد زاد: «وَلَمْ يُعْطَهُنَّ نَبِيٌّ قَبْلِي»^(٤).

٢- قول النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِأَلْفِي عَامٍ، أَنْزَلَ مِنْهُ آيَتَيْنِ خَتَمَ بِهِمَا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَلَا يُقْرَأُ فِي دَارٍ ثَلَاثَ لَيَالٍ فَيَقْرُبُهَا شَيْطَانٌ»^(٥).

٣- قال ابن عباس رضي الله عنهما: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضاً من فوقه فرفع رأسه فقال: «هذا باب من السماء قد فُتِحَ اليوم لم يفتح إلا اليوم

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨١.

(٢) انظر: تفسير الجزائري، ص ١٨١، وتفسير السعدي، ص ١٢٠.

(٣) مسند الطيالسي، ١/ ٣٣٤، برقم ٤١٨.

(٤) أخرجه أحمد، ٣٥/ ٤٤٦، برقم ٢١٥٦٤، وبنحوه في دلائل النبوة للبيهقي، ١/ ٤٤١، ووصفه بأنه

مروي بالأسانيد الثابتة، وصححه لغيره محققو المسند، ٣٥/ ٤٤٦، وصححه الألباني في السلسلة

الصحيحة، برقم ١٤٨٢، وصحيح الجامع، برقم ١٠٦٠.

(٥) أخرجه الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في آخر سورة البقرة، برقم ٢٨٨٢، ومسند

أحمد، ٣٠/ ٣٦٣، برقم ١٨٤١٤، والحاكم، ٢/ ٢٦٠، وصححه ووافقه الذهبي، وحسن إسناده

محققو المسند، ٣٠/ ٣٦٣، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٨٨.

فنزّل منه ملك، فقال: «هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال: أبشر بنورين لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة. لن تقرّأ بحرف منهما إلا أعطيته»^(١).

٤- قال علي بن أبي طالب عليه السلام: «ما أرى أحدًا يعقل بلغة الإسلام ينام حتى يقرأ آية الكرسي وخواتيم سورة البقرة، فإنهما من كنز تحت العرش»^(٢).

١٠٢- (٤) «بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، فَإِنْ أُمَسَّكَتْ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا، بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ»^(٤).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٥٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه^(٥)، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى

(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة والحث على قراءة آيتين من آخر البقرة، برقم ٨٠٦.

(٢) أورده ابن كثير في تفسيره ١/ ٧٣٥، وينحوه في مصنف بن أبي شيبة، ٦/ ٤٠، برقم ٢٩٣١٥، ومختصر قيام الليل لمحمد بن نصر المروزي، ص ١٦٠، وأورده النووي في الأذكار، ٨٩، بلفظ آخر، وقال: «إسناده صحيح على شرط البخاري ومسلم».

(٣) «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنْ فَرَاشِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ فَلْيَنْفِضْهُ بِصَنْفَةٍ إِزَارَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَلْيُسَمِّ اللَّهَ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلْفَهُ عَلَيْهِ بَعْدَهُ، وَإِذَا اضْطَجَعَ فَلْيَقُلْ: (...) الْحَدِيثُ. وَمَعْنَى بِصَنْفَةٍ إِزَارَهُ: طَرَفُهُ مِمَّا يَلِي طَرَفَ النِّهَائِ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ، (صنف).

(٤) البخاري، كتاب الدعوات، باب حدثنا أحمد بن يونس، برقم ٦٣٢٠، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، برقم ٢٧١٤.

(٥) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَذْرِي مَا خَلْفَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ: بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكَتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ». هذا لفظ البخاري^(١).

٣٥٥- وفي لفظ آخر له: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ فِرَاشَهُ فَلْيَنْفُضْهُ بِصِنْفَةٍ ثَوْبِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَلْيَقُلْ: بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكَتَ نَفْسِي فَاعْفُزْ لَهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ»^(٢).

٣٥٦- ولفظ مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ، فَلْيَأْخُذْ دَاخِلَةَ إِزَارِهِ، فَلْيَنْفُضْ بِهَا فِرَاشَهُ، وَلْيَسْمِ اللَّهَ، فَإِنَّهُ لَا يَغْلُمُ مَا خَلْفَهُ بَعْدَهُ عَلَى فِرَاشِهِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَضْطَجِعَ، فَلْيَضْطَجِعْ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، وَلْيَقُلْ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبِّي، بِكَ وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكَتَ نَفْسِي، فَاعْفُزْ لَهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ»^(٣).

٣٥٧- وفي لفظ للترمذي: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ عَنْ فِرَاشِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ، فَلْيَنْفُضْهُ بِصِنْفَةٍ إِزَارِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَإِنَّهُ لَا يَذْرِي مَا خَلْفَهُ عَلَيْهِ بَعْدَ، فَإِذَا اضْطَجَعَ فَلْيَقُلْ: بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، فَإِنْ أَمْسَكَتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ فَلْيَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي، وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ»^(٤).

٣٥٨- وَعَنْ أَبِي الْأَزْهَرِ الْأَنْمَارِيِّ^(٥) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ

(١) البخاري، برقم ٦٣٢٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) البخاري، كتاب التوحيد، باب السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها، برقم ٧٣٩٣.

(٣) مسلم، برقم ٢٧١٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) الترمذي، كتاب الدعوات، باب منه حدثنا ابن أبي عمر، برقم ٣٤٠١، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٧٠٧.

(٥) أبو الأزهر الأنماري، شامي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وروى عنه بعض الأحاديث، وسماه الحافظ ابن

مَنْ اللَّيْلِ قَالَ «بِسْمِ اللَّهِ وَضَعْتُ جَنْبِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، وَأَخْسِرْ شَيْطَانِي، وَفُكَّ رِهَانِي، وَاجْعَلْنِي فِي النَّدَى الْأَعْلَى»^(١).

ثانياً شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «باسمك ربي»: قال ابن الملقن رحمته الله: «الاسم هو المسمى في الله تعالى على ما ذهب إليه أهل السنة، وموضع الدلالة منه قوله عليه السلام: «باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه»^(٢)، وقال ابن بطال رحمته الله: «بإقدارك إياي على وضع جنبي وضعته، وبإقدارك إياي على رفعه أرفعه»^(٣).

٢- قوله: «باسمك وضعت جنبي وبك أرفعه»: قال القرطبي رحمته الله: «باللام، لا بالباء، وبك أرفعه: روي بالباء وباللام، فالباء للاستعانة. أي: بك أستعين على وضع جنبي ورفعته، فاللام يحتمل أن يكون معناه: لك تقربت بذلك. فإنَّ نومه؛ إنما كان ليستجم به لما عليه من الوظائف؛ ولأنه كان يوحى إليه في نومه، ولأنه كان يقتدى به، فصار نومه عبادة، وأما يقظته. فلا تخفى أنها كانت كلها عبادة، ويحتمل أن يكون معناه لك وضعت جنبي لتحفظه، ولك رفعته لترحمه»^(٤)، وقال الصنعاني رحمته الله: «وضعت جنبي: وضع الجنب كناية عن وضع البدن كله»^(٥).

٣- قوله: «فإن أمسكت نفسي»: أي: قبضت روحي؛ لأن المراد بالنفس

حجر: أبا رهم الأنماري، ثم قال: «وهو خطأ نشأ عن تحريف وتصحيف، وإنما هو أبو زهير الأنماري» وهو على الصواب. انظر: الاستيعاب، ١٥٩٦/٤. والإصابة في تمييز الصحابة، ١٥١/٧.

(١) أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول عند النوم، برقم ٥٠٥٤، والمستدرک، ١/٥٤٠، والمعجم الكبير للطبراني، ٢٢/٢٩٨، برقم ٧٥٨، وحسنه النووي في الأذكار، ص ١٣٢، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٤٦٤٩.

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢٣٩/٣٣.

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال، ١٠/٤٢٣.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٩٧/٢٢.

(٥) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨/٣١٤.

هنا الروح، قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «...الإمساك: وهو قبض الروح، والإرسال: وهو رد الحياة، أي الله يتوفى الأنفس: النفس التي تُقبَضُ، والنفس التي لم تُقبَضُ، فيمسك الأولى، ويرسل الأخرى»^(١).

٤- قوله: «فأرحمها»: قال المباركفوري رَحِمَهُ اللهُ: «أي: لَا أَسْتَعْنِي عَنْكَ بِحَالٍ، فَإِنْ أَمْسَكَتَ نَفْسِي، أَيْ قَبَضْتَ رُوحِي فِي النَّوْمِ (فَأَرْحَمَهَا) أَيْ بِالْمَغْفِرَةِ وَالتَّجَاوُزِ عَنْهَا»^(٢).

٥- قوله: «وإن أرسلتها فاحفظها»: أي: قدرت لها الحياة وعدم الموت في هذه النوم^(٣)، وقال المباركفوري رَحِمَهُ اللهُ: «وإن أرسلتها بِأَنْ رَدَدْتَ الْحَيَاةَ إِلَيَّ وَأَيْقَظْتَنِي مِنَ النَّوْمِ فَاخْضُطْهَا، أَيْ: مِنَ الْمَعْصِيَةِ وَالْمُخَالَفَةِ بِمَا تَحْفَظُ بِهِ، أَيْ: مِنَ التَّوْفِيقِ وَالْعِصْمَةِ وَالْأَمَانَةِ»^(٤).

٦- قوله: «بما تحفظ به عبادك الصالحين»: قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «...لأن الله تعالى إنما يحفظ عباده الصالحين من المعاصي، ومن أن لا يهنوا في طاعته، وعبادته، بتوفيقه ولطفه»^(٥)، وقال الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ: «المراد: إن رددتها فاحفظها عند الرد وبعده من كل آفة من آفات الأبدان»^(٦).

٧- قوله: «أخسى»: أي: أبعد، واطرد، وهذا على سبيل التعليم لأمته، قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «كلمة زجر، واستهانة، أي: اسكت صاغراً، مدحوراً»^(٧)، وقال

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٧٣.

(٢) تحفة الأحوذى، ٩/ ٢٤٥، وتقدم في شرح المفردة رقم ١١ من مفردات حديث المتن رقم ٣.

(٣) انظر: شرح الحديث رقم ٣ من أحاديث المتن، المفردة رقم ١٢.

(٤) تحفة الأحوذى، ٩/ ٢٤٥، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٢ من مفردات حديث المتن رقم ٣.

(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٧٤، وانظر: فتح الباري، لابن حجر،

١١/ ١٢٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٣ من مفردات حديث المتن رقم ٣.

(٦) التنوير شرح الجامع الصغير، ١/ ٦١٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٣ من مفردات حديث المتن رقم ٣.

(٧) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٨٧.

الطبيبي رَحِمَهُ اللهُ: في موضع آخر: «اخسأ شيطاني:» «اجعله مطرودا عني كالكلب المهين، وأضافه إلي نفسه؛ لأنه أراد قرينه من الجن، أو الذي يبغى غوايته»^(١).

٨- قوله: «إذا أوى»: أي: إذا دخل في فراش نومه، ومنه المأوى، وهو المكان الذي يأوي إليه الإنسان، قال الطبيبي رَحِمَهُ اللهُ: «أوى، وآوى بمعنى واحد، يقال: أويت إلى المنزل، وأويت غيري، وأويته... في الحديث: «أما أحدكم فأوى إلى الله» أي: رجع، ومن الممدود قوله: «الحمد لله الذي كفانا، وآوانا، أي: ردنا إلى مأوانا، يعني منزلنا»^(٢).

٩- قوله: «بداخلة إزاره»: أي طرف إزاره الذي يلي الجسد، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «داخلة الإزار: طرفه»^(٣).

١٠- قوله: «بصنفة ثوبه» هي الحاشية التي تلي الجلد، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «وصنفته: طرفه أيضا من جانب هذبه، وقيل: من جانب حاشيته»^(٤)، وقال الطبيبي رَحِمَهُ اللهُ: «هي الحاشية التي تلي الجسم، وتماسه، وإنما أمر بالنفض بها؛ لأن المتحول إلى فراشه يحلّ بيمينه خارجة الإزار، وتبقى الداخلة معلقة فينفض بها»^(٥).

١١- قوله: «فإنه لا يدري ما خلفه عليه»: أي: مما وقع في فراشه من تراب، أو هوام، أو شيطان، قال الطبيبي رَحِمَهُ اللهُ: «أي: أقام مقامه بعده على الفراش، يعني: لا يدري ما وقع في فراشه بعد ما خرج هو منه من تراب، أو قذاة، أو هوام»^(٦).

(١) شرح المشكاة للطبيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ١١ / ٣٤٧٢.

(٢) شرح المشكاة للطبيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤ / ١٢١٦.

(٣) جامع الأصول، ٤ / ٢٦٧.

(٤) جامع الأصول، ٤ / ٢٦٧.

(٥) شرح المشكاة للطبيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦ / ١٨٧٣.

(٦) شرح المشكاة للطبيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦ / ١٨٧٣.

١٢- قوله: «وفك رهاني»: أي: خلّص رقبتني من الحقوق جميعها، قال الطيبي رحمته الله: «وفكّ الرهن: تخليص ما يوضع وثيقة للدّين، وأراد بالرهان هاهنا نفس الإنسان؛ لأنها مرهونة بعملها»^(١).

١٣- قوله: «الندي الأعلى»: أي: اجعلني من المجتمعين في الملاء الأعلى، قال ابن الأثير رحمته الله: «الندي: النادي، المجلس يجتمع فيه القوم، فإذا تفرقوا عنه فليس بنادٍ، ولا ندي، والمراد بالندي الأعلى: مجتمع الملائكة المقربين؛ ولهذا وصفه بالعلو»^(٢)، وقال الإمام النووي رحمته الله: «وروينا عن الإمام أبي سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطابي رحمته الله في تفسير هذا الحديث قال: النديّ: القوم المجتمعون في مجلس، ومثله النادي، وجمعه أندية، قال: يريد بالنديّ الأعلى: الملاء الأعلى من الملائكة»^(٣).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- مشروعية قول هذا الذكر بعد نفض الفراش ثلاث مرات، وهذا النفض من باب الأخذ بالأسباب المشروعة، مع الاعتقاد أن السبب لا يعمل بنفسه، بل بأمر الله تعالى.

٢- الواجب على العبد أن يتجه بقلبه، وقاله إلى خالقه، خاصة أنه قد تكون هذه الليلة لا نهار له بعدها.

٣- صحة الاستعاذة: بأسماء الله، ولذلك أورد البخاري هذا الحديث تحت باب قال فيه: باب: السؤال بأسماء الله والاستعاذة بها^(٤).

(١) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ١١ / ٣٤٧٢.

(٢) جامع الأصول، ٤ / ٢٧١.

(٣) الأذكار النووية للإمام النووي، ص ١٣٢.

(٤) وهي عند البخاري في التوحيد، برقم ٧٣٩٣، وفيه النفض ثلاث مرات.

٤- بَيَّن هذا الحديث الحكمة من نفض الفراش قبل النوم، ولكنه لم يبين الحكمة من اختصاص النفض بداخلة الإزار، والمسلم مأمور بالاتباع التام، عَلِمَ الحكمة أم خفيت عليه، وقد نقل الحافظ ابن حجر : أقوالاً لبعض السلف في بيان ذلك أظهرها أن لذلك خاصية طبية تمنع من قرب بعض الحشرات، قال ابن العربي: هذا من الحذر، ومن النظر في أسباب دفع سوء القدر^(١).

٥- جمع هذا الحديث باختلاف في رواياته، وألفاظه عدداً من السنن النبوية، التي هي من السنن المستحبة، وليست الواجبة، وهي على النحو الآتي:

أ- نفض الفراش بداخلة الإزار ثلاث مرات.

ب- تسمية الله أثناء ذلك.

ج- الاضطجاع على الشق الأيمن.

د- إذا قام من فراشه ثم عاد إليه كرر النفض ثلاثاً^(٢).

هـ- قول هذا الذكر.

٦- إذا قام المسلم من نومه لقضاء حاجته، أو لشيء آخر هل يتوضأ

(١) انظر: فتح الباري، ١١/ ١٢٧، ولفظ الأقوال عند ابن حجر: «قَالَ ابْنُ بَطَالٍ: فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَدَبٌ عَظِيمٌ، وَقَدْ ذَكَرَ حِكْمَتَهُ فِي الْخَبَرِ، وَهُوَ خَشْيَةُ أَنْ يَأْوِي إِلَى فِرَاشِهِ بَعْضُ الْهَوَامِ الضَّارَّةِ فَتُؤْذِيهِ. وَقَالَ الْفَرُطِيُّ: يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهُ يَتَّبِعِي لِمَنْ أَرَادَ الْمَنَامَ أَنْ يَمْسَحَ فِرَاشَهُ لِاحْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ فِيهِ شَيْءٌ يَخْفَى مِنْ رُطُوبَةٍ أَوْ غَيْرِهَا. وَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: هَذَا مِنَ الْحَذَرِ، وَمِنَ النَّظَرِ فِي أَسْبَابِ دَفْعِ سُوءِ الْقَدَرِ، أَوْ هُوَ مِنَ الْحَدِيثِ الْآخَرِ: «اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ» أ. هـ.

(٢) انظر الأدب المفرد، رقم ١٢١٧، حيث ذكر الألباني رواية تشتمل على هذه السنن، وقال أنها رواية صحيحة، ولفظها: «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَأْخُذْ دَاخِلَةَ إِزَارِهِ، فَلْيَنْفُضْ بِهَا فِرَاشَهُ، وَلْيَسْمِ اللَّهَ، فَإِنَّهُ لَا يَغْلُمُ مَا خَلَفَهُ بَعْدَهُ عَلَى فِرَاشِهِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَضْطَجِعَ، فَلْيَضْطَجِعْ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، وَلْيَقُلْ: سُبْحَانَكَ رَبِّي، بِكَ وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكَتْ نَفْسِي فَأَغْفِرْ لَهَا، وَإِنْ أَرْسَلَتْهَا فَأَحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ».

قبل النوم مرة أخرى؟

والجواب:

قام النبي ﷺ من الليل فقصى حاجته، فغسل وجهه ويديه ثم نام، فعن ابن عباس رضي الله عنهما: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَصَّى حَاجَتَهُ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ، وَيَدَيْهِ، ثُمَّ نَامَ» قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «يَعْنِي بَالَ»^(١)، وَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ، أَوْ أَكْثَرَ، فَذَلِكَ أَكْمَلُ وَأَفْضَلُ؛ لِأَنَّ الْأَحَادِيثَ يَفْسِرُ بَعْضُهَا بَعْضًا.



١٠٣- (٥) «اللَّهُمَّ إِنَّكَ خَلَقْتَ نَفْسِي، وَأَنْتَ تَوَفَّاهَا، لَكَ مَمَاتُهَا، وَمَحْيَاهَا، إِنْ أَحْيَيْتَهَا فَاخْضُطَّهَا، وَإِنْ أَمَتَّهَا فَاغْفِرْ لَهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ»^(٢).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٥٩- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما^(٣)، أَنَّهُ أَمَرَ رَجُلًا إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ خَلَقْتَ نَفْسِي، وَأَنْتَ تَوَفَّاهَا، لَكَ مَمَاتُهَا وَمَحْيَاهَا، إِنْ أَحْيَيْتَهَا فَاخْضُطَّهَا، وَإِنْ أَمَتَّهَا فَاغْفِرْ لَهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ»، فَقَالَ رَجُلٌ: سَمِعْتُ هَذَا مِنْ عُمَرَ؟ فَقَالَ: «مِنْ خَيْرٍ مِنْ عُمَرَ، مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^(٤).

(١) أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول عند النوم، برقم، ٥٠٤٣، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٥٠٤٣.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع،

برقم ٢٧١٢، وأحمد، ٣٥٩/٩، برقم ٥٥٠٢.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٣ من أحاديث الشرح.

(٤) مسلم، برقم ٢٧١٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللهم إنك خلقت نفسي»: أي: أوجدتني بقدرتك، والمراد بالنفس الروح التي هي من أمر الله تعالى ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾^(١)، أي: من جملة مخلوقاته التي أمرها أن تكون فكانت^(٢)، قال ابن الأثير رحمه الله: «في أسماء الله تعالى «الخالق» وهو الذي أوجد الأشياء جميعها بعد أن لم تكن موجودة. وأصل الخلق التقدير، فهو باعتبار تقدير ما منه وجودها، وباعتبار الإيجاد على وفق التقدير خالق»^(٣).

٢- قوله: «وأنت توفاه»: إما بالنوم وهو الموتة الصغرى، وإما بالوفاة الحقيقية، قال في الفتح الرباني: «أي: بيدك حياتها وموتها، في الحديث ذكر الموت والحياة، والدعاء للنفس على تقدير الحياة بالحفظ، وعلى تقدير الموت بالمغفرة، وذلك أن النوم شبيه بالموت؛ لأن الله تعالى يتوفى فيه نفس النائم»^(٤).

٣- قوله: «لك مماتها ومحيها»: أي: لا يقدر على الإحياء والإماتة إلا أنت سبحانه، قال الإمام النووي: «أي: حياتها وموتها، وجميع أمورها لك، وبقدرتك، وفي سلطانك»^(٥).

قوله: «إن أحيتها فاحفظها»: قال المناوي رحمه الله: «أي: صنها عن التورط فيما لا يرضيك»^(٦)، وقال الصنعاني رحمه الله: «فاحفظها: عن شرور الحياة:

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

(٢) تفسير السعدي، ص ٤٦٦.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٧٠، مادة (خلق).

(٤) الفتح الرباني شرح مسند أحمد، ١٢/ ٦٣.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٣٥.

(٦) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٢/ ١٩٥.

شُرور الأديان، والأبدان»^(١).

قوله: «وإن أمتها فاغفر لها» قال المناوي رحمته الله: «وإن أمتها فاغفر لها ذنوبها؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»^(٢)، وقال الصنعاني رحمته الله: «وإن أمتها فاغفر لها»: فهي بعد الموت أحوج إلى المغفرة»^(٣).

٤- قوله: «اللهم إني أسألك العافية»: أي: بدفع ما يكدر العيش في الدنيا والبرزخ ويوم القيامة، قال الإمام النووي رحمته الله: «وَقَدْ كَثُرَتْ الْأَحَادِيثُ فِي الْأَمْرِ بِسُؤَالِ الْعَافِيَةِ، وَهِيَ مِنَ الْأَلْفَافِ الْعَامَّةِ الْمُتَنَافِلَةِ لِدَفْعِ جَمِيعِ الْمَكْرُوهَاتِ فِي الْبَدَنِ وَالْبَاطِنِ، فِي الدِّينِ وَالْدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ الْعَامَّةَ، لِي وَلِأَحِبَّائِي، وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ»^(٤)، وقال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «والعافية هي السلامة من كل شر، وإذا وفقك الله لها، وعافاك من كل شر من شر الأبدان، والقلوب، والأهواء، وغيرها فأنت في خير»^(٥).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- الاعتراف بالعبودية لله وحده، والإقرار بالعجز، والتسليم لأمر الله من عوامل الطمأنينة والسكينة في نفس العبد، وهذه الأمور من أعظم النعم.
- ٢- ما كان عليه ابن عمر من محبة الرسول ﷺ أكثر من المال، والأهل، والولد، وهذا شأن أهل الإيمان.
- ٣- إذا فارقت الروح البدن يحدث الموت، ولا يعلم حقيقة الروح إلا

(١) التنوير شرح الجامع الصغير، ٣/ ١٧٩.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٢/ ١٩٥.

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، ٣/ ١٧٩.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٢/ ٤٦.

(٥) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، شرح الحديث رقم ١٤٩٣.

خالقها، فهي تنتشر في سائر الجسد، ويدل على آثارها الإحساس، والتفكير، وغير ذلك، فإذا خرجت بقي الجسد ساكناً بلا حراك.

١٠٤- (٦) «اللَّهُمَّ قِنِي»^(١) عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ، ثلاث مرات (٢).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٦٠- عَنْ حَفْصَةَ رضي الله عنها^(٣) زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْقُدَ وَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى تَحْتَ خَدِّهِ، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ». ثَلَاثَ مَرَارٍ^(٤).

(١) «كان ﷺ إذا أراد أن يرقد وضع يده اليمنى تحت خدّه، ثم يقول: ...» الحديث.

(٢) أبو داود بلفظه، كتاب الأدب، باب ما يقول عند النوم، برقم ٥٠٤٥، والترمذي، كتاب الدعوات، باب منه حدثنا ابن أبي عمر، برقم ٣٣٩٨، وأحمد، ٦٥ / ٤٤، برقم ٢٦٤٦٤، وفي لفظ «ثلاث مرار» وصححه لغيره محققو المسند، ٦٥ / ٤٤، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١٤٣ / ٣، وصحيح أبي داود، ٢٤٠ / ٣، دون لفظة: «ثلاث مرار».

(٣) حفصة بنت عمر رضي الله عنها: زوج النبي ﷺ، تزوجها بعد انقضاء عدتها من خنيس بن حذافة السهمي أحد المهاجرين رضي الله عنه، وكانت ابنة عشرين سنة، ولما تأيمت بوفاة زوجها عرضها عمر على أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما فلم يكن لهما بها حاجة، ثم خطبها الرسول ﷺ، وتزوجها البخاري، برقم ٥١٢٢، ولما طلقها الرسول أمر أن يراجعها فراجعها ابن سعد في الطبقات وقال العدوي في الصحيح المسند من فضائل الصحابة: صحيح لشواهد، وفي لفظ عند ابن سعد أن جبريل قال للرسول ﷺ: «أرجع حفصة فإنها صوامة قوامة، وإنها من نسائك في الجنة» ابن سعد في الطبقات، وقد توفيت عام إحدى وأربعين، وهو عام الجماعة. انظر: الاستيعاب، ٤، ١٨١١، وسير أعلام النبلاء، ٢ / ٢٢٧، ترجمة رقم ٢٥.

(٤) أبو داود، برقم ٥٠٤٥، وأحمد، برقم ٢٦٤٦٤، وفيه: «ثلاث مرار» وصححه لغيره محققو المسند، ٦٥ / ٤٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن. وذكر الشيخ الألباني أثناء تضعيفه لرواية أبي داود في الثلاث مرار في السلسلة الصحيحة، ٦ / ٥٨٤، أن الحافظ ابن حجر في فتح الباري، ١١ / ١١٥ «قد ذكر الحديث من رواية أبي إسحاق عن البراء، وسنده صحيح، وأخرجه النسائي أيضاً بسند صحيح عن حفصة، و زاد: «ويقول ذلك ثلاثاً». ا. هـ، وحسنه السيوطي في

٣٦١- ولفظ الإمام أحمد رحمته الله: عَنْ حَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ اضْطَجَعَ عَلَى يَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ قَالَ: «رَبِّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ» ثَلَاثَ مَرَارٍ، وَكَانَ يَجْعَلُ يَمِينَهُ لِأَكْلِهِ، وَشُرْبِهِ، وَوَضُوئِهِ، وَثِيَابِهِ، وَأَخَذِهِ، وَعَطَائِهِ، وَيَجْعَلُ شِمَالَهُ لِمَا سِوَى ذَلِكَ، وَكَانَ يَصُومُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ: الْإِثْنَيْنِ، وَالْخَمِيسَ، وَالْإِثْنَيْنِ مِنَ الْجُمُعَةِ الْآخَرَى»^(١).

٣٦٢- ولفظ آخر للإمام أحمد عَنِ الْبَرَاءِ رضي الله عنه^(٢)، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ وَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى تَحْتَ خَدِّهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ، أَوْ تَجْمَعُ عِبَادَكَ»^(٣).

٣٦٣- ورواية ابن أبي شيبة: عَنِ الْبَرَاءِ أَيْضاً، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا نَامَ تَوَسَّدَ يَمِينَهُ تَحْتَ خَدِّهِ، وَيَقُولُ: «قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ»^(٤).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللهم»: قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمته الله: «لا خلاف أن لفظة: (اللهم) معناها يا الله؛ ولهذا لا تستعمل إلا في الطلب، فلا يقال اللهم غفور رحيم، بل يقال: اللهم اغفر لي وارحمني»^(٥).

٢- قوله: «قني عذابك»: أي: احفظني من العذاب واصرفه عني، قال ابن

الجامع الصغير، برقم ٦٥٥٨، بينما صححه الألباني في صحيح الكلم الطيب، ص ٧٨، برقم ٣٨.
(١) مسند أحمد، ٤٤/ ٦٤، برقم ٢٦٤٦٢، وصححه لغيره محققو المسند بلفظ ثلاث مرار، وصححه

الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٤٧٩٠، دون كلمة ثلاث مرار.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٨ من أحاديث الشرح.

(٣) مسند أحمد، ٣٠/ ٦١٣، برقم ١٨٦٧٢، وصححه محققو المسند.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة، ٦/ ٣٩، برقم ٢٩٣١١. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة،

٦ / ٥٨٤، برقم ٢٧٥٤.

(٥) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، في شرح المفردة، رقم ٦.

علان ﷺ: «طلب الوقاية من عذابه؛ لأنه أشد العذاب وأعظمه»^(١)، وقال القاري ﷺ: «أي: احفظني منه بفضلك، وكرمك، وهو تعليم لأمته أو تواضع مع ربه»^(٢).

٣- قوله: «يوم تبعث عبادك»: أي: للحساب والجزاء يوم القيامة. وقال الصنعاني ﷺ: «خصه؛ لأنه اليوم الذي يظهر فيه جزاء الأعمال»^(٣).

٤- قوله: «ثلاث مرات»: قال المناوي ﷺ: «أي: يكرره ثلاثاً، والظاهر حصول أصل السنة بمرة، وكمالها باستكمال الثلاث»^(٤).

٥- قوله: «إذا أوى»: أي: إذا دخل في فراش نومه، ومنه المأوى، وهو المكان الذي يأوي إليه الإنسان. يرقد: أي ينام، قال الطيبي ﷺ: «أوى، وأوى بمعنى واحد، يقال: أويت إلى المنزل، وأويت غيري، وأويته... في الحديث: «أما أحدكم فأوى إلى الله» أي: رجع، ومن الممدود قوله: «الحمد لله الذي كفانا، وآوانا، أي: ردّنا إلى مأوانا، يعني: منزلنا»^(٥).

٦- قوله: «اضطجع»: المضجع هو موضع النوم من الاضطجاع وهو النوم، قال ابن منظور ﷺ: «واضطجع: نام، وقيل: استلقى، ووضع جنبه بالأرض... والمضاجع: جمع المضجع؛ قال الله ﷻ: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾^(٦)؛ أي: تتجافى عن مضاجعها التي اضطجعت فيها»^(٧)..

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦ / ٤٢٧.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١ / ٣٤.

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، للصنعاني، ٨ / ٣٢٥.

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٥ / ١٢٣.

(٥) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤ / ١٢١٦.

(٦) سورة السجدة، الآية: ١٦.

(٧) لسان العرب، ٨ / ٢١٩، مادة (ضجع)، وتقدم في شرح المفردة رقم ٤، من حديث متن المقدمة رقم ٧.

٧- قوله: «توسّد»: وسدته الشيء فتوسده إذا جعلته تحت رأسه فكُنِيَ بالوساد عن النوم لأنه مظنته^(١).

٨- قوله: «يرقد»: أي: ينام، قال ابن منظور رَضَّ الله: «رقد: الرُقَاد: النَّوْمُ، وَالرَّقْدَةُ: النَّوْمَةُ ... الرُّقَادُ وَالرُّقُودُ يَكُونُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ عِنْدَ الْعَرَبِ؛ ... وَرَقَدَ يَرْقُدُ رَقْدًا، وَرُقُودًا، وَرُقَادًا: نَامَ، وَقَوْمٌ رُقُودٌ أَي: رُقِدُوا، وَالْمَرْقَدُ، بِالْفَتْحِ: الْمَضْجَعُ، وَأَرْقَدَهُ: أَنَامَهُ»^(٢).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- النوم يصبح أمراً تعبدياً إذا نوى النائم ذلك، فينقله من باب العادات التي لا نية فيها إلى باب العبادات التي يرجو بها الأجر من الله، فيحصل له ذلك، وهذا من فضل الله ﷻ على عباده.

٢- استحضار المسلم لمشاهد البعث والجزاء دافع له إلى إدامة محاسبة نفسه، وذلك كل ليلة.

٣- المواظبة على الأذكار النبوية تؤصل في قلب المسلم المحبة الحقيقية للرسول الكريم ﷺ، رجاء أن يحشر معه.

٤- نهى النبي ﷺ عن النوم على البطن، وقد رأى أحد أصحابه وهو طهفة الغفاري^(٣)، فقال: أَصَابَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَائِمًا فِي الْمَسْجِدِ عَلَى بَطْنِي، فَرَكَّضَنِي بِرِجْلِهِ وَقَالَ: «مَا لَكَ وَلِهَذَا النَّوْمُ، هَذِهِ نَوْمَةٌ يَكْرَهُهَا اللَّهُ، أَوْ يَغْضُهَا

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥ / ١٨٠، مادة (وسد).

(٢) لسان العرب ٣ / ١٨٣، مادة (رقد).

(٣) طهفة الغفاري، قيل: طهفة بن قيس بالهاء، وقيل طخفة بن قيس بالخاء، وقيل طغفة بالغين، وغير ذلك، كان من أصحاب الصفة، ومن أهل العلم من يقول: إن الصعبة لابنه عبد الله. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر، ٢ / ٧٧٤، والإصابة، ٣ / ٥٤٤.

الله»^(١). وفي رواية أخرى عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه ^(٢) قَالَ: مَرَّ بِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا مُضْطَجِعٌ عَلَى بَطْنِي، فَرَكَّضَنِي بِرِجْلِهِ، وَقَالَ: «يَا جُنَيْدُ، إِنَّمَا هَذِهِ ضِجَّةُ أَهْلِ النَّارِ»^(٣)، وفي لفظ آخر: قال: «إِنَّ هَذِهِ ضِجَّةٌ يُبْغِضُهَا اللَّهُ»^(٤).

قال القاري رحمته الله: «وَذَكَرَ ذَلِكَ [قوله: قني عذابك...] مَعَ عِصْمَتِهِ، وَعُلُوِّ مَرْتَبَتِهِ تَوَاضُعًا لِلَّهِ، وَإِجْلَالًا لَهُ وَتَعْلِيمًا لِأُمَّتِهِ إِذْ يُنْدَبُ لَهُمُ التَّائِسِيُّ بِهِ فِي الْإِثْنَانِ بِذَلِكَ عِنْدَ النَّوْمِ لِاحْتِمَالِ أَنَّ هَذَا آخِرُ أَعْمَارِهِمْ لِيَكُونَ ذِكْرُ اللَّهِ آخِرَ أَعْمَالِهِمْ، مَعَ الْإِعْتِرَافِ بِالتَّقْصِيرِ فِي بَابِي الْإِزْتِكَابِ وَالْإِجْتِنَابِ الْمُوجِبِ لِلْعَذَابِ وَالْعِقَابِ»^(٥).

١٠٥ - (٧) «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتُ وَأَحْيَا»^(٦).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٦٤ - عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنه ^(٧)، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنَامَ قَالَ: «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتُ وَأَحْيَا»، وَإِذَا اسْتَيْقَظَ مِنْ مَنَامِهِ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الأدب، باب النهي عن الاضجاع على الوجه، برقم ٣٧٢٣، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، برقم ٣٧١٣.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٤٥ من أحاديث الشرح.

(٣) سنن ابن ماجه، كتاب الأدب، باب النهي عن الاضجاع على الوجه، برقم ٣٧٢٤، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، برقم ٣٧١٤.

(٤) أخرجه أبو داود، برقم ٥٠٤٠، وابن ماجه، برقم ٣٧٢٣، وأحمد، ٢٤/٣٠٧، رقم ١٥٥٤٣، والأحاديث المختارة للضياء المقدسي، ٣/٢٤٠، وصحح إسناده، وحسنه لغيره محققو المسند، ٢٤/٣٠٧، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٣/١٠٦، برقم ٣٠٨٠.

(٥) جمع الوسائل في شرح الشرائع، للقيري، ٢/٤١.

(٦) البخاري، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا أصبح، برقم ٦٣٢٤، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، برقم ٢٧١١.

(٧) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٦ من أحاديث الشرح.

أَخْيَانًا بَعْدَ مَا أَمَاتْنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»^(١).

٣٦٥- ورواية مسلم: عَنْ الْبَرَاءِ^(٢)، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، كَانَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ قَالَ: «اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَحْيَا، وَبِاسْمِكَ أَمُوتُ» وَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»^(٣).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «باسمك اللهم»: أي: باسمك يا الله، والباء للاستعانة، أي: أستعين بك، وأسألك الحفظ والسلامة. . يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْاسْمَ هُوَ الْمُسَمَّى، وَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾^(٤)، أي: سَبِّحْ رَبَّكَ، وَمَعْنَى آخِرٍ وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَمَّى نَفْسَهُ بِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى، وَمَعَانِيهَا ثَابِتَةٌ لَهُ، فَكُلُّ مَا صَدَرَ فِي الْوُجُودِ فَهُوَ صَادِرٌ عَنْ تِلْكَ الْمُقْتَضِيَّاتِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: بِاسْمِكَ الْمُحْيِي أَحْيَا، وَبِاسْمِكَ الْمُمِيتِ أَمُوتُ»^(٥).

٢- قوله: «أَمُوتُ»: أي: ذاكراً لاسمك، معظمًا له، قال ابن الملقن رَحِمَهُ اللَّهُ: «بِذِكْرِ اسْمِكَ أَحْيَا مَا حَيِّتَ، وَعَلَيْهِ أَمُوتَ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ: بِكَ أَحْيَا، أَنْتَ تَحْيِينِي وَأَنْتَ تَمِيتُنِي، وَالْاسْمَ هُنَا هُوَ الْمُسَمَّى، وَالْمُرَادُ بِالْمَوْتِ هُنَا: النَّوْمُ، وَالنُّشُورُ: هُوَ الْإِحْيَاءُ لِلْبَعْثِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَبَهَ بِإِعَادَةِ الْيَقَظَةِ بَعْدَ النَّوْمِ الَّذِي هُوَ مَوْتٌ عَلَى إِثْبَاتِ الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَحِكْمَةُ الدُّعَاءِ عِنْدَ إِرَادَةِ النَّوْمِ -وَهُوَ مُسْتَحَبٌ- أَنْ يَكُونَ خَاتِمَةً أَعْمَالِهِ، وَإِذَا أَصْبَحَ أَنْ يَكُونَ أَوَّلَ عَمَلِهِ بِذِكْرِ التَّوْحِيدِ، وَالْكَلِمِ الطَّيِّبِ»^(٦).

(١) البخاري، برقم ٦٣٤٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٨ من أحاديث الشرح.

(٣) مسلم، برقم ٢٧١١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٤٤٦.

(٥) فتح الباري، لابن حجر، ١١/١١٤، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، في المفردة رقم ٧.

(٦) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢٩/٢١٠.

٣- قوله: «وأحيا»: أي: أحيا على هذه الحالة من ذكرك، وتوحيدك، وامتنال ما أمرتنا به، واجتناب ما نهيتنا عنه. وقال ابن الجوزي رحمته الله: «والمعنى بل أموت وأحيا بإرادتك وقدرتك»^(١)، وقال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «يعني: أنني أموت وأحيا بإرادة الله ﷻ، والمراد بالموت هنا، والله أعلم، موت النوم؛ لأن النوم يسمى وفاة، أو أنه الموت الأكبر الذي هو مفارقة الروح للبدن ... المراد بالموت في قوله: باسمك اللهم أموت وأحيا يعني موت النوم، وهو الموت الأصغر»^(٢).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- المسلم يختم يومه بذكر ربه، والإقرار له بالعبودية؛ لأنه قد افتتح يومه بحمد الله الذي أحياه بعد هذه الموته الصغرى؛ ولذلك جاء في الحديث: أن النبي ﷺ «إذا استيقظ من منامه: كان يقول: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور»»^(٣).

٢- النوم يُذكر المسلم بالموت، وبأن الله هو الحي الذي لا يموت، وكذلك الاستيقاظ دليل على قدرة الله على البعث، والإحياء بعد الموت.



١٠٦- (٨) «سُبْحَانَ اللَّهِ (ثلاثاً وثلاثين) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ (ثلاثاً وثلاثين) وَاللَّهُ أَكْبَرُ (أربعاً وثلاثين)»^(٤).

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي، ص ٢٤٢.

(٢) شرح رياض الصالحين، للعلامة ابن عثيمين، شرح الحديث رقم ٨١٧.

(٣) البخاري، برقم ٦٣٣٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) من قال ذلك عندما يأوي إلى فراشه كان خيراً له من خادم. البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، برقم ٣٧٠٥، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التسييح أول النهار وعند النوم، برقم ٢٧٢٦.

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٦٦- عن عليٍّ عليه السلام ^(١)، أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ ^(٢)، شَكَتَ مَا تَلْقَى مِنْ أَثَرِ الرَّحَا، فَاتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم سَبِيًّا، فَانْطَلَقَتْ فَلَمْ تَجِدْهُ، فَوَجَدَتْ عَائِشَةَ فَأَخْبَرَتْهَا، فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ بِمَجِيءِ فَاطِمَةَ، فَجَاءَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم إِلَيْنَا، وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْتُ لِأَقُومَ، فَقَالَ: «عَلَى مَكَانِكُمَا»، فَقَعَدَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي، وَقَالَ: «أَلَا أَعْلَمُكُمَا خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَانِي، إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا تَكْبِرَا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، وَتُسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ» ^(٣).

٣٦٧- ورواية الإمام أحمد عن عليٍّ عليه السلام، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم لَمَّا زَوَّجَهُ فَاطِمَةَ بَعَثَ مَعَهُ بِخَمِيلَةٍ، وَوِسَادَةٍ، مِنْ أَدَمٍ حَشَوْهَا: لَيْفٌ، وَرَحِيْنٌ، وَسِقَاءٌ، وَجَرَّتَيْنِ، فَقَالَ عَلِيُّ لِفَاطِمَةَ ذَاتَ يَوْمٍ: وَاللَّهِ لَقَدْ سَنَوْتُ حَتَّى لَقِدِ اسْتَكَيْتُ صَدْرِي، قَالَ: وَقَدْ جَاءَ اللَّهُ أَبَاكَ بِسَبِيٍّ، فَادْهَبِي فَاسْتَخْدِمِيهِ، فَقَالَتْ: وَأَنَا وَاللَّهِ قَدْ طَحَنْتُ حَتَّى مَجَلَّتْ يَدَايَ، فَاتَتْ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم، فَقَالَ: «مَا جَاءَ بِكَ أَيُّ بُنْيَةٍ؟»، قَالَتْ: جِئْتُ لِأَسَلِّمَ عَلَيْكَ، وَاسْتَخَيْتُ أَنْ تَسْأَلَهُ وَرَجَعْتُ، فَقَالَ: مَا فَعَلْتَ؟ قَالَتْ: اسْتَخَيْتُ أَنْ أَسْأَلَهُ، فَاتَيْنَاهُ جَمِيعًا، فَقَالَ عَلِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَقَدْ سَنَوْتُ حَتَّى اسْتَكَيْتُ صَدْرِي، وَقَالَتْ فَاطِمَةُ: قَدْ طَحَنْتُ حَتَّى مَجَلَّتْ يَدَايَ، وَقَدْ جَاءَكَ اللَّهُ بِسَبِيٍّ وَسَعَةٍ، فَأَخَذْنَاهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «وَاللَّهِ لَا أُعْطِيكُمَا وَأَدْعُ أَهْلَ الصُّفَّةِ تَطْوَى بُطُونُهُمْ، لَا أَجِدُ مَا أَنْفِقُ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنِّي أَبِيعُهُمْ،

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٥ من أحاديث الشرح.

(٢) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٨٨ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري، برقم ٣٧٠٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

وَأَنْفَقُوا عَلَيْهِمْ أَثْمَانَهُمْ»، فَزَجَعَا، فَأَتَاهُمَا النَّبِيُّ ﷺ وَقَدْ دَخَلَا فِي قَطِيفَتِهِمَا، إِذَا غَطَّتْ رُؤُوسَهُمَا تَكَشَّفَتْ أَقْدَامُهُمَا، وَإِذَا غَطَّتَا أَقْدَامَهُمَا تَكَشَّفَتْ رُؤُوسُهُمَا، فَتَارَا، فَقَالَ: «مَكَانَكُمَا»، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أَخْبِرُكُمَا بِخَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَانِي؟» قَالَا: بَلَى، فَقَالَ: «كَلِمَاتٌ عَلَّمْنِيهِنَّ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: تُسَبِّحَانِ فِي ذُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا، وَتُحَمِّدَانِ عَشْرًا، وَتُكَبِّرَانِ عَشْرًا، وَإِذَا أَوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا فَسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ»، قَالَ: فَوَ اللَّهُ مَا تَرَكْتُهُنَّ مِنْذُ عَلَّمْنِيهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْكَوَّاءِ: وَلَا لَيْلَةَ صِفِينِ؟ فَقَالَ: قَاتَلَكُمُ اللَّهُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ، نَعَمْ، وَلَا لَيْلَةَ صِفِينِ^(١).

٣٦٨- وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه^(٢)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَصَلَتَانِ لَا يُخَصِّيهُمَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَهُمَا يَسِيرُ، وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ: يُسَبِّحُ اللَّهَ فِي ذُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا، وَيُكَبِّرُ عَشْرًا، وَيُحَمِّدُ عَشْرًا، فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَعْقِدُهَا بِيَدِهِ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ وَمِئَةٌ بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ وَخَمْسُمِئَةٌ فِي الْمِيزَانِ، وَإِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ: سَبَّحَ، وَحَمِدَ، وَكَبَّرَ مِئَةً، فَتِلْكَ مِئَةٌ بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ فِي الْمِيزَانِ، فَأَيُّكُمْ يَعْمَلُ فِي الْيَوْمِ أَلْفَيْنِ وَخَمْسُمِئَةِ سَبَّحَةٍ؟ قَالُوا: وَكَيْفَ لَا يُخَصِّيهَا؟ قَالَ: يَأْتِي أَحَدَكُمُ الشَّيْطَانُ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ، فَيَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا وَكَذَا، حَتَّى يَنْفِكَ الْعَبْدَ لَا يَغِيقُلْ، وَيَأْتِيهِ وَهُوَ فِي مَضْجَعِهِ، فَلَا يَزَالُ يَنْوِمُهُ حَتَّى يَنَامَ»^(٣).

٣٦٩- وَلَفَظَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، أَنَّ فَاطِمَةَ، جَاءَتْ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ تَشْتَكِي إِلَيْهِ الْخِدْمَةَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَقَدْ مَجَلَّتْ يَدَايَ مِنَ الرَّحَى،

(١) مسند أحمد، ٢/ ٢٠٢، برقم ٨٣٨، وابن سعد، ٨/ ٢٥، وحسنه محققو المسند، ٢/ ٢٠٣.

(٢) تقدمت ترجمته في حديث الشرح رقم ٨٣.

(٣) النسائي، كتاب السهو، عدد التسييح بعد التسليم، برقم ١٣٤٨، وابن ماجه، كتاب الصلاة، باب ما يقال بعد التسليم، برقم ٩٢٦، والترمذي، كتاب الدعوات، باب منه حدثنا أحمد بن منيع، برقم ٣٤١٠، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ص ٢٦، برقم ٧٥٤.

أَطْحَنُ مَرَّةً، وَأَعَجَنُ مَرَّةً، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ يَزُوقَكَ اللَّهُ شَيْئًا يَأْتِكَ، وَسَادُّكَ عَلَى خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ: إِذَا لَزِمْتَ مَضْجَعَكَ، فَسَبِّحِ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبِّرِ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدِي أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، فَذَلِكَ مِائَةٌ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْخَادِمِ، وَإِذَا صَلَّيْتَ صَلَاةَ الصُّبْحِ، فَقُولِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. عَشْرَ مَرَّاتٍ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ، وَعَشْرَ مَرَّاتٍ بَعْدَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ، فَإِنْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ تُكْتَبُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَتَحُطُّ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ، وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ كَعِتْقِ رَقَبَةٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَلَا يَحِلُّ لِذَنْبٍ كُسِبَ ذَلِكَ الْيَوْمَ أَنْ يُذْرِكَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الشِّرْكُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَهُوَ حَرَسُكَ، مَا بَيْنَ أَنْ تَقُولَهُ غَدَوَةً إِلَى أَنْ تَقُولَهُ عَشِيَّةً، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ، وَمِنْ كُلِّ سُوءٍ»^(١).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

- ١- قوله: «وسبحان الله»: قال ابن الأثير رحمه الله: «التسبيح: التنزيه، والتقديس، والتبرئة من النقائص، ثم استعمل في مواضع تقرب منه اتساعاً...، فمعنى سبحان الله: تنزيه الله»^(٢).
- ٢- قوله: «الحمد لله»: قال النووي رحمه الله: «التَّحْمِيدُ: الثَّنَاءُ بِجَمِيلِ الْفِعَالِ، وَالتَّمْجِيدُ الثَّنَاءُ بِصِفَاتِ الْجَلَالِ، وَيُقَالُ: أَثْنَى عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ»^(٣).
- ٣- قوله: «الله أكبر»: قال ابن الأثير رحمه الله: «الله أكبر» معناه الله الكبير، وقال النحويون: معناه الله أكبر من كل شيء»^(٤).

- ٤- قوله: «ما تلقى من أثر الرحي»: أي: من المشقة والتعب، قال ابن

(١) مسند أحمد، ٤٤ / ١٧٥، برقم ٢٦٥٥١، وصححه لغيره محققو المسند، ٤٤ / ١٧٦.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢ / ٣٣٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ٦، من مفردات حديث المتن رقم ٢.

(٣) شرح النووي على مسلم، ٤ / ١٠٤، وتقدم في شرح المفردة رقم ٧ من حديث المتن رقم ٢.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٤ / ٥٢، مادة (كبر)، وتقدم في شرح المفردة رقم ٨

من مفردات حديث المتن رقم ٢.

منظور ﷺ: «يَقُولُ: يَلْقَى مِنْهُ الْمَشَقَّةُ وَالشِّدَّةُ، كَمَا يَلْقَى مِنَ الْقِتَالِ»^(١)، وقال الراغب الأصفهاني ﷺ عن الأثر: «أثر الشيء: حصول ما يدل على وجوده، يقال: أثر وأثر، والجمع: الآثار»^(٢)، وقال القسطلاني ﷺ: «تلقى في يدها من أثر الرحا... مما تطحن»^(٣)، و«الرحى»: هي الأداة التي كانوا يطحنون بها الشعير وغيره من الحبوب؛ ليصبح دقيقًا صالحًا للخبز، وإنما كانت المشقة في إدارة الرحى، قال ابن منظور ﷺ: «الرَّحَى: الْحَجَرُ الْعَظِيمُ، أُثْنَى، وَالرَّحَى: مَعْرُوفَةٌ الَّتِي يُطْحَنُ بِهَا»^(٤).

- ٥- قوله: «السبي»: أي: رقيق، قال ابن الأثير ﷺ: «السَّيْبِيُّ: النَّهْبُ، وَأَخَذَ النَّاسَ عَبِيدًا وَإِمَاءً، وَالسَّيْبِيُّ: الْمَرْأَةُ الْمَنْهُوبَةُ، فَعِيلَةٌ بِمَعْنَى مَفْعُولَةٍ، وَجَمْعُهَا السَّبَايَا»^(٥).
- ٦- قوله: «خادمًا»: أي: جارية تخدمها، ويطلق الخادم على الذكر أيضًا.
- ٧- قوله: «توافقه»: أي: لم تجده في بيته ﷺ، ولعله كان في المسجد أو غيره.
- ٨- قوله: «دخلنا مضاجعنا»: أي: تهيأنا للنوم في المكان المعد لذلك، وقد قيل: إن ذلك كان عبارة عن لحاف لهما، إذا غطيا رأسيهما تكشفتا أقدامهما، والعكس^(٦).
- ٩- قوله: «ذهبنا لنقوم»: قال في الفتح الرباني: «فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا... إلخ. أي: جاء النبي ﷺ حال كوننا مضطجعين (فذهبت لأقوم) يعني: أنا وفاطمة، وفي رواية أبي داود: (فذهبنا لنقوم)»^(٧).

(١) لسان العرب، ٤ / ٢١١، مادة (لقي).

(٢) المفردات في غريب القرآن، ١ / ١٢.

(٣) شرح القسطلاني، ٦ / ١١٧.

(٤) لسان العرب، ١٤ / ٣١٢، مادة (رحى).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢ / ٣٤٠، مادة (سبي).

(٦) ذكر ذلك الحافظ في الفتح من رواية السائب، ١١ / ١٣٨.

(٧) الفتح الرباني شرح مسند أحمد، ٦٣ / ١٠.

١٠- قوله: «على مكانكما»: أي: في الفراش، لا تتكلفا القيام أي اثبتا على ما أنتما عليه من الاضطجاع^(١).

١١- قوله: «فجلس بيننا»: وإنما فعل ذلك النبي ﷺ مبالغة منه في إيناسهما، وقد جاء في بعض طرق الحديث^(٢): أن النبي ﷺ جلس عند رأس فاطمة، فأدخلت رأسها في اللفاف^(٣) حياءً من أبيها ﷺ.

١٢- قوله: «ليلة صفين»: أي: ليلة الحرب التي كانت بين علي ومعاوية عليه السلام، وهي مكان معروف في الشام قريب من حدود العراق وتركيا، وقد أقام الفريقان عدة أشهر، ولم يقع القتال ليلاً إلا مرة واحدة، وقتل فيها الآلاف من الفريقين، وقد أشرف علي عليه السلام على النصر، ولكن أصحاب معاوية عليه السلام رفعوا المصاحف، ووقع التحكيم عام ٣٧ هـ، ثم خرج الخوارج على علي عليه السلام عام ٣٨ هـ، وقتلهم عليه السلام بالنهروان^(٤).

١٣- قوله: «خميلة»: «كل ثوب له خمل من أي شيء كان، وقيل: الخميل الأسود من الثياب»^(٥).

١٤- قوله: «وسادة»: الوسادة - بكسر الواو فيهما-: المخدة، والجمع وسائد، ووسد -بضمين- ووسدته الشيء توسيداً، فتوسده، إذا جعلته تحت رأسه^(٦).

١٥- قوله: «ليف»: من خوص، أو شعر، أو وبر، أو صوف، أو جلود

(١) المرجع السابق.

(٢) شرح الحديث في فتح الباري، ١١/ ١٢٠.

(٣) اللفاف: ثوب يجلل به الجسد كله، كساء كان أو غيره، وتلفع بالثوب إذا اشتمل به. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٢٦٠)، مادة (لفع).

(٤) انظر تفصيل ذلك في كتب التاريخ كالبداية والنهاية لابن كثير رحمته الله.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٨٠، مادة (خمل).

(٦) مختار الصحاح، ص ٣٠٠، مادة (وسد).

الإبل، أو مِن أَيِّ شَيْءٍ كَانَ^(١).

١٦- قوله: «سنوات»: السواني: جمع سانية، وهي الناقة التي يستقى عليها، ... ونسنو عليه أي: نستقي، ومنه حديث فاطمة لقد سنوات حتى اشتكيت صدري^(٢).

١٧- قوله: «مجلت»: مجلت يده تمجل مجلاً، ومجلت تمجل مجلاً، إذا ثخن جلدها، وتعبّر، وظهر فيها ما يشبه البثر من العمل بالأشياء الصلبة الخشنة^(٣).

١٨- قوله: «أأخدمنا»: أي: نسألك خادماً يقيها حر ما هي فيه، والخادم واحد الخدم، ويقع على الذكر والأنثى لإجرائه مجرى الأسماء غير المأخوذة من الأفعال، كحائض، وعاتق^(٤).

١٩- قوله: «تطوى بطونهم»: يقال: طوى من الجوع يطوى طوى، فهو طاو: أي: خالي البطن، جائع لم يأكل، وطوى يطوي إذا تعمد ذلك^(٥).

٢٠- قوله: «قطيفتهما»: القطيفة: هي كساء له خمل: أي: الذي يعمل لها، وَيَهْتَمُّ بِتَحْصِيلِهَا^(٦).

٢١- قوله: «خمسون ومائة»: قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «فتلك خمسون ومائة: فذلّة الكلمات المذكورة دبر الصلوات، وجملة تعدادها في اليوم والليلة، وذلك لأن عدد الكلمات المحصيات خلف كل صلاة ثلاثون، وعدد الصلوات المفروضة في اليوم والليلة خمس»^(٧).

(١) تاج العروس، ٩/ ١٧١، مادة (ليف).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٤١٤، مادة (سنت).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، ٤/ ٢٩٩، مادة (مجل)، وانظر: الفتح الرباني شرح مسند أحمد، ١٠/ ٥٤.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ١٤، مادة (خدم).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ١٤٦، مادة (طوى).

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/ ٨٣، مادة (قطف).

(٧) شرح المشكاة للطبي الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٨٥.

٢٢- قوله: «وَأَلْفٌ وَخَمْسَمِائَةٌ فِي الْمِيزَانِ»: لأن الحسنة بعشر أمثالها، وقوله: «وَإِذَا أَخَذَ مُضْجِعَهُ» إلى آخره بيان للخصلة الأخرى، قوله: فإذا أتى بهؤلاء الكلمات أدبار الصلوات، وعند الاضطجاع، يحصل له ألفا حسنة، وخمسمائة حسنة، فيعفى عنه بعدد كل حسنة سيئة، فأيكُم يأتي في كل يوم وليلة ألفين وخمسمائة سيئة؟ يعني يصير مغفوراً له، ويمكن أن يقال: إن (الفاء) في (فأيكُم) جواب شرط محذوف، وفي الاستفهام نوع إنكار، يعني إذا تقرر ما ذكرت، فأيكُم يأتي بألفين وخمسمائة سيئة، حتى تكون مكفرة بها، فما لكم لا تأتون بها، وأي مانع يمنعكم؟ فينطبق على هذا إنكار قولهم: (كيف لا نحصيها)، إذ لا يصرفنا عن ذلك شيء؟ فأجيبوا بقوله: «يَأْتِي أَحَدُكُمْ الشَّيْطَانُ» يعني يوقع الشيطان في قلوبكم الوسوس والنسيان، حتى ينصرف أحدكم عن الصلاة، وينام، وقد نسي الذكر^(١)، وقال القاري رَحِمَهُ اللهُ عَلَى قَوْلِهِ: «فَذَلِكَ خَمْسُونَ وَمِئَةٌ بِاللِّسَانِ»: «أي: في يوم وليلة حاصلة من ضرب ثلاثين في خمسمئة، أي: مائة وخمسون حسنة (باللسان)، أي: بمقتضى نطقه في العدد «وَأَلْفٌ وَخَمْسَمِائَةٌ فِي الْمِيزَانِ»؛ لأن كل حسنة بعشر أمثالها على أقل مراتب المضاعفة الموعودة في الكتاب والسنة، يعني: إذا حافظ على الخصلتين، وحصل ألفان وخمسمائة حسنة في يوم وليلة، فيعفى عنه بعدد كل حسنة سيئة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾^(٢)، فأيكُم يأتي بأكثر من هذا من السيئات في يومه وليته حتى لا يصير مغفوراً عنه، فما لكم لا تأتون بهما، ولا تحصونهما؟^(٣)، وقال السندي رَحِمَهُ اللهُ: «قوله: (فأيكُم يعمل) إلخ، أي: لتساوي هذه الحسنات، ولا يبقى منها شيء، أي: بل السيئات في العادة أقل من هذا العدد، فتغلب عليها هذه الحسنات الحاصلة بهذا الذكر المبارك»^(٤)، وقال المباركفوري رَحِمَهُ اللهُ: قال السندي «في حاشية ابن ماجة: أي: إنها تدفع هذا العدد

(١) انظر: شرح المشكاة للطبي الكاشف عن حقائق السنن، ٦ / ١٨٨٥.

(٢) سورة هود، الآية: ١١٤.

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨ / ٢٧٩.

(٤) حاشية السندي على النسائي، ٣ / ٧٤.

من السيئات، وإن لم تكن له سيئات بهذا العدد، ترفع له بها درجات، وقلّما يعمل الإنسان في اليوم واللييلة هذا القدر من السيئات، فصاحب هذا الورد، مع حصول مغفرة السيئات، لا بد أن يحرز بهذا الورد فضيلة هذه الدرجات، «قالوا: وكيف لا نحصيها»، أي المذكورات، وفي رواية أحمد «قالوا: كيف من يعمل بهما قليل؟» والمعنى: أنهم قالوا مستفهمين استفهام تعجب، إذا كان هذا الثواب الجزيل لمن يعمل هذا العمل القليل، فكيف يقلّ العاملون به؟^(١)، وقال المباركفوري أيضاً: «قَالَ الطَّبِيُّ: أَيُّ: كَيْفَ لَا نُحْصِي الْمَذْكُورَاتِ فِي الْخَصْلَتَيْنِ؟ وَأَيُّ شَيْءٍ يَضُرُّنَا فَهَوَّ اسْتِيعَادَ لِإِهْمَالِهِمْ فِي الْإِخْصَاءِ، فَرُدَّ اسْتِيعَادُهُمْ بِأَنَّ الشَّيْطَانَ يُوسِسُ لَهُ فِي الصَّلَاةِ حَتَّى يَغْفَلَ عَنِ الذِّكْرِ عَقِيْبَهَا، وَيُؤَمِّمُهُ عِنْدَ الْاضْطِجَاعِ كَذَلِكَ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ (قَالَ) أَيُّ: النَّبِيُّ ﷺ: «يَأْتِي أَحَدَكُمْ» مَفْعُولٌ مُقَدَّمٌ، فَيَقُولُ، أَوْ يُوَسَّسُ لَهُ، أَوْ يُلْقِي فِي خَاطِرِهِ: أَذْكَرُ كَذَا، أَذْكَرُ كَذَا، مِنْ الْأَشْغَالِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَالْأَحْوَالِ النَّفْسِيَّةِ الشَّهْوِيَّةِ، أَوْ مَا لَا تَعْلُقُ لَهَا بِالصَّلَاةِ، وَلَوْ مِنْ الْأُمُورِ الْآخِرَوِيَّةِ... وَفِيهِ إِيْمَاءٌ إِلَى أَنَّهُ إِذَا كَانَ يَغْلِبُهُ الشَّيْطَانُ عَنِ الْحُضُورِ الْمَطْلُوبِ الْمُؤَكَّدِ فِي صَلَاتِهِ، فَكَيْفَ لَا يَغْلِبُهُ، وَلَا يَمْنَعُهُ عَنِ الْأَذْكَارِ الْمَعْدُودَةِ مِنَ الشُّنَنِ فِي حَالِ انْصِرَافِهِ عَنْ طَاعَتِهِ، وَيَأْتِيهِ أَيُّ: الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَلَا يَزَالُ يُؤَمِّمُهُ بِشَدِيدِ الْوَاوِ، أَيُّ: يُلْقِي عَلَيْهِ النَّوْمَ حَتَّى يَنَامَ، أَيُّ: يَدُونِ الذِّكْرَ»^(٢).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- بيان ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من خشونة العيش، وقلة الزاد؛ لأن همهم كان الآخرة، وأن الله ﻋَﻠَﻤَ قد حماهم شر الدنيا.

٢- جاء بيان ما كانت عليه فاطمة من التعب في رواية ملخصها أنها كانت تعمل الآتي:

أ- تجرّ بالرحى حتى أثر ذلك في يدها.

(١) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨ / ١٤٦.

(٢) تحفة الأحوذى، ٩ / ٢٥٣.

ب - استقت بالقربة حتى أثر ذلك في نحرها.

ج - كانت تكنس البيت حتى تغيرت ثيابها.

د - كانت توقد القدر حتى دكنت - أي اسودّت - ثيابها من الدخان^(١).

٣- مكانة عائشة رضي الله عنها، وعلو مقامها حيث خصّتها فاطمة بالسفارة بينها وبين أبيها، دون سائر زوجاته رضي الله عنهن.

٤- ما كان عليه الرسول الكريم ﷺ من العطف، والشفقة، والتواضع على البنت، والصهر؛ حيث لم يزعجهما، وتركهما على حالة الاضطجاع، وبالح حتى أدخل رجله الشريفة بينهما.

٥- جواز دخول الرجل على ابنته وزوجها، وجلسه في فراشها، ولكن ذلك تابع للمصلحة والمفسدة التي يترتب عليها ذلك الفعل.

٦- شدة رعاية النبي ﷺ لمصالح أمته؛ حيث أثر إعطاء أهل الصفة المال المترتب على بيع السبي، والذي أرادت فاطمة أن تأخذ منهم جارية، وذلك لأن أهل الصفة قد وقفوا أنفسهم لسماع العلم، وضبط السنة.

٧- تعليم النبي ﷺ لفاطمة، وعلي ﷺ ما هو أفضل من الخادم، ألا وهو ذكر الله تعالى؛ لأن الذكر يعطي الذكر قوة في بدنه، وصحته.

٨- يقول ابن القيم رحمته الله: «وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية في مشيه، وكلامه، وإقدامه، وكتاباته، أمر عجيبي؛ لأنه كان كثير الذكر، وكان يقول: من حافظ على هذه الكلمات لم يأخذه إعياء فيما يعانيه من شغل وغيره»^(٢).

(١) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب التسييح عند النوم، برقم ٥٠٦٣، وضعفه الألباني، ولكن الشاهد أن العمل أرفقها، أما علي ﷺ فقد كان يشتكي من صدره مما يلاقه من مشقة جلب الماء من البئر.

(٢) الوابل الصيب، ١٣١.

٩- استدل بعض أهل العلم بهذا الحديث على وجوب خدمة الزوجة لزوجها، مثل: الطبخ، والغسيل، ونحو ذلك، وإن كانت الزوجة من بنات الأشراف، فقل هذا من باب البر، والإحسان، وحسن العشرة، وليس من باب الإلزام، وأرجع بعضهم ذلك إلى العرف، والعلم عند الله تعالى^(١).

١٠٧- (٩) «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبَّ الْأَرْضِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا، وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَّتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ»^(٢).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٧٠- عن سهيل^(٣) قال: كَانَ أَبُو صَالِحٍ^(٤) يَأْمُرُنَا، إِذَا أَرَادَ أَحَدُنَا أَنْ يَنَامَ،

(١) والذي جاء الدليل فيه هو قوله ﷺ: «ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه» مسلم، برقم ١٢١٨، وكذلك ورد الدليل على أنها ملزمة بالاستجابة إلى طلبه إذا دعاها للفرش، لقوله ﷺ: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء لعتتها الملائكة حتى تصبح» البخاري، برقم ٥١٩٣، أما ما ورد من فعل فاطمة رضي الله عنها، وكذلك فعل أسماء بنت أبي بكر مع الزبير بن العوام رضي الله عنه من أنها كانت تعلق فرسه، وتنقل النوى، وتستقي الماء، وغير ذلك. وانظر: المغني، لابن قدامة، ٢١/٧.

(٢) مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، برقم ٢٧١٣.

(٣) تقدمت ترجمته في حديث الشرح رقم ٣٤٤.

(٤) ذُكِرَ أَبُو صَالِحٍ السَّامَنِيُّ، كَانَ يَجْلِبُ السَّمْنَ وَالزَّيْتَ إِلَى الْكُوفَةِ، فَنسبَ إِلَيْهِمَا، وَهُوَ وَالِدُ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، يَرْوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ، رَوَى عَنْهُ الْأَعْمَشُ وَابْنُهُ، وَغَيْرُهُمَا، وَهُوَ مَوْلَى جَوْزِيَّةَ بِنْتِ الْأَحْمَسِ الْعُظْمَاءِيِّ، مَاتَ سَنَةَ إِحْدَى وَمِائَةٍ. انظر: الطبقات الطبري، ٥/٢٣٠، والفتاوى لابن حبان، ٤/٢٢١.

أَنْ يَضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ الثُّورَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ» وَكَانَ يَزُوي ذَلِكَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ^(١)، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ ^(٢).

٣٧١- وفي لفظ آخر لمسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: أَنْتَ فَاطِمَةُ النَّبِيِّ ﷺ تَسْأَلُهُ خَادِمًا، فَقَالَ لَهَا: «قُولِي: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ» بِمِثْلِ حَدِيثِ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ ^(٣).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ»: أي يا خالق هذه المخلوقات العظيمة الدالة على كمال قدرتك، فأنت خلقت من عدم، وأبدعت على غير مثال سابق.

قال العيني رحمته الله: «اشتمل هذا على التوحيد الذي هو أصل التنزيهات، المسماة بالأوصاف الجلالية، وعلى العظمة التي تدل على القدرة العظيمة؛ إذ العاجز لا يكون عظيماً، وعلى الحلم الذي يدل على العلم؛ إذ الجاهل بالشيء لا يتصور منه الحلم، وهما أصل الصفات الوجودية الحقيقية المسماة بالأوصاف الإكرامية، ووجه تخصيص الذكر بالحليم؛ لأن كرب المؤمن غالباً إنما هو على نوع تقصير في الطاعات، أو غفلة في الحالات، وهذا يشعر برجاء

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٢) مسلم، برقم ٦١- (٢٧١٣)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) مسلم، برقم ٦٣- (٢٧١٣)، والنسائي في الكبرى، برقم ٧٦٢٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

العفو المقلل للحزن.... ولا شك أن الله من صفاته: الحلم، وهو صفة تليق بجلال الله ﷻ، لا يشبه خلقه في شيء من ذلك، قوله: «رب السموات والأرض» خصهما بالذكر؛ لأنهما من أعظم المشاهدات، ومعنى الرب في اللغة يطلق على: المالك، والسيد، والمدبر، والمربي، والمتمم، والمنعم، ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى، وإذا أطلق على غيره أضيف، فيقال: رب كذا. قوله: «رب العرش العظيم» ذا أيضاً يشتمل على: التوحيد، والربوبية، وعظمة العرش، وجه الأول قد ذكرناه، ووجه ذكر الثاني، أعني: لفظ الرب من بين سائر الأسماء الحسنى، هو كونه مناسباً لكشف الكرب الذي هو مقتضى التربية، ووجه الثالث، وهو تخصيص العرش بالذكر؛ لأنه أعظم أجسام العالم، فيدخل الجميع تحته دخول الأدنى تحت الأعلى، ثم لفظ العظيم صفة للعرش بالجر عند الجمهور، ونقل ابن التين عن الداودي أنه رواه برفع العظيم على أنه نعت للرب، ويروى ورب العرش العظيم بالواو^(١).

٢- قوله: «رب السموات السبع ورب الأرض»: إن الله رب كل شيء، ومالكة، والسموات جعلهن سبعاً، قال ابن جرير رحمه الله: «إن ربكم الذي له عبادة كل شيء، ولا تنبغي العبادة إلا له، هو الذي خلق السموات السبع، والأرضين السبع في ستة أيام، وانفرد بخلقهما بغير شريك، ولا ظهير، ثم استوى على عرشه مدبراً للأمور، وقاضياً في خلقه ما أحب، لا يضادّه في قضائه أحد، ولا يتعقب تدبيره مُتَعَقِّبٌ، ولا يدخل أموره خلل»^(٢)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فالكفار المشركون مقرون بأن الله خالق السموات والأرض، وليس في جميع الكفار من جعل لله شريكاً مساوياً له في ذاته، وصفاته، وأفعاله، هذا لم يقله أحد قط، لا من

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني، ٢٢/٣٠٣.

(٢) تفسير الطبري، ١٥/١٨.

المجوس الثنوية، ولا من أهل التثليث، ولا من الصابئة المشركين الذين يعبدون الكواكب، والملائكة، ولا من عبّاد الأنبياء، والصالحين، ولا من عبّاد التماثيل، والقبور، وغيرهم؛ فإن جميع هؤلاء، وإن كانوا كفاراً مشركين، متنوعين في الشرك، فهم يقرون بالرب الحق الذي ليس له مثل في ذاته، وصفاته، وجميع أفعاله، ولكنهم مع هذا مشركون به في ألوهيته، بأن يعبدوا معه آلهة أخرى، يتخذونها شركاء، أو شفعاء - أو في ربوبيته بأن يجعلوا غيره رب الكائنات دونه، مع اعترافهم بأنه رب ذلك الرب، وخالق ذلك الخالق»^(١).

٣- قوله: «ورب العرش العظيم»: قال الإمام ابن خزيمة رَحِمَهُ اللهُ: «وسمّى الله بعض خلقه عظيماً، فقال: وهو رب العرش العظيم، فالله العظيم، وأوقع اسم العظيم على عرشه، والعرش مخلوق»^(٢).

٤- قوله: «ربنا ورب كل شيء»: هذا من باب ذكر العام ثم الخاص؛ لأن السموات والأرض والعرش جزء من ملك الله الذي لا يعلمه إلا هو رَحِمَهُ اللهُ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «إقرارهم بأن ملكوت جميع الأشياء بيده، وأنه الذي يمنع المخلوق، وينصره، فيجيره من الضرر، والأذى، فيجبر على من يشاء، ولا يجبر عليه أحد، فاذا أراد بأحد ضرراً، لم يمنعه مانع، وإذا رفع الضر عن أحد، لم يستطع أحد أن يضره، وفي كون ملكوت كل شيء بيده بيان أنه هو المدبر النافع له، فهو الذي يأتي بالمنفعة، وهو الذي يدفع المضرة»^(٣)، وقال رَحِمَهُ اللهُ أيضاً: «هُوَ سُبْحَانَهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَرَبُّهُ، وَمَلِيكُهُ، لَا خَالِقَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ، مَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ،

(١) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية، ط رشيد رضا، ١ / ٣٥.

(٢) كتاب التوحيد، ١ / ٦١، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٤ من مفردات حديث المتن رقم

٨٣.

(٣) بيان تلبيس الجهمية، لابن تيمية، ٢ / ٤٥٥.

فَكُلُّ مَا فِي الْوُجُودِ: مِنْ حَرَكَةٍ، وَشُكُونٍ، فِقْصَائِهِ، وَقَدَرِهِ، وَمَشِيئَتِهِ، وَقُدْرَتِهِ، وَخَلْقِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ أَمَرَ بِطَاعَتِهِ، وَطَاعَةَ رُسُلِهِ، وَنَهَى عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَمَعْصِيَةِ رُسُلِهِ، أَمَرَ بِالتَّوْحِيدِ، وَالْإِخْلَاصِ، وَنَهَى عَنِ الْإِشْرَاقِ بِاللَّهِ، فَأَعْظَمَ الْحَسَنَاتِ التَّوْحِيدُ، وَأَعْظَمَ السَّيِّئَاتِ الشِّرْكُ»^(١).

٥- قوله: «فالق الحب والنوى»: أي: أنت الذي تشق الحبة، وتفلق النوى، وذلك لأن النبات إما أشجار أصله النوى، أو زروع أصلها الحب، والنوى جمع نواة، وهي عظم النخل، والتخصيص هنا إما لفضلها، أو لكثرة وجودها في بلاد العرب المخاطبين بالوحي، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾^(٢).

قال العلامة السعدي رحمه الله: «يخبر تعالى عن كماله، وعظمة سلطانه، وقوة اقتداره، وسعة رحمته، وعموم كرمه، وشدة عنايته بخلقه، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ﴾ شامل لسائر الحبوب، التي يباشر الناس زرعها، والتي لا يباشرونها، كالحبوب التي يبثها الله في البراري، والقفار، فيفلق الحبوب عن الزروع، والنوابت، على اختلاف أنواعها، وأشكالها، ومنافعها، ويفلق النوى عن الأشجار، من النخيل، والفواكه، وغير ذلك، فينتفع الخلق، من الآدميين، والأنعام، والدواب، ويرتعون فيما فلق الله من الحب، والنوى، ويقتاتون، ويتنفعون بجميع أنواع المنافع التي جعلها الله في ذلك، ويريههم الله من بره، وإحسانه ما يبهر العقول، ويذهل الفحول، ويريههم بدائع صنعته، وكمال حكمته، ما به يعرفونه، ويوحدونه، ويعلمون أنه هو الحق، وأن عبادة ما سواه باطلة»^(٣).

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ١١ / ٢٥١.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٥.

(٣) تفسير السعدي، ص ٢٦٥.

٦- قوله: «منزل التوراة»: التوراة اسم للكتاب الذي أنزله الله على موسى ﷺ، ومعناه بالعبرية: الشريعة، وهي اسم أعجمي، مشتق من وري الزند، وهو ما يظهر منه بعد إيقاده من النور، وقد كان لهم هداية ونورًا قبل التحريف، وقيل: إنها معربة عن كلمة «طورا» العبرية، ومعناها الهدى، وهذا من العلم الذي لا ينفع، والجهل الذي لا يضر^(١).

٧- قوله: «والإنجيل»: وهو كتاب عيسى ﷺ، ومعناه باليونانية التعليم الجديد، وقيل معناه الأصل؛ لأنه جمعت فيه العلوم، والحكم قبل التحريف كذلك، والجمع أناجيل، وجمع توراة توار^(٢)، قال الزبيدي رحمه الله: «الإنجيل: اسمٌ عبرانيٌّ، وقيل: سُريانيٌّ، وقيل: عربيٌّ، وعلى الأخير قيل: مُشتقٌّ من النَّجَلِ، وَهُوَ الْأَصْلُ، أَوْ مِنْ نَجَلْتُ الشَّيْءَ: أَيِ أَظْهَرْتُهُ، أَوْ مِنْ نَجَلَهُ: إِذَا اسْتَخْرَجَهُ»^(٣)؛ لأنه أظهر ما اندرس من الدين.

٨- قوله: «والفرقان»: اسم من أسماء القرآن الكريم، وسمي فرقاناً؛ لأن الله فرق به بين الحق والباطل، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾^(٤) وقال: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾^(٥)، وقال ابن الأثير رحمه الله: «الْفُرْقَانُ: مِنْ أَسْمَاءِ الْقُرْآنِ: أَيُّ أَنَّهُ فَارَقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، يُقَالُ: فَرَقْتُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ، أَفْرُقُ فُرْقًا وَفُرْقَانًا»^(٦).

٩- قوله: «أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته»: المعنى: أنني

(٢) انظر: تفسير الجزائري، ص ١٨٢ .

(٢) انظر: تفسير الجزائري، ص ١٨٢ .

(٣) تاج العروس، ٣٠ / ٤٥٨، مادة (نجل).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٤ .

(٥) سورة الفرقان، الآية: ١ .

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣ / ٤٣٩، مادة (فرق).

أعتمد بك من الشر كله: مصادره، وفروعه؛ لأنك وحدك القادر على دفعه عني؛ لأنك آخذ بنواصي الخلق جميعاً، والناصية هي مقدم الرأس، قال ابن فارس رحمته الله: «نصا: يدل على تَحْيِيرٍ، وَخَطَرٍ فِي الشَّيْءِ وَعُلُوٌّ، وَمِنْهُ النَّصِيَّةُ مِنَ الْقَوْمِ، وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ: الْخِيَارُ، وَيُقَالُ: انْتَصَيْتُ الشَّيْءَ: اخْتَرْتُهُ، وَهَذِهِ نَصِيَّتِي: خَيْرَتِي، وَمِنْهُ النَّاصِيَّةُ: سَمِّيَتْ لارتفاع مُنَبِّهَاتِهَا. وَالْناصِيَّةُ: قُصَاصُ الشَّعْرِ»^(١)، وقال البيضاوي: «أي: ما هو في ملكتك، وتحت سلطانك، وأنت متمكن من التصرف، والأخذ بالناصية كناية عن الاستيلاء، والتمكن من التصرف فيه، وإنما عدل إلى هذه العبارة ولم يقل: من شر كل شيء، إشعاراً بأنه المسبب لكل ما يضر، وينفع، والمرسل له، لا يقدر أحد على منعه، ولا شيء ينفع في دفعه، ... فلا مفر منه إلا إليه، ولا معاذ يستعاذ به سواه»^(٢).

١٠- قوله: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء»: أي: أنه ﷻ الكائن الذي لم يزل قبل وجود الخلق^(٣)؛ لأنه الذي ليس قبله شيء، ولذلك فقد قال النبي ﷺ: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»^(٤)، قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: «وفيه دلالة على أنه لم يكن شيء غير الله: لا الماء، ولا العرش، ولا غيرهما» وقوله: «وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ» أي أن الله خلق الماء سابقاً، ثم خلق العرش على الماء، أما حديث: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، يَا بَنِيَّ إِنَّ مِثَّ وَلَسْتَ عَلَى ذَلِكَ دَخَلْتَ النَّارَ»^(٥)،

(١) مقاييس اللغة، ٥/ ٣٤٧، مادة (نصا).

(٢) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، ٢/ ٩٠.

(٣) شأن الدعاء، للخطابي، ص ٨٧.

(٤) البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾، برقم ٣٣٩١.

(٥) مسند أحمد، ٢٧/ ٣٧٨، برقم ٢٢٧٠٥، ولفظه: «عن الوليد بن عباد، قال: دَخَلْتُ عَلَى عُبَادَةَ

فيجمع بينه وبين ما قبله بأن أولية القلم بالنسبة إلى ما عدا الماء والعرش^(١).

١١ - قوله: «وأنت الآخر فليس بعدك شيء»: أي: أن الله تعالى هو الباقي بعد فناء الخلق، قاله الخطابي^(٢)، وقال البيهقي أي: الذي لا انتهاء لوجوده^(٣).

١٢ - قوله: «وأنت الظاهر فليس فوقك شيء»: أي: من الظهور، وهو العلو، ومن ذلك قوله ﷺ: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾^(٤) أي: يعلو عليه^(٥).

قال الخطابي: هو الظاهر بحججه الباهرة، وبراهينه النيرة، وبشواهد أعلامه الدالة على ثبوت ربوبيته، وصحة وحدانيته^(٦) وهذا زيادة على علوه فوق العرش ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٧) استواء يليق بجلاله ﷻ.

١٣ - قوله: «وأنت الباطن فليس دونك شيء»: هذا كناية عن إحاطة الله

وَهُوَ مَرِيضٌ أَتَخَايَلُ فِيهِ الْمَوْتَ، فَقُلْتُ: يَا أَبْنَاءَ أَوْصِيَنِي، وَاجْتَهِدْ لِي، فَقَالَ: أَجْلِسُونِي، قَالَ: يَا بَنِي، إِنَّكَ لَنْ تَطْعَمَ طَعْمَ الْإِيمَانِ، وَلَنْ تَبْلُغَ حَقَّ حَقِيقَةِ الْعِلْمِ بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ: خَيْرِهِ، وَشَرِّهِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبْنَاءَ، فَكَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ مَا خَيْرُ الْقَدَرِ وَشَرُّهُ؟ قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيَصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، يَا بَنِي، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْقَلَمَ، ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَاتِبٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» يَا بَنِي، إِنَّ مِثَّ وَلَسْتُ عَلَى ذَلِكَ دَخَلْتُ النَّارَ» والترمذي، كتاب القدر، باب حدثنا محمد بن بشار، برقم ٢١٥٥، وابن أبي شيبه، ٢٦٤/٧، برقم ٣٥٩٢٢، وابن جرير في تفسيره، ١٧/٢٩، والضياء المقدسي، وحسنه في المختارة، ٣٥٢/٨، وصححه محققو المسند، ٣٧/٣٧٩، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته، برقم ٨٨٩.

(١) فتح الباري، ٦/ ٢٨٩.

(٢) شأن الدعاء، ص ٨٨.

(٣) الاعتقاد، للبيهقي، ص ٦٣.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٩٧.

(٥) الواسطية شرح ابن عثيمين ١/ ١٨٢.

(٦) شأن الدعاء، ص ٨٨.

(٧) سورة طه، الآية: ٥.

بكل شيء، ولكن المعنى أنه مع علوه ﷺ، فهو باطن، فعلوه لا ينافي قربه، فالباطن قريب من معنى القريب^(١).

قال ابن جرير رحمه الله: أي: أن الله هو الباطن لجميع الأشياء، فلا شيء أقرب إلى شيء منه ﷺ، كما قال الله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(٢)، ويدل على ذلك أيضاً أن الله قال في نهاية هذه الآية: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٣)، أي: لا يخفى عليه شيء^(٤).

١٤- قوله: «اقض عنا الدين»: أي: أدّ عنا جميع الحقوق، وهذا يشمل حقوق الخالق على عبده، وحقوق الخلق، قال الإمام النووي رحمه الله: «اقض عنا الدين يُحْتَمَلُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالَّذِينَ هُنَا حُقُوقُ اللَّهِ تَعَالَى وَحُقُوقُ الْعِبَادِ كُلِّهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَنْوَاعِ»^(٥).

١٥- قوله: «وأغننا من الفقر»: لأن الدين والفقر من أكبر المنغصات^(٦) التي تنغص حياة العبد، فراحة البال لا تتم إلا مع أداء الحقوق، وعدم الحاجة إلى سؤال الخلق. وقال ابن هبيرة رحمه الله: «فيه دليل على استحباب سؤال ذلك، وسؤال الغني من غير كراهية لذلك»^(٧).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- مشروعية قول هذا الذكر قبل النوم؛ لاشتماله على جمل كثيرة من

(١) الواسطية شرح ابن عثيمين، ١/ ١٨٢.

(٢) سورة ق، الآية: ١٦.

(٣) سورة الحديد، الآية: ٣.

(٤) جامع البيان لابن جرير الطبري، ٢٧/ ١٢٤.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٣٥.

(٦) النغص: قال في اللسان: «نَغَصَ نَغْصاً: لَمْ يَتِمَّ لَهُ هَنَاءُهُ، قَالَ اللَّيْثُ: وَأَكْثَرُهُ بِالتَّشْدِيدِ نَغْصٌ تَنْغِصاً، وَقِيلَ:

النَّغْصُ كَلَرُ الْعَيْشِ، وَقَدْ نَغَصَ عَلَيْهِ عَيْشُهُ تَنْغِصاً، أَي كَثَرَهُ». لسان العرب، ٧/ ٩٩، مادة (نغص).

(٧) الإفصاح عن معاني الصحاح، ٨/ ٦٩.

التوسلات التي تظهر فقر العبد إلى ربه.

٢- بيان قدرة الله تعالى في خلق السموات السبع، والأرضين السبع، وأكبر من ذلك خلق العرش الذي جاء وصفه «بالعظيم»؛ وذلك لأنه أعظم المخلوقات؛ ولذلك قال الرسول ﷺ: «مَا الْكُزْبِيُّ فِي الْعَرْشِ إِلَّا كَحَلَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْنِ فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ»^(١)، فهذا هو الخلق فما بالك بالخالق.

٣- التأكيد على أن التوراة والإنجيل «قبل التحريف»، والقرآن، هي كتب من عند الله تكلم بها، وأنها غير مخلوقة؛ ولهذا فَرَّقَ في الدعاء بينهما، ففي شأن الخلق قال: «رب»، و«فالتق»، وفي شأن الكتب قال «منزل»، وهذا رد على أهل البدع الذين يقولون إن كلام الله مخلوق^(٢).

٤- الاستعاذة لا تكون إلا بالله وحده، وقد جاء عند مسلم: «أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا»^(٣)، والدابة هي كل ما يدب على الأرض، وهو يشمل الذي يمشي على بطنه، أو على رجلين، أو على أربع، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٤).

٥- قال ابن القيم رحمه الله: ومدار هذه الأسماء الأربعة على بيان إحاطة الله تعالى، وهي إحاطتان:

١ - إحاطة زمنية، دل على ذلك أنه هو الأول، والآخر.

(١) أخرجه أبو الشيخ في العظمة، ٥٨٧/٢، وابن جرير في تفسيره ٣٩٩/٥، وصححه الألباني في شرح العقيدة الطحاوية، ص ٣١٢.

(٢) فقه الأدعية والأذكار، ص ٧٣.

(٣) مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، برقم ٢٧١٣.

(٤) سورة النور، الآية: ٤٥.

٢ - إحاطة مكانية، وقد دل على ذلك أنه هو الظاهر، والباطن^(١).

٦ - ليس من أسماء الله ﷻ الحسنى: القديم، وإطلاق بعض أهل العلم على الله ذلك هو من باب الإخبار فقط، والصواب أن يقال: «الأول»، وقد أنكر كثير من السلف والخلف تسمية الله: «بالقديم»، منهم ابن حزم وغيره^(٢).

٧ - هل هذه الأسماء متلازمة، أو يجوز فصلها عن بعض؟

والجواب: قال ابن عثيمين: والظاهر أن المتقابل منها متلازم، فإذا قلت الأول، فقل الآخر، وإذا قلت الظاهر، فقل الباطن، وهكذا لا تفوت صفة المقابلة الدالة على الإحاطة^(٣).

١٠٨ - (١٠) «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا، وَسَقَانَا، وَكَفَّانَا، وَأَوَّانَا،

فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ، وَلَا مُؤْوِي»^(٤).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٧٢ - عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه^(٥)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ، قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا، وَسَقَانَا، وَكَفَّانَا، وَأَوَّانَا، فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ، وَلَا مُؤْوِي»^(٦).

(١) انظر ما قاله ابن القيم في معاني هذه الأسماء الأربعة في «طريق الهجرتين» من ص ١٩: ٢٧.

(٢) مختصر العقيدة الطحاوية تعليق الألباني، ص ١٩.

(٣) العقيدة الواسطية شرح ابن عثيمين، ص ١٨٣.

(٤) مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم، برقم ٢٧١٥، وعند أبي داود، كتاب الأدب، باب ما يقول عند

النوم، برقم ٣٠٥٣، والترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أوى إلى فراشه، برقم ٣٣٩٦.

(٥) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.

(٦) مسلم، برقم ٢٧١٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

٣٧٣- وعند أبي داود عن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنه ^(١)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَفَانِي، وَآوَانِي، وَأَطْعَمَنِي، وَسَقَانِي، وَالَّذِي مَنَّ عَلَيَّ فَأَفْضَلَ، وَالَّذِي أَعْطَانِي فَأَجْزَلَ، الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، اللَّهُمَّ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، وَإِلَهُ كُلِّ شَيْءٍ، أَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ» ^(٢).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «الحمد لله»: قال الإمام ابن القيم رحمته الله: «الحمد، هو: الإخبار بمحاسن المحمود على وجه المحبة له» ^(٣)، وقال الطيبي رحمته الله: «الحمد: الثناء على قدرته؛ فإن مثل هذا الإذهاب العجيب، وهذا المجيء لا يقدر عليه أحد إلا الله، أو يراد به الشكر، فيشكر على ما أولى العباد بسبب الانتقال من النعم الدنيوية، والدنيوية ما لا يحصى» ^(٤).

٢- قوله: «الذي أطعمنا وسقانا»: قال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «فتحمد الله الذي أطعمك، وسقاك» ^(٥)، وقال القاري رحمته الله: «ذَكَرَهُمَا لِأَنَّ الْحَيَاةَ لَا تَتِمُّ بِذَوْنِهِمَا كَالنُّوْمِ، فَالثَّلَاثَةُ مِنْ وَادٍ وَاحِدٍ، فَكَانَ ذِكْرُهُ مُسْتَدْعِيًا لِذِكْرِهِمَا، وَأَيْضًا النَّوْمُ فَرْعُ الشَّبَعِ، وَالرِّيِّ، وَفَرَاغِ الْخَاطِرِ عَنِ الْمُهِمَّاتِ، وَالْأَمْنِ مِنَ الشُّرُورِ، وَالْآفَاتِ» ^(٦).

٣- قوله: «وكفانا»: أي: دفع عنا الشرور، وأعطانا من فضله، وقنعنا بذلك، قال العظيم أبادي رحمته الله: «أَيُّ: دَفَعَ عَنَّا شَرَّ الْمُؤْذِيَاتِ، أَوْ كَفَى مُهِمَّاتِنَا، وَقَضَى حَاجَتَنَا» ^(٧).

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٣ من أحاديث الشرح.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب ما يقول عند النوم، برقم ٥٠٥٨، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم ٥٠٥٨.

(٣) بدائع الفوائد، ٥٣٧/٢، وانظر شرح مفردات الحديث رقم ٢ من أحاديث المتن، في المفردة رقم ٤.

(٤) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٠٩.

(٥) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٤٦٤.

(٦) جمع الوسائل في شرح السمائل، ٧٧/١.

(٧) عون المعبود، ١٣/ ٢٦٨.

٤- قوله: «وآوانا»: أي: رزقنا مكاناً نأوي إليه، ولم يجعلنا كالحوانات ليس لها مأوى دائم، وهذه من جميل رحمته بالإنسان؛ ولذا قال النووي: آوانا أي: رحمتنا^(١)، وقال ابن الأثير رحمته: «وآوانا: أي: جمعنا، وضمننا إليه، وأويت إلى المنزل: إذا رجعت إليه ودخلته»^(٢).

٥- قوله: «فكم ممن لا كافي له»: أي: في كافة شؤونه العامة والخاصة، قال الطيبي رحمته: «الكافي، والمؤوي، هو الله تعالى، يكفي شر بعض الخلق عن بعض، ويهيئ لهم المأوى، والسكن، فالحمد لله الذي جعلنا منهم، فكم من خلق لا يكفيهم الله شر الأشرار؟ بل تركهم وشرهم، وكم من خلق لم يجعل الله لهم مأوى؟ بل تركهم يهيمنون في البوادي»^(٣)، وقال المناوي رحمته: «أي: كثير من خلق الله لا يكفيهم الله شر الأشرار، ولا يجعل لهم مسكناً، بل تركهم يتأذون في الصحارى بالبرد والحر، وقيل: معناه: كم من مُنْعَم عليه لم يعرف قدر نعمة الله، فكفر بها»^(٤).

٦- قوله: «ولا مؤوي»: أي: لا راحم له ولا عاطف عليه، وقيل: معناه: لا وطن له، ولا مسكن يأوي إليه^(٥)، ويدفع عنه البرد والحر.

٧- قوله: «كان إذا أوى إلى فراشه»: قال الحافظ ابن حجر رحمته: «أي دَخَلَ فيه»^(٦)، وقال العلامة ابن عثيمين رحمته: «يعني إذا ذهب إلى فراشه، وأراد أن ينام»^(٧).

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٣٦.

(٢) جامع الأصول، ٤/ ٢٥٨.

(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٧٥.

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٥/ ١٤١.

(٥) المرجع السابق.

(٦) فتح الباري، ١١/ ١١٣.

(٧) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٤٤٦.

- ٨- قوله: «مَنْ عَلَيَّ فَأَفْضَلُ»: قال الشيخ عبد المحسن العباد: «مَنْ عَلَيْهِ وَتَفْضُلُهُ عَلَيْهِ بِالْعَطَاءِ، فَحَصَلَ مِنْهُ الْمَنُّ وَالتَّفْضُلُ»^(١).
- ٩- قوله: «الَّذِي أَعْطَانِي فَأَجْزَلُ»: ومعنى فأفضل: أي زاد، وأكثر، وأجزل، وقال الشيخ العباد: «أَعْطَاهُ وَأَكْثَرَ لَهُ مِنَ الْعَطَاءِ»^(٢).
- ١٠- قوله: «وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ»: «يعني: الله تعالى هو المحمود ﷻ في جميع الأحوال، سواء كان الحال حسناً، أو كان غير حسن؛ لأن الله تعالى هو المقدر لكل شيء، وهو الذي بيده ملكوت كل شيء، فهو سبحانه الذي يحمد على كل حال بدون استثناء حالٍ من الأحوال، بخلاف غيره، فإنما يحمد، ويمدح، ويثنى عليه إذا حصل منه ما يقتضي ذلك محبوب، ومما هو مرغوب، وهذا يدل على أن هذا الدعاء يؤتى به في المكروهات وغير المكروهات، ولا يقال إنه خاص بالأمر المكروهة»^(٣).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١ - شُكْرُ اللَّهِ عَلَى النِّعَمِ بِالْقَوْلِ، وَالْفِعْلِ، وَهَذَا الشُّكْرُ هُوَ سَبِيلُ زِيَادَةِ النِّعَمِ، وَإِدَامَتِهَا.
- ٢ - الْمُسْلِمُ لَا يَنْظُرُ إِلَى مَنْ فَوْقَهُ فِي النِّعَمِ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ سَبِيلُ الرِّضَا وَالْحَمْدِ.
- ٣ - الْكَفَايَةُ يَرَادُ بِهَا كَفَايَةُ الْهَدَايَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَكَفَايَةُ الْهَدَايَةِ إِلَى شُكْرِ وَاهِبِ النِّعَمِ، وَمُسَيَّرِهَا.
- ٥ - مِنْ جُمْلَةِ النِّعَمِ الَّتِي يَغْفُلُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ عَنْ شُكْرِهَا: نِعْمَةُ الْمَسْكَنِ،

(١) شرح سنن أبي داود للعباد، ١/ ٥٧٤.

(٢) شرح سنن أبي داود للعباد، ١/ ٥٧٤.

(٣) شرح سنن أبي داود للعباد، ١/ ٥٧٤.

وقد امتنَّ الله على الناس بهذا في قوله: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ يُثْوِتِكُمْ سَكَنًا﴾^(١)، وجعل أي أوجد، وهذا شروع في تعداد النعم التي أنعم بها الخالق ﷻ على العباد، والمنة في كونه تعالى جعل الإنسان يسكن، ويتحرك، ولو شاء لجعله متحركًا دائمًا كالأفلاك في السماء، أو جعله كالأرض ساكنًا أبدًا^(٢).

١٠٩- (١١) «اللَّهُمَّ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، رَبِّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّكَ، وَأَنْ أَقْتَرِفَ عَلَى نَفْسِي سُوءًا، أَوْ أَجْرَهُ إِلَى مُسْلِمٍ»^(٣).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٧٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه^(٤)، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رضي الله عنه^(٥)، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مُزِنِي بِكَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ إِذَا أَصْبَحْتُ، وَإِذَا أَمْسَيْتُ، قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، رَبِّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّكَ» «قَالَ» قُلْهَا إِذَا

(١) سورة النحل، الآية: ٨٠.

(٢) تفسير الجزائري، ص ٩٠١.

(٣) أبو داود، برقم ٥٠٦٧، والترمذي، برقم ٣٣٩٢، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، برقم ٢٧٠١، وتقدم تخريجه في تخريج الحديث رقم ٨٥ من أحاديث متن الكتاب.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٥) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢١٤ من أحاديث الشرح.

أَصْبَحْتُ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ»^(١).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

سبق شرح المفردات لهذا الحديث، وذكر فوائده في شرح الحديث رقم ٨٥ من أحاديث المتن.

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

سبق ذكرها في شرح الحديث رقم ٨٥ من أحاديث المتن.

١١٠- (١٢) «يَقْرَأُ ﴿الْم﴾ تَنْزِيلَ السَّجْدَةِ، وَتَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ»^(٢).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٧٥- عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه ^(٣)، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ بِتَنْزِيلِ السَّجْدَةِ، وَتَبَارَكَ»، هذا لفظ الترمذي^(٤).

٣٧٦- ولفظ النسائي عن جابر رضي الله عنه أيضاً: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يَنَامُ كُلَّ لَيْلَةٍ حَتَّى يَقْرَأَ الْم تَنْزِيلَ السَّجْدَةِ ، وَتَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ»^(٥).

(١) أبو داود، برقم ٥٠٦٧، والترمذي، برقم ٣٣٩٢، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، برقم ٢٧٠١،

وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن، وتقدمت جميع روايات ألفاظه في شرح حديث المتن رقم ٨٥.

(٢) الترمذي، كتاب الدعوات، باب منه حدثنا محمود بن غيلان، برقم ٣٤٠٤، والنسائي في الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، ذكر ما يستحب للإنسان أن يقرأ كل ليلة قبل أن ينام، برقم ١٠٥٤٢، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ٤٨٧٣.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٧٢ من أحاديث الشرح.

(٤) الترمذي، برقم ٣٤٠٤، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ٤٨٧٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) النسائي في الكبرى، برقم ١٠٥٤٢، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٤٨٧٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «يقرأ»: قال ابن الأثير رحمه الله: «القراءة...الأضل في هذه اللفظة الجمع، وكلُّ شيء جمعه فقد قرأته... وقد يُطلق على الصلاة؛ لأنَّ فيها قراءة، تسميةً للشيء ببعضه، وعلى القراءة نفسها»^(١).

٢- قوله: «ألم تنزل السجدة»: أي: سورة السجدة، قال السعدي رحمه الله: «يخبر تعالى أن هذا الكتاب الكريم، أنه تنزل من رب العالمين، الذي رباهم بنعمته، ومن أعظم ما رباهم به، هذا الكتاب، الذي فيه كل ما يصلح أحوالهم، ويتمم أخلاقهم»^(٢).

٣- قوله: «تبارك الذي بيده الملك»: أي: بسورة الملك، قال السعدي رحمه الله: «أي: تعظم، وتعالى، وكثر خيره، وعم إحسانه، من عظمت أن بيده ملك العالم العلوي والسفلي، فهو الذي خلقه، ويتصرف فيه بما شاء»^(٣).

٤- قوله: «كل ليلة»: أي: في كل ليلة من الليالي^(٤)، قال الصنعاني رحمه الله: «في ليلة»^(٥).

٥- قوله: «لا ينام»: أي: إن ذلك كان من جملة هديه ﷺ قبل النوم، قال الطيبي رحمه الله: «كان لا ينام حتى يقرأ»: حتى غاية، لا ينام: ويحتمل أن يكون المعنى إذا دخل وقت النوم لا ينام حتى يقرأ، وأن يكون (لا ينام) مطلقاً حتى يقرأ، المعنى لم يكن من عادته النوم قبل القراءة، فتقع القراءة قبل دخول وقت النوم أي وقت كان، ولو قيل: كان النبي ﷺ يقرأهما بالليل لم يفد هذه الفائدة»^(٦).

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤ / ٣٠، مادة (قرأ).

(٢) تفسير السعدي، ص ٦٥٣.

(٣) تفسير السعدي، ص ٨٧٥.

(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال، ٤ / ١٥٥.

(٥) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨ / ٥١٠.

(٦) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٥ / ١٦٦٨.

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- استحباب قراءة سورتي: السجدة، وتبارك قبل النوم، إضافة إلى ما مضى من السور التي جاء فيها النص.

٢- قراءة هاتين السورتين قبل النوم ترسخان عند المسلم عقيدة التوحيد؛ لما اشتملتا عليه من الأدلة الواضحة على ذلك، وغيرها من مسائل الاعتقاد.

٣- مما كان يقرؤه الرسول ﷺ قبل نومه أيضاً: سورتي: الزمر، وبني إسرائيل وهي سورة الإسراء؛ لحديث: عَائِشَةُ رضي الله عنها: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ الزُّمَرَ، وَبَنِي إِسْرَائِيلَ»^(١)، وهذا فيه دليل على ما كان عليه الرسول الكريم ﷺ من تمام العبودية لله؛ ليكون إماماً لأتباعه يقتدون به في ذلك.

٤- جاء عن النبي ﷺ أنه قال عن سورة الملك: «هي المانعة، هي المنجية، تنجيه من عذاب القبر»^(٢) أي: تنجي صاحبها من عذاب القبر.

وكذا قوله ﷺ: «إِنْ سُوْرَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ ثَلَاثُونَ آيَةً شَفَعْتَ لِرَجُلٍ حَتَّى غُفِرَ اللَّهُ لَهُ، وَهِيَ سُورَةُ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ»^(٣).

١١١- (١٣) «اللَّهُمَّ»^(٤) أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي

(١) الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب حدثنا صالح بن عبد الله، برقم ٢٩٢٠، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٦٤١.

(٢) الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضائل سورة الملك، برقم ٢٨٩٠، ودلائل النبوة للبيهقي، ٤١/٧، والمعجم الكبير للطبراني، ١٢/١٧٤، برقم ١٢٨٠١، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة الكاملة، برقم ١١٤٠: بلفظ: «المانعة من عذاب القبر».

(٣) الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضائل سورة الملك، برقم ٢٨٩١، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب في عدد الآي، برقم ١٤٠٠، ومسند أحمد، ١٣/٣٥٣، برقم ٧٩٧٥، وحسنه لغيره محققو المسند، وحسنه لغيره أيضاً الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ١٤٧٤.

(٤) «إِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ: ...» الحديث.

إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً
إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي
أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٧٧- عن البراء بن عازب رضي الله عنه^(٢)، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَوْصَى رَجُلًا، فَقَالَ: «إِذَا
أَرَدْتَ مَضْجَعَكَ، فَقُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ،
وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ
وَلَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ.
فَإِنْ مِتُّ مِتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ»^(٣).

٣٧٨- وفي رواية للبخاري: «إِنْ مِتُّ مِتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَاجْعَلْنِ آخِرَ مَا تَقُولُ»^(٤).
٣٧٩- وفي رواية للبخاري أيضاً: «فَإِنْ مِتُّ مِنْ لَيْلَتِكَ، فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ،
وَاجْعَلْنِ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ»^(٥).

٣٨٠- وفي لفظ للبخاري: «يَا فُلَانُ إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَقُلْ: اللَّهُمَّ
أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ
ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ، وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ

(١) قال ﷺ لمن قال ذلك: «فَإِنْ مِتُّ مِتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ». البخاري، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا نام، برقم ٦٣١٣، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، برقم ٢٧١٠.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٨ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري، برقم ٦٣١٣، ومسلم، برقم ٢٧١٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) البخاري، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا نام، برقم ٦٣١٠.

(٥) البخاري، كتاب الغسل، باب فضل من مات على الوضوء، برقم ٢٤٧.

بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنَّكَ إِنْ مِتَّ فِي لَيْلَتِكَ مِتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَإِنْ أَصْبَحْتَ أَصَبْتَ أَجْرًا»^(١).

٣٨١- ولفظ مسلم: عن البراء بن عازب رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، وَاجْعَلْهُنَّ مِنْ آخِرِ كَلَامِكَ، فَإِنْ مِتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ، مِتَّ وَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ» قَالَ: فَردَدْنَهُنَّ لِأَسْتَذْكِرَهُنَّ فَقُلْتُ: آمَنْتُ بِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، قَالَ: «قُلْ: آمَنْتُ بِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ». وفي رواية: «يَا فُلَانُ إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ» بِمِثْلِ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مِتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ مِتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَإِنْ أَصْبَحْتَ، أَصَبْتَ خَيْرًا» وفي رواية زاد: «وَإِنْ أَصْبَحَ أَصَابَ خَيْرًا»^(٢).

٣٨٢- وفي لفظ للنسائي: عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا تَقُولُ يَا بَرَاءُ إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَغْلَمُ، قَالَ: «إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ طَاهِرًا فَتَوَسَّدَ يَمِينَكَ ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ»، فَقُلْتُ كَمَا قَالَ، إِلَّا أَنِّي قُلْتُ: وَبِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صَدْرِي وَقَالَ: «وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ»، ثُمَّ قَالَ: «مَنْ قَالَهَا مِنْ لَيْلَتِهِ ثُمَّ مَاتَ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ»^(٣).

(١) البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: «أَنْزَلْنَا بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ» النساء: ١٦٦، برقم ٧٤٨٨.

(٢) مسلم، برقم ٢٧١٠، وتقدم تخريجه في حديث المتن.

(٣) سنن النسائي الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، وما يقول من يفزع من منامه، برقم ١٠٦١٩.

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

- ١- قوله: «اللهم أسلمت نفسي إليك»^(١): أي: جعلت نفسي مُسَلِّمة لك منقاداً لأمرك ونهيك؛ لأنني ليس لي طاقة على معرفة ما يصلحها ويزكيها، قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «أَيُّ: اسْتَسَلَّمْتُ، وَجَعَلْتُ نَفْسِي مُتَقَادَةً لَكَ، طَائِعَةً لِحُكْمِكَ، قَالَ الْعُلَمَاءُ: الْوَجْهَ، وَالنَّفْسُ هُنَا بِمَعْنَى الذَّاتِ كُلِّهَا، يُقَالُ: سَلَّمَ، وَأَسْلَمَ، وَاسْتَسَلَّمَ بِمَعْنَى»^(٢).
- ٢- قوله: «ووجهت وجهي إليك»: قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: «أَيُّ: صَوَّبْتُ وَجْهِي، وَأَخْلَصْتُ فِي عِبَادَتِي»^(٣)، وقال الرافعي رَحِمَهُ اللهُ: «وجهت وجهي: أي: قصدت لعبادتي وتوحيدي... ويقال: وجهي إليه أي: قصدي إليه»^(٤).
- ٣- قوله: «وفوضت أمري إليك»: أي: توكلت عليك في أمري كله، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «أَيُّ: رَدَّدْتُهُ، يُقَالُ: فَوَّضَ إِلَيْهِ الْأَمْرَ تَفْوِيزاً إِذَا رَدَّه إِلَيْهِ، وَجَعَلَهُ الْحَاكِمَ فِيهِ»^(٥).
- ٤- قوله: «وألجأت ظهري إليك»: أي: اعتمدت في أموري عليك، وإنما خص الظهر؛ لأن العادة جرت أن الإنسان يعتمد بظهره إلى ما يستند إليه. قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «أَيُّ: بَعْدَ تَفْوِيزِ أُمُورِهِ - الَّتِي هُوَ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهَا، وَبِهَا مَعَاشُهُ، وَعَلَيْهَا مَدَارُ أَمْرِهِ - يَلْتَجِئُ إِلَيْهِ مِمَّا يَضُرُّهُ، وَيُؤْذِيهِ مِنَ الْأَسْبَابِ الدَّاخِلَةِ وَالْخَارِجَةِ»^(٦).
- ٥- قوله: «رغبة ورهبة إليك»: أي: رغبة في ثوابك، ورهبة من عقابك، قال الشوكاني

(١) هذا لفظ البخاري في «الدعوات» برقم ٦٣١٣.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ٣٣ / ١٧.

(٣) المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٣٤ / ٧.

(٤) شرح مسند الشافعي، ٣١٤ / ١، وتقدم في شرح المفردة رقم ١، من شرح مفردات حديث المتن رقم ٢٩.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣ / ٤٧٩، مادة (فوض).

(٦) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ١٨٧٤ / ٦.

ﷺ: «رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، الرَّغْبَةُ فِي ثَوَابِكَ وَمَغْفِرَتِكَ، وَالرَّهْبَةُ مِنْ عِقَابِكَ وَسَخْطِكَ»^(١).

٦- قوله: «لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك»: أي: لا مفر، ولا مهرب من عذابك، وعقابك إذا وقع علينا بما كسبت أيدينا، إلا بالفزع، واللجوء إليك، وهذا كقوله: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾^(٢)، وقوله: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾^(٣)، قال العلامة ابن قيم الجوزية ﷺ: «فمنه المنجى، وإليه الملجأ، وبه الاستعاذة من شر ما هو كائن بمشيئته، وقبرته، فالإعاذة فعله، والمستعاذ منه فعله، أو مفعوله الذي خلقه بمشيئته»^(٤).

٧- قوله: «آمنت بكتابك الذي أنزلت»: أي: القرآن، وقد يكون المراد جنس ما أنزل الله من الكتب السابقة^(٥).

٨- قوله: «وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ»: أي: محمد ﷺ آمنت به، وبكل ما صح عنه، وأنه لا ينطق عن الهوى، فهو أمين من في السماء، قال الإمام النووي ﷺ: «اِخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي سَبَبِ انْكَارِهِ ﷺ، وَرَدَّهُ اللَّفْظَ فَقِيلَ إِنَّمَا رَدُّهُ لِأَنَّ قَوْلَهُ آمَنْتُ بِرَسُولِكَ يَحْتَمِلُ غَيْرَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ حَيْثُ اللَّفْظُ، وَاخْتَارَ الْمَازِرِيُّ وَغَيْرُهُ أَنَّ سَبَبَ الْإِنْكَارِ أَنَّ هَذَا ذِكْرٌ وَدُعَاءٌ، فَيَنْبَغِي فِيهِ الْإِقْتِصَارُ عَلَى اللَّفْظِ الْوَاردِ بِخُرُوفِهِ، وَقَدْ يَتَعَلَّقُ الْجَزَاءُ بِتِلْكَ الْخُرُوفِ، وَلَعَلَّهُ أَوْحِي إِلَيْهِ ﷺ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ، فَيَتَعَيَّنْ أَدَاؤُهَا بِخُرُوفِهَا، وَهَذَا الْقَوْلُ حَسَنٌ، وَقِيلَ: لِأَنَّ قَوْلَهُ: «وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ» فِيهِ جَزَالَةٌ مِنْ حَيْثُ صَنْعَةُ الْكَلَامِ، وَفِيهِ جَمْعُ الثَّبُوتِ وَالرِّسَالَةِ، فَإِذَا قَالَ رَسُولُكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنَّ هَذَا الْأَمْرَ مَعَ مَا فِيهِ مِنْ تَكْرِيرٍ لَفْظٍ (رَسُولٌ وَأَرْسَلْتَ) أَهْلُ الْبَلَاغَةِ يَعْيُبُونَهُ، وَقَدْ قَدَّمْنَا فِي أَوَّلِ شَرْحِ خُطْبَةِ

(١) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين، ص ١٣٥.

(٢) سورة التكوين، الآية: ٢٦.

(٣) سورة الذاريات، الآية: ٥٠.

(٤) إغاثة اللهفان، ١ / ٢٧.

(٥) انظر فتح الباري، ١١ / ١١١.

هَذَا الْكِتَابَ [يقصد الإمام النووي شرحه على صحيح مسلم] أَنَّهُ لَا يُلْزَمُ مِنَ الرِّسَالَةِ الثُّبُوتُ، وَلَا عَكْسُهُ، وَاحْتِجَّ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ بِهَذَا الْحَدِيثِ لِمَنْعِ الرِّوَايَةِ بِالْمَعْنَى، وَجُمُهورُهُمْ عَلَى جَوَازِهَا مِنَ الْعَارِفِ، وَيُجَيَّبُونَ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ بِأَنَّ الْمَعْنَى هُنَا مُخْتَلِفٌ، وَلَا خِلَافَ فِي الْمَنْعِ إِذَا اخْتَلَفَ الْمَعْنَى»^(١).

٩- قوله: «إِذَا أَخَذْتَ مَضْجِعَكَ»: وفي رواية أردت: أي أردت أن تنام، قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: «مَعْنَاهُ: إِذَا أَرَدْتَ النَّوْمَ فِي مَضْجِعِكَ، فَتَوَضَّأَ وَالْمَضْجِعُ بِفَتْحِ الْمِيمِ»^(٢).

١٠- قوله: «فَتَوَضَّأَ وَضُوءُكَ لِلصَّلَاةِ»: وهذا على سبيل الاستحباب، وليس الوجوب، والمراد بالوضوء هو الوضوء الكامل بأركانه وشروطه^(٣)، ويتأكد الوضوء للجنب، وقد يكون هذا الوضوء وأفعاله إلى الغسل، فينام وهو على طهارة تامة، وفي رواية لأبي داود، والنسائي: «إِذَا أُوْتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ طَاهِرًا فَتَوَسَّدْ يَمِينَكَ»^(٤).

١١- قوله: «اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْيَمَنِ»: أي: نم على جانبك الأيمن، قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: «النَّوْمُ عَلَى الشِّقِّ الْيَمَنِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُحِبُّ التَّيْمَانَ وَلِأَنَّهُ أَسْرَعُ إِلَى الْإِنْتِبَاهِ»^(٥).

١٢- قوله: «فَإِنْ مِتَ»: أي: في ليلتك هذه، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «الْمَوْتُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ يُطْلَقُ عَلَى الشُّكُونِ... وَالْمَوْتُ يَقَعُ عَلَى أَنْوَاعٍ بِحَسَبِ أَنْوَاعِ الْحَيَاةِ، فَمِنْهَا مَا هُوَ بِإِزَاءِ الْقُوَّةِ النَّامِيَةِ الْمَوْجُودَةِ فِي الْحَيَوَانَ وَالنبَاتِ... وَمِنْهَا

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٣٣.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٣٣.

(٣) العلم الهيب، ص ١٨٣.

(٤) أبو داود، برقم ٥٠٤٧، والنسائي في الكبرى، برقم ١٠٦١٩، وصححه الألباني في صحيح الكلم الطيب، ص ٢٥.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٣٣.

زوالُ القُوَّةِ الحِسيَّةِ... وَمِنْهَا زوالُ القُوَّةِ العَاقِلَةِ، وَهِيَ الجَهِالَةُ... وَمِنْهَا الحُزْنُ، وَالخَوْفُ المَكْدِرُ للحياة... وَمِنْهَا المَنَامُ... وَقَدْ قِيلَ: المَنَامُ: المَوْتُ الخَفِيفُ، وَالْمَوْتُ: النَّوْمُ الثَّقِيلُ^(١)، وقال الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ: «ولما كان النومُ أخاً للموت، حسن النوم على أكمل براءة من الشرك»^(٢).

١٣- قوله: «مت على الفطرة»: أي: دين الإسلام الذي ارتضاه الله لنفسه؛ ولمن اصطفى من خلقه، قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «أي: عَلَى الدِّينِ الْقَوِيمِ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ، فَإِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ اسْتَسْلَمَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(٣)، وَقَالَ عَنْهُ: ﴿أَسْلَمْتَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٤)، وَقَالَ: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمًا﴾^(٥)، وَقَالَ ابْنُ بَطَّالٍ وَجَمَاعَةٌ: الْمُرَادُ بِالْفِطْرَةِ هُنَا دِينُ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ بِمَعْنَى الْحَدِيثِ الْآخَرِ: «مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٦)، وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ صَاحِبُ الْمَفْهَمِ: «أي: على دين الإسلام، كما قال في الحديث الآخر: «مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٧)، هَكَذَا قَالَ الشُّيُوخُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، وَفِيهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّهُ: إِذَا كَانَ قَائِلُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْمُقْتَضِيَةِ لِلْمَعْنَى الَّتِي ذَكَرْنَاهَا مِنَ التَّوْحِيدِ، وَالتَّسْلِيمِ، وَالرِّضَا إِلَى أَنْ يَمُوتَ عَلَى الْفِطْرَةِ، كَمَا يَمُوتُ

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/ ٣٦٩، مادة (موت).

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير، ١/ ٥١١.

(٣) سورة الصافات، الآية: ٨٤.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٣١.

(٥) سورة الصافات، الآية: ١٠٣.

(٦) أخرجه أبو داود، برقم ٣١١٦، وأحمد، برقم ٢٢٠٣٤، وصححه محققو المسند، ٣٦/ ٣٦٣،

والألباني في صحيح الجامع، ٥/ ٤٣٢، وسيأتي تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ١٥٣.

(٧) فتح الباري، ١١/ ١١١.

(٨) أخرجه أحمد، برقم ٢٢٠٣٤، وأبو داود برقم ٢٩٤٥، والحاكم، ١/ ٣٥١، وقال: «صحيح الإسناد ولم

يخرجاه» وصححه محققو المسند، ٣٦، ٣٦٣، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، ٦٣٧٩.

من قال: لا إله إلا الله، ولم يخطر له شيء من تلك الأمور، فأين فائدة تلك الكلمات العظيمة، وتلك المقامات الشريفة؟. فالجواب: أن كلاهما - وإن مات على فطرة الإسلام - فبين الفطرتين ما بين الحاليتين، ففطرة الطائفة الأولى: فطرة المقرّبين والصديقين، وفطرة الثانية: فطرة أصحاب اليمين^(١).

١٤ - قوله: «وإن أصبحت أصبت أجراً»: أصبح: أي: دخل في الصباح، أو كاد، قال الباجي رحمته الله: «أَصْبَحْتُ: بِمَعْنَى: أَنَّكَ قَارَبْتَ الصَّبَاحَ، وَتُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى تَمَكُّنِ الصَّبَاحِ»^(٢)، والإصابة الموافقة، والأخذ، فمن أصاب شيئاً ناله وأخذه، قال القاضي عياض رحمته الله: «وأصل الإصابة: الأخذ، يقال: أصاب من الطعام إذا أكل منه، ... وقوله في حديث الإسراء: «فاخترت اللبن»، فقال: أصبت أصاب الله بك»^(٣)، أي: قصدت طريق الهدى، ووجهه، ووجدته، وفعلت الصواب، أو أصبت الفطرة ... أو الملة، قال ثعلب: والإصابة الموافقة»^(٤)، وقال القسطلاني رحمته الله: «بالجيم الساكنة بعد الهمزة أي أجراً عظيماً فالتنكير للتعظيم»^(٥).

١٥ - قوله: «وإن أصبح أصاب خيراً»: أي: صلاحاً في المال وزيادة في الأعمال»^(٦)، وقال القرطبي صاحب المفهم رحمته الله: «أي: صلاحاً في ذلك، وزيادة في أجرك، وأعمالك»^(٧)، وقال الإمام النووي رحمته الله: «أي: حصل لك ثواب هذه السنن، واهتمامك بالخير، ومتابعتك أمر الله ورسوله»^(٨).

(١) المفهم ، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٢ / ٤٠٠.

(٢) المتقى شرح الموطأ، للباجي، ١ / ١٠٣، وتقدم مستوفى أكثر في شرح ألفاظ حديث الشرح رقم ٢٦٢، في شرح المفردة الأولى.

(٣) مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ السموات وفرض الصلوات، برقم ١٦٤.

(٤) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ٢ / ٥١.

(٥) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ١٠ / ٤٣٢.

(٦) فتح الباري، ١١ / ١١١.

(٧) المفهم ، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٢ / ٩٤.

(٨) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧ / ٣٣.

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- اشتمل هذا الحديث على سنن ثلاث:
 - أ - الوضوء عند إرادة النوم، ولذلك مقاصد:
 - الاستعداد للموت بكونه طاهر البدن، وهذا يدفعه لطهارة القلب.
 - يرجى له أن تكون رؤياه أصدق من غيره.
 - الأمن من تلاعب الشيطان به أثناء نومه.
 - ب - النوم على الشق الأيمن وله فوائد منها:
 - أنه أسرع للانتباه، وقال الحافظ ابن حجر: «وخص الأيمن؛ لفوائد، منها: أنه أسرع إلى الانتباه، ومنها أن القلب متعلق إلى جهة اليمين، فلا يثقل بالنوم، ومنها: قال ابن الجوزي: هذه الهيئة نص الأطباء على أنها أصلح للبدن، قالوا: يبدأ بالاضطجاع على الجانب الأيمن ساعة، ثم ينقلب إلى الأيسر؛ لأن الأول سبب لانحدار الطعام، والنوم على اليسار يهضم لاشتغال الكبد على المعدة»^(١).
 - قال الإمام العيني رَحِمَهُ اللهُ: «الحكمة على الجانب الأيمن، وهي أن القلب في جهة اليسار، فإذا نام على اليسار استغرق في النوم لاستراحته بذلك، وإذا نام على جهة اليمين تعلق في نومه، فلا يستغرق»^(٢).
 - أن ذلك سبب لانحدار الطعام.
 - الاقتداء بالرسول ﷺ؛ لأنه كان يحب التيامن في أمره كله.
 - ج - ذكر الله ليكون ختاماً لعمل خلط فيه الصالح بالطالح^(٣).
- ٢- العبد محتاج إلى ربه في كل أحواله، مفتقر إلى رحمته حتى بعد الموت.

(١) انظر: فتح الباري، ١١ / ١١٠.

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١١ / ٣٧٠.

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر، ١١ / ١٠٩ وما بعدها، وشرح النووي على صحيح مسلم، ١٨ / ٣٣.

٣- المسلم في حياته يكون بين الرغبة والرغبة، وهذا هو هدي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾^(١).

٤- استحباب كون هذا الذكر هو آخر ما يتكلم به المسلم، ويجعله ختامًا لأذكار النوم؛ لقول النبي ﷺ للبراء ؓ: «واجعلهن آخر ما تتكلم به»^(٢).

٥- قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وقد ختم البخاري كتاب الوضوء بهذا الحديث؛ لأنه هو آخر وضوء يتوضؤه المكلف في اليقظة؛ ولقوله: «واجعلهن آخر ما تقول» فأشعر بذلك بختم الكتاب^(٣).

٦- مما ورد في فضل النوم على وضوء غير حديث الباب ما يلي:

أ- قول الرسول ﷺ: «مَنْ بَاتَ طَاهِرًا بَاتَ فِي شِعَارِهِ مَلَكٌ، فَلَا يَسْتَيْقِظُ إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِفُلَانٍ، فَإِنَّهُ بَاتَ طَاهِرًا»^(٤)، والشعار هو ما يلي بدن الإنسان من ثوب وغيره.

ب- قول الرسول ﷺ: «مَا مِنْ أَمْرٍ مُسْلِمٍ يَبِيتُ طَاهِرًا عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ، فَيَتَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَسْأَلُ اللَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا أَعْطَاهُ إِثَاءً»^(٥)، والمراد بالتعار هنا هو الاستيقاظ.

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

(٢) البخاري، برقم ٢٤٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) انظر: فتح الباري، ١/ ٣٥٨.

(٤) السنن الكبرى للنسائي، كتاب عمل اليوم والليلة، ثواب من أوى طاهراً إلى فراشه يذكر الله تعالى حتى تغلبه عيناه، برقم ١٠٦٤٤، واللفظ له، وصحيح ابن حبان، ٣/ ٣٢٨، برقم ١٠٥١، وأبو داود، كتاب الأدب، باب في النوم على طهارة، برقم ٥٠٤٢، والبيهقي في الدعوات الكبير، ١/ ٤٤٦، وقال محقق صحيح ابن حبان: «رجاله رجال الصحيح» وصححه الألباني في التعليقات الحسان، برقم ١٠٤٨، والسلسلة الصحيحة، برقم ٢٥٣٩.

(٥) السنن الكبرى للنسائي، كتاب عمل اليوم والليلة، ثواب من أوى طاهراً إلى فراشه يذكر الله تعالى حتى تغلبه عيناه، برقم ١٠٦٤٤، وصححه الألباني في صحيح الترهيب والترغيب، برقم ٥٩٨.

٧- جاء عند البخاري ومسلم زيادة فضل لقائل هذا الذكر المبارك وهي قوله ﷺ: «وإن أصبحت أصبت أجراً»^(١)، وقوله ﷺ: «وإن أصبح أصاب خيراً»^(٢)، والمعنى أن قائله إن لم يمت في نومه هذه فإنه قد أصاب أجر اتباع السنة، والاتباع للسنة كله خير وبركة.

٨- لما علم النبي ﷺ البراء بن عازب رضي الله عنه هذه الكلمات قال البراء: فرددتهم لأستذكرهن - أي أمام النبي ﷺ - فقال الذكر تأمناً إلا أنه قال: وبرسولك الذي أرسلت، فقال له النبي ﷺ: «لا، ونيك الذي أرسلت».

قال الحافظ في الفتح: وأولى ما قيل في الحكمة في رده ﷺ على من قال بالقياس فيستحب المحافظة على اللفظ الذي وردت به وقد يتعلق الجزاء بتلك الحروف ولعله أوحى إليه بهذه الكلمات فيتعين أداؤها بحروفها^(٣).

٩- مما يسن فعله، إضافة إلى ما مضى من أذكار النوم، هو جعل السواك عند رأس النائم؛ لرواية ابن عمر رضي الله عنه، «أن رسول الله ﷺ كان لا ينام إلا والسواك عنده، فإذا استيقظ بدأ بالسواك»^(٤)؛ وفي رواية أخرى: عن ابن عمر رضي الله عنه، «أن رسول الله ﷺ كان لا ينام إلا

(١) البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾، برقم ٧٤٨٨.

(٢) مسلم، برقم ٣٧١٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) فتح الباري، ١١ / ١١٢.

(٤) مسند أحمد، ١٠ / ١٨٧، برقم ٥٩٧٩، وأبو يعلى، ١٠ / ١٢١، برقم ٥٧٤٩، وحسنه محققوالمسند،

ومحقق أبي يعلى، والألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٢١١١.

وَالسَّوَاكُ عِنْدَ رَأْسِهِ فَإِذَا اسْتَيْقَظَ بَدَأَ بِالسَّوَاكِ^(١). لأن السواك من أسباب رضا الله عن العبد؛ لقول الرسول ﷺ: «السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب»^(٢).

(١) مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر، ص ١١٠، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته، برقم ٤٨٧٢.

(٢) البخاري موقوفاً، كتاب الصوم، باب السواك الرطب واليابس للصائم، قبل الحديث رقم ١٩٣٤، وابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، باب ثواب الطهور، برقم ٢٨٩، والنسائي، كتاب الطهارة، باب الترغيب في السواك، برقم ٥، وصححه الألباني، في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٢٠٩.

٢٩ - الدَّعَاءُ إِذَا تَقَلَّبَ لَيْلًا

١١٢- «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٨٣- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (٢)، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا تَصَوَّرَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ»^(٣).

٣٨٤- ولفظ ابن السني: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ»^(٤).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»: قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «يعني: لا معبود بحق إلا الله ﷻ، وألوهية الله فرع عن ربوبيته؛ لأن من تأله الله فقد أقر بالربوبية؛ إذ إن المعبود لابد أن يكون رباً، ولا بد أن يكون كامل الصفات؛ ...، حتى يعبد بمقتضى هذه الصفات؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ

(١) يقول ذلك إذا تقلب من جنب إلى جنب في الليل. أخرجه الحاكم، ١/ ٥٤٠، وصححه ووافقه الذهبي، ١/ ٥٤٠، والنسائي في الكبرى، كتاب التعبير، العزيز الغفار، برقم ٧٦٨٨، وعمل اليوم والليلة له، برقم ٢٠٢، وابن السني، برقم ٧٥٧، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٢٠٦٦.

(٢) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٥٤ من أحاديث الشرح.

(٣) النسائي في الكبرى، برقم ٧٦٨٨، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٧٦٨٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) ابن السني، برقم ٧٥٧، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٧٦٨٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا»^(١)، أي: تعبدوا له، وتوسلوا بأسمائه إلى مطلوبكم»^(٢).

٢- قوله: «الواحد»: أي: الفرد الذي لم يزل وحده، ولم يكن معه آخر، ولم يسبقه في أوليته شيء، لا شريك، ولا ند، ولا نظير، ولا مثيل له^(٣).

٣- قوله: «القهار»: أي: كثير القهر الذي قهر الخلق بسلطانه، والقهار أبلغ من القاهر، وهو الذي لا يطاق انتقامه، قال الزجاج رحمته الله: «القهار: القهر في وضع العريّة: الرياضة والتذليل، يُقال: قهر فلان الثقة إذا راضها وذللها... والله تعالى قهر المعاندين بما أقام من الآيات، والدلالات على وحدانيته، وقهر جبابرة خلقه بعز سلطانه، وقهر الخلق كلهم بالموت»^(٤)، وقال حافظ الحكمي رحمته الله: «القهار الذي قصم سلطان قهره كل مخلوق وقهره»^(٥).

٤- قوله: «رب السموات والأرض»: قال العيني رحمته الله: «خصهما بالذكر لأنهما من أعظم المشاهدات، ومعنى الرب في اللغة يطلق على: المالك، والسيد، والمدبر، والمربي، والمتمم، والمنعم، ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى»^(٦).

٥- قوله: «وما بينهما»: أي: من العوالم التي لا يعلمها إلا الله، وهي غير ظاهرة لنا.

٦- قوله: «تضوّر»: أي: تلوى وتقلب ظهرًا لبطن، قال ابن الأثير رحمته الله: «أي: تتلوى، وتضج، وتقلب ظهرًا لبطن، وقيل تتضوّر: تُظهر الضور بمعنى الضّر، يُقال ضاره يَظوره ويَضيّره»^(٧)، وقال ابن منظور رحمته الله: «التضوّر: التلوي والصياح

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٦٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ٢.

(٣) انظر: أسماء الله الحسنى للأشقر.

(٤) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج، ص ٣٨.

(٥) معارج القبول بشرح سلم الوصول، ١/ ٤٨.

(٦) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٣٣/ ٩٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ٥ من مفردات حديث المتن رقم ٣٢.

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ١٠٥، مادة (ضور).

مِنْ وَجَعِ الضَّرْبِ، أَوْ الْجُوعِ، وَهُوَ يَتَلَوُّ مِنْ الْجُوعِ أَيْ: يَتَضَوَّرُ... وَهِيَ تَضَوَّرُ مِنْ شِدَّةِ الْحُمَّى: أَيْ: تَتَلَوَّى، وَتَضِجُ، وَتَتَقَلَّبُ ظَهراً لِبَطْنٍ»^(١).

٧- قوله: «تعارَّ من الليل»: تقلب على فراشه مع كلام، وقيل: استيقظ من نومه^(٢).

٨- قوله: «العزیز»: اسم من أسماء الله تعالى الحسنى، يدل على القوة، والغلبة، والرفعة، والامتناع، قال الشاعر:

أنت العزيز ولا عزيز سواك كل الخلائق يطلبون رضاك^(٣)

٩- قوله: «الغفار»: اسم من أسماء الله ﷻ الحسنى، أي: كثير الغفران، يغفر الذنوب جميعاً إلا الشرك به إذا مات عليه العبد؛ لحديث: «كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَهُ، إِلَّا الرَّجُلُ يَمُوتُ كَافِراً، أَوْ الرَّجُلُ يَقْتُلُ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً»^(٤)؛ ولقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٥)، قال الزجاج رحمه الله: «الغفار: أصل الغفر في الكلام: السَّتر والتغطية، يُقال: اصْبَغَ ثَوْبَكَ فَهُوَ أَغْفَرَ لِلْوَسَخِ، أَيْ: أَحْمَلَ لَهُ، وَأَسْتَرَ، وَمَعْنَى الْغَفْرِ فِي اللَّهِ سُبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي يَسْتَرُ ذُنُوبَ عِبَادِهِ، وَيَغْطِيهِمْ بِسِتْرِهِ»^(٦)، وقال حافظ الحكمي رحمه الله: «الْغَفَّارُ الَّذِي لَوْ آتَاهُ الْعَبْدُ بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، لَأَتَاهُ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»^(٧).

(١) لسان العرب، ٤ / ٤٩٤، مادة (ضور).

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ٤ / ٣٦، مادة (عز).

(٣) انظر: أسماء الله الحسنى، للأشقر.

(٤) مسند أحمد، ٢٨ / ١١٢، برقم ١٦٩٠٧، والنسائي، كتاب تحريم الدم، برقم ٣٩٨٤، والطبراني في الكبير، ١٩ / ٣٦٥، برقم ٨٥٨، والمعجم الأوسط له، ٥ / ٢١٩، برقم ٥١٣٥، وصححه لغيره محققو المسند، وصححه لغيره أيضاً العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٢٤٤٥.

(٥) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٦) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج، ص ٣٧.

(٧) معارج القبول بشرح سلم الوصول، ١ / ٤٨.

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- المسلم إذا تعلق قلبه بربه وفقه الله لذكره في كل أحواله.
- ٢- تقرير أن من أسماء الله الحسنی، وصفاته العلا: «الواحد» وهو واحد في ذاته، واحد في صفاته، واحد في أفعاله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١) فلا يُصرف أي نوع من العبادات الظاهرة والباطنة، ومن أعمال القلوب إلا له وحده ﷻ.
- ٣- تقرير أن الله هو الذي يقهر ولا يُقهر. قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾^(٢) وأنه لا يستطيع أحد مهما علا شأنه، وعظم ملكه، أن يدفع عن نفسه ملك الموت.
- قال ابن القيم:
- وكذلك القهار من أوصافه فالخلق مقهورون بالسلطان^(٣)
- ٤- من تدبر اسم الله: «العزیز» دفعه ذلك إلى الحياة الكريمة؛ لأن أعز الخلق هم الرسل الكرام، ومن نهج نهجهم، وسار على دربهم ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤).
- ٥- من تأمل اسم الله «الغفور» سارع إلى التوبة، وفعل أسباب المغفرة، ولم يتجراً أن يكون ربه ناظراً إليه، وهو مقيم على معصية، أو واقع في ذلة، أو أنه يحيا حياة أهل الغفلة.
- ٦- صفة القهر في حق الله صفة كمال وعظمة؛ لأنها تدل على علو الله على خلقه،

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٦١.

(٣) النونية، لابن القيم، ٢/٢٣٢.

(٤) سورة المنافقون، الآية: ٨.

وهذا يشمل علو الذات، وعلو القدر، وعلو القهر، أما صفة القهر في حق الخلق، فهي مذمومة؛ لأنها قائمة على الظلم، والطغيان، والتسلط على الضعفاء، قال الله ﷻ ذَاكِرًا عَنْ فِرْعَوْنَ: ﴿سَنَقْتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾^(١).

٧- قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «كثيراً ما اقترن اسم العزيز مع الرحيم، كما في سورة الشعراء وغيرها، فالله عزيز في رحمته، رحيم في عزته، وهذا هو الكمال، العزة مع الرحمة، والرحمة مع العزة، فهو رحيم بلا ذل»^(٢).

(١) الأعراف: ١٢٧، وانظر ما قاله الشيخ / النجدي في: النهج الأسمر، ١ / ١٨٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٣ / ٤٥٧.

٣٠- دُعَاءُ الْفَرْعِ فِي النَّوْمِ وَمَنْ بَلِيَ بِالْوَحْشَةِ

١١٣- «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ: مِنْ غَضَبِهِ، وَعِقَابِهِ، وَشَرِّ عِبَادِهِ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ، وَأَنْ يَخْضُرُونَ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٨٥- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه^(٢)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا فَرَعَ أَحَدُكُمْ فِي النَّوْمِ فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ: مِنْ غَضَبِهِ، وَعِقَابِهِ، وَشَرِّ عِبَادِهِ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ، وَأَنْ يَخْضُرُونَ، فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ»^(٣).

٣٨٦- عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْوَلِيدِ^(٤) أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَجِدُ وَحْشَةً، قَالَ: «إِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ فَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ: مِنْ غَضَبِهِ، وَعِقَابِهِ، وَشَرِّ عِبَادِهِ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ، وَأَنْ يَخْضُرُونَ، فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّكَ، وَبِالْحَرِيِّ أَنْ لَا يَقْرِبَكَ»^(٥)، قَالَ: وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ يُلْقِيهَا مَنْ بَلَغَ مِنْ وَلَدِهِ، وَمَنْ لَمْ يَتَلَعَّ

(١) أبو داود، كتاب الطب، باب كيف الرقي، برقم ٣٨٩٣، والترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا محمد بن حاتم، برقم ٣٥٢٨، بلفظ: «بكلمات الله التامات» وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، ١٧١/٣، برقم ٢٧٩٣، ومصنف ابن أبي شيبة، ٤٤/٥، برقم ٢٣٥٤٧.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٨٣ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، برقم ٣٨٩٣، وتقدم تخريجه في حديث المتن.

(٤) الوليد بن الوليد بن المغيرة القرشي المخزومي، أخو خالد بن الوليد، أسر يوم بدر كافراً، فلما افتكه أخواه أسلم، فلما افتدي أسلم، وعاتبوه في ذلك، فقال: كرهت أن يظنوا بي أنني جزعت من الأسر، فلما أسلم حبسه أخواله بمكة، فكان رسول الله ﷺ يدعو له فيمن دعا له من مستضعفي المؤمنين بمكة، وشهد عمرة القضية، وكتب إلى أخيه خالد فوقع الإسلام في قلب خالد وكان سبب هجرته. انظر: الاستيعاب، ٤/ ١٥٥٨، الإصابة، ٦/ ٦١٩.

(٥) مسند أحمد، ٢٧/ ١٠٨، برقم ١٦٥٧٣، وقال محققو المسند: قابل للتحسين، وقال البيهقي في الأسماء والصفات، ١/ ٤٣٢، برقم ٣٩٦: «هذا مرسل، وشاهده الحديث الموصول» وبرقم ٢٣٨٣٩، ولفظه:

مِنْهُمْ كَتَبَهَا فِي صَبٍّ، ثُمَّ عَلَّقَهَا فِي عُتْقِهِ»^(١).

٣٨٧- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه^(٢)، قَالَ: كَانَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ رضي الله عنه^(٣) رَجُلًا يَفْزَعُ فِي مَنَامِهِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا اضْطَجَعْتَ فَقُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ، أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ: مِنْ غَضَبِهِ، وَعِقَابِهِ، وَشَرِّ عِبَادِهِ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ، وَأَنْ يَحْضُرُونِ» فَقَالَهَا فَذَهَبَ ذَلِكَ عَنْهُ^(٤).

٣٨٨- وفي المعجم الأوسط، وعمل اليوم والليلة لابن السني: عن أبي أمامة قال: حدثني خالد بن الوليد: عن رسول الله ﷺ عن أهوايل يراها بالليل حالت بينه وبين صلاة الليل، فقال رسول الله ﷺ: «يا خالد بن الوليد، لأعلمك كلمات تقولهن، لا تقولهن ثلاث مرات حتى يذهب الله ذلك عنك؟» قال: بلى يا رسول الله بأبي أنت وأمي، فإنما شكوت ذاك إليك، رجاء هذا منك،

«بكلمات الله التامات» قال عنه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة، ٦/ ٤٠٢، برقم ٦٠٩٤: «هَذَا حَدِيثٌ رَجَالُهُ ثِقَاتٌ» ومصنف عبد الرزاق، ١١/ ٣٥، برقم ١٩٨٣١.

(١) هذه الزيادة من سنن الترمذي، برقم ٣٥٢٨، وتقدم تخريجه.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٨٣ من أحاديث الشرح.

(٣) خالد بن الوليد بن المغيرة القرشي المخزومي، سيف الله، كان أحد أشراف قريش في الجاهلية، وكان إليه أئنة الخيل في الجاهلية، وشهد مع كفار قريش الحروب إلى عمرة الحديبية، كما ثبت في الصحيح أنه كان على خيل قريش طليعة، ثم أسلم في سنة سبع بعد خيبر، وقيل قبلها، وشهد غزوة مؤتة، وشهد مع رسول الله ﷺ فتح مكة، فأبلى فيها، ثم شهد حنيناً والطائف في هدم العزى، وله رواية عن النبي ﷺ في الصحيحين وغيرهما، وأرسله أبو بكر إلى قتال أهل الردة فأبلى في قتالهم بلاء عظيمًا، ثم ولاء حرب فارس والروم فأثر فيهم تأثيراً شديداً، وفتح دمشق، واستخلفه أبو بكر على الشام إلى أن عزله عمر، وروى أبو يعلى ورفعه ١١١/ ١٣، برقم ٧١٨٨، وتاريخ دمشق، ١٦/ ٢٤٢، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ٩/ ٣٤٩: «لا تسبوا خالدًا، فإنه سيف من سيوف الله، صبه الله على الكفار» مات خالد بن الوليد بمدينة حمص سنة إحدى وعشرين، وقيل توفي بالمدينة النبوية، ولكن الأكثر على أنه مات بحمص، والله أعلم. انظر: الاستيعاب، ٢/ ٤٢٧، والإصابة في تمييز الصحابة، ٢/ ٢٥١.

(٤) النسائي في الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، وما يقول من يفرع في منامه، برقم ١٠٥٣٤، والموطأ مرسلًا، ٢/ ٩٥٠، برقم ٩، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ١٢٠، برقم ١٦٠١، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٢/ ١٦٣، برقم ٢٦٤.

قال: «قل أعوذ بكلمات الله التامة: من غضبه، وعقابه، وشر عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون»، قالت عائشة رضي الله عنها: فلم ألبث إلا ليالي يسيرة، حتى جاء خالد بن الوليد فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، والذي بعثك بالحق، ما أتممت الكلمات التي علمتني ثلاث مرات حتى أذهب الله عني ما كنت أجد، ما أبالي لو دخلت على أسد في حبسته بليل^(١).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «أعوذ»: أي: ألتجئ، وأتحصن، وأعتصم، وأستجير، قال الراغب الأصفهاني رحمته الله: «والعوذ: الالتجاء إلى الغير... وأعدته بالله أعيده، أي: ألتجئ إليه، وأستنصر به أن أفعل ذلك»^(٢)، وقال العلامة السعدي رحمته الله: «أعوذ: أي: ألجأ، وألوذ، وأعتصم»^(٣).

٢- قوله: «بكلمات الله»: هي القرآن الكريم، وقيل: هي كلماته الكونية القدرية، الكاملة الشاملة الفاضلة وهي أسماؤه وصفاته وآيات كتبه^(٤)، والكلمات ههنا محمولة على أسماء الله الحسنى، وكتبه المنزل؛ لأن الاستعاذة إنما تكون بها^(٥).

٣- قوله: «التامات»: الكاملة الشاملة الفاضلة^(٦)، ووصفها بالتامة لخلوها عن النواقص، والعوارض، بخلاف كلمات الناس؛ فإنهم متفاوتون في كلامهم على

(١) المعجم الأوسط، للطبراني، ١/ ٢٨٥، برقم ٩٣١، وابن السني في عمل اليوم والليلة، برقم ٧٤٠، وذكر الشيخ الألباني أنه موضوع في ضعيف الترغيب والترهيب، ١/ ٢٣٧، برقم ٩٩٢، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٢٦٤، دون ذكر الصحابي خالد بن الوليد رضي الله عنه.

(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ٢/ ١٣٦.

(٣) تفسير السعدي، ص ٩٣٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ١، مفردات حديث المتن رقم ٩٧.

(٤) مرقة المفاتيح، ١/ ٤٠٢.

(٥) مرقة المفاتيح، ٢/ ٢٦٦.

(٦) مرقة المفاتيح، ١/ ٤٠٢، وتقدم شرحه في شرح حديث المتن رقم ٩٧، في مفردة رقم ٢.

حسب تفاوتهم في العلم، واللهجة، وأساليب القول، فما منهم من أحد إلا وقد يوجد فوقه آخر: إما في معنى، أو في معانٍ كثيرة، ثم إن أحدهم قلما يسلم من معارضة، أو خطأ، أو نسيان، أو العجز عن المعنى الذي يُراد، وأعظم النقائص التي هي مقترنة بها: أنها كلمات مخلوقة، تكلم بها مخلوق مفتقر إلى الأدوات، والجوارح، وهذه نقيصة لا ينفك عنها كلام مخلوق، وكلمات الله تعالى متعالية عن هذه القوادح، فهي لا يسعها نقص، ولا يعترىها اختلال، واحتج الإمام أحمد بها على القائلين بخلق القرآن، فقال: لو كانت كلمات الله مخلوقة، لم يُعذَّب بها الله؛ إذ لا يجوز الاستعاذة بمخلوق^(١).

٤- قوله: «من غضبه»: الغضب صفة من صفات الله الفعلية، جاءت في الكتاب والسنة، فهو يغضب، ويرضى، ويحب، ويكره، ولكن ليس كأحد من خلقه، فنؤمن بها كما جاءت على الوجه اللائق بالله ﷻ، من غير تعطيل، ولا تحريف، ولا تكيف، ولا تمثيل، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٢)، قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «فعل ما يحبه [الله ﷻ]، والإعانة عليه، وجزاؤه، وما يترتب عليه من المدح، والثناء من رحمته، وفعل ما يكره، وجزاؤه مما يترتب عليه من الذم والألم، والعقاب من غضبه، ورحمته سابقة على غضبه، غالبية له، وكل ما كان من صفة الرحمة فهو غالب؛ لما كان من صفة الغضب فانه سبحانه لا يكون إلا رحيماً، ورحمته من لوازم ذاته، كعلمه، وقدرته، وحياته، وسمعه، وبصره، وإحسانه، فيستحيل أن يكون على خلاف ذلك، وليس كذلك غضبه؛ فانه ليس من لوازم ذاته، ولا يكون غضباً دائماً، غضباً لا يتصور انفكاكه، بل يقول رسوله، وأعلم الخلق به يوم القيامة: «إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم

(١) مرقاة المفاتيح، ٢/ ٢٦٦.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١١.

يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله»^(١)، ورحمته وسعت كل شيء، وغضبه لم يسع كل شيء، وهو سبحانه كتب على نفسه الرحمة، ولم يكتب على نفسه الغضب، ووسع كل شيء رحمة وعلماً، ولم يسع كل شيء غضباً وانتقاماً، فالرحمة وما كان بها، ولوازمها، وآثارها غالبية على الغضب»^(٢).

٥- قوله: «وعقابه»: أي الذي توعده به من وقع في مساخطه، وتعدى حدوده، ويدخل في ذلك من مات مصرّاً على كبيرة، أو كان صاحب بدعة، وإن كان ذلك تحت مشيئته؛ فإن شاء عاقب، وإن شاء عفا»^(٣)، قال الراغب الأصفهاني رحمته الله: «والْعُقُوبَةُ والمعاقبة والعِقَاب يختصّ بالعذاب»^(٤)، وقال ابن منظور رحمته الله: «والعِقَابُ والمُعَاقِبَةُ أَنْ تَجْزِيَ الرَّجُلَ بِمَا فَعَلَ سُوءًا؛ وَالْإِسْمُ الْعُقُوبَةُ، وَعَاقِبَهُ بِذَنْبِهِ مُعَاقِبَةٌ، وَعِقَابًا: أَخَذَهُ بِهِ»^(٥).

٦- قوله: «وشر عباده»^(٦): المراد هنا بالعبودية هي العامة؛ لأن كل المخلوقات مُعبّدة لله، قال الله عز وجل: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾^(٧)، قال الصنعاني: «عام لأنهم وجنهم»^(٨).

٧- قوله: «ومن همزات الشياطين»: أي: من وساوسهم، ونخسهم، وأصل النَّخْسِ: الدَّفْعُ وَالْحَرَكَةُ^(٩)، وأصل الهمز: الطعن، قال الطيبي رحمته الله: «يراد بالهمز

(١) البخاري، برقم ٣٣٤٠، ومسلم، برقم ١٩٤.

(٢) الفوائد، لابن القيم، ص ١٢٥.

(٣) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار، ص ٢١٤.

(٤) المفردات في غريب القرآن، ١/ ٥٧٥، مادة (عقب).

(٥) لسان العرب، ١/ ٦١٩، مادة (عقب).

(٦) انظر فقه الأدعية والأذكار، ص ٩١.

(٧) سورة مريم، الآية: ٩٣.

(٨) التنوير شرح الجامع الصغير، ١/ ٥٧٧.

(٩) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥/ ٧٣، مادة (نخس).

الوسوسة، لقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾^(١)، وهمزات الشياطين خطراتها، وهي جمع الهمزة من الهمز، وفسرت الآية بأن الشياطين يحثون أولياءهم على المعاصي، ويغرونهم عليها... والهمز، وكل شيء دفعته، فقد همزته»^(٢).

٨- قوله: «وأن يحضروا»: أي أعوذ بك من حضورهم ابتداءً، وإن حضروا فلا دافع لهم عني، ولا صارف لهم إلا أنت، قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾^(٣)، قال الإمام ابن القيم: «قال ابن زيد: في أموري، وقال الكلبي: عند تلاوة القرآن، وقال عكرمة: عند النزع والسياق، فأمره أن يستعين من نوعي شر إصابتهم بالهمز، وقربهم، ودنواهم منه»^(٤)، وقال العلامة السعدي: «أي: أعوذ بك من الشر الذي يصيني بسبب مباشرتهم، وهمزهم، ومسهم، ومن الشر الذي بسبب حضورهم، ووسوستهم»^(٥).

٩- قوله: «فإنه لا يضرك»: قال ابن الأثير رحمه الله: «الضُرُّ: ضِدُّ النَّفْعِ، ضَرُّهُ يَضُرُّهُ ضَرًّا وَضِرَارًا وَأَضَرَّ بِهِ يُضِرُّهُ إِضْرَارًا»^(٦). ويرى النووي: أنه لا يصيب ضرر لأن الله تعالى جعل هذا سبباً لسلامته من مكروهه يترتب عليها^(٧)، وقال المباركفوري رحمه الله: «فإنها أي: الهمزات لن تضره أي إذا دعا بهذا الدعاء، وفيه

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٩٧.

(٢) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ٩٩٤، وتقدم في شرح مفردات حديث المتن رقم ٣١، المفردة رقم ٩.

(٣) سورة المؤمنون، الآيتان: ٩٧، ٩٨.

(٤) إغاثة اللهفان، ١/ ٩٦.

(٥) تفسير السعدي، ص ٥٥٨.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٨١، مادة (ضر).

(٧) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ١٥/ ١٧.

ذَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْفَرْعَ إِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ»^(١).

١٠- قوله: «بالحري ألا يقربك»: أي: جدير، وخليق، والمثقل يشي، ويجمع، ويؤنث، تقول: حريان، وحريون، وحريّة، والمحفف يقع على الواحد، والاثنتين، والجمع، والمذكر، والمؤنث على حالة واحدة؛ لأنه مصدر^(٢).

١١- قوله: «يُلَقِّنْهَا» أي: هذه الكلمات، وهو من التلقين، وفي بعض النسخ يُعَلِّمُهَا مِنَ التَّعْلِيمِ^(٣).

١٢- قوله: «مَنْ بَلَغَ مِنْ وَلَدِهِ» أي: ليتعوذ بها^(٤).

١٣- قوله: «فِي صَكِّ» أي: في ورقة^(٥).

١٤- قوله: «ثُمَّ عَلَّقَهَا» أي: علّق الورقة التي هي فيها^(٦).

١٥- قوله: «فِي عُقْبِهِ» أي: في ربة ولده الذي لم يبلغ^(٧)، وهذا من اجتهاد عبد الله بن عمرو رحمته الله، وإلا فالصواب أنه لا يجوز تعليق شيء من القرآن، والتعوذات في الأعناق، وقال الإمام ابن باز رحمته الله: «ولأن القول بجواز ما كان من القرآن أو الأدعية المباحة والأذكار الشرعية استثناء بغير حجة ووسيلة إلى تعليق التمام الأخرى الشريكة، ومعلوم أن الأخذ بالعموم متعين، ما لم يرد ما يخصه، كما أن من المعلوم من الشريعة المطهرة وجوب سد الذرائع المفضية إلى الشرك، أو إلى ما دونه من المعاصي؛ ولأنها إذا علقت صارت وسيلة إلى تعلق

(١) تحفة الأحوذى، ٩/ ٣٥٦.

(٢) المرجع السابق، ٤/ ٤٦٠.

(٣) المرجع السابق، ٩/ ٣٦٥.

(٤) المرجع السابق، ٩/ ٣٦٥.

(٥) المرجع السابق، ٩/ ٣٦٥.

(٦) المرجع السابق، ٩/ ٣٦٥.

(٧) تحفة الأحوذى، ٩/ ٣٦٥.

القلوب بها، والاعتماد عليها، ونسيان الله ﷻ، فمن حكمة الله في هذا أنه ﷻ نهى عنها حتى تكون القلوب معلقة به سبحانه، لا بغيره، وتعليق القرآن وسيلة لتعليق غيره؛ فلهذا وجب منع الجميع، وأن لا يعلق شيء على المريض، ولا على الصبي، لا من القرآن، ولا من غيره، بل يُعَلِّم الدعاء الشرعي، كالتعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، وقراءة آية الكرسي، وقراءة سورة الإخلاص، والمعوذتين عند النوم، وبعد الصلوات الخمس»^(١).

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «والأصل في مثل هذه الأشياء التوقيف، وهذا القول هو الراجح، وأنه لا يجوز تعليق التمام، ولو من القرآن الكريم، ولا يجوز أيضاً أن تجعل تحت وسادة المريض، أو تعلق في الجدار، وما أشبه ذلك، وإنما يدعى للمريض، ويقرأ عليه مباشرة، كما كان النبي ﷺ يفعل، القسم الثاني: أن يكون المعلق من غير القرآن الكريم مما لا يفهم معناه؛ فإنه لا يجوز بكل حال؛ لأنه لا يدرى ماذا يكتب، فإن بعض الناس يكتبون طلاس، وأشياء معقدة، حروف متداخلة، ما تكاد تعرفها، ولا تقرؤها؛ فهذا من البدع، وهو محرم، ولا يجوز بكل حال، والله أعلم»^(٢).

وقال فضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان: «الصحيح: الرأي الثاني، وهو المنع، والشيخ عبد الرحمن بن حسن، وقبله الشيخ سليمان بن عبد الله رجّحاً منعه، وذلك لثلاثة أمور:

الأمر الأول: عموم النهي، ولم يرد دليل يخص ذلك.

الأمر الثاني: سدّ الوسيلة المُفضية إلى الشرك؛ لأننا إذا أجزنا تعليق القرآن انفتح الباب لتعليق غيره.

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز، ٤ / ٣٣٢.

(٢) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين، ١ / ١٠٧.

الأمر الثالث: أن تعليق القرآن يعرّضه للامتهان؛ لأنه يعلّق على الصبيان، والصبيان لا يتجنّبون النجاسة، أو الدخول في مواضع القاذورات، وكذلك الجهّال، لا يحترمون القرآن كما ينبغي، ولا يتنبّهون لذلك، وما كان سبباً لتعريض القرآن للامتهان فهو محرّم»^(١).

وفي فتاوى اللجنة الدائمة: «ولا فرق بين كون التيممة من القرآن، أو من غير القرآن في أصح قولي العلماء؛ لعموم الأحاديث، ولسد الذريعة؛ لأن تعليق التمام من القرآن يفضي إلى تعليقها من غيره»^(٢).

وفي فتاوى نور على الدرب: «أن تعليق التمام لا يجوز، ولم يفضّل بين تيممة وتيممة، ولم يقل إلا من القرآن، بل عمم، فدل ذلك على أن التمام كلها من القرآن، وغير القرآن ممنوعة؛ لأن الرسول عمم في النهي عليه الصلاة والسلام، وهو المشرع، وهو أنصح الناس للناس، ولو كان في التمام شيء مستثنى لاستثناه النبي عليه الصلاة والسلام، ثم أيضاً تعليق التمام من القرآن وسيلة إلى تعليق التمام الأخرى، فيلبس الأمر، ويخفى على الناس، وتنتشر التمام الشركية، وسد الذرائع من أهم مهمات الشريعة الإسلامية، فوجب منع التمام كلها؛ عملاً بعموم الأحاديث، وسداً لذرائع الشرك»^(٣).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- قول هذا الذكر، مع إمراره على قلب قائله، وتدبر معانيه، مع الثقة في صدق الرسول ﷺ يدفع عن صاحبه بفضل الله ما يصاب به في نومه من وحشة، أو فرع، أو خوف، أو قلق، أو نحو ذلك.

(١) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، ١/ ٢٦٧، وهو في فتاوى اللجنة الدائمة، ١/ ٢٤٥..

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة المجموعة الثانية، ١/ ٩٤.

(٣) فتاوى نور على الدرب، للإمام ابن باز، ١/ ٥١، وانظر: ١/ ٣٤٦.

٢- أخبر النبي ﷺ في بعض ألفاظ الحديث أن من قاله - أي هذا الذكر - «فإنها لن تضرك»^(١) أي: الشياطين، وفي رواية: «لا يقربك»^(٢) أي: الشيطان.

٣- المسلم الصادق لا يلجأ إلا لخالفه في كل أحواله، خاصة عند النازلة والبلاء، ولا يذهب إلى دجال، أو مشعوذ، أو كاهن، أو عراف؛ فإن ذلك فساد في الاعتقاد، قال الله ﷻ: «أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ...»^(٣).

٤- ولا يجوز تعليق التمائم والتعويزات، يقول الإمام العلامة ابن باز :: «ويدخل في ذلك الأوراق المكتوب فيها كتابات، حتى ولو كانت من القرآن على الصحيح؛ لأن الأحاديث عامة ليس فيها استثناء، فالرسول ﷺ عمم وأطلق، ولم يستثن شيئاً؛ فدل ذلك على أن التمائم كلها ممنوعة؛ ولأن تعليق ما يكتب من القرآن، أو الدعوات الطيبة، وسيلة لتعليق غيرها من التمائم الأخرى، وقد جاءت الشريعة الكاملة بسد الذرائع المفضية إلى الشرك أو المعاصي»^(٤). وقال في موضع آخر: «والعلة في كون تعليق التمائم من الشرك هي، والله أعلم: أن من علقها سيعتقد فيها النفع، ويميل إليها، وتنصرف رغبته عن الله إليها، ويضعف توكله على الله وحده، وكل ذلك كافٍ في إنكارها، والتحذير منها، وفي الأسباب المشروعة والمباحة ما يغني عن التمائم، وانصراف الرغبة عن الله إلى غيره شرك به، أعاذنا الله وإياكم من ذلك»^(٥).

وفي فتاوى نور على الدرب: «ولا شك أن تعليق التمائم من القرآن، أو من

(١) الترمذي، برقم ٣٥٢٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) مسند أحمد، ٢٧/ ١٠٨، برقم ١٦٥٧٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) سورة النمل، الآية: ٦٢.

(٤) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز، ٥/ ٣٠٦.

(٥) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز، ٨/ ٣٠٤.

الدعوات المباحة يخالف الأحاديث العامة، والنهي العام، ويسبب فتح باب الشرك، واختلاط الأمور؛ فلهذا كان الصواب منع التمايم كلها من القرآن، وغير القرآن؛ أخذاً بعموم الأحاديث وسداً لباب الشرك، والله المستعان^(١).

٥- الرجل - وإن كان صالحاً - فإنه قد يأتيه الشيطان في منامه، فيرى ما يخوفه، أو يزعجه، ولكن هذا يكون نادراً؛ لقلّة تمكّن الشيطان من العبد الصالح، وقد جاء أحد الصحابة رضي الله عنه إلى الرسول ﷺ يشكو له أهوايل يراها في المنام، فأرشده إلى قول هذا الذكر^(٢).

٦- صفات الله على قسمين:

الأول: الصفات الذاتية: وهي التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها وإنما سمّاها العلماء ذاتية؛ لأنها ملازمة للذات، لا تنفك عنها، وهي نوعان:

أ - الصفات الذاتية المعنوية مثل: الحياة، والعلم، والقدرة، والحكمة، وما أشبه ذلك.

ب - الصفات الذاتية الخبرية مثل: اليدين، والوجه، والعينين، وما أشبه ذلك.

الثاني: الصفات الفعلية: وهي التي تتعلق بالمشيئة دائماً؛ سمّاها العلماء بهذا الاسم؛ لأنها من فعله ﷻ وهي نوعان:

أ - صفات لها سبب معلوم، مثل الرضى، والغضب، والمحبة، والبغض، والكراهية، ونحو ذلك مما صح في الكتاب، والسنة، إذا وجدت أسباب وقوع هذه الصفات الفعلية، مثل قوله: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾^(٣).

ب - صفات ليس لها سبب معلوم، مثل النزول إلى السماء الدنيا؛ حين يبقى ثلث الليل الأخير.

(١) فتاوى نور على الدرب لابن باز، ١ / ٣٤٦.

(٢) انظر: المعجم الأوسط، للطبراني، ١ / ٢٨٥، برقم ٩٣١، وابن السني في عمل اليوم والليلة، برقم ٧٤٠، وتقدم تخريجه.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٧.

- ومن الصفات ما هو صفة ذاتية، وفعلية باعتبارين، فالكلام صفة فعلية باعتبار آحاده، وباعتبار أصله صفة ذاتية؛ لأن الله لم يزل ولا يزال متكلمًا، وهو يتكلم بما شاء متى شاء^(١).

(١) انظر: شرح العقيدة الواسطية للعلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ، ١ / ٧٨ وما بعده.

٣١- مَا يَفْعَلُ مَنْ رَأَى الرُّؤْيَا أَوِ الْحُلْمَ

١١٤- (١) «يَنْفُثُ عَنْ يَسَارِهِ» (ثلاثاً)^(١).

(٢) «يَسْتَعِيزُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ وَمِنْ شَرِّ مَا رَأَى» (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ)^(٢).

(٣) «لَا يُحَدِّثُ بِهَا أَحَدًا»^(٣).

(٤) «يَتَحَوَّلُ عَنْ جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ»^(٤).

١١٥- (٥) «يَقُومُ يُصَلِّي إِنْ أَرَادَ ذَلِكَ»^(٥).

الشرح:

أولاً: الفاظ الحديث:

٣٨٩- لفظ البخاري: عَنْ أَبِي سَلَمَةَ رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ أَرَى الرُّؤْيَا أُغْرَى مِنْهَا، غَيْرَ أَنِّي لَا أَزْمَلُ، حَتَّى لَقِيتُ أَبَا قَتَادَةَ^(٧)، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الرُّؤْيَا مِنَ اللَّهِ، وَالْحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا حَلَمَ أَحَدُكُمْ حُلْمًا يَكْرَهُهُ

(١) البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، برقم ٣٢٩٢، وكتاب الطب، باب النفث في الرقية، ورقم ٥٧٤٧، ومسلم واللفظ له، كتاب الرؤيا، برقم ٢٢٦١.

(٢) مسلم، برقم ٢٢٦١، ورقم ٢٢٦٢، وتقدم تخريجه.

(٣) مسلم، برقم ٢٢٦١، وتقدم تخريجه، ورقم ٢٢٦٣، وتقدم تخريجه.

(٤) مسلم، برقم ٢٢٦١، وتقدم تخريجه.

(٥) مسلم، كتاب الرؤيا، برقم ٢٢٦٣.

(٦) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١١٢ من أحاديث الشرح.

(٧) أبو قتادة بن ربيعي رضي الله عنه: اسمه الحارث بن ربيعي؛ الأنصاري الخزرجي السلمي، فارس رسول الله ﷺ، اختلف في شهوده بدرًا، وقد شهد أحدًا وما بعدها، وقيل: توفي بالكوفة في خلافة علي رضي الله عنه، وقد صلى علي عليه وكبر سبعًا. انظر ترجمته في تهذيب الكمال ٦/ ٢٤٤، وتكبيره سبعًا لعلمه أنه بدري، والله أعلم.

فَلْيَنْفُثْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا، فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ»^(١).

٣٩٠- وفي رواية للبخاري: «إِنْ كُنْتَ لَأَرَى الرُّؤْيَا أَثْقَلَ عَلَيَّ مِنْ جَبَلٍ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ سَمِعْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ، فَمَا أَبَالِيَهَا»^(٢).

٣٩١- وفي رواية لمسلم قال أَبُو سَلَمَةَ: «فَإِنْ كُنْتَ لَأَرَى الرُّؤْيَا»، وَلَيْسَ فِي حَدِيثِ اللَّيْثِ، وَابْنِ نُمَيْرٍ قَوْلُ أَبِي سَلَمَةَ إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ، وَزَادَ ابْنُ رُمَحٍ فِي رِوَايَةِ هَذَا الْحَدِيثِ: «وَلْيَتَحَوَّلْ عَنْ جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ»^(٣).

٣٩٢- وفي لفظ للبخاري، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللَّهِ وَالْحُلُمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَمَنْ رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ، فَلْيَنْفُثْ عَنْ شِمَالِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَتَعَوَّذْ مِنَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَرَاءَى بِي»^(٤).

٣٩٣- وللبخاري عن أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: لَقَدْ كُنْتُ أَرَى الرُّؤْيَا فَتُمْرِضُنِي، حَتَّى سَمِعْتُ أَبَا قَتَادَةَ يَقُولُ: وَأَنَا كُنْتُ لَأَرَى الرُّؤْيَا تُمْرِضُنِي، حَتَّى سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «الرُّؤْيَا الْحَسَنَةُ مِنَ اللَّهِ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يُحِبُّ، فَلَا يُحَدِّثْ بِهِ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ، وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ، وَلْيَتَنَفَّلْ ثَلَاثًا، وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا أَحَدًا فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ»^(٥).

٣٩٤- وفي لفظ لأحمد عن أَبِي قَتَادَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الرُّؤْيَا مِنَ اللَّهِ، وَالْحُلُمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَمَنْ رَأَى رُؤْيَا يَكْرَهُهَا فَلَا يُخْبِرْ بِهَا وَلْيَتَنَفَّلْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا؛ فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ»، قَالَ سُفْيَانُ مَرَّةً أُخْرَى: «فَإِنَّهُ لَنْ يَرَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ»^(٦).

(١) البخاري، برقم ٣٢٩٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) البخاري، برقم ٥٧٤٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) مسلم، برقم ٢٢٦١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) البخاري، كتاب التعبير، باب من رأى النبي ﷺ في المنام، برقم ٦٩٩٥.

(٥) البخاري، كتاب التعبير، باب إذا رأى ما يكره فلا يخبر بها ولا يذكرها، برقم ٧٠٤٤.

(٦) مسند أحمد، ٣٧/ ٢٠٥، برقم ٢٢٥٢٥، وصحح إسناده محققو المسند.

٣٩٥- وفي رواية مسلم عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(١)، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ الرُّؤْيَا يَكْرَهُهَا، فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ثَلَاثًا، وَلْيَتَحَوَّلْ عَنْ جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ» ^(٢).

٣٩٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(٣)، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكُذْ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكْذِبٌ، وَأَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا، وَرُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ الثُّبُوءِ، وَالرُّؤْيَا ثَلَاثَةٌ: فَرُؤْيَا الصَّالِحَةِ بُشْرَى مِنَ اللَّهِ، وَرُؤْيَا تَحْزِينٍ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَرُؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ الْمَرْءَ نَفْسَهُ، فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ، وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا النَّاسَ»، قَالَ: «وَأَحَبُّ الْقَيْدِ، وَأَكْرَهُ الْغُلِّ، وَالْقَيْدُ ثَبَاتٌ فِي الدِّينِ» فَلَا أَذْرِي هُوَ فِي الْحَدِيثِ أَمْ قَالَهُ ابْنُ سِيرِينَ ^{(٤)(٥)}.

ثانيًا: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «ينفث»: النفث: بالقم يشبه النفخ، وهو أقل من التفل؛ لأن التفل يكون معه شيء من الريق، وأما النفث فقد يكون معه شيء من الريق، وقد لا يكون، قال ابن عبد البر رحمته الله: «النفث: شبه البصق، ولا يلقي النافث شيئاً من البصاق، وقيل: كما ينفث أكل الزبيب» ^(٦)، وقال ابن منظور رحمته الله: «النَّفْثُ: أَقْلُ مِنَ التَّفْلِ، لِأَنَّ التَّفْلَ لَا يَكُونُ إِلَّا مَعَ شَيْءٍ مِنَ الرِّيقِ، وَالنَّفْثُ: شَبِيهَةٌ بِالنَّفْخِ؛ وَقِيلَ: هُوَ التَّفْلُ بِعَيْنِهِ. نَفَثَ الرَّاقِي، وَفِي الْمُحْكَمِ: نَفَثَ يَنْفِثُ وَيَنْفُثُ نَفْثًا وَنَفْثَانًا... وَالنَّفْثُ بِالْقَمِّ، شَبِيهَةٌ بِالنَّفْخِ...» ^(٧).

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٧٢ من أحاديث الشرح.

(٢) مسلم، برقم ٢٢٦١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٤) محمد بن سيرين: أبو بكر بن أبي عمرة البصري، ثقة، ثبت، عابد، كبير القدر، كان لا يرى الرواية بالمعنى، من الثالثة، مات سنة عشر ومائة. انظر: تقريب التهذيب، ٤٥٢ / ٣.

(٥) مسلم، برقم ٢٢٦٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٦) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر، ١٢٩ / ٨.

(٧) لسان العرب، ١٩٥ / ٢، مادة (نفث)، وتقدم مستوفى في شرح مفردات الحديث رقم ٩٩ من

٢- قوله: «فَلْيَنْتَفُثْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا». قال الإمام النووي: وَفِي رِوَايَةٍ: «فَلْيَبْصُقْ عَلَى يَسَارِهِ حِينَ يَهْبَ مِنْ نَوْمِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «فَلْيَنْفُثْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا»، وَفِي رِوَايَةٍ: «فَلْيَبْصُقْ عَلَى يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ثَلَاثًا». فَحَاصِلُهُ ثَلَاثَةٌ: أَنَّهُ جَاءَ: (فَلْيَنْتَفُثْ)، وَ(فَلْيَبْصُقْ)، وَ(فَلْيَنْفُثْ)، وَأَكْثَرُ الرِّوَايَاتِ «فَلْيَنْتَفُثْ» ...، وَلَعَلَّ الْمُرَادَ بِالْجَمِيعِ الثَّفَثُ، وَهُوَ نَفْخٌ لَطِيفٌ بِلَا رِيْقٍ، وَيَكُونُ الثَّفَثُ وَالْبَصْقُ مَحْمُولَيْنِ عَلَيْهِ مَجَازًا^(١).

٣- قوله: «يَسْتَعِذُ بِاللَّهِ»: قال الراغب الأصفهاني: «والعود: الالتجاء إلى الغير، والتعلق به... وأعدته بالله أعيده، أي: ألتجئ إليه، وأستنصر به أن أفعل ذلك^(٢)»، وقال ابن الأثير رحمته الله: «لجأت إلى ملجأ، ولذت بملاذ، وقد تكرر ذكر الاستعاذة والتعود، وما تصرف منهما، والكل بمعنى، وبه سميت المعوذتان^(٣)»، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: فَإِنَّ الْمُسْتَعَاذَ مِنْهُ نَوْعَانِ: فَتَوْعُ مَوْجُودٍ يُسْتَعَاذُ مِنْ ضَرَرِهِ ... وَنَوْعُ مَفْقُودٍ يُسْتَعَاذُ مِنْ وُجُودِهِ... وَيُسْتَعَاذُ مِنَ الشَّرِّ الْمَوْجُودِ أَنْ لَا يُضَرَّ، وَيُسْتَعَاذُ مِنَ الشَّرِّ الضَّارِّ الْمَفْقُودِ أَنْ لَا يُوجَدَ^(٤).

٤- قوله: «من الشيطان» والشيطان: من الشطن: البعد، أي: بُعد عن الخير^(٥)، وقال الطيبي رحمته الله: «طرد للشيطان الذي حضر رؤياه المكروهة،

أحاديث المتن، في شرح المفردة رقم ٢.

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٦/١٥.

(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ١٣٦/٢، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من مفردات حديث لمتن رقم ٥٥.

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/٣١٧.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله، ٢٨٨/١٨، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ١٧.

(٥) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/٤٧٤، مادة (شطن)، وتقدم في شرح المفردة رقم ٧.

وتحقير له، واستقذار لفعله»^(١).

٥- قوله: «ومن شر ما رأى»: قال ابن الملقن رحمته الله: «فقد أمره الشارع بمداواة ما يخاف من ضررها وتلافيه بالتعوذ بالله من شرها ومن شر الشيطان»^(٢).

٦- قوله: «لا يحدث بها أحداً»: قال القرطبي رحمته الله: «دليل على منع أن يخبر الإنسان بما يراه في منامه مما يكرهه»^(٣)، وقال ابن الملقن رحمته الله: «ولا يحدث بها أحداً»: فسببه أنه ربما فسره تفسيراً مكروهاً على ظاهر صورتها، وكان ذلك محتملاً فوقعت بتقدير الله كذلك»^(٤).

٧- قوله: «وَلْيَتَحَوَّلْ إِلَى جَنْبِهِ الْآخَرِ، وَلْيُصَلِّ رَكَعَتَيْنِ»: «فَيَكُونُ قَدْ عَمِلَ بِجَمِيعِ الرِّوَايَاتِ، وَإِنْ اقْتَصَرَ عَلَى بَعْضِهَا أَجْزَأُهُ فِي دَفْعِ ضَرَرِهَا بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَمَرَ بِالنَّفْثِ ثَلَاثًا طُرْدًا لِلشَّيْطَانِ الَّذِي حَضَرَ رُؤْيَاهُ الْمَكْرُوهَةَ، تَحْقِيرًا لَهُ، وَاسْتِفْذَارًا، وَخَصَّتْ بِهِ الْيَسَارَ لِأَنَّهَا مَحَلُّ الْأَقْدَارِ وَالْمَكْرُوهَاتِ، وَنَحْوَهَا، وَالْيَمِينَ ضِدَّهَا»^(٥).

٨- قوله: «أَزْمَلُ»: «فَمَعْنَاهُ أَعْطَى وَأَلْفَ كَالْمَحْمُومِ».

٩- قوله: «أُغْرَى» - بِضَمِّ الهمزة، وإِسْكَانِ العَيْنِ، وَفَتْحِ الرَّاءِ - أَيُّ: أَحَمَّ لِيَخُوفِي مِنْ ظَاهِرِهَا فِي مَعْرِفَتِي، قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: يُقَالُ: «عُرِيَ الرَّجُلُ» - بِضَمِّ الْعَيْنِ، وَتَخْفِيفِ الرَّاءِ - يُعْرَى إِذَا أَصَابَهُ عُرَاءٌ - بِضَمِّ الْعَيْنِ، وَبِالْمَدِّ - وَهُوَ

من مفردات أحاديث المتن رقم ١.

(١) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٩/ ٣٠٠٣.

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٣٢/ ٢٥١.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ١٨/ ١٣٢.

(٤) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٣٢/ ١٣٦.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٥/ ١٨.

نَفَضَ الْحُمَى، وَقِيلَ: رَعْدَةٌ.

١٠- قوله: «الحلم» -بَضَمَ الحَاءَ، وَإِسْكَانَ اللَّامَ- وَالْفِعْلُ مِنْهُ «حَلَمَ» بِفَتْحِ اللَّامِ، وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ رحمته الله: «وَالْحُلْمُ عِبَارَةٌ عَمَّا يَرَاهُ النَّائِمُ فِي نَوْمِهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ... وَتُضَمُّ لَامُ الْحُلْمِ وَتُسَكَّنُ»^(١)، وَأَمَّا الْحِلْمُ - بِكسْرِ الحاءِ، وَإِسْكَانِ اللَّامِ- فَهُوَ مِنَ الْأَنَاةِ وَالتَّثَبُّتِ، وَ«فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى «الْحَلِيمُ» هُوَ الَّذِي لَا يَسْتَخَفُّ شَيْءٌ مِنْ عَصِيَانِ الْعِبَادِ، وَلَا يَسْتَفْزِهُ الْغَضَبُ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنَّهُ جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ مِقْدَارًا،... أَوَّلُو الْأَحْلَامِ وَالتُّهَى: أَي: ذَوُو الْأَبَابِ، الْعُقُولِ، وَاحِدُهَا حِلْمٌ بِالْكَسْرِ، وَكَأَنَّهُ مِنَ الْحِلْمِ: الْأَنَاةُ وَالتَّثَبُّتُ فِي الْأُمُورِ، وَذَلِكَ مِنْ شِعَارِ الْعُقَلَاءِ»^(٢).

١١- قوله: «الرؤيا»: «فَمَقْصُورَةٌ مَهْمُوزَةٌ، وَيَجُوزُ تَرْكُ هَمْزِهَا كَنَظَائِرِهَا، قَالَ الْإِمَامُ الْمَازِرِيُّ: مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي حَقِيقَةِ الرُّؤْيَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَخْلُقُ فِي قَلْبِ النَّائِمِ إِعْتِقَادَاتٍ، كَمَا يَخْلُقُهَا فِي قَلْبِ الْيَقْظَانِ، وَهُوَ رحمته الله يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، لَا يَمْنَعُهُ نَوْمٌ وَلَا يَقْظَةٌ، فَإِذَا خَلَقَ هَذِهِ الْإِعْتِقَادَاتِ، فَكَأَنَّهُ جَعَلَهَا عِلْمًا عَلَى أُمُورٍ أُخَرَ يَخْلُقُهَا فِي ثَانِي الْحَالِ، أَوْ كَانَ قَدْ خَلَقَهَا، فَإِذَا خَلَقَ فِي قَلْبِ النَّائِمِ الطَّيْرَانَ، وَلَيْسَ بِطَائِرٍ، فَأَكْثَرُ مَا فِيهِ أَنَّهُ إِعْتَقَدَ أَمْرًا عَلَى خِلَافِ مَا هُوَ، فَيَكُونُ ذَلِكَ الْإِعْتِقَادُ عِلْمًا عَلَى غَيْرِهِ، كَمَا يَكُونُ خَلْقُ اللَّهِ رحمته الله الْغَيْمِ عِلْمًا عَلَى الْمَطَرِ، وَالْجَمِيعِ خَلْقُ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَكِنْ يَخْلُقُ الرُّؤْيَا، وَالْإِعْتِقَادَاتِ الَّتِي جَعَلَهَا عِلْمًا عَلَى مَا يَسَّرَ بِغَيْرِ حَضْرَةِ الشَّيْطَانِ، وَيَخْلُقُ مَا هُوَ عِلْمٌ عَلَى مَا يَضُرُّ بِحَضْرَةِ الشَّيْطَانِ، فَيُنْسَبُ إِلَى الشَّيْطَانِ مَجَازًا؛ لِحُضُورِهِ عِنْدَهَا، وَإِنْ كَانَ لَا فِعْلَ لَهُ حَقِيقَةً، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ رحمته الله: «الرُّؤْيَا مِنَ اللَّهِ، وَالْحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ»، لَا عَلَى أَنَّ الشَّيْطَانَ يَفْعَلُ شَيْئًا؛ فَالرُّؤْيَا إِسْمٌ لِلْمَحْبُوبِ، وَالْحُلْمُ إِسْمٌ لِلْمَكْرُوهِ، وَهَذَا كَلَامُ الْمَازِرِيِّ، وَقَالَ غَيْرُهُ: أَضَافَ الرُّؤْيَا الْمَحْبُوبَةَ إِلَى اللَّهِ إِضَافَةً تَشْرِيفٍ بِخِلَافِ

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ١/ ٤٣٤، مادة (حلم).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ١/ ٤٣٤، مادة (حلم).

الْمَكْرُوهَةِ، وَإِنْ كَانَتْ جَمِيعًا مِنْ خَلَقِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَدْبِيرِهِ، وَيَزَادَتِهِ، وَلَا فِعْلَ لِلشَّيْطَانِ فِيهِمَا، لَكِنَّهُ يَحْضُرُ الْمَكْرُوهَةَ، وَيَزَيِّضُهَا، وَيُسَرِّبُهَا»^(١).

١٢- قوله: «فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ»: مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ هَذَا سَبَبًا لِسَلَامَتِهِ مِنْ مَكْرُوهٍ يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا، فَيَنْبَغِي أَنْ يُجْمَعَ بَيْنَ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ، وَيُعْمَلَ بِهَا كُلُّهَا، فَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُهُ نَفَثَ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا قَائِلًا: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ وَمِنْ شَرِّهَا...^(٢).

١٣- قوله: «حِينَ يَهْبَ مِنْ نَوْمِهِ»: أَيُّ: يَسْتَيْقِظُ^(٣).

١٤- قوله: «يَتَرَاءَى» -بِالرَّاءِ بوزنٍ يَتَعَاطَى- مَعْنَاهُ: لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصِيرَ مَرِيئًا بِصُورَتِي^(٤).

١٥- قوله: «إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكْذُرُ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكْذِيبًا»: الْمُرَادُ إِذَا قَارَبَ الزَّمَانُ أَنْ يَغْتَدِلَ لَيْلُهُ وَنَهَارُهُ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ إِذَا قَارَبَ الْقِيَامَةَ، وَالْأَوَّلُ أَشْهَرُ عِنْدَ أَهْلِ غَيْرِ الرُّوْيَا، وَجَاءَ فِي حَدِيثٍ مَا يُؤَيِّدُ الثَّانِي. وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(٥).

١٦- قوله: «وَأَحَبُّ الْقَيْدِ»: إِنَّمَا أَحَبُّ الْقَيْدِ؛ لِأَنَّهُ فِي الرَّجُلَيْنِ، وَهُوَ كَفَّ عَنْ الْمَعَاصِي وَالشُّرُورِ وَأَنْوَاعِ الْبَاطِلِ^(٦).

١٧- قوله: «وَأَكْرَهُ الْعُلَّ»، وَأَمَّا الْعُلُّ فَمَوْضِعُهُ الْعُنُقُ، وَهُوَ صِفَةُ أَهْلِ النَّارِ.. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾^(٧)، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾^(٨).

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٥ / ١٦.

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر: المرجع السابق، ١٥ / ١٨.

(٤) فتح الباري، ١٢ / ٣٨٦.

(٥) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ١٥ / ١٨.

(٦) المرجع السابق.

(٧) سورة يس، الآية: ٨.

(٨) سورة غافر، الآية: ٧١.

١٨- قوله: «وَالْقَيْدُ ثَبَاتٌ فِي الدِّينِ»: أَمَّا أَهْلُ الْعِبَارَةِ فَتَزَلُّوا هَاتَيْنِ اللَّفْظَتَيْنِ مَنَازِلَ، فَقَالُوا: إِذَا رَأَى الْقَيْدَ فِي رَجُلَيْهِ، وَهُوَ فِي مَسْجِدٍ، أَوْ مَشْهَدٍ خَيْرٍ، أَوْ عَلَى حَالَةٍ حَسَنَةٍ، فَهُوَ دَلِيلٌ لِثَبَاتِهِ فِي ذَلِكَ، وَكَذَا لَوْ رَأَاهُ صَاحِبُ وَلَايَةٍ كَانَ دَلِيلًا لِثَبَاتِهِ فِيهَا، وَلَوْ رَأَاهُ مَرِيضٌ، أَوْ مَسْجُونٌ، أَوْ مُسَافِرٌ، أَوْ مَكْرُوبٌ، كَانَ دَلِيلًا لِثَبَاتِهِ فِيهِ، قَالُوا: وَلَوْ قَارَنَهُ مَكْرُوهٌ بِأَنْ يَكُونَ مَعَ الْقَيْدِ غُلٌّ غَلَبَ الْمَكْرُوهَ؛ لِأَنَّهَا صِفَةُ الْمُعَذِّبِينَ^(١).

وَأَمَّا الْغُلُّ فَهُوَ مَذْمُومٌ إِذَا كَانَ فِي الْعُنُقِ، وَقَدْ يَدُلُّ لِلْوَلَايَاتِ إِذَا كَانَ مَعَهُ قَرَائِنٌ، كَمَا كُلُّ وَالٍ يُحْشَرُ مَغْلُوبًا حَتَّى يُطْلِقَهُ عَدْلُهُ، فَأَمَّا إِنْ كَانَ مَغْلُولَ الْيَدَيْنِ دُونَ الْعُنُقِ فَهُوَ حَسَنٌ، وَدَلِيلٌ لِكَفِّهِمَا عَنِ الشَّرِّ، وَقَدْ يَدُلُّ عَلَى مَنَعِ مَا نَوَاهُ مِنَ الْأَفْعَالِ^(٢).

١٩- قوله: «تَحْزِينٌ مِنَ الشَّيْطَانِ»: فَإِنَّهَا تَحْزِينٌ، وَتَهْوِيلٌ، وَتَخْوِيفٌ، يَدْخُلُ كُلُّ ذَلِكَ الشَّيْطَانُ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي نَوْمِهِ لِيَشْوِشَ يَقْظَتَهُ، وَقَدْ يَجْتَمِعُ هَذَانِ السَّبَبَانِ؛ أَعْنِي: هُمُومُ النَّفْسِ، وَالْقِيَاتِ الشَّيْطَانِ فِي مَنَامٍ وَاحِدٍ، فَتَكُونُ أَصْنَافُ أَحْلَامٍ لَا اخْتِلَاطَهَا^(٣).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- «يَنْفَثُ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا» جَاءَ عِنْدَ مُسْلِمٍ: «إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ الرُّؤْيَا يَكْرِهَهَا فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا» وَعِنْدَهُ أَيْضًا: «فَلْيَنْفِثْ»^(٤).

أَمَّا الْحِكْمَةُ مِنْ فِعْلِ ذَلِكَ، فَهِيَ طَرْدُ الشَّيْطَانِ تَحْقِيرًا لَهُ، وَاسْتِقْذَارًا، وَخَصَتْ بِالْيَسَارِ؛ لِأَنَّهَا مَحَلُّ الْأَفْذَارِ وَنَحْوِهَا، وَفَعَلَهَا ثَلَاثًا؛ لِتَأْكِيدِ ذَلِكَ الْأَمْرِ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ ذَلِكَ الْفِعْلَ فِي مَقَامِ الرِّقَةِ، قَالَ النَّوَوِيُّ: أَكْثَرُ الرُّوَايَاتِ فِي الرُّؤْيَا: «فَلْيَنْفِثْ» وَهُوَ

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ١٥ / ١٨.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ١٨ / ١١٥.

(٤) مسلم، برقم ٢٢٦٢، وتقدم تخريجه.

نفخ لطيف بلا ريق، فيكون التفل، والبصق محمولين عليه مجازاً^(١).

٢- «يستعِذ بالله من الشيطان ومن شر ما رأى» ثلاث مرات.

وذلك بقوله: أعوذ بالله من الشيطان ومن شر ما رأيت^(٢).

والحكمة من الاستعاذة هي أن ذلك منه، وأنه هو الذي يخوف، ويهول الأدمي، وكذلك فإن الاستعاذة مشروعة عند كل أمر مكروه^(٣).

٣- «لا يحدث بها أحداً» أي: لا يخبر بحلمه هذا أحداً، ولا يطلب له تأويلاً، بل وقد قال الرسول ﷺ: «فإنها لن تضره»^(٤)، أي: هذه الرؤيا.

والحكمة في ذلك أنه لو أخبر بها أحداً فربما يفسرها له تفسيراً مكروهاً على ظاهر صورتها، وكان ذلك محتملاً، فوَقعت كذلك بتقدير الله ﷻ^(٥).

ولذلك فقد قال الرسول ﷺ: «الرؤيا على رجل طائر ما لم تُعبر فإذا عبرت وقعت»^(٦)، أي كأنها معلقة برجل طائر؛ لأنها لا تستقر.

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله فيما نقله عن المهلب: «سمى الشارع الرؤيا الخالصة من الأضغاث صالحة، وصادقة، وأضافها إلى الله، وسمى الأضغاث حلمًا، وأضافها إلى الشيطان؛ لأنها مخلوقة على شاكلته، فأعلم الله الناس بكيده»^(٧).

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٤/ ١٨٢، وانظر: فتح الباري، ١٢/ ٣٧١.

(٢) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين رحمه الله، رقم (٨٤٣).

(٣) المصدر قبل السابق.

(٤) البخاري، كتاب التعبير، باب إذا رأى ما يكره فلا يخبر بها، ولا يذكرها، برقم ٧٠٤٥.

(٥) مسلم شرح النووي ١٥/ ٢١.

(٦) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في الرؤيا، برقم ٥٠٢٠، وابن ماجه، كتاب تعبير الرؤيا، باب

الرؤيا إذا عبرت وقعت، فلا يقصها إلا على واذ، برقم ٣٩١٤، وأحمد، ٢٦/ ١٠٠، برقم ١٦١٨٢،

وابن أبي شيبة، ١٧٣/ ٦، برقم ٣٠٤٤٩، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٣٥٣٥.

(٧) فتح الباري، ١٢/ ٣٧٠.

٤- «يتحول عن جنبه الذي كان عليه»^(١) هذا هو الأدب الرابع لمن رأى رؤيا يكرهها، أي: أنه إن كان نائمًا على جنبه الأيسر؛ فإنه يتحول إلى الأيمن والعكس، وإذا كان نائمًا على ظهره؛ فإنه يتحول يمينًا، وهذا من باب التفاؤل أن يغير الله ما به من حال يكرهها.

٥- قال المباركفوري رحمته الله: وعند مسلم: «إذا رأى ما يكرهه فليقم فليصل، ولا يحدث بها الناس»، قال النووي: فينبغي أن يجمع بين هذه الروايات، ويعمل بها كلها؛ فإذا رأى ما يكرهه نفث عن يساره ثلاثًا قائلاً: أعوذ بالله من الشيطان، ومن شرها، وليتحول إلى جنبه الآخر، وليصل ركعتين، فيكون قد عمل بجميع الروايات، وإن اقتصر على بعضها أجزأه في دفع ضررها بإذن الله تعالى، كما صرح به الأحاديث^(٢).

٦- قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: وأما الصلاة فلما فيها من التوجه إلى الله، واللجوء إليه، قال القرطبي: والصلاة تجمع كل ما مضى - أي من الآداب - لأنه إذا قام فصلى تحول عن جنبه، وبصق، ونفث عند المضمضة في الوضوء، واستعاذ قبل القراءة، ثم دعا الله في أقرب الأحوال إليه، فسيكفيه الله شرها بمنه وكرمه^(٣).

خلاصة آداب الرؤيا وأحكامها على النحو الآتي:

١- أولاً: آداب الحلم الواردة في الأحاديث السابقة:

الأدب الأول: ينفث عن يساره ثلاثاً، وتقدم بيان ذلك.

الأدب الثاني: يستعيذ بالله من الشيطان، ومن شر ما رأى ثلاثاً.

الأدب الثالث: لا يحدث بها أحداً.

الأدب الرابع: يتحول عن جنبه الذي كان عليه.

الأدب الخامس: لمن رأى ما يكره: الوضوء والقيام للصلاة.

(١) هذه رواية مسلم، برقم ٢٢٦١، وتقدم تخريجه.

(٢) تحفة الأحوذى، ٦/ ٤٦٠.

(٣) انظر: فتح الباري، ١٢/ ٣٧١..

الأدب السادس: إذا رأى ما يحب، فلا يخبر إلا من يحب.

٢- ثانيًا: الرؤيا تطلق على ما يراه النائم من أمر محبوب، بخلاف الحلم فإنه يطلق على الأمر المكروه؛ لقوله ﷺ: «الرؤيا الصادقة من الله، والحلم من الشيطان»^(١).

٣- ثالثًا: الرؤيا على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: - الرؤيا الصالحة أو الصادقة أو الحسنة: وهي التي قال فيها الرسول ﷺ برواية ابن عباس رضي الله عنه، قال: كَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْبِستَارَةَ، وَالنَّاسُ صُفُوفٌ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، يَرَاهَا الْمُسْلِمُ، أَوْ تُرَى لَهُ، أَلَا وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا، أَوْ سَاجِدًا، فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظَّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عز وجل، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمِنَ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ»^(٢).

قال الحافظ: والمعنى لم يبق بعد النبوة المختصة بي إلا المبشرات^(٣).

القسم الثاني: الرؤيا المكروهة: وهي التي وصفها الرسول الكريم ﷺ بأنها تخويف من الشيطان^(٤) وقد بينا السنة في ذلك.

القسم الثالث: حديث النفس: وهذا النوع يقع إذا كان الإنسان مشغولاً بأمر، ومتعلقاً قلبه به، فإنه يراه في نومه، أو أن الشيطان يلعب به، ويشهد

(١) البخاري، كتاب التعبير، باب الرؤيا من الله، برقم ٦٩٨٤.

(٢) مسلم، كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، برقم ٤٧٩، وفي البخاري، كتاب التعبير، باب المبشرات، برقم ٦٩٩٠: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات» قالوا وما المبشرات؟ قال: «الرؤيا الصالحة».

(٣) فتح الباري، ١٢ / ٣٧٥.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة، ١٨١ / ٦، برقم ٣٠٥٠٧، ولفظه: عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الرُّؤْيَا عَلَى ثَلَاثَةٍ، مِنْهَا تَخْوِيفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيُخْزِنَ بِهَا ابْنُ آدَمَ، وَمِنْهَا الْأَمْرُ يُحَدِّثُ بِهِ نَفْسُهُ فِي الْيَقَظَةِ فَيَرَاهُ فِي الْمَنَامِ، وَمِنْهَا جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ» والبيهقي في الزهد الكبير، برقم ٣٥٢، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٣٥٣٣.

لهذا أن أعرابياً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ رَأْسِي ضُرِبَ فَتَدَخَّرَجَ، فَاسْتَدَذْتُ عَلَى أَثَرِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْأَعْرَابِيِّ: «لَا تُحَدِّثِ النَّاسَ بِتَلْعَبِ الشَّيْطَانِ بِكَ فِي مَنَامِكَ»، وَقَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ بَعْدُ، يَخْطُبُ فَقَالَ: «لَا يُحَدِّثَنَّ أَحَدُكُمْ بِتَلْعَبِ الشَّيْطَانِ بِهِ فِي مَنَامِهِ»^(١).

٤- رابعاً: السنة إذا رأى المسلم رؤيا حسنة أن يقول، ويعمل الأمور الآتية:

أ- يحمد الله على إكرامه له بهذه الرؤيا.

ب- لا يقصها إلا على من يحب، أو على العالم بتأويل الرؤى، أو على ناصح لبيب إذا وُجد.

ج- يستبشر بهذه الرؤية^(٢).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «الرؤيا الصالحة ثلاثة أشياء: أن يحمده الله عليها، وأن يستبشر بها، وأن يتحدث بها لمن يحب دون من يكره.

وحاصل ما ذكر من أدب الرؤيا المكروهة أربعة أشياء: أن يتعوذ بالله من شرها، ومن شر الشيطان، وأن يتفل حين يهت من نومه عن يساره ثلاثاً، ولا يذكرها لأحد أصلاً... قال الحكيم الترمذي: الرؤيا الصادقة أصلها حق تُخبر عن الحق، وهو بُشْرَى وإنذار ومُعَاتَبَةٌ؛ لِتَكُونَ عَوْنًا لِمَا نُدِبَ إِلَيْهِ، قَالَ: وَقَدْ كَانَ غَالِبَ أُمُورِ الْأَوَّلِينَ الرُّؤْيَا، إِلَّا أَنَّهَا قَلَّتْ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ؛ لِعِظَمِ مَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّهَا مِنَ الْوَحْيِ؛ وَلِكثَرَةِ مَنْ فِي أُمَّتِهِ مِنَ الصِّدِّيقِينَ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ - بَفَتْحِ الدَّالِ - وَأَهْلِ الْيَقِينِ، فَانْكَفَوْا بِكَثْرَةِ الْإِلْهَامِ وَالْمُلْهَمِينَ عَنْ كَثَرَةِ الرُّؤْيَا الَّتِي كَانَتْ فِي الْمُتَقَدِّمِينَ.

وقال القاضي عياض: يَحْتَمِلُ قَوْلُهُ: «الرُّؤْيَا الْحَسَنَةُ، وَالصَّالِحَةُ» أَنْ يَرْجَعَ إِلَى حُسْنِ ظَاهِرِهَا، أَوْ صِدْقِهَا، كَمَا أَنَّ قَوْلَهُ: «الرُّؤْيَا الْمَكْرُوهَةُ، أَوْ السُّوءُ»

(١) مسلم، كتاب الرؤيا، باب لا يخبر بتلعاب الشيطان به في المنام، برقم ٢٢٦٨.

(٢) انظر الأحاديث في ذلك البخاري، برقم ٦٩٨٥، ورقم ٦٩٩٠.

يَحْتَمِلُ سُوءَ الظَّاهِرِ، أَوْ سُوءَ التَّأْوِيلِ، وَأَمَّا كَتْمُهَا مَعَ أَنَّهَا قَدْ تَكُونُ صَادِقَةً، فَخَفِيتِ حِكْمَتَهُ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ لِمَخَافَةِ تَعْجِيلِ اشْتِغَالِ سِرِّ الرَّائِي بِمَكْرُوهِ تَفْسِيرِهَا؛ لِأَنَّهَا قَدْ تُبْطِئُ، فَإِذَا لَمْ يُخْبَرْ بِهَا زَالَ تَعْجِيلُ رَوْعِهَا، وَتَخَوُّفِهَا، وَيَبْقَى إِذَا لَمْ يَعْبُرْهَا لَهُ أَحَدٌ بَيْنَ الطَّمَعِ فِي أَنَّ لَهَا تَفْسِيرًا حَسَنًا، أَوْ الرَّجَاءِ فِي أَنَّهَا مِنْ الْأَضْغَاثِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَسْكَنَ لِنَفْسِهِ»^(١).

وقال أيضاً: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ لَا تَشْتَمِلُ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا يَكْرَهُهُ الرَّائِي، وَيُؤَيِّدُهُ مُقَابَلَةَ رُؤْيَا الْبُشْرَى بِالْحُلُمِ، وَإِضَافَةَ الْحُلُمِ إِلَى الشَّيْطَانِ، وَعَلَى هَذَا فَفِي قَوْلِ أَهْلِ التَّعْبِيرِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ إِنَّ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ قَدْ تَكُونُ بُشْرَى، وَقَدْ تَكُونُ إِنْذَارًا نَظَرًا؛ لِأَنَّ الْإِنْذَارَ غَالِبًا يَكُونُ فِيهِمَا يَكْرَهُ الرَّائِي، وَيُمْكِنُ الْجَمْعُ بِأَنَّ الْإِنْذَارَ لَا يَسْتَلْزِمُ وُقُوعَ الْمَكْرُوهِ، كَمَا تَقَدَّمَ تَقْرِيرُهُ، وَبِأَنَّ الْمُرَادَ بِمَا يَكْرَهُ مَا هُوَ أَعْمٌ مِنَ ظَاهِرِ الرُّؤْيَا وَمِمَّا تُعَبِّرُ بِهِ»^(٢).

وقال في موضع آخر: «قَوْلُهُ: «لَمْ يَبْقَ مِنَ الثُّبُوتِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتِ»، كَذَا ذَكَرَهُ بِاللَّفْظِ الدَّالُّ عَلَى الْمُضِيِّ تَحْقِيقًا لَوْقُوعِهِ، وَالْمُرَادُ الْاسْتِقْبَالُ، أَيْ لَا يَبْقَى، وَقِيلَ هُوَ عَلَى ظَاهِرِهِ؛ لِأَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ فِي زَمَانِهِ، وَاللَّامُ فِي الثُّبُوتِ لِلْعَهْدِ، وَالْمُرَادُ ثُبُوتُهُ، وَالْمَعْنَى لَمْ يَبْقَ بَعْدَ الثُّبُوتِ الْمُخْتَصَّةِ بِهَا إِلَّا الْمُبَشِّرَاتِ، ثُمَّ فَسَّرَهَا بِالرُّؤْيَا، ... وَظَاهِرُ الْاسْتِثْنَاءِ مَعَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ أَنَّ الرُّؤْيَا جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ الثُّبُوتِ، أَنَّ الرُّؤْيَا ثُبُوتٌ وَلَيْسَ كَذَلِكَ؛ لِمَا تَقَدَّمَ أَنَّ الْمُرَادَ تَشْبِيهِ أَمْرِ الرُّؤْيَا بِالثُّبُوتِ، أَوْ لِأَنَّ جُزْءَ الشَّيْءِ لَا يَسْتَلْزِمُ ثُبُوتَ وَصْفِهِ لَهُ، كَمَا قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، رَافِعًا صَوْتَهُ، لَا يُسَمَّى مُؤَدِّنًا، وَلَا يُقَالُ: إِنَّهُ أَدَّنَ وَإِنْ كَانَتْ جُزْءًا مِنَ الْأَذَانِ.

وكذا لو قرأ شيئاً من القرآن وهو قائم، لا يُسَمَّى مُصَلِّيًا، وَإِنْ كَانَتْ الْقِرَاءَةُ

(١) فتح الباري، لابن حجر، ١٢/ ٣٧٠.

(٢) فتح الباري، لابن حجر ١٢/ ٣٧٢.

جُزْءًا مِنَ الصَّلَاةِ، وَيُؤَيِّدُهُ حَدِيثُ أُمِّ كُرْزٍ - بِضَمِّ الْكَافِ، وَسُكُونِ الرَّاءِ بَعْدَهَا زَايٍ - الْكَعْبِيَّةِ قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «ذَهَبَتِ النَّبُوءَةُ وَبَقِيَتِ الْمُبَشِّرَاتُ»، أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَابْنُ مَاجَهَ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ، وَابْنُ حِبَّانَ^(١)، وَلَأَحْمَدَ عَنْ عَائِشَةَ مَرْفُوعًا: «لَمْ يَبْقَ بَعْدِي مِنَ الْمُبَشِّرَاتِ إِلَّا الرُّؤْيَا»^(٢)، ... وَلَأَبِي يَعْلَى مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَفَعَهُ «إِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنَّبُوءَةَ قَدْ انْقَطَعَتْ، وَلَا نَبِيٍّ وَلَا رَسُولَ بَعْدِي، وَلَكِنْ بَقِيَتِ الْمُبَشِّرَاتُ»، قَالُوا: وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: «رُؤْيَا الْمُسْلِمِينَ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ النَّبُوءَةِ»^(٣).

قَالَ الْمُهَلَّبُ مَا حَاصِلُهُ: التَّعْبِيرُ بِالْمُبَشِّرَاتِ خَرَجَ لِلْأَغْلَبِ، فَإِنَّ مِنَ الرُّؤْيَا مَا تَكُونُ مُنْذِرَةً وَهِيَ صَادِقَةٌ يُرِيهَا اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِ رِفْقًا بِهِ لِيَسْتَعِدَّ لِمَا يَقَعُ قَبْلَ وَقُوعِهِ. وَقَالَ ابْنُ التَّيْنِ: مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ الْوَحْيَ يَنْقَطِعُ بِمَوْتِي، وَلَا يَبْقَى مَا يُعْلَمُ مِنْهُ مَا سَيَكُونُ إِلَّا الرُّؤْيَا، وَيَرِدُ عَلَيْهِ الْإِلَهَامُ؛ فَإِنَّ فِيهِ إِخْبَارًا بِمَا سَيَكُونُ، وَهُوَ لِلْأَنْبِيَاءِ بِالنِّسْبَةِ لِلْوَحْيِ كَالرُّؤْيَا، وَيَقَعُ لِغَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الْمَاضِي فِي مَنَاقِبِ عُمَرَ: «قَدْ كَانَ فِيمَنْ مَضَى مِنَ الْأُمَمِ مُحَدِّثُونَ»^(٤)، وَفُسِّرَ الْمُحَدِّثُ - بِفَتْحِ الدَّالِ - بِالْمُلْهِمِ - بِالْفَتْحِ أَيْضًا -، وَقَدْ أَخْبَرَ كَثِيرٌ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ عَنْ أُمُورٍ مُغَيَّبَةٍ فَكَانَتْ كَمَا أَخْبَرُوا.

وَالْجَوَابُ أَنَّ الْحَصْرَ فِي الْمَنَامِ؛ لِكَوْنِهِ يَشْمَلُ أَحَادَ الْمُؤْمِنِينَ، بِخِلَافِ

(١) مسند أحمد، ١١٥/٤٥، برقم، ٢٧١٤١، وابن ماجه، برقم ٣٨٩٦، وابن حبان، ٤١٠/١٣، وصححه لغيره

محققو المسند، ومحقق ابن حبان، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ٣١٤٤.

(٢) مسند أحمد، ٢١٣/٣٩، برقم ٢٣٧٩٥، وصححه إسناده محققو المسند.

(٣) مسند أبي يعلى، ٣٨/٧، برقم ٣٩٤٧، ولفظه: «إِنَّ النَّبُوءَةَ وَالرِّسَالَةَ قَدْ انْقَطَعَتْ، فَجَزَعَ النَّاسَ، قَالَ:

قَدْ بَقِيَتِ مَبَشِّرَاتٌ وَهِيَ جُزْءٌ مِنَ النَّبُوءَةِ» وقال محققه: «إسناده صحيح» وأما حديث المتن

بكامله ففي مسند أحمد، ٣٢٦/٢١، برقم ١٣٨٢٤، وهو عند الترمذي، برقم ٢٢٧٢، والحاكم

٣٩١/٤، وصححه محققو المسند، ٣٢٧/٢١.

(٤) مسلم، برقم ٢٣٩٨.

الإلهام؛ فَإِنَّهُ مُخْتَصَّ بِالْبَعْضِ، وَمَعَ كَوْنِهِ مُخْتَصًّا فَإِنَّهُ نَادِرٌ، فَإِنَّمَا ذُكِرَ الْمَنَامُ لِشُمُولِهِ وَكَثْرَةِ وَقُوعِهِ، وَيُشِيرُ إِلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ: «فَإِنْ يَكُنْ»، وَكَانَ السِّرُّ فِي نَدُورِ الْإِلْهَامِ فِي زَمَنِهِ، وَكَثْرَتِهِ مِنْ بَعْدِهِ غَلَبَةُ الْوَحْيِ إِلَيْهِ ﷺ فِي الْيَقَظَةِ، وَإِرَادَةِ إِظْهَارِ الْمُعْجَزَاتِ مِنْهُ، فَكَانَ الْمُنَاسِبُ أَنْ لَا يَقَعَ لِغَيْرِهِ مِنْهُ فِي زَمَانِهِ شَيْءٌ، فَلَمَّا انْقَطَعَ الْوَحْيُ بِمَوْتِهِ، وَقَعَ الْإِلْهَامُ لِمَنْ اخْتَصَّهُ اللَّهُ بِهِ لِلْأَمْنِ مِنَ اللَّبْسِ فِي ذَلِكَ، وَفِي انْكَارِ وَقُوعِ ذَلِكَ مَعَ كَثْرَتِهِ وَاشْتِهَارِهِ مُكَابَرَةً مِمَّنْ أَنْكَرُوهُ^(١).

٥- خامساً: في معنى قوله: «الرُّؤْيَا الْحَسَنَةُ، مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ، جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ»^(٢).

قال الحافظ في الفتح: وقد استشكل كون الرؤيا جزءاً من النبوة مع أن النبوة انقطعت لموت النبي ﷺ، فقليل في الجواب: إن الرؤيا الواقعة من النبي ﷺ هي جزء من النبوة، ومن غيره هي جزء من أجزاء النبوة على سبيل المجاز، وقيل: المعنى أنها جزء من علم النبوة؛ لأن النبوة وإن انقطعت فإن علمها باق^(٣).

- وقد جاء أنها جزء من خمس وأربعين جزءاً من النبوة^(٤).

- وأنها جزء من سبعين جزءاً من النبوة^(٥).

- وأنها جُزْءٌ مِنْ خَمْسَةِ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ^(٦).

- ورُوي أنها جزء من خمسين جزءاً من النبوة، ولفظه: «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رُؤْيَا الرَّجُلِ الصَّالِحِ بُشْرَى مِنَ اللَّهِ، وَهِيَ جُزْءٌ مِنْ

(١) فتح الباري، ١٢ / ٣٧٥.

(٢) البخاري، كتاب التعبير، باب رؤيا الصالحين، برقم ٦٩٨٣، ومسلم، كتاب الرؤيا، برقم ٢٢٦٤.

(٣) انظر: فتح الباري ١٢ / ٣٦٣.

(٤) مسلم، كتاب الرؤيا، برقم ٢٢٦٣.

(٥) مسلم، كتاب الرؤيا، برقم ٢٢٦٥.

(٦) تاريخ بغداد، ٦ / ٤٢٠، وذيل تاريخ بغداد، ١٧ / ١٠٧، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٣٥٢٨.

سَيِّئَةً وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ»، فَحَدَّثْتُ بِهِ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَقَالَ: قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هِيَ جُزْءٌ مِنْ خَمْسِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ»^(١). قال الحافظ في الفتح: «وأما خصوص العدد فهو مما أطلع الله عليه نبيه ﷺ لأنه يعلم من حقائق النبوة ما لا يعلمها غيره»^(٢).

٦- سادساً: حذر النبي ﷺ وخوف أمته من أن يكذب النائم في حلمه أي: يقول: رأيت كذا وهو لم يره، فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ، كُلِّفَ أَنْ يَغْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ، وَلَنْ يَفْعَلَ»^(٣).

قال الحافظ في الفتح: والمراد بالتكلف نوع من التعذيب. وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ إِنْ مِنْ أَفْرَى الْفَرَى أَنْ يُرَى عَيْنَيْهِ مَا لَمْ تَرَ»^(٤). قال الحافظ في الفتح: قال الطبري: وإنما اشتد الوعيد في هذا الأمر، مع أن الكذب في اليقظة قد يكون أشد مفسدة منه؛ لأنه قد يترتب عليه شهادة في قتل أحد، أو أخذ مال - لأن الكذب في المنام كذب على الله أنه أراه ما لم يره، والكذب على الله أشد من الكذب على المخلوقين؛ ولأن الرؤية من أجزاء النبوة، والنبوة من قبل الله تعالى^(٥).

٧- سابعاً: لا فضل في رؤيا الليل على رؤيا النهار^(٦)، فقد رأى النبي ﷺ رؤيا لَمَّا نام عند أم حرام بنت ملحان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكان ذلك نهاراً لما قال - أي نام

(١) المعجم الأوسط، ٦/ ٦٧، برقم ٥٩٧٤، وبالفلفظ نفسه مسند البزار، ١/ ٢٢٦، برقم ١٢٩٨، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع، برقم ٣٠٧٩.

(٢) فتح الباري ١٢/ ٣٦٤.

(٣) البخاري، كتاب التعبير، باب من كذب في حلمه، برقم ٧٠٤٢.

(٤) البخاري، كتاب التعبير، باب من كذب في حلمه، برقم ٧٠٤٣.

(٥) انظر: فتح الباري، ١٢/ ٥١٥.

(٦) وكذا رؤيا الرجال والنساء.

نومة القيلولة عندها عليه السلام ^(١)، وأم حرام بنت ملحان من محارم النبي صلى الله عليه وسلم ^(٢).

أما رؤيا الليل فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقصّ الرؤى على أصحابه، ويقصّون هم عليه كذلك، فعن سمرة بن جندب رضي الله عنه، قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِمَّا يَكْثُرُ أَنْ يَقُولَ لِأَصْحَابِهِ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا» قَالَ: فَيَقْصُّ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقْصَّ، وَإِنَّهُ قَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ: «إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةُ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ فَيَنْلُغُ رَأْسَهُ، فَيَتَدَهَّدُ الْحَجَرُ هَا هُنَا، فَيَتَبَعُ الْحَجَرُ فَيَأْخُذُهُ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى» قَالَ: «قُلْتُ لَهُمَا: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَا؟»، قَالَ: «قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ» قَالَ: «فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِكُلُوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقْيِي وَجْهَهُ فَيَشْرِشُرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخَرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنَهُ إِلَى قَفَاهُ، - قَالَ: وَرُبَّمَا قَالَ أَبُو رَجَاءٍ: فَيَشُقُّ -» قَالَ: «ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ ذَلِكَ الْجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى» قَالَ: «قُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَا؟» قَالَ: «قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ الثُّورِ - قَالَ: فَأَحْسِبْ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ - فَإِذَا فِيهِ لَغَطٌ وَأَصْوَاتٌ»، قَالَ: «فَانْطَلَعْنَا فِيهِ، فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلٍ مِنْهُمْ، فَإِذَا

(١) البخاري، كتاب التعبير، باب الرؤيا بالنهار، برقم (٧٠٠٢).

(٢) قال النووي: في شرحه على صحيح مسلم، ١٦ / ١٠: «ذَكَرَ أُمُّ حَرَامٍ أُخْتُ أُمِّ سَلِيمٍ أَنَّهَا كَانَتْ خَالَتَيْنِ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَحْرَمَتَيْنِ إِمَّا مِنَ الرِّضَاعِ، وَإِمَّا مِنَ النَّسَبِ، فَتَحَلَّ لَهُ الْخُلُوةُ بِهِمَا، وَكَانَ يَدْخُلُ عَلَيْهِمَا خَاصَّةً، لَا يَدْخُلُ عَلَى غَيْرِهِمَا مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا أَزْوَاجَهُ» وقال في موضع آخر، ١٣ / ٥٧: «اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ مَحْرُومًا لَهُ صلى الله عليه وسلم، وَاخْتَلَفُوا فِي كَيْفِيَّةِ ذَلِكَ، فَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ وَغَيْرُهُ: كَانَتْ إِخْدَى خَالَاتِهِ مِنَ الرِّضَاعَةِ، وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ كَانَتْ خَالَةً لِأَبِيهِ أَوْ لِجَدِّهِ؛ لِأَنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ كَانَتْ أُمُّهُ مِنْ بَنِي النَّجَارِ». وانظر عون المعبود، ٧ / ١٢٤.

أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضُوا» قَالَ: «قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَؤُلَاءِ؟» قَالَ: «قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ» قَالَ: «فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ - حَسِبْتُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ - أَحْمَرٌ مِثْلَ الدَّمِ، وَإِذَا فِي النَّهْرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبِخُ، وَإِذَا عَلَى شَطِّ النَّهْرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَةً، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبِخُ مَا يَسْبِخُ، ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الْحِجَارَةَ، فَيَغْرُرُ لَهُ فَاهُ فَيُلْقِيهِ حَجَرًا فَيَنْطَلِقُ يَسْبِخُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَعَرَّ لَهُ فَاهُ فَأَلْقَمَهُ حَجَرًا» قَالَ: «قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟» قَالَ: «قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ» قَالَ: «فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ كَرِيهِ الْمَرَاةَ، كَأَكْرَهَ مَا أَنْتَ رَأَيْتَ رَجُلًا مَرَاةً، وَإِذَا عِنْدَهُ نَارٌ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا» قَالَ: «قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟» قَالَ: «قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَوْضَةٍ مُعْتَمَةٍ، فِيهَا مِنْ كُلِّ لَوْنِ الرِّبْعِ، وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرِي الرَّوْضَةِ رَجُلٌ طَوِيلٌ، لَا أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طَوِلًا فِي السَّمَاءِ، وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وَلَدَانٍ رَأَيْتُهُمْ قَطُّ» قَالَ: «قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا مَا هَؤُلَاءِ؟» قَالَ: «قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ» قَالَ: «فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ عَظِيمَةٍ، لَمْ أَرِ رَوْضَةً قَطُّ أَعْظَمَ مِنْهَا وَلَا أَحْسَنَ» قَالَ: «قَالَا لِي: ازِقْ فِيهَا» قَالَ: «فَارْتَقَيْنَا فِيهَا، فَأَتَيْنَا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَةٍ بِلَبْنٍ ذَهَبٍ وَلَبْنِ فَضَّةٍ، فَأَتَيْنَا بَابَ الْمَدِينَةِ فَاسْتَمْتَحْنَا فَفُتِحَ لَنَا فَدَخَلْنَاهَا، فَتَلَقَّانَا فِيهَا رِجَالٌ شَطَرٌ مِنْ خَلْقِهِمْ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَأَيْتَ، وَشَطَرٌ كَأَقْبَحِ مَا أَنْتَ رَأَيْتَ» قَالَ: «قَالَا لَهُمْ: اذْهَبُوا فَقَعُوا فِي ذَلِكَ النَّهْرِ» قَالَ: «وَإِذَا نَهْرٌ مُعْتَرِضٌ يَجْرِي كَأَنَّ مَاءَهُ الْمَخْضُ فِي الْبَيَاضِ، فَذْهَبُوا فَوَقَعُوا فِيهِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا قَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ الشُّوءُ عَنْهُمْ، فَصَارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ» قَالَ: «قَالَا لِي: هَذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ وَهَذَاكَ مَثَرُكَ» قَالَ: «فَسَمَا بَصْرِي ضَعْدًا فَإِذَا قَصْرٌ مِثْلُ الرِّبَابَةِ الْبَيْضَاءِ» قَالَ: «قَالَا لِي: هَذَاكَ مَثَرُكَ» قَالَ: «قُلْتُ لَهُمَا: بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا ذَرَانِي فَأَدْخَلَهُ، قَالَا: أَمَّا الْآنَ فَلَا، وَأَنْتَ دَاخِلُهُ» قَالَ: «قُلْتُ لَهُمَا: فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مُنْذُ اللَّيْلَةِ عَجَبًا، فَمَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ؟» قَالَ: «قَالَا لِي: أَمَا إِنَّا سَنُخْبِرُكَ.

أَمَّا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَتْلُو رَأْسَهُ بِالْحَجَرِ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ وَيَتَأَمُّ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ.

وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ، يُشْرَشِرُ شِدْقُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمُنْخَرُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ، فَيَكْذِبُ الكَذْبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ.
وَأَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاءُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُورِ، فَإِنَّهُمْ الرِّئَاءُ وَالزَّوَانِي.
وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْبُحُ فِي النَّهْرِ وَيُلْقِمُ الْحَجَرَ، فَإِنَّهُ آكِلُ الرِّبَا.
وَأَمَّا الرَّجُلُ الْكَرِيمُ الْمَرْءُ، الَّذِي عِنْدَ النَّارِ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا، فَإِنَّهُ مَالِكٌ خَازِنٌ جَهَنَّمَ.

وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرُّوضَةِ فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام.
وَأَمَّا الْوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ، قَالَ: فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ».
وَأَمَّا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا شَطْرَ مِنْهُمْ حَسَنًا وَشَطْرَ قَبِيحًا، فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا، تَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُمْ»^(١).

٨- ثامناً: وقد روي حديث: «أَصْدَقُ الرُّؤْيَا بِالْأَسْحَارِ» وَضَعِفَ^(٢).

٧- قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ رحمته الله: «أَصَافَ الرُّؤْيَا الْمَحْبُوبَةَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى إِضَافَةً تَشْرِيفٍ بِخِلَافِ الْمَكْرُوهَةِ وَإِنْ كَانَتْ جَمِيعًا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَذْيِيرِهِ وَبَيْرَادَتِهِ وَلَا فِعْلَ لِلشَّيْطَانِ فِيهِمَا لَكِنَّهُ يَحْضُرُ الْمَكْرُوهَةَ وَيَزَيِّضُهَا، وَيُسْرِ بِهَا»^(٣).

(١) البخاري، كتاب التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، برقم ٧٠٤٧.
(٢) مسند أحمد، ١٧/ ٣٤١، برقم ١١٢٤٠، والترمذي، كتاب الرؤيا، باب قوله: «لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»، برقم ٢٢٧٤، وابن حبان، ١٣/ ٤٠٧، برقم ٦٠٤١، وضعفه محققو المسند، ١٧/ ٣٤١، والألباني في ضعيف الجامع، برقم ٨٨٧.
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٥/ ١٧، وانظر: تحفة الأحوذى، ٦/ ٤٥٩.

٣٢- دُعَاءُ قُنُوتِ الْوُتْرِ

١١٦- (١) «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ؛ فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، إِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ» (١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٩٧- لفظ أبي داود عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رحمتهما (٢): «عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

(١) أخرجه أصحاب السنن الأربعة: أبو داود، كتاب الصلاة، باب القنوت في الوتر، برقم ١٤٢٥، والترمذي، كتاب الوتر، باب ما جاء في القنوت في الوتر، برقم ٤٦٤، والنسائي، كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب الدعاء في الوتر، برقم ١٧٤٥، وابن ماجه، كتاب الصلاة، باب ما جاء في القنوت في الوتر، برقم ١١٧٨، وأحمد، ٣/ ٢٤٥، برقم ١٧١٨، والدارمي، ١/ ٤٥٩، برقم ١٥٩١، والحاكم، ٣/ ١٧٢، والبيهقي، ٢/ ٢٠٩، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١/ ١٤٤، وصحيح ابن ماجه، ١/ ١٩٤، وإرواء الغليل للألباني، ١٧٢/٢.

(٢) الحسن بن علي رحمتهما: الإمام السيد الشهيد أبو محمد القرشي، وُلد في شعبان في الثالثة من الهجرة ومناقبه كثيرة جداً، منها: دعا له جده رسول الله ﷺ بقوله: «اللَّهُمَّ أَحِبْهُ وَأَحِبْ مِنْ يَحِبُّهُ» البخاري، برقم ٢١٢٢، وقال: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فتيين عظيمتين من المسلمين» البخاري، برقم ٢٧٠٤، وهو مع أخيه الحسين قال فيهما النبي عليه الصلاة والسلام: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة» الترمذي، برقم ٣٧٦٨، وصححه الألباني في الصحيحة، برقم ٧٩٦، وقال: «هما ريحانتي من الدنيا» البخاري، برقم ٥٩٩٤، وإنما شبههما بذلك لأن الولد يشم ويقبل ويحضن، قال أنس رضي الله عنه: «لم يكن أحد أشبه بالنبي ﷺ من الحسن بن علي» البخاري، برقم ٣٧٥٢، أي: قبل موته، ولما مات قال أنس في حق الحسين لما قتل: «كان أشبههم برسول الله ﷺ» البخاري، برقم ٣٧٤٨، أي: من آل البيت رضي الله عنهم، وقد مات الحسن رضي الله عنه بالمدينة مسموماً عام خمسين من الهجرة أو بعد ذلك. انظر: سير أعلام النبلاء، ٣/ ٤٥ ترجمة رقم ٤٧.

وعُدَّ بعض أهل العلم: الحسن بن علي رضي الله عنه من خلفاء النبوة، لقوله عليه الصلاة والسلام: «خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله الملك من يشاء» سنن أبي داود، برقم ٤٦٤٦، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٣٢٥٧، فكانت خلافة الصديق ستان وثلاثة أشهر، وعمر عشر

كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي الْوُتْرِ، قَالَ ابْنُ جَوَّاسٍ: فِي قُنُوتِ الْوُتْرِ: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ»^(١).

٣٩٨- ولفظ الترمذي قَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رحمتهما: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي الْوُتْرِ: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ»^(٢).

٣٩٩- ولفظ النسائي قَالَ الْحَسَنُ رحمتهما: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي الْوُتْرِ فِي الْقُنُوتِ: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ»^(٣).

٤٠٠- وفي لفظ عند النسائي: عَنْ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رحمتهما، قَالَ: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ فِي الْوُتْرِ، قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ»^(٤) بزيادة الصلاة على النبي.

سنتين وستة أشهر، وعثمان اثنتا عشرة سنة، وعلي أربع سنين وتسعة أشهر، ويكملها ثلاثين بيعة الحسن بن علي ستة أشهر ٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة للحافظ الحكمي، ص ١٨٩.

(١) أبو داود، برقم ١٤٢٥، وصححه الألباني في إرواء الغليل للألباني، ١٧٢/٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) الترمذي، برقم ٤٦٤، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١٤٤/١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) النسائي، برقم ١٧٤٥، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ١١٧٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) النسائي، كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب الدعاء في الوتر، برقم ١٧٤٦، وقال العلامة الألباني في

٤٠١- ولفظ ابن ماجه عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: عَلَّمَنِي جَدِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي قُنُوتِ الْوُتْرِ: «اللَّهُمَّ عَافِنِي فِيْمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيْمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَاهْدِنِي فِيْمَنْ هَدَيْتَ، وَفِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيْمَا أَعْطَيْتَ، إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، إِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، سُبْحَانَكَ رَبَّنَا، تَبَارَكَتَ وَتَعَالَيْتَ»^(١).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللَّهُمَّ»: «اللَّهُمَّ بِمَعْنَى: يَا اللَّهُ، ... الْمِيمُ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أُولَها، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الْاسْمِ الْمُتَادِي الْمُفْرَدِ»^(٢).

٢- قوله: «اهدني فيمن هديت» أي: اجعلني بفضلك ورحمتك من جملة من هديت من عبادك، ويدخل في ذلك هداية الإرشاد، وذلك بالعلم الشرعي وهداية التوفيق والتي يترتب عليها العمل بهذا العلم حتى لا يكون حجة على العبد يوم القيامة، قال الطيبي رحمه الله: «فيمن هديت: اجعل لي نصيباً وافراً من الاهتداء، معدوداً في زمرة المهتدين من الأنبياء، والأولياء، و«فيمن هديت» متصل بالفعل علي سبيل المبالغة، أي أوقع هدايتي في زمرة من هديتهم، كقوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾^(٣)»،^(٤)

تمام المنة في التعليق على فقه السنة، ص: ٢٤٢: «هذه الزيادة في آخره ضعيفة، لا تثبت كما قال الحافظ ابن حجر، والقسطلاني، والزرقاني، وفي سندها جهالة وانقطاع» قال الإمام النووي في الأذكار، ٨٥: «ويستحب أن يقول عقيب هذا الدعاء: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَسَلِّمْ، فقد جاء في رواية النسائي في هذا الحديث بإسناد حسن: «وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ» وقال الألباني في تلخيص صفة الصلاة، ص: ٣٨: «وهذا الدعاء من تعليم رسول الله ﷺ، فلا يزداد عليه إلا الصلاة عليه ﷺ، فتجوز لثبوتها عن الصحابة ﷺ».

(١) ابن ماجه، برقم ١١٧٨، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ١١٧٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، في شرح المفردة، رقم ٦.

(٣) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٤) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤/ ١٢٢٦.

وقال القاري رحمته الله: «أي: اجعلني ممن هديتهم إلى الصراط المستقيم»^(١).

٣- قوله: «وعافني فيمن عافيت»: أي: اجعلني من جملة من عافيت من أهل طاعتك والمراد من طلب العافية هو النجاة من كل شر في الدارين ولذلك قال النبي ﷺ لشكل بن حميد رضي الله عنه لما سأله عن دعاء ينفعه قال له: «قل اللهم عافني من شر سمعي وبصري ولساني وقلبي وشر مني»^(٢)، وقال العظيم أباذي رحمته الله: «وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ: أَيُّ مَنْ أَسْوَ الْأَدْوَاءِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْأَهْوَاءِ، وَقَالَ ابْنُ الْمَلَكِ: مِنَ الْمُعَافَاةِ الَّتِي هِيَ دَفْعُ الشُّوءِ»^(٣).

٤- قوله: «وتولني فيمن توليت»: أي: كن لي ولياً ومعيناً وناصرًا والمراد بالولاية هنا هي الولاية الخاصة التي قال الله فيها: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٤) وقوله: ﴿إِلَّا إِنْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾^(٥)، وإلا فإن الولاية العامة شاملة للمؤمن والكافر لقوله ﷺ: «ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ»^(٦) أي: عند الموت فالكل مرده إلى الله المؤمن والكافر؛

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣/ ٩٥٠.

(٢) أخرج أبو داود، كتاب الوتر، باب في الاستعاذة، برقم ١٥٥١، والترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا أحمد بن منيع، برقم ٣٤٩٢، وقال: «حسن غريب»، والنسائي، كتاب الاستعاذة، الاستعاذة من شر السمع والبصر، برقم ٥٤٤٤، والحاكم ١/ ٧١٥، وقال: «صحيح الإسناد» وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٤٣٩٩، كلها بلفظ: «مني»، وأما لفظ مني فلم أجده إلا في الجامع الصغير للسيوطي، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ١٢٩٢، وقال فيه: «صحيح، دك، عن شكل. المشكاة ٢٤٧٢» وقد وجدت في الفردوس بمأثور الخطاب، ١/ ٤٥٩: برقم ١٨٦٥ رواية عن: «شكل بن حميد: اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي وشر بصري وشر لساني وشر قلبي وشر مني يعني ماء» وهي نفسها تفسر المنية بالمني عندما قالت: يعني ماء.

(٣) عون المعبود، ٤/ ٢١١.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

(٥) سورة يونس، الآيتان: ٦٢، ٦٣.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ٦٢.

لأن الله ﷻ هو الذي يتولى شؤون الخلق عامة، وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: «سؤال للتولي الكامل، ليس المراد به ما فعله بالكافرين من خلق القدرة، وسلامة الآلة، وبيان للطريق؛ فإن كان هذا هو ولايته للمؤمنين، فهو ولي الكفار، كما هو ولي المؤمنين، وهو سبحانه يتولى أوليائه بأمور لا توجد في حق الكفار، من توفيقهم، وإلهامهم، وجعلهم مهديين مطيعين»^(١).

٥- قوله: «وبارك لي فيما أعطيت» أي: ارزقني البركة في كل نعمك عليّ: من مال، وأهل، وولد، ومسكن، ودابة، ووقفني فيه لعمل يرضيك، قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «أي: أنزل البركة لي فيما أعطيتني من المال، والعلم، والجاه، والولد، ومن كل ما أعطيتني ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾^(٢)، إذاً؛ بارك لي في جميع ما أنعمت به عليّ، وإذا أنزل الله البركة لشخص فيما أعطاه، صار القليل منه كثيراً، وإذا نزلت البركة صار الكثير قليلاً، وكم من إنسان يجعل الله على يديه من الخير في أيام قليلة ما لا يجعل على يد غيره في أيام كثيرة؟، وكم من إنسان يكون المال عنده قليلاً، لكنه متنعم في بيته، قد بارك الله له في ماله، ولا تكون البركة عند شخص آخر أكثر منه مالاً؟ وأحياناً تُحس بأن الله بارك لك في هذا الشيء، بحيث يبقى عندك مدة طويلة»^(٣).

٦- قوله: «وقني شر ما قضيت» أي: شر الذي قضيته، فإن الله قد يقضي بالشر لحكمة بالغة والشر واقع في بعض مخلوقاته لا في خلقه وفعله لأن فعله وخلقه خير كله^(٤).

٧- قوله: «فإنك تقضي» أي: تحكم ما تشاء، وتفعل ما تريد، ولا تُسئل

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ص ١١١.

(٢) سورة النحل، الآية: ٥٣.

(٣) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ٤ / ٢٦.

(٤) فقه الأذكار، ص ١٧٢.

عن ذلك ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾^(١)، قال العدوي رحمته الله في حاشيته: «الظَّاهِرُ أَنَّ التَّعْلِيلَ لَيْسَ مَقْصُودًا، بَلْ الْقَضْدُ وَضْفُ الْمَوْلَى تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِذَلِكَ عَلَى طَرِيقِ التَّأْكِيدِ، وَالتَّحْقِيقِ؛ لِأَجْلِ أَنْ يَنْقَطِعَ الْعَبْدُ عَمَّا سِوَاهُ، وَيَلْتَجِئَ إِلَيْهِ التَّجَاءُ غَيْرَ مَشُوبٍ بِغَيْرِهِ» (قوله: تَقْضِي) أَيُّ تَحْكُمُ عَلَى مَنْ تُرِيدُهُ مِنْ عِبَادِكَ بِمَا تُرِيدُهُ»^(٢).

٨- قوله: «وَلَا يَقْضِي عَلَيْكَ» أَي: لَا يوجب عليك أحد من خلقك شيء فهم مربوبون لك مقهورون بعزتك فأنت توجب على نفسك ما شئت، قال الله تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾^(٣) وفي الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا»^(٤)، وقال العدوي رحمته الله: «وَلَا يَقْضِي عَلَيْكَ: أَيُّ غَيْرُكَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَقْضِيَ عَلَيْكَ بِأَمْرٍ؛ لِأَنَّهُ عَاجِزٌ، وَالْعَجْزُ لَا زِمَ لَهُ»^(٥).

٩- قوله: «إِنَّهُ لَا يَذِلُّ مِنْ وَالِيَةٍ»: لَأَن مِنْ كَانَ وَلِيًّا لِلَّهِ فَقَدْ تَكْفَلَ اللَّهُ بِنَصْرِهِ كَقَوْلِ اللَّهِ تعالى: ﴿وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(٦)، والذل هو الضعف والهوان، وقال الجمل رحمته الله: «بِفَتْحٍ فَكُسِرَ، أَيُّ: لَا يَحْضُلُ لَهُ ذِلَّةٌ فِي نَفْسِهِ، أَوْ بِضَمٍّ فَفَتْحٌ أَيُّ: لَا يَذِلُّهُ أَحَدٌ»^(٧)، وقال الشنقيطي: «أَي: لَا يَذِلُّ مِنْ كُنْتَ وَلِيًّا لَهُ، وَهَذَا كَأَنَّهُ تَعْلِيلٌ لِسُؤَالِ الْوَلَايَةِ»^(٨).

١٠- قوله: «وَلَا يَعْزُ مِنْ عَادِيَةٍ»: أَي مِنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ فَإِنَّهُ لَا يَنْصُرُهُ أَحَدٌ

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٣.

(٢) شرح مختصر خليل للخرشي، ١/ ٢٨٤.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٢.

(٤) مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، برقم ٢٥٧٧.

(٥) شرح مختصر خليل للخرشي، ١/ ٢٨٤.

(٦) سورة الصافات، الآية: ١٧٣.

(٧) حاشية الجمل على شرح المنهج، ١/ ٣٦٩.

(٨) شرح زاد المستقنع للشنقيطي، ٥٢/ ١١.

وإن اجتمعوا لذلك. قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾^(١)، وقوله ﷻ: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾^(٢)، وقال الشنقيطي: «لنا أن نقول: هذا ليس على غمومه، ويخصّص بالأحوال العارضة، ولنا أن نقول: إنه عامٌّ؛ باقٍ على غمومه لا يخصّص منه شيء، لكنه عامٌّ أريد به الخصوص، يعني: أن المراد: لا يذلُّ ذلًّا دائماً، ولا يعزُّ عزًّا دائماً»^(٣)، وقال ابن عثيمين رحمه الله: «يفيد أن الولاية طريق إلى العزة، كما قال الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾»^(٤)، فجعل الله العزة لمن أطاعه، والذلة لمن عصاه، فإذا كان الإنسان مطيعاً لله؛ فإن الله يُعزِّه، يقول بعض العلماء: إن سؤال الأثر، أو المسبب يتضمن ما يكون سبباً في وجوده، فكأنه لما يسأل الله ﷻ أن يكون على هذه الحال من كونه ولياً لله ﷻ فقد حصل العزة»^(٥).

١١- قوله: «تباركت ربنا»: أي: تعاظمت، وامت بركتك جميع خلقك من أهل السموات والأرض، وما بينهما، والبركة مأخوذة من كثرة الخير وسعته وكلها من الله، قال في القاموس المحيط: «تبارك الله: تقدّس، وتنزّه: صفة خاصة بالله تعالى، وتبارك بالشيء: تفاعل به»^(٦).

قال الإمام ابن قيم الجوزية في شرح المباركة «إذا كان العبد وغيره مباركاً لكثرة خيره، ومنافعه، واتصال أسباب الخير فيه، وحصول ما ينتفع به الناس منه، فالله تبارك وتعالى أحق أن يكون متباركاً، وهذا ثناء يشعر

(١) سورة غافر، الآية: ٥١.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ٢١.

(٣) شرح زاد المستقنع للشنقيطي، ١١ / ٥٢.

(٤) سورة المنافقون، الآية: ٨.

(٥) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ٢٠ / ٤.

(٦) القاموس المحيط، ص ١٢٠٤، مادة (برك).

بالعظمة، والرفعة، والسعة، كما يقال تعاضم وتعالي، ونحوه فهو دليل على عظمته، وكثرة خيره، ودوامه، واجتماع صفات الكمال فيه، وإن كل نفع في العالم كان ويكون، فمن نفعه سبحانه وإحسانه^(١).

ويقول العلامة ابن القيم رحمته الله في بعض معاني المباركة: «فتبارك وتعالى عن نسبة الشر إليه، بل كل ما نسب إليه فهو خير، والشر إنما صار شراً لانقطاع نسبته، وإضافته إليه، فلو أضيف إليه لم يكن شراً، كما سيأتي بيانه، وهو سبحانه خالق الخير والشر، فالشر في بعض مخلوقاته، لا في خلقه، وفعله، وخلق وفعله وقضاؤه وقدره خير كله؛ ولهذا تنزه سبحانه عن الظلم الذي حقيقته وضع الشيء في غير موضعه، كما تقدم فلا يضع الأشياء إلا في مواضعها اللاتقة بها، وذلك خير كله، والشر وضع الشيء في غير محله؛ فإذا وضع في محله لم يكن شراً، فعلم أن الشر ليس إليه»^(٢).

١٢- قوله: «وتعاليت»: أي: لك العلو التام: ذاتاً، وقدراً، وقهراً، وعلو الله قامت عليه الأدلة: من الكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل، والفطرة. وفي معنى تعاليت يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «بَيَّنَّ عليه السلام عَمَّا يَقُولُ الْمُبْطِلُونَ، وَعَمَّا يُشْرِكُونَ، أَنَّهُ عليه السلام مُتَعَالٍ عَنِ الشُّرَكَاءِ وَالْأَوْلَادِ، كَمَا أَنَّهُ مُسَبِّحٌ عَنِ ذَلِكِ، وَتَعَالِيهِ سُبْحَانَهُ عَنِ الشَّرِيكِ هُوَ تَعَالِيهِ عَنِ السَّمِيِّ، وَالْبَدِّ، وَالْمِثْلِ، فَلَا يَكُونُ شَيْءٌ مِثْلَهُ، وَقَدْ ذَكَرُوا مِنْ مَعَانِي الْعُلُوِّ الْفُضَيْلَةِ، كَمَا يُقَالُ: الذَّهَبُ أَعْلَى مِنَ الْفِضَّةِ، وَنَفْيُ الْمِثْلِ عَنْهُ يَقْتَضِي أَنَّهُ أَعْلَى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فَلَا شَيْءَ مِثْلَهُ، وَهُوَ يَتَضَمَّنُ أَنَّهُ أَفْضَلُ، وَخَيْرٌ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ كَمَا أَنَّهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»^(٣).

(١) جلاء الأفهام، ص ٣٠٤.

(٢) شفاء العليل، ص: ١٧٩.

(٣) مجموع الفتاوى، ١٦/ ١٢٠.

١٣- قوله: «في قنوت الوتر»: قال الباجي رَحِمَهُ اللهُ: «وَالْقُنُوتُ: الْأَخْذُ فِي الدُّعَاءِ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: وَنَزَى قُنُوتُ الْوِترِ سُمِّيَ قُنُوتًا؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ قَائِمٌ فِي الدُّعَاءِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَقْرَأَ»^(١).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- مشروعية قول هذا الدعاء الذي جمع أنواع الخير وسبل النجاة في الدارين؛ ولذا فقد علّمه النبي ﷺ لابن بنته - فاطمة - الحسن بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

٢- المعافاة من أمراض القلوب: كأمراض الشبهات والشهوات، يزول بالعلم الذي يزيل الشبهة، وبالوعظ الذي يطفئ الشهوة، وكل ذلك في القرآن بوعده ووعيده.

٣- من ثمار البركة أن يكون المسلم كالغيث، أينما وقع نفع، وأن يجمع في الأوقات القليلة الأعمال الكثيرة من الطاعات: كصلة الأرحام، والإكثار من النوافل، والدعوة إلى الله، والتأليف، وغير ذلك.

٤- طلب العبد من ربه أن يقيه شر ما قضاه، دليل على إيمان العبد بالقضاء والقدر، وقضاء الله إما شرعي، كقوله: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِأَلْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(٢)، وإما قدري، مثل قوله ﷺ: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا﴾^(٣).

٥- قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «وقوله: فإنه لا يذل من واليت ليس على عمومه فإن الذل قد يعرض لبعض المؤمنين والعز قد يعرض لبعض المشركين كما وقع يوم أحد من الجراح والضعف وهذا يكون أمراً عارضاً لحكمة يعلمها رب العالمين»^(٤).

(١) المتتقى شرح الموطأ، للباجي، ١/ ٢٨١.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٤.

(٤) انظر: الشرح الممتع ٤/ ٣٠.

٦- وقال الشيخ ابن عثيمين رحمته الله: وظاهر كلام أهل العلم - أي في صفة رفع اليدين في القنوت - أن يضمهما بعضهما على بعض كحال المستجدي الذي يطلب من غيره أن يعطيه شيئاً، وأما التفريج والمباعدة فلا أعلم له أصلاً لا في السنة ولا في كلام العلماء^(١).

٧- والجمع بين قوله: «قني شر ما قضيت» وبين قوله: «والشر ليس إليك»^(٢) هو أن الشر لا ينسب إلى الله تعالى، وإن كان هو خالق الخير والشر، وهذا من باب الأدب مع الله، كقول مؤمني الجن: ﴿وَأَنَا لَا نَذَرِي أَشْرًا أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾^(٣)، وكذلك فإن الشر في الخلق وليس في الفعل كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾^(٤).

٨- قال الألباني رحمته الله بعدما ضعف زيادة «وصلى الله على محمد» في نهاية دعاء الوتر قال: ثم اطلعت على بعض الآثار الثابتة عن بعض الصحابة بفعلهم ذلك، فقلت بمشروعية ذلك، أما الحديث: «الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك» فإسناده ضعيف^(٥).

٩- يجوز دعاء القنوت قبل الركوع وبعده؛ لقول أنس رضي الله عنه: «قد كان قبل وبعد» يعني: القنوت قبل الركوع وبعده^(٦).

١٠- مسح الوجه بعد دعاء القنوت وكذلك بعد كل دعاء رُوي من حديث

(١) الشرح الممتع، ص ١٨.

(٢) مسلم، برقم ٧٧١، وقد تقدم تخريجه.

(٣) سورة الجن، الآية: ١٠.

(٤) سورة الفلق، الآيتان: ١ - ٢.

(٥) إرواء الغليل، برقم ٤٣١.

(٦) سنن ابن ماجه، كتاب الصلاة، باب ما جاء في القنوت قبل الركوع وبعده، برقم ١١٨٣، وصححه الألباني في إرواء الغليل، ١٦٢.

عمر عليه السلام: «أن النبي ﷺ كان إذا رفع يديه في الدعاء لم يحطهما حتى يمسح بهما وجهه» ومن أهل العلم من حسنه، ومنهم من ضعفه^(١).

١١- ألفاظ هذا الدعاء وردت في قنوت الوتر وليس في قنوت الصبح، كما يفعله كثير من الناس، وإنما يشرع القنوت في الوتر، وفي النوازل في الصلوات كلها.

١٢- وثبتت زيادة: «لا منجا منك إلا إليك»^(٢).

١٣- من معاني القنوت، ورد لها اثنا عشر معنى على النحو الآتي:

أ- الخشوع: كقوله: «وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ»^(٣).

ب- الدعاء كما هو واضح من حديث الباب.

ج- يطلق على: الطاعة.

د- والصلاة.

هـ- والدعاء.

و- والعبادة.

(١) رواه الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء في رفع الأيدي في الدعاء، برقم ٣٣٨٦، وضعفه الألباني في إرواء الغليل، برقم ٤٣٣، وقال الحافظ في بلوغ المرام من أدلة الأحكام، برقم ١٥٥٣: «له شواهد، منها حديث ابن عثايب عن أبي داود، ومجموعها يقتضي أنه حديث حسن» وقد علق المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير، ١٧٦/٥ على الحديث بقوله: «ففعّل ذلك سنة، كما جرى عليه جمع شافعية، منهم النووي في التحقيق، تمسكاً بعدة أخبار، هذا منها، وهي وإن ضعفت أسانيدها، تقوّت بالاجتماع».

(٢) قال الحافظ في التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ١/ ٦٠٥: «لَفْظُهُ: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَقُولَ فِي الْوُتْرِ قَبْلَ الرُّكُوعِ فَذَكَرَهُ وَزَادَ فِي آخِرِهِ: «لَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ» وقال الشيخ الألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ١٦٨/٢: «عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «علمني رسول الله ﷺ أن أقول إذا فرغت من قراءتي في الوتر «اللهم اهْدني فيمن هديت...» الحديث، وزاد في آخره: «لا منجا منك إلا إليك»، وصححها أيضاً في صفة الصلاة، ص ١٨٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٣٨.

ز- والقيام.

ح- وطول القيام.

ط- والسكوت.

ي- والسكون.

ك- وإقامة الطاعة.

ل- والخضوع^(١).

وذكر الحافظ ابن حجر أن ابن العربي ذكر أن القنوت ورد لعشرة معاني نظمها الحافظ زين الدين العراقي بقوله:

ولفظ القنوت اعدد معانيه تجد مزيداً على عشرة معاني مرضية

دعاء، خشوع، والعبادة، طاعة إقامتها، إفراده بالعبودية

سكوت، صلاة، والقيام، وطوله كذا دوام الطاعة الرابع القنيه^(٢)

قال ابن الأثير رحمه الله بعد أن ذكر معاني القنوت في الأحاديث: «فيصرف كل

واحد من هذه المعاني إلى ما يحتمله الحديث الوارد فيه»^(٣).

١١٧- (٢) «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، باب القاف مع النون، ١١١/٤، ومشارك

الأنوار على الصحاح والآثار، للقاضي عياض، حرف القاف مع سائر الحروف، ١٨٦/٢، وهدي

الساري مقدمة فتح الباري، لابن حجر، ص ١٧٦.

(٢) راجع فتح الباري الطبعة السلفية، ٤٩١/٢.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١١١/٤.

مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أَحْصِي ثَنَاءَ عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤٠٢- لفظ أبي داود عن علي بن أبي طالب عليه السلام ^(٢) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي آخِرِ وَتْرِهِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أَحْصِي ثَنَاءَ عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»^(٣).

٤٠٣- ولفظ النسائي عن علي بن أبي طالب عليه السلام، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي آخِرِ وَتْرِهِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أَحْصِي ثَنَاءَ عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»^(٤).

٤٠٤- ولفظ الترمذي عن علي بن أبي طالب عليه السلام أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي وَتْرِهِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَأَعُوذُ بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أَحْصِي ثَنَاءَ عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»^(٥).

٤٠٥- ولفظ ابن ماجه عن علي بن أبي طالب عليه السلام: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي

(١) أخرجه أصحاب السنن الأربعة، وأحمد: أبو داود، كتاب الوتر، باب القنوت في الوتر، برقم ١٤٢٧، والترمذي، كتاب الدعوات، باب في دعاء الوتر، برقم ٣٥٦٦، والنسائي، كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب الدعاء في الوتر، برقم ١٧٤٦، وابن ماجه، كتاب إقامة الصلوات، باب ما جاء في القنوت في الوتر، برقم ١١٧٩، وأحمد، ١٤٧/٢، برقم ٧٥١، وقوى إسناده محققو المسند، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ١٢٨٢، وصحيح الترمذي، ١٨٠/٣، وصحيح ابن ماجه، ١٩٤/١، وإرواء الغليل، ١٧٥/٢.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٥ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، برقم ١٤٢٧، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ١٢٨٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) النسائي، برقم ١١٧٩، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ١٢٨٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) أخرجه أصحاب السنن، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ١٢٨٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

آخِرِ وَثَرِهِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سُخْطِكَ، وَأَعُوذُ بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»^(١).

تقدم شرح هذا الحديث وفوائده في شرح حديث المتن رقم (٤٧) في شرح أدعية السجود.

١١٨- (٣) «اللَّهُمَّ إِيَّاكَ نَعْبُدُ، وَلَكَ نُصَلِّي وَنَسْجُدُ، وَإِلَيْكَ نَسْعَى وَنَخْجِدُ، نَرْجُو رَحْمَتَكَ، وَنَخْشَى عَذَابَكَ، إِنَّ عَذَابَكَ بِالْكَافِرِينَ مُلْحَقٌ. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَغْفِرُكَ، وَنَسْتَغْفِرُكَ، وَنُثْنِي عَلَيْكَ الْخَيْرَ، وَلَا نَكْفُرُكَ، وَنُؤْمِنُ بِكَ، وَنَخْضَعُ لَكَ، وَنَخْلَعُ مِنْ يَكْفُرُكَ»^(٢).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤٠٦- عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِزَى رضي الله عنه^(٣)، قَالَ: صَلَّيْتُ خَلْفَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه صَلَاةَ الصُّبْحِ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ بَعْدَ الْقِرَاءَةِ قَبْلَ الرُّكُوعِ: «اللَّهُمَّ إِيَّاكَ نَعْبُدُ، وَلَكَ نُصَلِّي وَنَسْجُدُ، وَإِلَيْكَ نَسْعَى وَنَخْجِدُ، نَرْجُو رَحْمَتَكَ، وَنَخْشَى عَذَابَكَ، إِنَّ عَذَابَكَ بِالْكَافِرِينَ مُلْحَقٌ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَغْفِرُكَ، وَنَسْتَغْفِرُكَ، وَنُثْنِي عَلَيْكَ الْخَيْرَ، وَلَا نَكْفُرُكَ، وَنُؤْمِنُ بِكَ وَنَخْضَعُ لَكَ، وَنَخْلَعُ مِنْ يَكْفُرُكَ»^(٤).

(١) ابن ماجه، برقم ١١٧٩، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ١١٧٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، وصححه إسناده، ٢/٢١١، وقال الشيخ الألباني في إرواء الغليل: ((وهذا إسناد صحيح))، ٢/١٧٠. وهو موقوف على عمر.

(٣) تقدم ترجمته في الحديث رقم ٣٠٨ من أحاديث الشرح.

(٤) البيهقي، ٢/٢١٠، والدعوات الكبير له، ٢/١٤٦، وصححه الألباني في إرواء الغليل، برقم

٤٠٧- عَنْ عُيَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ ^(١)، قَالَ: صَلَّيْتُ خَلْفَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ^(٢) الْغَدَاةَ، فَقَالَ: فِي قُنُوتِهِ: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَعِينُكَ، وَنَسْتَغْفِرُكَ، وَنُثْنِي عَلَيْكَ الْخَيْرَ، وَلَا نَكْفُرُكَ، وَنَخْلَعُ وَنَتْرُكُ مَنْ يَفْجُرُكَ، اللَّهُمَّ إِيَّاكَ نَعْبُدُ، وَلَكَ نُصَلِّي وَنَسْجُدُ، وَإِلَيْكَ نَسْعَى، وَنَخْشَى، نَرْجُو رَحْمَتَكَ، وَنَخْشَى عَذَابَكَ، إِنَّ عَذَابَكَ بِالْكَفَّارِ مُلْحِقٌ» ^(٣).

٤٠٨- عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سُوَيْدٍ الْكَاهِلِيِّ ^(٤)، أَنَّ عَلِيًّا ^(٥) قَنَتَ فِي الْفَجْرِ بِهَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَعِينُكَ، وَنَسْتَغْفِرُكَ، وَنُثْنِي عَلَيْكَ، وَلَا نَكْفُرُكَ، وَنَخْلَعُ وَنَتْرُكُ مَنْ يَفْجُرُكَ، اللَّهُمَّ إِيَّاكَ نَعْبُدُ، وَلَكَ نُصَلِّي وَنَسْجُدُ، وَإِلَيْكَ نَسْعَى وَنَخْشَى، نَرْجُو رَحْمَتَكَ، وَنَخْشَى عَذَابَكَ، إِنَّ عَذَابَكَ بِالْكَفَّارِ مُلْحِقٌ» ^(٦).

٤٠٩- ولفظ ابن خزيمة في صحيحه: خَرَجَ عُمَرُ ^(٧) لَيْلَةً فِي رَمَضَانَ فَخَرَجَ مَعَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ الْقَارِيِّ، فَطَافَ بِالْمَسْجِدِ وَأَهْلُ الْمَسْجِدِ أَوْزَاعَ مُتَفَرِّقُونَ، يُصَلِّي الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ، وَيُصَلِّي الرَّجُلُ، فَيُصَلِّي بِصَلَاتِهِ الرَّهْطُ، فَقَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ إِنِّي أَظُنُّ لَوْ جَمَعْنَا هَؤُلَاءِ عَلَى قَارِيٍّ وَاحِدٍ لَكَانَ أَمْثَلُ، ثُمَّ عَزَمَ عُمَرُ عَلَى ذَلِكَ،

١٧١ / ٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(١) عبيد بن عمير بن قتادة المؤذن، أبو عاصم المكي، ولد على عهد النبي ﷺ قاله مسلم، وعده غيره في كبار التابعين، وكان قاصاً أهل مكة، مجمع على ثقته، مات قبل ابن عمر. انظر: طبقات خليفة بن خياط، ص ٢٧٩، وتقريب التهذيب، ١ / ٦٤٤.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٦١ من أحاديث الشرح.

(٣) ابن أبي شيبة، ١٠٦ / ٢، برقم ٧٠٢٧، وصححها الألباني إرواء الغليل، ١٧٠ / ٢، وقال النووي في الأذكار، ص ٨٩ عن قنوت عمر: «وهو موقوف صحيح موصول».

(٤) عبد الملك بن سويد، سمع ابن سيرين، روى عنه عبد الله بن زياد بن درهم، انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، ٣٥٣ / ٥.

(٥) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٥ من أحاديث الشرح.

(٦) ابن أبي شيبة ١٠٦ / ٢، برقم ٧٠٢٩، ومراسيل أبي داود، ص ٨٢، وأشار إلى تقويته الألباني في إرواء الغليل، ١٧١ / ٢.

وَأَمَرَ أَبِي بَن كَعْبٍ أَنْ يَقُومَ لَهُمْ فِي رَمَضَانَ، فَخَرَجَ عُمَرُ عَلَيْهِمْ، وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلَاةِ قَارِئِهِمْ، فَقَالَ عُمَرُ: نِعْمَ الْبِدْعَةُ هِيَ، وَالَّتِي تَنَامُونَ عَنْهَا أَفْضَلُ مِنَ الَّتِي تَقُومُونَ - يُرِيدُ آخِرَ اللَّيْلِ - فَكَانَ النَّاسُ يَقُومُونَ أَوَّلَهُ، وَكَانُوا يَلْعَنُونَ الْكُفْرَةَ فِي التَّضْفِ: «اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكُفْرَةَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ وَيُكَذِّبُونَ رُسْلَكَ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِوَعْدِكَ، وَخَالَفَ بَيْنَ كَلِمَتِهِمْ، وَأَلْتَقَى فِي قُلُوبِهِمُ الرُّغْبُ، وَأَلْتَقَى عَلَيْهِمْ رِجْزُكَ وَعَذَابُكَ، إِلَهَ الْحَقِّ»، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَيَدْعُو لِلْمُسْلِمِينَ بِمَا اسْتَطَاعَ مِنْ خَيْرٍ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ لِلْمُؤْمِنِينَ قَالَ: وَكَانَ يَقُولُ إِذَا فَرَغَ مِنْ لَعْنَةِ الْكُفْرَةِ، وَصَلَاتِهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَاسْتِغْفَارِهِ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَمَسْأَلَتِهِ: «اللَّهُمَّ إِنَّاكَ نَعْبُدُ، وَلَكَ نُصَلِّي وَنَسْجُدُ، وَإِلَيْكَ نَسْعَى وَنَخْضُدُ، وَنَرْجُو رَحْمَتَكَ، وَنَخَافُ عَذَابَكَ الْجَدِّ، إِنَّ عَذَابَكَ لِمَنْ عَادَيْتَ مُلْحِقٌ، ثُمَّ يُكَبِّرُ وَيَهْوِي سَاجِدًا»^(١).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

- ١- قوله: «اللَّهُمَّ»: بِمَعْنَى: يَا اللَّهُ، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الْإِسْمِ الْمُنَادَى الْمَفْرَدِ، وَالْمِيمُ مَفْتُوحَةٌ لِسُكُونِهَا وَسُكُونِ الْمِيمِ قَبْلَهَا^(٢).
- ٢- قوله: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ» أَي: لَا نَصْرَفُ أَي نَوْعٍ مِنَ الْعِبَادَةِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ إِلَّا لَكَ، وَالْعِبَادَةُ اسْمُ جَامِعٍ لِكُلِّ مَا يَحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ وَالْمَعْتَقَدَاتِ وَالْبِرَاءَةِ مِنْ ضِدِّ ذَلِكَ.
- ٣- قوله: «وَلَكَ نُصَلِّي وَنَسْجُدُ»: قَالَ الْخَرَشِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَيُّ: لَا نُصَلِّي، وَلَا نَسْجُدُ، وَلَا نَسْعَى، أَيُّ: تُبَادِرُ فِي طَاعَتِكَ، وَعِبَادَتِكَ إِلَّا لَكَ، وَخَصَّ السُّجُودَ، وَإِنْ كَانَ دَاخِلًا فِي عُمُومِ الصَّلَاةِ لَشَرَفِهِ، إِذْ أَقْرَبَ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدًا»^(٣).

(١) صحيح ابن خزيمة، ١/ ١٥٥، برقم ١١٠٠، وصححه الألباني في تعليقه على صحيح ابن خزيمة.

(٢) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، في شرح المفردة، رقم ٦.

(٣) شرح مختصر خليل للخرشي، ١/ ٢٨٣.

- ٤- قوله: «وإليك نسعى» أي: نسرع إليك جادين وطالبيين منك الرضا. قال الخطابي رحمته الله: «نخف في مرضاتك، ونسرع إلى طاعتك»^(١).
- ٥- قوله: «ونحفد» أي: نسارع في طاعتك، وعبادتك وحدك، لا شريك لك، فالحفد هو إسراع العبد في طاعة مولاه، والمحفود: الذي يتخذه أصحابه، ويعظمونه، ويسرعون في طاعته، يقال: حفدت، وأحفدت، فأنا حافد ومحفود، وحفد وحفدة جمع حافد، كخدم وكفرة، وفي دعاء القنوت: «وإليك نسعى ونحفد» أي نُسرع في العمل والخدمة^(٢).
- ٦- قوله: «نرجو رحمتك، ونخشى عذابك»: قال البهوتي رحمته الله: «نرجو: أي: نؤمل رحمتك، أي: سعة عطائك، ونخشى عذابك أي نخافه»^(٣).
- ٧- قوله: «إِنَّ عَذَابَكَ بِالْكَافِرِينَ مُلْحَقٌ»: واقع لاشك في ذلك وإن تأخر لفترة، قال ابن قتيبة رحمته الله: «ملحق - بكسر الحاء، ولا تُفتح - هكذا يروى هذا الحرف، يقال: لَحِقْتُ القوم، وألحقتهم بمعنى واحد، وملحق في هذا الموضع بمعنى لاحق، ومن قال ملحق - بفتح الحاء - أراد أن الله جل وعز يلحقه إياه، وهو معنى صحيح، غير أن الرواية هي الأولى، ومثل لاحق، وملحق: تابع، ومُتَّبِع، يقال: تَبِعْتُ القوم وأتبعتهم»^(٤)، وقال ابن العربي رحمته الله: «إِنَّ عَذَابَكَ بِالْكَافِرِينَ مُلْحَقٌ»: - بكسر الحاء؛ لأنه مفعل بمعنى فاعل، ويقال: مُلْحَقٌ بفتح الحاء-: قد ألحق بالكافرين، والأوّل أحسن»^(٥).

(١) غريب الحديث للخطابي، ٢/ ١١١.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٤٠٦، مادة (حفد).

(٣) شرح منتهى الإرادات، ١/ ٢٤٠.

(٤) غريب الحديث لابن قتيبة، ص ١٧١.

(٥) المسالك في شرح موطأ مالك، ٣/ ١٢٦.

٨- قوله: «اللهم إنا نستعينك، ونستغفرك»: قال شيخ زاده رَحِمَهُ اللهُ: «يَا اللهُ، نَطْلُبُ

مِنْكَ الْعَوْنَ عَلَى الطَّاعَةِ، وَنَطْلُبُ مِنْكَ الْمَغْفِرَةَ لِذُنُوبِنَا، وَنَطْلُبُ مِنْكَ الْهِدَايَةَ»^(١).

٩- قوله: «ثنني عليك الخير كله»: لأنك أنت المستحق لجميع أنواع الثناء والمحامد فلك الكمال المطلق، وأنت أهل لأن تحمد، ويشني عليك لذاتك وصفاتك وأفعالك وإحسانك، قال ابن علي صاحب درر الحكام الحنفي رَحِمَهُ اللهُ: «وَنُثْنِي: مِنْ الثَّنَاءِ، وَهُوَ الْمَدْحُ، وَانْتِصَابُ (الْخَيْرِ) عَلَى الْمَضَدِّ أَيْ: ثُنِّي عَلَيْكَ الثَّنَاءُ، فَيَكُونُ تَأْكِيدًا؛ لِأَنَّ الثَّنَاءَ قَدْ يُسْتَعْمَلُ فِي الشَّرِّ، كَقَوْلِهِمْ أَثْنَى عَلَيَّ شَرًّا»^(٢)، وقال الشيخ الجمل رَحِمَهُ اللهُ: «(قَوْلُهُ: وَنُثْنِي عَلَيْكَ... إلخ: كَانَ الْمُرَادَ: ثُنِّي عَلَيْكَ بِكُلِّ مَا يَلِيْقُ بِكَ، أَيْ: نَذْكُرُكَ بِالْخَيْرِ بِقَدْرِ الْإِسْتِطَاعَةِ؛ لِأَنَّ الشَّخْصَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يُثْنِيَ عَلَيْهِ بِكُلِّ خَيْرٍ، (قَوْلُهُ الْخَيْرِ): إِمَّا مَنْصُوبٌ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ، أَيْ: الثَّنَاءُ الْخَيْرُ، أَوْ مَنْصُوبٌ بِتَرْغِ الْحَافِضِ، أَيْ: بِالْخَيْرِ»^(٣).

١٠- قوله: «لا تكفرك» أي: لا تكفر بك، ولا بشيء من نعمك.

قال الفيومي رَحِمَهُ اللهُ: «وَكَفَّرَ النِّعْمَةَ، وَبِالنِّعْمَةِ أَيْضًا: جَحَدَهَا، وَفِي الدُّعَاءِ «وَلَا نَكْفُرُكَ» الْأَصْلُ: وَلَا نَكْفُرُ نِعْمَتَكَ، وَكَفَّرَ بِكَذَا تَبَرَأَ مِنْهُ... وَكَفَّرَ بِالصَّانِعِ نِفَاهًا، وَعَطَّلَ، وَهُوَ الدُّهْرِيُّ وَالْمَلْحَدُ... وَكَفَّرْتُهُ كَفَرًا: سَتَرْتُهُ... كَفَّرَ النِّعْمَةَ أَيْ: غَطَاها، مُسْتَعَارٌ مِنْ كَفَّرَ الشَّيْءَ إِذَا غَطَاهُ، وَهُوَ أَصْلُ الْبَابِ، وَيُقَالُ لِلْفَلَاحِ: كَافِرٌ؛ لِأَنَّهُ يَكْفُرُ الْبَذْرَ أَيْ يَسْتَرُهُ»^(٤)، وقال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «أَيْ: لَا

(١) مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، ١/ ١٩٢.

(٢) درر الحكام شرح غرر الأحكام، ٥/ ٢.

(٣) حاشية الجمل على شرح المنهج، ١/ ٣٧١.

(٤) المصباح المنير، ٢/ ٥٣٥، مادة (كفر).

نجددك نعمتك بعدم الشكر عليها»^(١)، وقال البعلي رحمه الله: «قال صاحب المشارق: فيها أصل الجحد؛ لأن الكافر جاحد نعمة ربه عليه، وسائر لها، ومنه: «تكفرن العشير»^(٢) يعني الزوج، أي: يجحدن إحسانه، والمراد هنا والله أعلم: كفر النعمة؛ لاقترانه بـ(نشكر، ونعبدك) ... ومعنى العبادة: الطاعة مع الخضوع والتذلل، وهو جنس من الخضوع، لا يستحقه إلا الله تعالى»^(٣).

قوله: «وَنُؤْمِنُ بِكَ»: قال الأزهري المالكي رحمه الله: «أَيُّ: نُصَدِّقُ بِوُجُوبِ وَجُودِكَ، وَجَمِيعِ مَا يَجِبُ لَكَ عَلَيْنَا»^(٤)، وقال الصاوي رحمه الله: «أَيُّ: نُصَدِّقُ بِوُجُوبِ وَجُودِكَ، وَعَظَمَتِكَ، وَقُدْرَتِكَ، وَوَحْدَانِيَّتِكَ، إِلَى آخِرِ عَقَائِدِ الْإِيمَانِ»^(٥).

١١- قوله: «ونخضع لك» أي: بقلوبنا وجوارحنا، فكل ذلك لك، وقال الفيومي رحمه الله: «يَخْضَعُ، خُضُوعًا: ذَلًّا، وَاسْتِكَانًا، فَهُوَ خَاضِعٌ، وَأَخْضَعَهُ الْفَقْرُ: أَذَلَّهُ، وَالْخُضُوعُ قَرِيبٌ مِنَ الْخُشُوعِ، إِلَّا أَنَّ الْخُشُوعَ أَكْثَرُ مَا يَسْتَعْمَلُ فِي الصَّوْتِ، وَالْخُضُوعُ فِي الْأَعْنَاقِ»^(٦).

١٢- قوله: «نخلع من يكفرك» أي: نتبرأ ممن يكفرك ونخلص لك التوحيد ولرسولك المتابعة، قال ابن العربي رحمه الله: «نَخْلَعُ: أَيُّ: نَتْرَكُ مِنْ يَكْفُرُكَ، وَنَطْرَحُهُ بِأَخْرَةٍ، فَلَا يَكُونُ مَتًّا فِي شَيْءٍ، كَمَا نَخْلَعُ الثَّوبَ عَنِ الظَّهْرِ»^(٧).

(١) إغاثة الطالبين، للنووي، ١/ ١٦٠.

(٢) صحيح مسلم، برقم ٧٩.

(٣) المطلع على أبواب المقنع، ص ٩٣.

(٤) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ١/ ١٨٥.

(٥) حاشية الصاوي على الشرح الصغير، ٢/ ٥٣.

(٦) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١/ ١٧٢، مادة (خضع).

(٧) المسالك في شرح موطأ مالك، ٣/ ١٢٥.

١٣- قوله: «ونخلع من يفجرک»: قال الراغب الأصفهاني رحمته الله: «وسمي الكاذب فاجراً؛ لكون الكذب بعض الفجور، وقولهم: ونخلع، ونترك من يفجرک، أي: من يكذبک، وقيل: من يتباعد عنک»^(١)، وقال الإمام النووي رحمته الله: «ونخلع من يفجرک: أي نترك من يعصیک، ويلحد في صفاتک، وهو - بفتح الياء، وضم الجيم -»^(٢).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- تحقيق العبادة لله وحده هو حق لله على عباده خلقهم من أجله ويسيألهم عنه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾^(٤).

٢- إمهال الله للكافر هو استدراج له لقوله ﷻ: ﴿وَأْمُلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ﴾^(٥)، وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ * فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٦)، والمبلس هو الباهت الحزين الآيس من الخير لشدة ما نزل به من سوء الحال، ومعنى دابر أي: آخر، أي: أن الله سيأخذهم جميعاً^(٧).

وقد جاء في الحديث عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَىٰ مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ» ثُمَّ تَلَا

(١) مفردات غريب القرآن للأصفهاني، ص ٣٧٣.

(٢) المجموع شرح المذهب، للنووي، ٥٠٢/٣.

(٣) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٦.

(٥) سورة القلم، الآية: ٤٥.

(٦) سورة الأنعام، الآيتان: ٤٤ - ٤٥.

(٧) تفسير الجزائري، ص ٤٥٤.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾^(١) «^(٢)».

وثبت في الحديث الآخر: عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَمْلِكُ لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ»، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾^(٣) «^(٤)».

٣- المؤمن يوالي أحباب الله ويعصي أعداءه فيفارقهم في عقائدهم وأعمالهم، ولا يواليهم بقلبه، ولا يكثر سوادهم، مع كونه غير منهي عن البر والقسط لهم ما لم يكونوا محاربين.

٤- قال الإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «والصحيح أن يبدأ في الدعاء بهذا قبل دعاء: «اللهم اهْدني فيمن هديت»^(٥)؛ لأنه ثناء على الله والثناء مقدم على الدعاء لأنه فتح لباب الدعاء»^(٦).

٥- هذا الدعاء أثر موقوف على عمر والموقوف: هو أحد أقسام الخبر باعتبار نهاية الإسناد إضافة إلى المرفوع والمقطوع.

أما المرفوع: فهو ما انتهى إلى النبي ﷺ تصريحاً، أو حكماً من: قوله، أو

(١) سورة الأنعام، الآية: ٤٤.

(٢) مسند أحمد، ٢٨/٥٤٧، برقم ١٧٣١١، والطبراني في الكبير، ١٧/٣٣٠، برقم ٩١٣، وفي الأوسط، ٩/١١٠، برقم ٩٢٧٢، وحسنه محققو المسند، ٢٨/١٧٣١١. وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٥٦٢.

(٣) سورة هود، الآية: ١٠٢.

(٤) البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ هود: ١٠٢، برقم ٤٦٨٦، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، برقم ٢٥٨٣.

(٥) أخرجه أصحاب السنن عن الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أبو داود، ٤٢٥، والترمذي، برقم ٤٦٤، والنسائي، برقم ١٧٤٥، وابن ماجه، برقم ١١٧٨، وصححه الألباني في إرواء الغليل، ٢/١٧٢، وتقدم تخريجه قريباً في حديث المتن رقم ١١٦.

(٦) الشرح الممتع لابن عثيمين، ٤/٢٠.

فعله، أو تقريره.

والموقوف: ما انتهى إلى الصحابي كذلك تصريحًا، أو حكمًا من: قوله،
أو فعله، أو تقريره.

والمقطوع: هو ما انتهى غاية إسناده إلى التابعي وأضيف منه إليه على
ما سبق وكذلك اتباع التابعين^(١).

(١) انظر: نزهة النظر لابن حجر، ٥٦: ٦٣.

٣٣- الذِّكْرُ عَقِبَ السَّلَامِ مِنَ الْوَتْرِ

١١٩- «سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ» ثلاثَ مرَّاتٍ والثَّالِثَةُ يَجْهَرُ

بِهَا وَيَمُدُّ بِهَا صَوْتَهُ يَقُولُ: رَبِّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤١٠- عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِزَى رضي الله عنه^(٢)، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُوتِرُ بِـ«سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى»، وَ«قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ»، وَ«قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»، وَكَانَ إِذَا سَلَّمَ وَفَرَّغَ قَالَ: «سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ» ثَلَاثًا، طَوَّلَ فِي الثَّالِثَةِ^(٣).

٤١١- عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رضي الله عنه^(٤)، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُوتِرُ بِثَلَاثٍ: بِـ«سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى»، وَ«قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ»، وَ«قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»، وَيَقْنُتُ قَبْلَ الرُّكُوعِ، فَإِذَا سَلَّمَ قَالَ: «سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ». ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يَمُدُّ بِهَا صَوْتَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَيَقُولُ: «رَبِّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»^(٥).

(١) رواه النسائي، كتاب قيام الليل وتطوع النهار، نوع آخر من القراءة في الوتر، برقم ١٧٣٤، وأحمد، ٧٦/٢٤، برقم ١٥٣٥٨، والدارقطني، كتاب الوتر، ما يقرأ في ركعات الوتر والقنوت فيه، برقم ٢، وغيرهما، وما بين المعقوفين زيادة للدارقطني، وإسناده صحيح، والطبراني في المعجم الأوسط، ٨/١٠٨، برقم ٨١١٥، وصححه إسناده محققو المسند، ٧٦/٢٤، وانظر: زاد المعاد بتحقيق شعيب الأرناؤوط وعبدالقادر الأرناؤوط، ٣٣٧/١، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ١٢٨١.

(٢) تقدمت ترجمت في الحديث رقم ٣٠٨ من أحاديث الشرح.

(٣) رواه النسائي، برقم ١٧٣٤، كتاب قيام الليل وتطوع النهار، ذكر الاختلاف على شعبة فيه، وأحمد، ٧٦/٢٤، برقم ١٥٣٥٨، وصححه إسناده محققو المسند، ٧٦/٢٤، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ١٢٨١.

(٤) تقدمت ترجمت في الحديث رقم ٢٥٨ من أحاديث الشرح.

(٥) رواه الدارقطني ٣١/٢، برقم ٢، والطبراني في المعجم الأوسط، ٨/١٠٨، برقم ٨١١٥،

٤١٢- عن ابن جريج، قال: سألنا عائشة بأي شيء كان يؤتى رسول الله ﷺ قالت: «كان يقرأ في الأولى بـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، وفي الثانية بـ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، وفي الثالثة بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ»^(١).

٤١٣- ولفظ أبي داود: عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ جَرِيحٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها: بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ يُؤْتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟، فَذَكَرَ مَعْنَاهُ، قَالَ: «وَفِي الثَّالِثَةِ بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ»^(٢).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «سبحان الملك»: «التسبيح: التنزيه، والتقديس، والتبرئة من النقائص، ثم استعمل في مواضع تقرب منه اتساعاً...، فمعنى سبحان الله: تنزيه الله»^(٣). ، وقال الأصفهاني رحمته الله: «الملك: هو المتصرف بالأمر والنهي في الجمهور، وذلك يختص بسياسة الناطقين؛ ولهذا يقال: ملك الناس، ولا يقال ملك الأشياء،... والملك ضربان: ملك هو التملك والتولي، وملك هو القوة على ذلك، تولى أو لم يتول، فمن الأول قوله: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾^(٤)، ومن الثاني قوله: ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾^(٥)،

وصحح إسناده شعيب وعبد القادر الأرناؤوط في تحقيق زاد المعاد، ٣٣٧/١.

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الوتر، باب ما جاء فيما يقرأ به في الوتر، برقم ٤٦٣، وقال حديث حسن غريب، والنسائي، كتاب قيام الليل وتطوع النهار، ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر أبي بن كعب في الوتر، برقم ١٧٠٢، ومسند أحمد، ٧٩/٤٣، برقم ٢٥٩٠٦، وأبو داود، كتاب الوتر، باب ما يقرأ في الوتر، برقم ١٤٢٤، وصححه لغيره محققو المسند، ٧٩/٤٣، والألباني في صحيح ابن ماجه، ١٩٣/١، وفي صحيح أبي داود، برقم ١٢٨٠.

(٢) أبو داود، برقم ١٤٢٤، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ١٩٣/١، وفي صحيح أبي داود، برقم ١٢٨٠، وتقدم تخريجه في الحديث الذي قبله.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣٣٠/٢، وتقدم في شرح المفردة رقم ٣ من حديث المتن رقم ١١١.

(٤) سورة النمل، الآية: ٣٤.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٢٠.

فجعل النبوة مخصوصة، والملك عاماً، فإن معنى الملك ههنا هو القوة التي بها يترشح للسياسة، لا أنه جعلهم كلهم متولين للأمر... الملك: اسم لكل من يملك السياسة، إما في نفسه، وذلك بالتمكين من زمام قواها، وصرفها عن هواها، وإما في غيره، سواء تولى ذلك، أو لم يتول على ما تقدم^(١).

٢- قوله: «قدوس»: أي المُطهر من كل ما لا يليق به ﷻ؛ لأنه يُسَبَّح، ويُقدَّس، وهو المستحق لذلك، قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ: «(وقوله: «سُبُّوحٌ قدوس»): بضم السين والقاف فيهما وفتحهما أيضاً، فسبوح من البراءة من النقائص والشريك: وما لا يليق بالإلهية والتنزيه عن ذلك، وقدوس من التطهير عما لا يليق به، ومنه الأرض المقدسة، وهو بمعنى سُبُّوح، قال الهروي: وجاء في التفسير: القدوس: المبارك»^(٢).

٣- قوله: «رب الملائكة»: قال القرطبي صاحب المفهم: «أي: مالِكهم وخالقهم ورايهم؛ أي: مصلح أحوالهم»^(٣). وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «رب الملائكة، وهم جند الله ﷻ عالم لا نشاهدهم»^(٤).

٤- قوله: «والروح»: هو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وهذا كقوله: «تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا»^(٥). وقال ابن الأثير: «والروح: قيل: هو اسم ملك من الملائكة عظيم الشأن والخلق، وقيل: هو اسم جبريل، وقيل: هو روح الخلائق التي بها حياتهم وبقاؤهم»^(٦).

(١) المفردات في غريب القرآن، ٤٧٢/٢، مادة (ملك).

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٤٠٢/٢.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٢١/٥.

(٤) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٤٢٧.

(٥) سورة القدر، الآية: ٤.

(٦) جامع الأصول، لابن الأثير، ١٩٢/٤.

٥- قوله: «كان يوتر» أي: يصلي صلاة الوتر ركعتين، ثم ركعة، ويقرأ بهذه السور على الترتيب^(١).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- مشروعية قراءة هذه السور الثلاث في صلاة الوتر، والتي هي ختام الصلاة بالليل، وذلك لما تضمنته هذه السور من المعاني العظيمة الدالة على قدرة الله وتوحيده.

٢- ثبت عن الرسول ﷺ قراءة سورة الإخلاص، والمعوذتين في الركعة الثالثة من الوتر، كما ثبت عنه ﷺ قراءة سورة الإخلاص وحدها في ركعة الوتر، كما تقدم في أحاديث الشرح آنفة الذكر^(٢).

٣- مشروعية قول: «سبحان الملك القدوس» ثلاث مرات، ويقول في الثالثة: «سبحان الملك القدوس، رب الملائكة والروح» يمد بالثالثة صوته، ويجهر بذلك، وذلك كله بعد السلام من الوتر.

وتقدم بيان بقية الفوائد في شرح فوائد حديث المتن رقم ٣٥.

(١) انظر الموضوع في المغني، ٢/ ١٢١، والمجموع شرح المذهب، ٤/ ١١.

(٢) أبو داود، برقم ١٤٢٤، والترمذي، برقم ٤٦٣، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم ١٢٨٠، وتقدم تخريجها في أحاديث شرح المتن رقم ١١٩.

٣٤ - دُعَاءُ الْهَمِّ وَالْحُزَنِ

١٢٠- (١) «اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أُمْتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِي حُكْمِكَ، عَدْلٌ فِي قَضَاؤِكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي» (١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤١٤- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه (٢)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ، وَلَا حُزْنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أُمْتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِي حُكْمِكَ، عَدْلٌ فِي قَضَاؤِكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا»، قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: «بَلَى، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا» (٣).

(١) أحمد، ٢٤٧/٦، برقم ٣٧١٢، وابن حبان، ٢٥٣/٣، برقم ٩٧٢، وابن أبي شيبة، ٤٠/٦، برقم ٢٩٣١٨، والطبراني، ١٦٩/١٠، برقم ١٠٣٥٢، والحاكم، ٦٩٠/١، وقال: «صحيح على شرط مسلم» وأبو يعلى، ١٩٨/٩، برقم ٥٢٩٧، قال الهيثمي، ١٣٦/١٠: «رجال رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني، وقد وثقه ابن حبان» وصححه محقق ابن حبان، ٢٥٣/٢، والألباني في التعليقات الحسان، ٣/٩٦٩، برقم ٩٦٨، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، ١/٣٣٧.

(٢) سبقت ترجمته في الحديث رقم ١٢ من أحاديث الشرح.

(٣) أحمد، برقم ٣٧١٢، وصححه الألباني في التعليقات الحسان، برقم ٩٦٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

٤١٥- وعند ابن السني: عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ^(١)، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَصَابَهُ هَمٌّ، أَوْ حَزَنٌ، فَلْيَدْعُ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ، يَقُولُ: أَنَا عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أُمْتِكَ، فِي قَبْضَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَا ضِ فِي حُكْمِكَ، عَدْلٌ فِي قَضَاؤِكَ؛ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ نُورَ صَدْرِي، وَرَبِيعَ قَلْبِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي»، فقال رجل من القوم: يا رسول الله! إن المغبونَ لمن غُبن هؤلاء الكلمات، فقال: «أَجَلْ فَقُولُوهُنَّ، وَعَلِّمُوهُنَّ، فَإِنَّهُ مَنْ قَالَهُنَّ التِمَّاسَ مَا فِيهِنَّ أَذْهَبَ اللَّهُ تَعَالَى حُزْنَهُ، وَأَطَالَ فَرَحَهُ» ^(٢).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ» أي: لا معبود لي غيرك ولا رب لي سواك فأنت رب العالمين، قال العلامة ابن القيم رحمته الله: قوله: «إني عبدك: التزام عبوديته من الذلِّ، والخضوع، والإنابة، وامثال أمر سيّده، واجتناب نهيه، ودوام الافتقار إليه، واللجأ إليه، والاستعانة به، والتوكل عليه، وعياد العبد به، وليأذه به، وأن لا يتعلق قلبه بغيره محبة، وخوفاً، ورجاءً، وفيه أيضاً: أني عبد من جميع الوجوه: صغيراً، وكبيراً، حياً، وميتاً، ومطيعاً، وعاصياً، معافى، ومبتلى بالروح، والقلب، واللسان، والجوارح، وفيه أيضاً: أن مالي، ونفسي

(١) سبقت ترجمته في الحديث رقم ١ من أحاديث الشرح.

(٢) ابن السني، برقم ٣٣٨، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ١/ ١٩٨. وقد اطلعت على رواية في تاريخ دمشق لابن عساكر، ٦٨/ ١١٩، عن عبد الله بن عمر كان يقول: إن رسول الله ﷺ كان يقول: «مَنْ قَالَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ، وَدَعَا بِهِنَّ، فَزَجَّ اللَّهُ هَمَّهُ، وَأَذْهَبَ حُزْنَهُ، وَأَطَالَ سُرُورَهُ، أَنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أُمْتِكَ، وَفِي قَبْضَتِكَ، نَاصِيَتِي فِي يَدِكَ، مَا ضِ فِي حُكْمِكَ، عَدْلٌ فِي قَضَاؤِكَ، أَسْأَلُكَ بِأَحَبِّ أَسْمَائِكَ إِلَيْكَ، وَبِاسْمِكَ الَّذِي سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، وَبِكُلِّ اسْمٍ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ نُورَ صَدْرِي، وَرَبِيعَ قَلْبِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي». وقد رواها عن رجل من أهل دمشق، عن ابن عمر، ولم أجد من علق عليها.

ملك لك؛ فان العبد وما يملك لسيده»^(١).

٢- قوله: «ابن عبدك ابن أمتك»: إظهار تام للعبودية والمعنى أنك مالك لي ولأبواي، وإن عليا حتى آدم وحواء، قال الإمام ابن القيم رحمته الله: «وهذا يتناول من فوقه من آباءه، وأمهاته إلى أبويه: آدم وحواء، وفي ذلك تملق له، واستخذاء بين يديه، واعتراف بأنه مملوكه، وآباؤه ممالكه، وأن العبد ليس له غير باب سيده، وفضله، وإحسانه، وأن سيده إن أهمله، وتخلّى عنه، هلك ولم يؤوّه أحد، ولم يعطف عليه، بل يضيع أعظم ضيعة، فتحت هذا الاعتراف أنني لا غنى بي عنك طرفة عين، وليس لي من أعوذ به، وألوذ به غير سيدي الذي أنا عبده»^(٢).

٣- قوله: «ناصيتي بيدك»: الناصية هي مقدم الرأس والمقصود أنه تحت سلطان الله الغالب وحكمه الذي لا يرد وقدرته النافذة، قال ابن فارس رحمته الله: «النَّصِيَّةُ مِنَ الْقَوْمِ، وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ: الْخِيَارُ، وَيُقَالُ: انْتَصَيْتُ الشَّيْءَ: اخْتَرْتُهُ، وَهَذِهِ نَصِيَّتِي: خَيْرَتِي، وَمِنْهُ النَّاصِيَةُ: سَمَّيْتُ لارتفاع مُنْبَتِهَا. وَالنَّاصِيَةُ: قُصَاصُ الشَّعْرِ»^(٣)، وقال الإمام ابن القيم رحمته الله: «أي: أنت المتصرف في تصرفي كيف تشاء، لست أنا المتصرف في نفسي، وكيف يكون له في نفسه تصرف من نفسه بيد ربه، وسيده، وناصيته بيده، وقلبه بين أصبعين من أصابعه، وموته، وحياته، وسعادته، وشقاوته، وعافيته، وبلاؤه كله إليه سبحانه، ليس إلى العبد منه شيء، بل هو في قبضة سيده أضعف من مملوك ضعيف، حقير، ناصيته بيد سلطان، قاهر، مالك له، تحت تصرفه وقهره، بل الأمر فوق ذلك، ومتى

(١) الفوائد، ص ٢٢.

(٢) الفوائد، ص ٢٢.

(٣) مقاييس اللغة، ٥/ ٣٤٧، مادة (نصا)، وتقدمت في شرح مفردات حديث المتن رقم ١٠٧، المفردة رقم ٩.

شهد العبد أن ناصيته ونواصي العباد كلها بيد الله وحده، يصرفهم كيف يشاء، لم يُخفهم بعد ذلك، ولم يرجهم، ولم ينزلهم منزلة المالكين، بل منزلة عبيد مقهورين مربوبين، المتصرف فيهم سواهم، والمدبر لهم غيرهم، فمن شهد نفسه بهذا المشهد، صار فقره، وضرورته إلى ربه وصفاً لازماً له، ومتى شهد الناس كذلك، لم يفتقر إليهم، ولم يعلق أمله، ورجاء بهم، فاستقام توحيده، وتوكله، وعبوديته»^(١).

٤- قوله: «ماضٍ في حكمك» أي: الذي قدرته عليّ أزلاً في اللوح المحفوظ فأنت الحكيم الذي تضع الأمور في نصابها قال الإمام ابن القيم رحمته الله: «تضمن هذا الكلام أمرين: أحدهما: مضاء حكمه في عبده، والثاني: يتضمن حمده، وعدله، وهو سبحانه له الملك، وله الحمد»^(٢).

٥- قوله: «عدل في قضاؤك» أي: ما حكمته فهو عدل محض فلا يدخل في تدبير الله زلل ولا نقص ولا عجز، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «قَدْ بَيَّنَّ أَنَّ كُلَّ قَضَائِهِ فِي عِبْدِهِ عَدْلٌ، وَلِهَذَا يُقَالُ: كُلُّ نِعْمَةٍ مِنْهُ فَضْلٌ، وَكُلُّ نِقْمَةٍ مِنْهُ عَدْلٌ، وَيُقَالُ: أَطَعْتُكَ بِفَضْلِكَ وَالْمِنَّةُ لَكَ، وَعَصَيْتُكَ بِعِلْمِكَ أَوْ بِعَدْلِكَ وَالْحُجَّةُ لَكَ»^(٣)، وقال العلامة ابن القيم رحمته الله: «أي الحكم الذي أكملته، وأتممته، ونفذته في عبدك، عدل منك فيه، وأما الحكم، فهو ما يحكم به سبحانه، وقد يشاء تنفيذه، وقد لا ينفذه؛ فإن كان حكماً دينياً، فهو ماضٍ في العبد، وإن كان كونياً؛ فإن نفذه سبحانه مضى فيه، وإن لم ينفذه اندفع عنه، فهو سبحانه يقضي ما يقضي به، وغيره قد يقضي بقضاء، ويقدر أمراً، ولا

(١) الفوائد، ص ٢٣.

(٢) الفوائد، ص ٢٣.

(٣) الفتاوى الكبرى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ١ / ٧٨.

يستطيع تنفيذه، وهو سبحانه يقضي، ويمضي، فله القضاء والإمضاء، وقوله: «عدل فيّ قضاؤك»: يتضمن جميع أقضيته في عبده من كل الوجوه، من صحة، وسقم، وغنى، وفقر، ولذة، وألم، وحياة، وموت، وعقوبة، وتجاوز وغير ذلك»^(١)، وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «كلما قضيت عليّ مما أحب أو أكره فهو عدل ليس فيه جور حتى المصائب عدل من الله»^(٢).

٦- قوله: «أَسْأَلُكَ»: هذا شروع في الطلب والمسألة والدعاء بعد إظهار العبودية والثناء على الله بما هو أهله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فَأَسْأَلُكَ بِوُجُوبِ حُجَّتِكَ عَلَيَّ، وَانْقِطَاعِ حُجَّتِي، إِلَّا مَا غَفَرْتَ لِي»^(٣).

٧- قوله: «بكل اسم هو لك»: عام لجميع أسماء الله الحسنى التي من تأملها وعرف معانيها دفعه ذلك إلى تعظيم ربه، قال بعض السلف: «من كان بالله أعرف، كان منه أخوف»^(٤)، قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «الاسم من أسماء الله يدل على الذات، وعلى المعنى، كما سبق، فيجب علينا أن نؤمن به اسماً من الأسماء، ونؤمن بما تضمنه من الصفة، ونؤمن بما تدل عليه الصفة من الأثر، والحكم، إن كان متعدداً؛ فمثلاً: السميع نؤمن بأن من أسمائه تعالى السميع، وأنه دال على صفة السمع، وأن لهذا السمع حكماً، وأثراً، وهو أنه يسمع به؛ كما قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾»^(٥)، أما إن

(١) الفوائد، ص ٢٣.

(٢) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين، ٧/ ٣٥٤.

(٣) الفتاوى الكبرى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ١/ ٧٨.

(٤) ذكره ابن قيم الجوزية في مدارج السالكين، ٣/ ٣٣٨، وفي إتحاف السادة المتقين للزبيدي،

٢/ ٤٥٣، وقال: قال أحمد بن عاصم.

(٥) سورة المجادلة، الآية: ١.

كان الاسم غير متعدد، كالعظيم، والحي، والجليل، فتثبت الاسم، والصفة، ولا حكم يتعدى إليه»^(١).

٨- قوله: «سميت به نفسك»: قال الطيبي: أي: «أنك وضعت ألفاظاً مخصوصة، وسميت بها نفسك، وألهمت عبادك بغير واسطة، فيكون من سماه الأمم المختلفة الفاتئة للحصر بلغات مختلفة من هذا النوع»^(٢).

٩- قوله: «أو أنزلته في كتابك»: أي: القرآن وما قبله من الكتب التي أنزلها الله على رسله عليهم السلام.

قال الطيبي رحمه الله: «قوله: «أو أنزلته في كتابك» علي جميع ما سمي به في الكتب المنزلة، وأفرد الكتاب، وأراد به الجنس، وقد تقرر في موضعه أنه أشمل من الجمع»^(٣).

١٠- قوله: «أو علمته أحدًا من خلقك»: أي: من الأنبياء والمرسلين والملائكة.

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله: «أن لله أسماء أنزلها في كتبه، وأسماء خص بها بعض خلقه، كما خص الخضر بعلم من لدنه»^(٤)، وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة: «أسماء الله توقيفية، فلا يسمى سبحانه إلا بما سمي به نفسه، أو سماه به رسوله ﷺ، ولا يجوز أن يسمى باسم عن طريق القياس، أو الاشتقاق، من فعل ونحوه، خلافاً للمعتزلة، والكرامية، فلا يجوز تسميته بناءً، ولا ماكرأً، ولا مستهزأً؛ أخذاً من قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾»^(٥)، وقوله: ﴿وَمَكْرُؤًا﴾

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين، ١٠ / ٧٦٨.

(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦ / ١٩١٠.

(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦ / ١٩١٠.

(٤) أضواء البيان، ٨ / ٧٣.

(٥) سورة الذاريات، الآية ٤٧.

وَمَكَرَ اللَّهُ^(١)، وقوله: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾^(٢)، ولا يجوز تسميته: زارعاً، ولا ماهداً، ولا فالقاً، ولا منشئاً، ولا قابلاً، ولا شديداً، ونحو ذلك؛ أخذاً من قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾^(٣)، وقوله: ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾^(٤)، وقوله: ﴿أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾^(٥)، وقوله تعالى: ﴿فَالِقُ الْخَبِّ وَالنَّوَى﴾^(٦)، وقوله: ﴿وَقَابِلِ الثُّوبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾^(٧)؛ لأنها لم تستعمل في هذه النصوص إلا مضافة، وفي إخبار على غير طريق التسمي، لا مطلقة، فلا يجوز استعمالها إلا على الصفة التي وردت عليها في النصوص الشرعية، فيجب ألا يعبد في التسمية إلا لاسم من الأسماء التي سمى بها نفسه صريحاً في القرآن، أو سماه بها رسوله ﷺ فيما ثبت عنه من الأحاديث، كأسمائه التي في آخر سورة الحشر، والمذكورة أول سورة الحديد، والمذكورة في سور أخرى من القرآن^(٨).

١١- قوله: «أو استأثرت به في علم الغيب عندك»: الاستئثار هو الانفراد بالشيء أي: أن الله لم يطلع على ذلك لا ملك مقرب ولا نبي مرسل وهذا فيه دليل على أن لله أسماء أخرى غير التسعة والتسعين المذكورة في الحديث^(٩). قال الطيبي رحمه الله: «وقوله: «أو استأثرت» به أي انفردت، محمول على أنه

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥.

(٣) سورة الواقعة، الآية: ٦٤.

(٤) سورة الذاريات، الآية: ٤٨.

(٥) سورة الواقعة، الآية: ٧٢.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ٩٥.

(٧) سورة غافر، الآية: ٣.

(٨) فتاوى اللجنة الدائمة، ١١ / ٤٥٧.

(٩) انظر: صحيح البخاري، برقم ٢٧٣٦، وسيأتي تخريجه في فوائد الحديث في الفائدة السابعة.

انفرد به بنفسه، ولا ألهم أحداً ولا أنزل في كتاب»^(١).

١٢- قوله: «أن تجعل» أي: أسألك بما مضى من التوسل إليك بأسمائك كلها، قال الطيبي رحمته الله: «أن تجعل القرآن ربيع قلبي: هذا هو المطلوب، والسابق: وسائل إليه، فانظر أولاً: غاية ذلته، وصغاره، ونهاية افتقاره، وعجزه، وثانياً بين عظمة شأنه، وجلالة اسمه ﷻ، بحيث لم يبق فيه بقية، وألطف في المطلوب حيث جعل المطلوب وسيلة إزالة الهمّ المطلوب أولاً»^(٢).

١٣- قوله: «القرآن»: قال في النهاية: «قد تكرر في الحديث ذكر القراءة، والاقتراء، والقارئ، والقرآن، والأصل في هذه اللفظة الجمع، وكل شيء جمعه فقد قرأته، وسمي القرآن قرآناً؛ لأنه جمع: القصص، والأمر، والنهي، والوعد، والوعيد، والآيات، والسور بعضها إلى بعض، وهو مصدر كالغفران، والكفران، وقد يطلق على الصلاة؛ لأن فيها قراءة تسمية للشيء ببعضه، وعلى القراءة نفسها، يقال: قرأ يقرأ قراءة، وقرآناً، والاقتراء افتعال من القراءة، وقد تحذف الهمزة منه تخفيفاً فيقال: قران»^(٣).

١٤- قوله: «ربيع قلبي»: وذلك لأن الإنسان يرتاح في الربيع من الأزمان، ويميل إليه، ويخرج من الهم والغم، ويحصل له النشاط والابتهاج والسرور^(٤).

قال القاري: «وجعل القرآن ربيع القلب، وهو عبارة عن الفرح؛ لأن الإنسان يرتاح قلبه في الربيع من الأزمان، ويميل إليه في كل مكان، وأقول: كما أن الربيع سبب ظهور آثار رحمة الله تعالى، وإحياء الأرض بعد موتها،

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩١٠.

(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩١٠.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، ٤/ ٢٩، مادة (قرأ).

(٤) العلم الهيب في شرح الكلم الطيب للإمام العيني، ص ٢٤٤.

كذلك القرآن سبب ظهور تأثير لطف الله من الإيمان، والمعارف، وزوال ظلمات الكفر والجهل والهم^(١).

١٥- قوله: «ونور صدري» أي: يذهب ما في قلبي من ظلمات الجهل والشهوات والشبهات وغير ذلك مما يعكر صفوه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «وَالْحَيَاةُ وَالنُّورُ جَمَاعُ الْكَمَالِ، كَمَا قَالَ عليه السلام: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾^(٢)، وَفِي خُطْبَةِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: يُخَيِّونَ بِكِتَابِ اللَّهِ الْمَوْتَى، وَيُبَيِّضُونَ بِنُورِ اللَّهِ أَهْلَ الْعَمَى؛ لِأَنَّهُ بِالْحَيَاةِ يَخْرُجُ عَنِ الْمَوْتِ، وَبِالنُّورِ يَخْرُجُ عَنْ ظُلْمَةِ الْجَهْلِ، فَيَصِيرُ حَيًّا، عَالِمًا، نَاطِقًا، وَهُوَ كَمَالُ الصِّفَاتِ فِي الْمَخْلُوقِ»^(٣).

١٦- قوله: «وجلاء حزني»: أي تتجلى منه الهموم والوساوس كما تتجلى الشمس للناس حال سطوعها:

جلاء الشيء خروجه، وذهابه، قال الجوهري رحمته الله: «وَالْجَلَاءُ أَيْضًا: يُقَالُ: جَلَوْتُ، أَيْ: أَوْضَحْتُ وَكَشَفْتُ، وَجَلَوْتُ بِصَرِي بِالْكُحْلِ، وَجَلَوْتُ هَمِّي عَنِّي، أَيْ: أَذْهَبْتُهُ»^(٤)، وقال الإمام ابن قيم الجوزية رحمته الله: «وقوله: «وجلاء حزني، وذهاب همي وغمي»، إن جلاء هذا يتضمن إزالة المؤذي الضار، وذلك يتضمن تحصيل النافع السار، فتضمن الحديث طلب أصول الخير كله، ودفع الشر، وبالله التوفيق»^(٥).

١٧- قوله: «وذهاب همي» أي: ما أهمني وأقلقني في الحاضر والمستقبل

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨ / ٣٤٨، وانظر: شرح المشكاة للطبي، ٦ / ١٩١٠.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.

(٣) مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ١٨ / ٣١٠.

(٤) الصالح في اللغة، ص ١٩٠، مادة (جلا).

(٥) شفاء العليل، ص ٢٧٧.

حتى أتفرغ لعبادتك، قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «هذا الحديث الصحيح منها أنه استوعب أقسام المكروه الواردة على القلب، فالهمّ يكون على مكروه يتوقع في المستقبل، يهتمّ به القلب، والحزن على مكروه ماضٍ من فوات محبوب، أو حصول مكروه، إذا تذكره أحدث له حزناً، والغمّ يكون على مكروه حاصل في الحال يوجب لصاحبه الغم، فهذه المكروهات هي من أعظم أمراض القلب، وأدوائه، وقد تنوع الناس في طرق أدويتها، والخلاص منها، وتباينت طرقهم في ذلك تبايناً لا يحصيه إلا الله، بل كل أحد يسعى في التخلص منها بما يظن، أو يتوهم أنه يخلصه منها، وأكثر الطرق والأدوية التي يستعملها الناس في الخلاص منها، لا يزيدها إلا شدة لمن يتداوى منها بالمعاصي على اختلافها، من أكبر كبائرها إلى أصغرها، وكمن يتداوى منها باللهو واللعب والغناء، وسماع الأصوات المطربة، وغير ذلك، فأكثر سعي بني آدم، أو كله إنما هو لدفع هذه الأمور، والتخلص منها، وكلهم قد أخطأ الطريق، إلا من سعى في إزالتها بالدواء الذي وصفه الله لإزالته، وهو دواء مركب من مجموع أمور متى نقص منها جزء نقص من الشفاء بقدره، وأعظم أجزاء هذا الدواء هو التوحيد والاستغفار»^(١).

١٨- قوله: «إن المغبون لمن غبن هؤلاء الكلمات»: قال في المصباح المنير: «غَبَنَهُ في البيع والشراء، (غُبْنًا) من باب ضَرَبَ، مثل غلبه، (فَانْغَبَنَ)، و(غَبَنَهُ) أي نقصه، و(غُبِنَ) بالبناء للمفعول، فهو (مَغْبُونٌ)، أي منقوص في الثمن، أو غيره، و(الغَيْبَةُ) اسم منه، و(غَبِنَ) رأيه (غُبْنًا) من باب تعب: قَلْتُ فطنتُه و ذكاؤه»^(٢)، وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ في فتح الباري: «والغَبِن -

(١) شفاء العليل، ص ٢٧٤.

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي، ٢ / ٤٤٢، مادة (غبن).

بِالشُّكُونِ وَبِالتَّحْرِيكِ-، وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: هُوَ فِي الْبَيْعِ بِالشُّكُونِ، وَفِي الرَّأْيِ بِالتَّحْرِيكِ، وَعَلَى هَذَا فَيَصِحُّ كُلُّ مِنْهُمَا فِي هَذَا الْخَبَرِ؛ فَإِنَّ مَنْ لَا يَسْتَعْمِلُهُمَا فِيمَا يَتَّبِعِي فَقَدْ غَبَنَ لِكَوْنِهِ بَاعَهُمَا بِبَخْسٍ، وَلَمْ يُحْمَدَ رَأْيُهُ فِي ذَلِكَ، قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: مَعْنَى الْحَدِيثِ: نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا الْمَرْءُ أَنَّ الْمَرْءَ لَا يَكُونُ فَارِغًا حَتَّى يَكُونَ مَكْفِيًّا صَحِيحَ الْبَدَنِ، فَمَنْ حَصَلَ لَهُ ذَلِكَ، فَلْيَحْرِصْ عَلَى أَنْ لَا يَغْبِنَ بِأَنْ يَتَزَكَّ شُكْرَ اللَّهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ، وَمِنْ شُكْرِهِ امْتِثَالُ أَوَامِرِهِ، وَاجْتِنَابُ نَوَاهِيهِ، فَمَنْ فَرَّطَ فِي ذَلِكَ فَهُوَ الْمَغْبُونُ....

وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: قَدْ يَكُونُ الْإِنْسَانُ صَحِيحًا، وَلَا يَكُونُ مُتَقَرِّغًا لِشُغْلِهِ بِالْمَعَاشِ، وَقَدْ يَكُونُ مُسْتَغْنِيًّا، وَلَا يَكُونُ صَحِيحًا، فَإِذَا اجْتَمَعَا فَعَلَبَ عَلَيْهِ الْكَسَلُ عَنِ الطَّاعَةِ، فَهُوَ الْمَغْبُونُ، وَتَمَامُ ذَلِكَ أَنَّ الدُّنْيَا مَزْرَعَةُ الْآخِرَةِ، وَفِيهَا التِّجَارَةُ الَّتِي يَظْهَرُ رِبْحُهَا فِي الْآخِرَةِ، فَمَنْ اسْتَعْمَلَ فَرَاغَهُ وَصِحَّتَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ فَهُوَ الْمَغْبُوطُ، وَمَنْ اسْتَعْمَلَهُمَا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَهُوَ الْمَغْبُونُ؛ لِأَنَّ الْفَرَاغَ يَعْقِبُهُ الشُّغْلُ، وَالصِّحَّةَ يَعْقِبُهَا السَّقَمُ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْهَزَمُ^(١).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- من قال هذا الدعاء موقناً ومخلصاً في قوله: فرج الله ما به من هم بل وأبدله مكانه فرحاً لقوله عليه الصلاة والسلام في أول الحديث: «ما أصاب عبداً هم ولا حزن فقال...» وقوله في آخره: «إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرحاً».

٢- إذا حقق المسلم معنى العبودية لله فإنه لا يتصرف في شيء من أموره إلا بحسب رضا ربه كما أن العبد المملوك لا يتصرف في شيء إلا بإذن سيده.

٣- حياة العبد من مبدأها إلى منتهاها وما يترتب على ذلك من الشقاوة أو السعادة هي بيد الله وحده لا شريك له، وهذا مستفاد من قوله: «ناصيتي بيدك»

(١) فتح الباري لابن حجر، ١١/ ٢٣٠.

وقد قال هود لقومه كما ذكر الله في القرآن: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَّتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١).

٤- الإيمان بما قضاه الله وقدره على عبده لقوله: «ماض في حكمك عدل في قضاؤك» وهذا شامل للحكمين: الديني والقدري، فإنه مع كون الله مالكا متصرفا فإنه عدل في أحكامه كلها، فخبّره كله صدق وقضاؤه كله عدل وأمره كله مصلحة، وما نهى عنه كان مفسدة وثوابه بفضلته وعقابه بعد له^(٢).

٥- مشروعية التوسل إلى الله بأسمائه الحسنى وفي هذا دلالة على إيمان العبد بها جميعاً كما فصلها هذا الدعاء. قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾^(٣). وقال جل ذكره: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾^(٤).

٦- فيه بيان أن حياة القلب وسعادته إنما هي في القرآن الكريم: علماً، وعملاً، وتدبراً، وقياماً به في صلاة الليل، ودعوة الخلق إليه. قال الله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾^(٥).

٧- معنى قوله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة»^(٦)، أما التكرار في قوله: «تسعة وتسعون مائة إلا واحداً» فهو للتأكيد، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ

(١) سورة هود، الآية: ٥٦.

(٢) انظر: الفوائد لابن القيم، ص ٣٦.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ١١٠.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.

(٦) البخاري، كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط والشيا في الإقرار، برقم ٢٧٣٦.

إِلَهٌ وَاحِدٌ فَرِيقَانِ فَازِهُنِ ﴿١﴾، وقد تكلم العلماء عن سرّ هذا العدد المخصوص، والصواب أن نفوّض علمه إلى الله؛ لأن الله لم يطلعنا على حكمة ذلك فهو كأعداد الصلوات والله أعلم^(٢).

٨- قوله: «من أحصاها» له عدة معانٍ على النحو الآتي:

أ- أي: من حفظها وأثنى على الله بها ويشهد لهذا قوله ﷺ: «لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة»^(٣) وبه قال النووي والبخاري وغيرهما^(٤).

ب - الإطاقة كقوله: ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ﴾^(٥)، أي: لن تطيقوا قيام الليل كله وعلى هذا يكون المراد هو حسن مراعاة هذه الأسماء والعمل بمقتضى ما تدعوا إليه من معانٍ عظيمة.

ج - أن يكون الإحصاء: بمعنى العقل، والمعرفة، والإيمان بها، وهذا مأخوذ من قول العرب فلان ذو حصة أي: ذو عقل.

٩- قال القرطبي: والمرجو أنه من حصل له إحصاء هذه الأسماء على إحدى هذه المراتب مع صحة النية، المرجو أن يدخله الله الجنة^(٦).

١٠- الرواية التي جاء فيها سرد الأسماء رواية ضعيفة وهي عند الترمذي^(٧) وغيره. قال الحافظ في الفتح: والدليل على ضعف هذه الرواية عدم تناسبها في

(١) سورة النحل، الآية: ٥١.

(٢) النهج الأسنى للنجدي، ص ٤٩، ٥٢.

(٣) البخاري، كتاب الدعوات، باب لله مائة اسم غير واحدة، برقم ٦٤١٠.

(٤) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧ / ٥، وفتح الباري، ١١ / ٢٢٠.

(٥) سورة المزمل، الآية: ٢٠.

(٦) فتح الباري، ١١ / ٢٥٤ وما بعده.

(٧) الترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا إبراهيم بن يعقوب، برقم ٣٥٠٧، وضعفها الألباني في ضعيف الترمذي، ص ٤٥٦.

السياق ولا في التوقيف ولا في الاشتقاق لأنه إذا كان المراد الأسماء فقط فغالب الرواية صفات، وإن كان المراد الصفات فهي غير متناهية، ولم يرد بعض هذه الأسماء لا في القرآن ولا في السنة الصحيحة^(١).

١٢١- (٢) «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدِّينِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ»^(٢).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤١٦- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ^(٣) أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ لِأَبِي طَلْحَةَ رضي الله عنه: «الْتَمَسْ غُلَامًا مِنْ غِلْمَانِكُمْ يَخْدُمُنِي حَتَّى أَخْرَجَ إِلَى خَيْرٍ»، فَخَرَجَ بِي أَبُو طَلْحَةَ مُزِدْنِي وَأَنَا غُلَامٌ رَاهَقْتُ الْحُلُمَ، فَكُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا نَزَلَ، فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ كَثِيرًا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ، وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ، وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدِّينِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ»، ثُمَّ قَدِمْنَا خَيْرَ، فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْحِصْنَ، ذَكَرَ لَهُ جَمَالُ صَفِيَّةَ بِنْتِ حِزْبٍ بَنِي أَخْطَبَ، وَقَدْ قُتِلَ زَوْجُهَا، وَكَانَتْ عَزُوسًا، فَاضْطَفَاها رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِنَفْسِهِ، فَخَرَجَ بِهَا حَتَّى بَلَّغْنَا سَدَّ الصَّهْبَاءِ، حَلَّتْ، فَبَنَى بِهَا، ثُمَّ صَنَعَ حَيْسًا فِي نِطْعٍ صَغِيرٍ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَذِنَ مَنْ حَوْلَكَ»، فَكَانَتْ تِلْكَ وَلِيمَةَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى

(١) انظر: فتح الباري، ١١/ ٢٤٧.

(٢) البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من غزا بصبي للخدمة، برقم ٢٨٩٣. وانظر: البخاري مع الفتح، ١١/ ١٧٣، وسيأتي، برقم ١٣٧.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.

صَفِيَّةً، ثُمَّ خَرَجْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ، قَالَ: فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُحَوِّي لَهَا وَرَاءَهُ بَعَاءَةً، ثُمَّ يَجْلِسُ عِنْدَ بَعِيرِهِ، فَيَضَعُ رُكْبَتَهُ، فَتَضَعُ صَفِيَّةُ رِجْلَهَا عَلَى رُكْبَتِهِ، حَتَّى تَزْكَبَ، فَيَسِرْنَا، حَتَّى إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ، نَظَرَ إِلَيَّ أَحَدٌ فَقَالَ: «هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ»، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْرَمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا بِمِثْلِ مَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مُدَّهِمْ وَصَاعِهِمْ»^(١).

٤١٧- ولفظ البخاري في الأدب المفرد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ^(٢)، أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَثِيرًا مَا يَدْعُو بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الِهِمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَظُلْمِ الدِّينِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ»^(٣).

٤١٨- وفي لفظ للنسائي في الكبرى، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا دَعَا قَالَ: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الِهِمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَفَضْحِ الدِّينِ، وَقَهْرِ الرِّجَالِ»^(٤).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ»: «اللَّهُمَّ بِمَعْنَى: يَا اللَّهُ، ... الْمِيمَ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَثَرَةٍ يَا فِي أُولَاهَا، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الْإِسْمِ الْمُنَادَى الْمُفْرَدِ»^(٥).

(١) البخاري، برقم ٢٨٩٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري في الأدب المفرد، ص ٢٣٤، برقم ٦٧٢، والبيهقي في الدعوات الكبير، ١/ ٤٥٤، وفي السنن الكبرى، ٩/ ١٢٥، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، ص ٢٥١، برقم ٥٢٢، وقال: «أي: ثقله وشدته. ووقع في المطبوع، والهندية والشرح «طلع»! وهو خطأ عجيب وتتابع غريب».

(٤) النسائي في الكبرى، كتاب الاستعاذة، الاستعاذة من الهم، برقم ٧٨٨٤، وقال الحافظ المزي في تهذيب الكمال، ١٠/ ٤٧٩: «وروى له النسائي حديثه، عن عمرو بن أبي عمرو، عن عبد الله بن المطلب، عن أنس في الاستعاذة من العجز والكسل، ورواه غيره عن عمرو، عن أنس، لم يذكر بينهما أحداً، وهو المحفوظ، والله أعلم».

(٥) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ٦، في المفردة رقم ٦.

والعود: الالتجاء إلى الغير، والتعلق به.... وأعدته بالله أعينه، أي: ألتجئ إليه، وأستنصر به أن أفعل ذلك^(١)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: فَإِنَّ الْمُسْتَعَاذَ مِنْهُ نَوْعَانِ: فَتَوَعُّ مَوْجُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ ضَرَرِهِ ... وَتَوَعُّ مَفْقُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ وُجُودِهِ؛ ... وَيُسْتَعَاذُ مِنَ الشَّرِّ الْمَوْجُودِ أَنْ لَا يُضَرَّ، وَيُسْتَعَاذُ مِنَ الشَّرِّ الضَّارِّ الْمَفْقُودِ أَنْ لَا يُوجَدَ^(٢).

٢- قوله: «من الهم»: يكون في الأمر المتوقع حدوثه، قال العيني رحمته الله: «الهم إنما يكون في الأمر المتوقع، والحزن فيما قد وقع، والهم هو الحزن الذي يذيب الإنسان، يقول: همّني الشيء، أي: أذابني، وسنام مهموم، أي: مذاب، ويقال: أهمني إذا طرح في قلبه الهم، وفي المثل: همك ما أهّمك، كما تقول: شغلّك ما شغلّك»^(٣).

٣- قوله: «والحزن»: يكون في أمر قد وقع من الأمور^(٤).

٤- قوله: «والعجز»: هو عدم القدرة على الفعل أصلاً، قال العيني رحمته الله: «العجز هو ضد القدرة، وقال ابن بطال: اختُلف في معنى العجز، فأهل الكلام يجعلونه ما لا استطاعة لأحد على ما يعجز عنه؛ لأنها عندهم مع الفعل، وأما الفقهاء فيقولون: إنه هو ما يستطيع أن يعمل إذا أراد؛ لأنهم يقولون: إن الحج ليس على الفور، ولو كان على المهلة عند أهل الكلام لم يصحّ معناه؛ لأن الاستطاعة لا تكون إلا مع الفعل، والذين يقولون بالمهلة يجعلون الاستطاعة قبل الفعل»^(٥).

(١) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ١٣٦/٢.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله، ٢٨٨/١٨، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ١٧.

(٣) شرح أبي داود للعيني، ٤٦٥/٥.

(٤) العلم الهيب للعيني، ص ٣٣٥.

(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٢٥٣/٢١.

٥- قوله: «والكسل»: ترك الشيء مع القدرة على الأخذ في عمله^(١).

٦- قوله: «والبخل»: منع إنفاق المال الذي آتاه الله من فضله مع محبته الشديدة وإمساكه، قال الراغب الأصفهاني رحمته الله: «البخل: إمساك المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه، ويقابله الجود، يقال: بخل فهو باخل، وأما البخل فالذي يكثر منه البخل، كالرحيم من الراحم، البخل ضربان: بخل بقنيات نفسه، وبخل بقنيات غيره، وهو أكثرها ذماً»^(٢).

٧- قوله: «والجبن»: ضد الشجاعة وهو الخوف وضعف القلب، ووهن النفس، قال الراغب الأصفهاني رحمته الله: «الجبن: ضعف القلب عما يحق أن يقوى عليه»^(٣).

٨- قوله: «وضلع الدين» أي: ثقل الدين وشدته ولاسيما مع المطالبة والعجز عن الوفاء، قال الطيبي رحمته الله: «يعني: ثقله حتى يميل صاحبه عن الاستواء، والاعتدال، والضلع الاعوجاج»^(٤).

٩- قوله: «وظلع»: «قَالَ الطَّيْبِيُّ الهمُّ فِي الْمُتَوَقَّعِ وَالْحُزْنُ فِيمَا فَاتَ وَظَلَعَ الدِّينُ» بِالظَّاءِ الْمُعْجَمَةِ بِفَتْحَتَيْنِ فِي أَكْثَرِ النُّسخِ أَيِ الضَّعْفِ لِحَقِّ سَبَبِ الدِّينِ»^(٥).

١٠- قوله: «وغلبة الرجال» أي: شدة تسلطهم والحكمة في التعوذ لما في ذلك من الوهن في النفس، والمعاش^(٦).

١١- قوله: «التمس»: أي: ابحث لي عن غلام، فالتمس: اطلب، واستعار له اللمس^(٧).

(١) فتح الباري، ٦ / ٤٥.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن، ١ / ٧١، مادة (بخل).

(٣) مفردات ألفاظ القرآن، ١ / ١٧٠، مادة (جبن).

(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، (٦ / ١٩١٢).

(٥) عون المعبود وحاشية ابن القيم، ٤ / ٢٨١.

(٦) انظر: العلم الهيب، ص ١٢٢، وص ١٩٧.

(٧) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤ / ٢٦٩، مادة (لمس).

١٢- قوله: «مردفي»: أي أركبته خلفي على الدابة، «الرديف: الذي تحمله خلفك على ظهر الدابة، تقول: (أَرَدَفْتُه)، (إِرْدَافًا)، و(أَرَدَفْتُه)... و(رَدَفْتُ) الرَّجُل - بالكسر - إذا ركبت خلفه، و(أَرَدَفْتُه) إذا أركبته خلفك»^(١).

١٣- قوله: «راهمت الحلم»: أي: دنوت واقتربت من البلوغ، ... ومنه قولهم: (غلام مُراهق) أي مُقارب للحُلُم^(٢).

١٤- قوله: «حَلَّت»: أي طَهَرَتْ مِنَ الْحَيْضِ^(٣).

١٥- قوله: «سد الصهباء»: قال الحافظ: «الصَّهْبَاءُ قَرْيَةٌ مِنْ خَيْبَرٍ، وَبَيْنَ ابْنِ سَعْدٍ فِي حَدِيثٍ ذَكَرَهُ فِي تَرْجَمَتِهَا أَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي بَنَى بِهَا فِيهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَيْبَرٍ سِتَّةُ أَمْيَالٍ، وَقَدْ ذَكَرَ فِي الطَّرِيقِ الَّتِي قَبْلَ هَذِهِ أَنَّهُ ﷺ أَعْرَسَ بِصَفِيَّةَ بِنْتِ الصَّهْبَاءِ»^(٤).

١٦- قوله: «أذن من حولك»: أي: أخبر، وأعلم من حولك، قال في القاموس المحيط: «أذن بالشيء كسمع أذنًا بالكسر، ويحرك، وأذانا، وأذانة: علم به، فأذنوا بحرب أي: كونوا على علم، وأذنه الأمر، وبه: أعلمه، وأذن تأذينا: أكثر الإعلام»^(٥).

١٧- قوله: «حيساً»: الحيس: طعام مخلوط، فهو تمر يخلط بسمن وأقط، فيعجن شديداً، ثم ينذر منه نواه، وربما جعل فيه سويق، وقد حاسه يحيسه^(٦).

١٨- قوله: «نطع»: «النطع بالكسر، وبالفتح، وبالتحريك، وكعنب: بساط

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي، ١ / ٢٢٤، مادة (ردف).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢ / ٢٨٢، مادة (رهق).

(٣) فتح الباري، لابن حجر، ٧ / ٤٨٠.

(٤) المرجع السابق.

(٥) القاموس المحيط، ص: ١٥١٦، مادة (أذن).

(٦) القاموس المحيط، ص: ٩٩١، مادة (نطع).

من الأديم، جمعه: أنطاع ونطوع»^(١).

١٩- قوله: «فضح الدين»: أي: أن الدين يؤدي إلى إظهار الرجل في منظر معيب، ويهتك ستره، قال في اللسان: «فَضَحَ الشَّيْءُ يَفْضُحُهُ فَضْحًا، فَافْتَضَحَ، إِذَا انْكَشَفَتْ مَسَاوِيهِ، وَالْإِسْمُ الْفَضَاخَةُ، وَالْفُضُوحُ، وَالْفُضُوحَةُ، وَالْفَضِيحَةُ، وَرَجُلٌ فَضَّاحٌ وَفُضُوحٌ: يَفْضُحُ النَّاسَ»^(٢).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- المسلم دائم اللجوء إلى ربه كي يصرف عنه أنواع الشرور.
- ٢- التحذير من هذه الصفات الذميمة، وتدريب النفس على الأخذ بأسباب صرفها، وعدم الوقوع فيها.
- ٣- هذا الدعاء من جوامع كلمه عليه الصلاة والسلام وهو في غاية الترتيب والتناسق؛ فإن المهموم، والمحزون، يعجز ويكسل وهذا يجره إلى كونه بخيلاً جبناً ثم يترتب على ذلك طلب الدين ومع عجزه وكسله يغلبه الرجال.
- ٤- قال الإمام النووي رحمته الله: «وأما استعاذته ﷻ من الجبن والبخل، فلما فيهما من التقصير عن أداء الواجبات، والقيام بحقوق الله تعالى، وإزالة المنكر، والإغلاظ على العصاة؛ ولأنه بشجاعة النفس، وقوتها المعتدلة، تتم العبادات، ويقوم بنصر المظلوم، وبالسلامة من البخل يقوم بحقوق المال، وينبعث الإنفاق والجود، ولمكارم الأخلاق، ويمتنع عن الطمع»^(٣).

(١) انظر: القاموس المحيط، ص: ٦٩٦، مادة (حيس).

(٢) لسان العرب لابن منظور، ٢/ ٥٤٥، مادة: (فضح).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٣٢.

٣٥ - دُعَاءُ الْكَرْبِ

١٢٢- (١) «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ، وَرَبُّ الْأَرْضِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤١٩- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه (٢) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ»^(٣).

٤٢٠- ولفظ مسلم عن ابن عباس رضي الله عنه بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ، إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ، قَالَ، فَذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ مُعَاذٍ، عَنْ أَبِيهِ وَزَادَ مَعَهُنَّ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ»^(٤).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»: قال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «يعني: لا معبود بحق إلا الله ﷻ، وألوهية الله فرع عن ربوبيته؛ لأن من تأله الله فقد أقر بالربوبية؛ إذ إن المعبود لابد أن يكون رباً، ولا بد أن يكون كامل الصفات؛، حتى يعبد بمقتضى هذه الصفات؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ

(١) البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الكرب، برقم ٦٣٤٥، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب دعاء الكرب، برقم ٢٧٣٠.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٣ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري، برقم ٦٣٤٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب دعاء الكرب، برقم ٨٣- (٢٧٣٠).

الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا»^(١)، أي: تعبدوا له، وتوسلوا بأسمائه إلى مطلوبكم»^(٢).

٢- قوله: «العظيم» أي: ذي العظمة والجلال في ملكه، وسلطانه، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، قال الإمام ابن خزيمة رَحِمَهُ اللهُ: «وسمى الله بعض خلقه عظيماً، فقال: وهو رب العرش العظيم، فالله العظيم، وأوقع اسم العظيم على عرشه، والعرش مخلوق»^(٣).

٣- قوله: «الحليم»: قال الخطابي رَحِمَهُ اللهُ هو ذو الصفح، والأناة الذي لا يستخفه جهل جاهل، ولا عصيان عاص^(٤).

٤- قوله: «رب العرش العظيم»: أي: صاحب العرش خلقاً، وملكاً، والعظيم نعت للعرش، وإنما وصف العرش بالعظمة لعظم خلقه، قال الإمام ابن خزيمة رَحِمَهُ اللهُ: «وسمى الله بعض خلقه عظيماً... فالله العظيم، وأوقع اسم العظيم على عرشه، والعرش مخلوق»^(٥).

٥- قوله: «رب السموات ورب الأرض» أي: خالقهما، ومالكهما، ومدبر شؤونهما، ومنزّل الأمر بينهما، قال العيني رَحِمَهُ اللهُ: «خصهما بالذكر لأنهما من أعظم المشاهدات، ومعنى الرب في اللغة يطلق على: المالك، والسيد، والمدبر، والمربي، والمتمم، والمنعم، ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى»^(٦).

٦- قوله: «الكريم» أي: الجواد المعطي الذي لا ينفذ عطاؤه، وهو الكريم على الإطلاق^(٧).

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٦٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ٢.

(٣) كتاب التوحيد، ١ / ٦١، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٤ من مفردات حديث المتن رقم ٨٣.

(٤) شأن الدعاء، ص ٦٣.

(٥) كتاب التوحيد، ١ / ٦١، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٤ من مفردات حديث المتن رقم ٨٣.

(٦) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٩٧ / ٣٣، وتقدم في شرح المفردة رقم ٥ من مفردات حديث المتن رقم ٣٢.

(٧) انظر: العلم الهيب، ص ٣٣٦.

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- الكرب لا يندفع إلا بتحقيق التوحيد الخالص لله تعالى.
- ٢- تضمن هذا الدعاء أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية من قوله: «رب السموات والأرض» والألوهية من قوله: «لا إله إلا الله» والأسماء والصفات من قوله: «العظيم الحليم».
- ٣- إثبات بشرية الرسول الكريم ﷺ، وأنه لا يعلم الغيب، فلو كان يعلم الغيب ما مسه سوء، كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبُ لَاسْتَكْثَرْتَ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ الشُّوْءُ﴾^(١)، فكان يصيبه الأمر الذي يزعجه.
- ٤- من تمام تعظيم الله ﷻ دوام الثناء عليه بأنواع المحامد، وأن العبد لا يلتفت إلى عمل عمله، وإن قضى عمره كاملاً في الطاعة، وقد قال رسول الله ﷺ: «لَوْ أَنَّ رَجُلًا يُجْرُ عَلَى وَجْهِهِ مِنْ يَوْمٍ وَلَدَ إِلَى يَوْمٍ يَمُوتُ هَرَمًا فِي مَرْضَاةِ اللَّهِ ﷻ لَحَقَرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢) أي: لما يرى من عظمة ربه، وملكه يوم القيامة.
- ٥- قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ^(٣): «كان السلف يدعون به، ويسمونه دعاء الكرب». فإن قيل هذا ذكر وليس فيه دعاء: فجوابه من وجهين: أحدهما: أن هذا الذكر يستفتح به الدعاء ثم يدعو بما شاء. والثاني: قول الله في الحديث القدسي: «مَنْ شَعَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي، أَعْطَيْتَهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِيَ السَّائِلِينَ»^(٤).

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٨.

(٢) مسند أحمد، ٢٩/ ١٩٦، برقم ١٧٦٤٩، والطبراني، ١٧/ ١٢٢، برقم ٣٠٣، والبيهقي في شعب الإيمان، ١/ ٤٧٩، برقم ٧٦٧، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة، ١/ ٧٣٠: «هذا إسناد جيد، رجاله كلهم ثقات» وحسنه في صحيح الجامع، برقم ٥٢٤٩.

(٣) انظر: مسلم شرح النووي ١٧/ ٤٧.

(٤) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد، ص ١٠٩، والبيهقي في شعب الإيمان، ١/ ٤١٣، برقم

١٢٣- (٢) «اللَّهُمَّ رَحِمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤٢١- عن عبد الرحمن بن أبي بكرة أَنَّهُ قَالَ لِأَبِيهِ^(٢): يَا أَبَتِ إِنِّي أَسْمَعُكَ تَدْعُو كُلَّ غَدَاةٍ: اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَدَنِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، تُعِيدُهَا ثَلَاثًا حِينَ تُصْبِحُ، وَثَلَاثًا حِينَ تُمَسِي، فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو بِهِنَّ، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ، قَالَ عَبَّاسٌ فِيهِ: وَتَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، تُعِيدُهَا ثَلَاثًا حِينَ تُصْبِحُ، وَثَلَاثًا حِينَ تُمَسِي، فَتَدْعُو بِهِنَّ، فَأُحِبُّ أَنْ أَسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ، قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحِمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ». وَبَعْضُهُمْ يَزِيدُ عَلَى صَاحِبِهِ^(٣).

٥٧٢، ورقم ٥٧٣، وابن أبي شيبة، ٣٤ / ٦، برقم ٢٩٢٧١، رقم ٥٨٤)، وصححه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشف، ٣ / ٢٢٠، وقال العلامة الألباني في السلسلة الضعيفة، ٣ / ٥٠٨: «أبو مسلم: وثقه ابن حبان، وقال ابن عدي: يحدث بالمناكير عن الثقات، ويسرق الحديث، وقال الحافظ: صدوق يغلط، قلت [القائل الألباني]: وبقية رجال الإسناد ثقات، رجال الشيخين، فالإسناد حسن عندي، لولا ما يخشى من سرقة عبد الرحمن بن واقد، أو غلطه، والله أعلم».

(١) أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم ٥٠٩٢، وأحمد، برقم ٢٠٤٣٠، والنسائي في الكبرى، برقم ٩٨٥٠، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٥٤٢، وحسن العلامة ابن باز رحمه الله إسناده في تحفة الأخير، ص ٢٦، وتقدم تخريجه في تخريج الحديث رقم ٨٢، ورقم ٨٨ من أحاديث المتن.

(٢) أبو بكرة نفع بن الحارث، تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٨٢ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم ٥٠٩٠، وأحمد، ٣٤ / ٧٤، برقم ٢٠٤٣٠، وقال محققو مسند أحمد، ٣٤ / ٧٥: «حسن في المتابعات والشواهد» وحسنه الألباني في صحيح

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

- ١- قوله: «اللَّهُمَّ»: يا الله حذف حرف النداء «يا» وعوض عنه الميم المشددة وهو خاص بنداء الله تعالى^(١)، وهي تجمع الدعاء^(٢).
- ٢- قوله: «رحمتك أرجو» أي: لا أرجو رحمة أحد سواك، فأنت الرحمن الرحيم، قال الطيبي رحمته: «...قدم المفعول ليفيد الاختصاص، والرحمة عامة، فيلزم تفويض الأمور كلها إلى الله تعالى»^(٣).
- ٣- قوله: «فلا تكلني إلى نفسي» أي: لا تتركني ولا تدعني إلى نفسي فهي أمانة بالسوء، قال السفاريني الحنبلي رحمته: «وَأَنَّكَ إِنْ تَكَلَّنِي إِلَى نَفْسِي تَكَلَّنِي إِلَى ضَعْفٍ، وَعَوْرَةٍ، وَذَنْبٍ، وَخَطِيئَةٍ، وَأَنِّي لَا أَثِقُ إِلَّا بِرَحْمَتِكَ»^(٤).
- ٤- قوله: «طرفة عين» أي: لحظة لأنني قد أزل فيها إذا تخليت عني وأنت خير الحافظين، قال ابن منظور: «طَرَفٌ يَطْرِفُ طَرْفًا: لَحَظَ... طَرِفْتُ عَيْنَهُ، فَهِيَ تُطْرِفُ طَرْفًا، إِذَا حَرَكْتَ جَفُونَهَا بِالنَّظَرِ، وَيُقَالُ: هُوَ بِمَكَانٍ لَا تَرَاهُ الطَّوَارِفُ، يَغْنِي الْعُيُونُ، وَطَرَفٌ بَصَرُهُ، يَطْرِفُ طَرْفًا إِذَا أَطْبَقَ أَحَدٌ جَفْنَيْهِ عَلَى الْآخَرِ، الْوَاحِدَةُ مِنْ ذَلِكَ طَرْفَةٌ. يُقَالُ: أَسْرَعُ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ»^(٥).
- ٥- قوله: «وأصلح لي شأني كله» أي: حالي وأمري جميعه، قال ابن منظور رحمته: «الشَّأْنُ: الْخَطْبُ، وَالْأَمْرُ، وَالْحَالُ، ... وَمَا شَأْنُ شَأْنِهِ أَي: مَا أَرَادَ، وَمَا شَأْنُ شَأْنِهِ؛ عَنِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ، أَي: مَا شَعَرَ بِهِ، وَاشْأَنْ شَأْنُكَ؛ عَنْهُ أَيْضًا، أَي:

أبي داود، ٩٥٩/٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(١) تفسير الجزائري: أيسر التفاسير، ١/٣٠٣.

(٢) وتقدم في شرح المفردة رقم ٦ من حديث المتن رقم ١.

(٣) شرح المشكاة للطبيي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/١٩٠٦.

(٤) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، ٢/٢٩٣.

(٥) لسان العرب، ٩/٢١٣، مادة (طرف).

عَلَيْكَ بِهِ»^(١)، وقال الإمام ابن قيم الجوزية رحمته الله في معنى الحديث: «تَحْقِيقِ الرَّجَاءِ لِمَنْ الْخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدَيْهِ، وَالْإِعْتِمَادُ عَلَيْهِ وَحْدَهُ، وَتَفْوِضُ الْأَمْرِ إِلَيْهِ، وَالتَّضَرُّعُ إِلَيْهِ، أَنْ يَتَوَلَّى إِصْلَاحَ شَأْنِهِ، وَلَا يَكَلِّهُ إِلَى نَفْسِهِ، وَالتَّوَسُّلُ إِلَيْهِ بِتَوْحِيدِهِ مِمَّا لَهُ تَأْثِيرٌ قَوِيٌّ فِي دَفْعِ هَذَا الدَّاءِ»^(٢).

٦- قوله: «لا إله إلا أنت»: قال الصنعاني رحمته الله: «ختمه بهذه الكلمة الشريفة؛ فإنه لا يتم رجو الرحمة، وإصلاح الشأن، وعدم وكله إلى نفسه إلا لمن أقرَّ بها وأحضر قلبه لمعناها»^(٣).

وتقدم شرحه في شرح ألفاظ الحديث رقم ٨٨ من أحاديث المتن.

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- المسلم يسأل ربه الرحمة في السراء والضراء؛ فإن رحمة الله قد وسعت كل شيء، وعمت كل حي، بخلاف غضبه. قال ﷺ: «إن رحمتي تغلب غضبي»^(٤)، وفي رواية: «إن رحمتي سبقت غضبي»^(٥) وهو حديث قدسي.

٢- تعلق القلب بالله وحده وتفويض الأمر إليه يجعل فاعل ذلك غير آيس من رحمة ربه ﴿إِنَّهُ لَا يَنَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ﴾^(٦).

٣- الحذر من الخذلان وأسبابه وإنما يكون ذلك بأن يكل الله العبد إلى نفسه وهواه وشيطانه.

٤- جاء في أول الحديث أن النبي ﷺ سَمَّى هذا الدعاء بـ «دعوات

(١) لسان العرب، ١٣ / ٢٣٠، مادة (شأن).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٤ / ١٨٩.

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، ٦ / ٩٧.

(٤) البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾، برقم ٧٤٠٤.

(٥) البخاري، كتاب التوحيد، باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾، برقم ٧٤٢٢.

(٦) سورة يوسف، الآية: ٨٧.

المكروب» والمكروب هو من أصابه حزن شديد مع حسرة وألم مما هو فيه، وهو شامل لألم الجسد وألم النفس، نسأل الله العافية، والمقصود أن هذه الدعوات مزيله لكربة المكروب إن شاء الله.

٥- رُوي عن النبي ﷺ أنه إذا أهماه الأمر رفع رأسه إلى السماء فقال: «سبحان الله العظيم» وهذه الرواية عند الترمذي، ضعفها بعض العلماء كالعلامة الألباني رحمه الله^(١).

١٢٤- (٣) «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ»^(٢).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤٢٢- عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وقاصٍ رضي الله عنه^(٣)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعْوَةُ ذِي الثُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ»، هذا

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء ما يقول عند الكرب، برقم ٣٤٣٥، وقال: «هذا حديث حسن غريب»، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع، برقم ٤٣٥٦، وقال في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ٧٧٦/١٣: «والحديث مما سكت عليه ابن تيمية في الكلم الطيب، (رقم ١١٩)، وتبعه ابن القيم في الوابل الصيب، (٢٣٦)، تابعين في ذلك أصلهما أذكار النووي، ١٠٢ تحقيق الأرناؤوط، وسكت هذا أيضاً عليه».

(٢) الترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا محمد بن يحيى، برقم ٣٥٠٥، وأحمد، ٦٥/٣، برقم ١٤٦٢، والحاكم، وصححه ووافقه الذهبي، ٥٠٥/١، والنسائي في الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، ذكر دعوة ذي النون، برقم ١٠٤٩٢، وأبو يعلى، ١١٠/١، برقم ٧٧٢، وحسن إسناده محققو المسند، ٦٥/٣، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢٨٢/٢، برقم ١٦٤٤، وفي صحيح الجامع الصغير، برقم ٣٣٨٣.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٩٦ من أحاديث الشرح.

لفظ الترمذي، والحاكم، ولفظ لأحمد، والنسائي في الكبرى^(١).

٤٢٣- ولفظ أحمد عن سعد بن أبي وقاص، قال: مَرَرْتُ بِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ^(٢) فِي الْمَسْجِدِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَمَلَأَ عَيْنَيْهِ مِنِّي، ثُمَّ لَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، فَأَتَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَلْ حَدَّثَ فِي الْإِسْلَامِ شَيْءٌ؟ مَرَّتَيْنِ قَالَ: لَا، وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، إِلَّا أَنِّي مَرَرْتُ بِعُثْمَانَ آتِئًا فِي الْمَسْجِدِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَمَلَأَ عَيْنَيْهِ مِنِّي، ثُمَّ لَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، قَالَ: فَأَرْسَلَ عُمَرُ إِلَى عُثْمَانَ فَدَعَاهُ، فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ لَا تَكُونَ رَدَدْتَ عَلَى أَخِيكَ السَّلَامَ؟ قَالَ عُثْمَانُ: مَا فَعَلْتُ! قَالَ سَعْدٌ: قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: حَتَّى حَلَفَ وَحَلَفْتُ، قَالَ: ثُمَّ إِنَّ عُثْمَانَ ذَكَرَ، فَقَالَ: بَلَى، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، إِنَّكَ مَرَرْتَ بِي آتِئًا، وَأَنَا أَحَدْتُ نَفْسِي بِكَلِمَةٍ سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَا وَاللَّهِ مَا ذَكَرْتُهَا قَطُّ إِلَّا تَغَشَى بَصْرِي، وَقَلْبِي غَشَاوَةٌ، قَالَ: قَالَ سَعْدٌ: فَأَنَا أَنْبُوكَ بِهَا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ لَنَا أَوَّلَ دَعْوَةٍ، ثُمَّ جَاءَ أَغْرَابِي فَشَغَلَهُ، حَتَّى قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَاتَّبَعْتُهُ فَلَمَّا أَشْفَقْتُ أَنْ يَسْبِقَنِي إِلَى مَنْزِلِهِ، ضَرَبْتُ بِقَدَمِي الْأَرْضَ، فَالْتَفَتَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَقَالَ: «مَنْ هَذَا أَبُو إِسْحَاقَ؟» قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «فَمَهْ؟»، قَالَ: قُلْتُ: لَا وَاللَّهِ، إِلَّا أَنَّكَ ذَكَرْتَ لَنَا أَوَّلَ دَعْوَةٍ، ثُمَّ جَاءَ هَذَا الْأَغْرَابِيُّ فَشَغَلَكَ، قَالَ: «نَعَمْ دَعْوَةُ ذِي الثُّونِ إِذْ هُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾»، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا مُسْلِمٌ رَبَّهُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ لَهُ»^(٣).

(١) الترمذي، برقم ٣٥٠٥، والحاكم، ٥٠٥/١، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم

٣٣٨٣، وتقديم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) تقدمت ترجمته في لفظ الحديث رقم ٢٩٢ من أحاديث الشرح.

(٣) أحمد، برقم ١٤٦٢، وحسنه محققو المسند، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم

٣٣٨٣، وتقديم تخريجه في تخريج حديث المتن.

٤٢٤- وفي لفظ للنسائي في الكبرى، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ، أَوْ أُحَدِّثُكُمْ، بِشَيْءٍ إِذَا نَزَلَ بِرَجُلٍ مِنْكُمْ كَرْبٌ، أَوْ بَلَاءٌ مِنْ بَلَاءِ الدُّنْيَا، دَعَا بِهِ فُرَجَّ عَنْهُ؟» فَقِيلَ لَهُ: بَلَى، قَالَ: «دُعَاءُ ذِي النُّونِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ»^(١).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «لا إله إلا أنت سبحانك»: إقرار من يونس عليه السلام بكمال الألوهية وأن الله أفعاله كلها خير محض، وأنه المستحق للعبادة وحده، قال الإمام الطبري رحمته الله: «تنزيهاً لك يا رب، مما أضاف إليك أهل الشرك بك، من الكذب عليك والفِرْيَةِ... وإبراء الله عن السوء، وهي كلمة رضىها الله لنفسه، وهي تنزيهه من كل سوء»^(٢)، وقال المناوي رحمته الله: «أي: ما صنعتُ من شيء، فلن أعبد غيرك، (سبحانك) تنزيهه عن كل النقائص، ومنها العجز، وإنما قاله لأن تقديره سبحانك مأجوراً، أو شهوة للانتقام، أو عجزاً عن تخليصي مما أنا فيه، بل فعلته بحكم الإلهية، وبمقتضى الحكمة»^(٣).

٢- قوله: «إني كنت من الظالمين» أي: لأن يونس عليه السلام ترك مداومة قومه، والصبر عليهم، أو في الخروج قبل إذن ربه فنسب الظلم إلى نفسه اعترافاً واستحقاقاً^(٤).

٣- قوله: «دعوة ذي النون»: أي دعاؤه وتسييحه لله ﷻ، قال الفيومي رحمته الله: «دَعَوْتُ اللَّهَ أَدْعُوهُ دُعَاءً ابْتَهَلْتُ إِلَيْهِ بِالسُّؤَالِ، وَرَغِبْتُ فِيمَا عِنْدَهُ مِنَ الْخَيْرِ»^(٥).

(١) النسائي في الكبرى، برقم ١٠٤٩١، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٣٣٨٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) انظر: تفسير الطبري، ٣٠/١٥، وتقدم شرحها مستوفى في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ١٥.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٣/ ١٣٤.

(٤) تفسير الجزائري، ص ١٠٨٥.

(٥) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١/ ١٩٤، مادة (دعو).

٤- قوله: «(ذي النون)»: اسم نبي الله يونس بن متى عليه السلام وإنما أضيف إلى النون الذي هو الحوت الذي ابتلعه قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾^(١)، ومتى هو اسم أبيه، وليس اسم أمه، قال ابن كثير رحمته الله: «يونس بن متى ونسبه إلى أمه، وفي رواية قيل: «إلى أبيه»^(٢)، وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يزويه عن ربه قال: «لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: إِنَّهُ خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى وَنَسَبُهُ إِلَى أَبِيهِ»^(٣)، وقال الزبيدي رحمته الله: «ذو النون: لقب يونس بن متى، على نبينا، وعليه الصلاة والسلام، وقد ذكره الله تعالى في كتابه وسماه كذلك، لأنه حبسه في جوف الحوت الذي التقمه»^(٤).

٥- قوله: «وهو في بطن الحوت»»: وذلك لما ذهب مغاضباً من قومه قبل أن يأمره الله بالخروج^(٥)، بعدما رفع الله عن قومه العذاب فأصابه الله بهذا البلاء تطهيراً له^(٦).

٦- قوله: «(رجل مسلم)»: يشمل الذكر والأنثى، وهذا متكرر في القرآن والسنة.

٧- قوله: «(في شيء قط)»: أي: في أي أمر من الأمور التي أهمته وألمت به، قال الصنعاني رحمته الله: «(من الأقوال والأفعال)»^(٧).

٨- قوله: «(إلا استجاب الله له)»: فضلاً منه ونعمة، كما فعل سبحانه مع يونس عليه السلام، قال العلامة السعدي رحمته الله: «هذا وعد، وبشارة لكل مؤمن وقع في شدة، وغم، أن الله تعالى سينجيه منها، ويكشف عنه، ويخفف لإيمانه كما فعل

(١) سورة القلم، الآية: ٤٨.

(٢) تفسير ابن كثير، ٣٨ / ٧.

(٣) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ذكر النبي ﷺ، وروايته عن ربه، برقم ٧٥٣٩.

(٤) تاج العروس، ٣٦ / ٢٣٢، مادة (نون).

(٥) تفسير السعدي، ص ٥٣٩.

(٦) تفسير الجزائري، ص ١٠٨٥.

(٧) التنوير شرح الجامع الصغير، ٦ / ٣٠٣.

ب(يونس) عليه السلام»^(١)، وقال في موضع آخر: «ولكن بسبب تسييحه، وعبادته لله، نجّاه الله تعالى، وكذلك ينجي الله المؤمنين، عند وقوعهم في الشدائد»^(٢).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- فضيلة هذا الدعاء إذا حصل ييقين وإخلاص، وتوكل على الله؛ ولذلك قال الله تعالى في سياق قصة يونس عليه السلام عندما قال هذا الدعاء: ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

٢- بيان توفيق الله ليونس عليه السلام بأن ألهمه هذا الذكر وهو في الظلمات الثلاث: ظلمة بطن الحوت، وظلمة الليل، وظلمة البحر، ولولا أنه كان دائم الذكر والعبودية لربه ما نجّاه الله من ذلك، وللبث في بطن الحوت إلى يوم البعث كما هو حال فرعون عليه اللعنة، وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «تَعْرِفْ إِلَيْهِ فِي الرِّخَاءِ، يَغْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ»^(٤).

٣- تواضع الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وذلك باستشهاده بقول من هو دونه في المرتبة عند الله، ويفهم من هذا أن شرع من قبلنا هو شرع لنا، ما لم يخالف شرعنا.

٤- بيان أن دعوة الأنبياء جميعاً هي كلمة التوحيد، وإن اختلف الزمان والمكان؛

(١) تفسير السعدي، ص ٥٢٩.

(٢) تفسير السعدي، ص ٧٠٧.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٨٨.

(٤) مسند أحمد، ٥/ ١٩، برقم ٢٨٠٣، ولفظه: «عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ يَا غُلَامُ، أَوْ يَا غُلَيْمُ، أَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ؟ فَقُلْتُ: بَلَى، فَقَالَ: اخْفِظْ اللَّهَ يَخْفِظْكَ، اخْفِظْ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعْرِفْ إِلَيْهِ فِي الرِّخَاءِ، يَغْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الضُّبْرِ عَلَى مَا تَكَرَّرَ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّضْرَ مَعَ الضُّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَزْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْغُشْرِ يُشْرًا» والحاكم، ٣/ ٥٤٢، والطبراني، ١١/ ١٢٣، برقم ١١٢٤٣، والضياء المقدسي، ١٠/ ٢٣، برقم ١٣، وصححه محققو المسند، ٥/ ١٩، والألباني في صحيح الجامع، برقم ٢٩٦١.

ولذا قال رسول الله ﷺ: «الأنبياء إخوة لعلات^(١)، أمهاتهم شتى ودينهم واحد»^(٢).

٥- جاء الثناء على يونس عليه السلام من الله ﷻ في قوله في الحديث القدسي: «لا ينبغي لعبدي أن يقول أنا خير من يونس بن متى عليه السلام»^(٣) وكذلك قال رسول الله ﷺ: «لا يقولن أحدكم إني خير من يونس»^(٤).

قال النووي رحمه الله: «وهذه الأحاديث تحمل وجهين:

أ- أنه ﷺ قال ذلك قبل أن يعلمه الله أنه سيد ولد آدم.

ب- أنه قال هذا زجراً على أن يتخيل أحد من الجاهلين شيئاً من حط مرتبة يونس عليه السلام من أجل ما في القرآن العزيز من قصته^(٥)، وقد جاء في فضائله أن قومه آمنوا كلهم، وما آمنت أمة بكاملها إلا قوم يونس، قال الله ﷻ: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ * فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾^(٦).

٦- قال الإمام الطيبي رحمه الله: «ومن الأنبياء جماعة لهم اسمان مثل: عيسى والمسيح، وذو الكفل واليسع، ويونس وذو النون، وإبراهيم والخليل، ومحمد وأحمد، عليهم الصلاة والسلام»^(٧).

(١) هم الإخوة لأب من أمهات شتى أما الإخوة من الأبوين فيقال أولاد أعيان. قاله النووي.

(٢) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾، برقم ٣٤٤٣.

(٣) مسلم، كتاب الفضائل، باب في ذكر يونس بن متى عليه السلام، وقول النبي ﷺ: «لا ينبغي لعبدي أن يقول: أنا خير من يونس بن متى» برقم ٢٣٧٦.

(٤) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، برقم ٣٤١٢.

(٥) انظر: مسلم يشرح النووي، ١٣١/١٥.

(٦) سورة الصافات، الآيتان: ١٤٧ - ١٤٨.

(٧) العلم الهيب، ص ٣٤١.

١٢٥- (٤) «اللَّهُ اللَّهُ رَبِّي، لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

- ٤٢٥- عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ رضي الله عنها^(٢)، قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ تَقُولِينَهُنَّ عِنْدَ الْكَرْبِ - أَوْ فِي الْكَرْبِ -؟ اللَّهُ اللَّهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»^(٣).
- ٤٢٦- ولفظ ابن حبان: عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها^(٤)، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَمَعَ أَهْلَ بَيْتِهِ، فَقَالَ: «إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ غَمٌّ أَوْ كَرْبٌ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُ اللَّهُ رَبِّي، لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»^(٥).
- ٤٢٧- ولفظ الطبراني: عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفَرٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ: «هَلْ مَعَكُمْ أَحَدٌ مِنْ غَيْرِكُمْ؟» قَالُوا: لَا، إِلَّا ابْنُ اخْتَنَا، أَوْ مَوْلَانَا، فَقَالَ: «إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ هَمٌّ أَوْ لَأْوَى، فَلْيَقُلْ: اللَّهُ اللَّهُ رَبِّي، لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»^(٦).
- ٤٢٨- ولفظ النسائي في الكبرى: عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ^(٧)، قَالَ جَمَعَ

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، برقم ١٥٢٥، وابن ماجه، كتاب الدعاء، باب الدعاء عند الكرب، برقم ٣٨٨٢، والإمام أحمد في المسند، ١٦/٤٥، برقم (٢٧٠٨٢)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٣٣٥/٢، برقم ٣١٣٢.

(٢) أسماء بنت عميس رضي الله عنها: أم عبد الله الخثعمية، كانت تحت جعفر بن أبي طالب، وهو ذو الجناحين الطيار، ابن عم رسول الله ﷺ، وهاجرت معه إلى الحبشة، فولدت له عبد الله، ومحمد، وعوناً، ثم هاجرت معه إلى المدينة سنة سبع، ولما استشهد يوم مؤتة تزوجت بأبي بكر الصديق، فولدت له محمداً، وقت الإحرام، ولما مات عنها الصديق تزوجت بعلي بن أبي طالب، فولدت له يحيى، لها ذكر في الصحيح والسنن. انظر: أسد الغابة، ١٤/٦، ترجمة رقم (٦٧٠٦)، وسير أعلام النبلاء، ٢/٢٨٢، ترجمة رقم (٥١).

(٣) أخرجه أبو داود، برقم ١٥٢٥، وابن ماجه، برقم ٣٨٨٢، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ٣١٣٢، وتقديم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٥٤ من أحاديث الشرح.

(٥) ابن حبان، ١٤٦/٣، وصححه الألباني في التعليقات الحسان، ٧٥٦/٣.

(٦) الطبراني في المعجم الأوسط، ٢٧١/٥، برقم ٥٢٩٠، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٥٩٠/٦، برقم ٢٧٥٥.

(٧) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، أمير المؤمنين، العالم المجتهد،

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَهْلَ بَيْتِهِ، فَقَالَ: «إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ غَمٌّ أَوْ هَمٌّ فَلْيَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتِ اللَّهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»^(١).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللَّهُ، اللَّهُ»: هو بالرفع فيهما، على أن الأول مبتدأ، والثاني تأكيد لفظي له، وهذا إشارة إلى عظم المقام وأهميته^(٢).

٢- قوله: «ربي»: أي: الذي رباني، وأسبغ علي جميع أنواع النعم بعد أن أوجدني من العدم، قال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعنى الرب في اللغة يطلق على: المالك، والسيد، والمدبر، والمربي، والمتمم، والمنعم، ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى»^(٣).

٣- قوله: «لا أشرك به شيئاً»: «يعني: كبير الشرك، وصغيره، وخفيته؛ لأن كلمة شيئاً نكرة جاءت في سياق النفي، فتعم كل ما كان في معناها»^(٤). أي: لا أعبد معه أحداً، ولا يتعلق قلبي بغيره، فهو المتفرد والمستحق للعبادة.

٤- قوله: «غم»: أي: حزن، وكآبة، قال الفيومي: «غَمُّ الشيء (غَمًّا) من باب قتل: غَطَّاه، ومنه قيل للحزن: (غَمٌّ)؛ لأنه يغطي السرور، والحلم، وهو في غَمَّة

العايد الزاهد، أبو حفص القرشي، يعد من الطبقة الثالثة من التابعين، وكان له رواية في الحديث كثيرة، ولي المدينة في إمرة الوليد سنة ٨٦هـ إلى ٩٣هـ، ثم ولي الخلافة بعد سليمان سنة ٩٩هـ، كان كثير الزهد والخشية والبكاء، له في ذلك أقوال مأثورة، مات سنة ١٠١هـ. انظر: حلية الأولياء ٢٥٢/٥، وسير أعلام النبلاء ١١٤/٥، ترجمة رقم (٤٨).

(١) النسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، ذكر الاختلاف على مسعر بن كدام في خبر عبد الله بن جعفر، برقم ١٠٤٨٦، والدعاء للطبراني، ص: ٣١٣، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ٢٣٠/١٢: «منكر بزيادة (السيم)... وهذا إسناده رجاله كلهم ثقات... والحديث مرسل».

(٢) فقه الأدعية والأذكار للبدر، ص ١٨٢.

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٩٧/٣٣، وتقدم في شرح المفردة رقم ٥ من مفردات حديث المتن رقم ٣٢.

(٤) شرح الأربعين النووية، لصالح بن عبد العزيز آل الشيخ، ص ٢٢٧.

أي حيرة، ولَبَسَ، والجمع (غُمَّمٌ)، مثل غُرْفَةٍ وَغُرْفٍ^(١).

٥- قوله: «هَمٌّ»: «الْهَمُّ: الْحُزْنُ، وَجَمْعُهُ هُمُومٌ، وَهَمَّهُ الْأَمْرَ هَمًّا وَمَهْمَةً، وَأَهَمَّهُ فَاهْتَمَّ، وَاهْتَمَّ بِهِ، وَلَا هَمَامَ لِي: مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْكَسْرِ مِثْلَ قَطَامِ أَي: لَا أَهَمُّ... وَيُقَالُ: مَعْنَى مَا أَهَمَّكَ أَي: مَا أَحْزَنَكَ، وَقِيلَ: مَا أَقْلَقَكَ، وَقِيلَ: مَا أَذَابَكَ، وَالْهَمَّةُ: وَاحِدَةُ الْهَمَمِ. وَالْمُهَمَّاتُ مِنَ الْأُمُورِ: الشَّدَائِدُ الْمُحْرِقَةُ، وَهَمَّهُ السُّقْمُ يَهْمُهُ هَمًّا أَذَابَهُ، وَأَذْهَبَ لَحْمَهُ، وَهَمَّنِي الْمَرَضُ: أَذَابَنِي»^(٢).

٦- قوله: «أَوْ مَوْلَانَا» أَي خَادِمُنَا، أَوْ تَابِعٍ لَنَا، أَوْ حَلِيفٍ، وَقَالَ فِي النِّهَايَةِ: «تَكَرَّرَ ذَكَرَ (الْمَوْلَى) فِي الْحَدِيثِ، وَهُوَ اسْمٌ يَقَعُ عَلَى جَمَاعَةٍ كَثِيرَةٍ، فَهُوَ الرَّبُّ، وَالْمَالِكُ، وَالسَّيِّدُ، وَالْمُنْعَمُ، وَالْمُعْتَقُ، وَالتَّائِصُ، وَالْمُحِبُّ، وَالتَّابِعُ، وَالْجَارُ، وَابْنُ الْعَمِّ، وَالْحَلِيفُ، وَالْعَقِيدُ، وَالصَّهْرُ، وَالْعَبْدُ، وَالْمُعْتَقُ، وَالْمُنْعَمُ عَلَيْهِ، وَأَكْثَرُهَا قَدْ جَاءَتْ فِي الْحَدِيثِ، فَيُضَافُ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَا يَقْتَضِيهِ الْحَدِيثُ الْوَارِدُ فِيهِ، وَكُلُّ مَنْ وَلِيَ أَمْرًا، أَوْ قَامَ بِهِ، فَهُوَ مَوْلَاهُ وَوَلِيُّهُ، وَقَدْ تَخْتَلَفَ مَصَادِرُ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ، فَالْوَلَايَةُ بِالْفَتْحِ فِي النَّسَبِ، وَالنُّصْرَةِ، وَالْمُعْتَقِ، وَالْوَلَايَةُ بِالْكَسْرِ فِي الْإِمَارَةِ، وَالْوَلَاءُ الْمُعْتَقُ، وَالْمُؤَاوَلَةُ مِنَ وَالِي الْقَوْمِ، مِنْهُ الْحَدِيثُ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْ مَوْلَاهُ»^(٣)، يُحْمَلُ ... أَي: مَنْ أَحْبَبَنِي وَتَوَلَّانِي فَلْيَتَوَلَّ، وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: الْوَلِيُّ: التَّابِعُ الْمُحِبُّ»^(٤).

٧- قوله: «أَهْلُ بَيْتِهِ»: أَقَارِبُهُ الْأَدْنَوْنَ، وَخُصُوصًا أَزْوَاجُهُ، وَتَفْسِرُهَا الرِّوَايَةُ الْآخَرَى: «لِنَفَرٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»، وَكَلِمَةُ أَهْلٍ بِشَكْلِ عَامٍ لَهَا مَعَانٍ عِدَّةٌ، إِذَا لَمْ

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي، ٢/ ٤٥٤، مادة (غمم).

(٢) لسان العرب، ١٢/ ٦١٩، مادة (همم).

(٣) أخرجه أحمد، ٢/ ٧١، برقم ٦٤١، والحاكم، ٣/ ١١٩، وقال: «صحيح على شرط مسلم»

والنسائي في الكبرى، كتاب المناقب، فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام، رقم ٨١٤٥، وابن أبي شيبة،

٣٧٤/٦، برقم ٣٢١٣٢، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني، ٤/ ٣٢٥، برقم ٢٣٥٧، وصححه

لغيره محققو المسند، ٢/ ٧١، والألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٩٣٠.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ٥/ ٢٢٧، مادة (ولي).

تكن مضافة إلى بيت الرجل، قال في النهاية: «فيه (الحديث النبوي): «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته»^(١)، أي: حفظه القرآن العاملون به، هم أولياء الله، والمختصون به اختصاص أهل الإنسان به»^(٢).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- على المسلم الاهتمام بأهله، وأقاربه، ومتبوعيه، كما اهتم النبي ﷺ بأهل بيته (بني هاشم)، فجمعهم ليقدم لهم هذا الدعاء.
- ٢- حسن تعليم النبي ﷺ لأسماء ﷺ حيث شوقها بطرح هذا السؤال عليها، وهذا من أجمل أساليب التعليم.
- ٣- بركة العلم في العمل به، والدعوة إليه، حيث أن أسماء علمت ابنها عبد الله بن جعفر هذا الدعاء الذي رواه هو عنها.
- ٤- تضمن هذا الدعاء إثبات الألوهية لله وحده، ونفي الشريك عنه ﷻ، وهما ركنا التوحيد.



(١) أخرجه أحمد، ٣٠٥/١٩، برقم ١٢٢٩٢، والنسائي في الكبرى، كتاب فضائل القرآن، أهل القرآن، برقم ٨٠٣١، وابن ماجه، المقدمة، كتاب فضل من تعلم القرآن وعلمه، برقم ٢١٥، والدارمي، ٥٢٥/٢، برقم ٣٣٢٦، والحاكم، ٧٤٣/١، قال المنذري في الترغيب والترهيب، ٢٣١/٢: «إسناده صحيح» وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ٢١١.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ١/١٨٣، مادة (أهل).

٣٦- دَعَاءُ لِقَاءِ الْعَدُوِّ وَذِي السُّلْطَانِ

١٢٦- (١) «اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ

شُرُورِهِمْ» (١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤٢٩- عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ (٢)، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا خَافَ قَوْمًا، قَالَ:

«اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ» (٣).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللهم»: «اللَّهُمَّ بِمَعْنَى: يَا اللَّهُ، ... الْمِيمُ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أُولَها، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الْإِسْمِ الْمُتَنَادِي الْمُفْرَدِ» (٤).

٢- قوله: «إنا نجعلك في نحورهم»: جمع نحر، وهي الحفرة التي تكون أسفل العنق، أي: أعلى الصدر، وَخُصَّ النحر بالذكر؛ لأن العدو به يستقبل عند القتال، ومعنى: «اللهم إنا نجعلك في نحورهم» أي: في إزاء صدورهم؛ لتدفع عنا صدورهم، وتحول بيننا وبينهم، تقول: جعلت فلاناً في نحر العدو، إذا جعلته قبالة، وترساً يقاتل عنك، ويحول بينه وبينك ... وخص

(١) أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا خاف قوماً، برقم ١٥٣٧، والإمام أحمد في المسند، ٣٢/ ٤٩٤، برقم ١٩٧٢٠، وابن حبان، ١١/ ٨٢، برقم ٤٧٦٥، والحاكم، ٢/ ١٤٢، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه محققو المسند، ٣٢/ ٤٩٥، ومحقق ابن حبان، ١١/ ٨٢، وصحح إسناده الألباني في صحيح أبي داود، ٥/ ٢٦٣، برقم ١٥٣٧.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، برقم ١٥٣٧، والحاكم، ٢/ ١٤٢، وصححه ووافقه الذهبي، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، في المفردة رقم ٦.

النحر؛ لأنه أسرع، وأقوى، في الدفع، ٢-

٣- والتمكن من المدفوع، والعدو إنما يستقبل بنحره عند المناهضة للقتال، أو للتفاؤل بنحرهم أو قتلهم^(١).

٤- قوله: «ونعوذ بك» أي: نلجأ إليك ونحتمي بك يا من له القدرة البالغة والإرادة النافذة، قال الراغب الأصفهاني رحمته الله: «والعوذ: الالتجاء إلى الغير، والتعلق به، يقال: عاذ فلان بفلان، ... وأعدته بالله أعيده، أي: ألتجئ إليه، وأستنصر به أن أفعل ذلك، فإن ذلك سوء أتحاشى من تعاطيه»^(٢).

٥- قوله: «من شرورهم»: أي: مما يمكرون لنا ليكيدونا به، وهذا شامل للشر الظاهر لنا، وغير الظاهر، أي: الذي في نياتهم، كما قال الله ﷻ: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾^(٣). «ونعوذ بك من شرورهم»، والمراد نسألك أن تصد صدورهم وتدفع شرورهم وتكفينا أمورهم وتحول بيننا وبينهم»^(٤).

٦- قوله: «كان إذا خاف قوماً»: أي: شر قوم^(٥).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- الاعتصام بحبل الله وحده، مع تمام التوكل، والأخذ بالأسباب المشروعة من أعظم عوامل النصر، والتمكين.

٢- أهل الكفر والنفاق لا تهدأ نفوسهم إلا بالمكر بأهل التوحيد، ولكن

(١) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٥/ ١٥٣.

(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ٢/ ١٣٦، وتقدم في شرح مفردات حديث المتن رقم ١٧، المفردة رقم ١.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١١٨.

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٥/ ١٥٣.

(٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٥/ ١٥٣.

هيهات لهم، فنصرة الله لأهل الإيمان.

٣- تقرير بشرية الرسول محمد ﷺ لقول الراوي: «وكان إذا خاف» فهو يجري عليه ما يجري على البشر من الفرح، والحزن، والخوف، والاطمئنان، وغير ذلك: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾^(١)، والمراد بالخوف هنا هو الخوف الفطري، كما يخاف الإنسان من: الأسد، أو الثعبان، أو المَلِكِ الظالم، ولا يراد به الخوف التعبدى؛ لأنه ﷺ ممتلئ قلبه خوفًا من ربه، ويشهد لهذا المعنى قول موسى وهارون: ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾^(٢)، يريدان: فرعون لعنه الله، وهذا من الخوف الفطري.

٤- قال الإمام الطيبي رحمه الله: «كيف يخاف النبي ﷺ وهو محفوظ من شر الإنس والجن بحفظ الله إياه ومؤيد بالملائكة؟ ثم قال: ويوجد لذلك ثلاثة أجوبة:

أ- أن هذه طبيعة بشرية.

ب- يجوز أن يكون الخوف على أصحابه.

ج- هذا تعليم للأمة من بعده^(٣).

١٢٧- (٢) «اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضِدِي، وَأَنْتَ نَصِيرِي، بِكَ أَحُولُ، وَبِكَ أَصُولُ، وَبِكَ أَقَاتِلُ»^(٤).

(١) سورة الإسراء، الآية: ٩٣.

(٢) سورة طه، الآية: ٤٥.

(٣) انظر: العلم الهيب، ص ٣٤٦.

(٤) أبو داود، كتاب الجهاد، باب ما يدعى عند اللقاء، برقم ٢٦٣٢، والترمذي، كتاب الدعوات، باب في الدعاء إذا غزا، برقم ٣٥٨٤، وأحمد، ٢٠/ ٢٥٠، برقم ١٢٩٠٩، وصححه محققو المسند،

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤٣٠- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ^(١) قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا غَزَا قَالَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ عِزِّي، وَنَصِيرِي، بِكَ أَحُولُ، وَبِكَ أَصُولُ، وَبِكَ أَقَاتِلُ»، هذا لفظ أبي داود ^(٢).

٤٣١- وروى النسائي، وأحمد، وابن حبان، عن ضَهَبٍ رضي الله عنه ^(٣)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ أَيَّامَ حُتَيْنَ بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ تُحَرِّكُ شَفَتَيْكَ بِشَيْءٍ؟ قَالَ: «إِنَّ نَبِيًّا مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، ثُمَّ ذَكَرَ كَلِمَةً مَعْنَاهَا أَعْجَبَتْهُ كَثْرَةُ أُمَّتِهِ، فَقَالَ: لَنْ يَزُومَ هَؤُلَاءِ أَحَدٌ بِشَيْءٍ، فَأَوْحَى إِلَيْهِ أَنْ خَيْرُ أُمَّتِكَ بَيْنَ إِحْدَى ثَلَاثٍ: أَنْ أَسْلَطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَيَسْتَتِيحَهُمْ، وَإِمَّا أَنْ

٢٥٠/٢، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١٨٣/٣.

(١) تقدمت ترجمته في الحديث ٢٣ من أحاديث الشرح.

(٢) أبو داود، برقم ٢٦٣٢، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١٨٣/٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) صهيب بن سنان بن مالك من النمر بن قاسط، أبو يحيى، وهو الرومي، قيل له ذلك لأن الروم

سبوه صغيراً، قال ابن سعد: وكان أبوه وعمه على الأبله من جهة كسرى، وكانت منازلهم على دجلة من جهة الموصل، فنشأ صهيب بالروم فصار أكن، ثم اشتراه رجل من كلب فباعه بمكة، فاشتراه عبد الله بن جدعان التميمي فأعتقه، أسلم هو وعمار، ورسول الله ﷺ في دار الأرقم، وكان من المستضعفين ممن يعذب في الله، وهاجر إلى المدينة مع علي بن أبي طالب في آخر من هاجر في تلك السنة، وشهد بدرأ والمشاهد بعدها، ويقال: إنه لما هاجر تبعه نفر من المشركين، فستل فقال: يا معشر قريش إني من أركامكم، ولا تصلون إلي حتى أرميكم بكل سهم معي، ثم أضربكم بسيفي، فإن كنتم تريدون مالي دللتكم عليه، فرضوا فعاهدوه ودلهم، فرجعوا فأخذوا ماله، فلما جاء إلى النبي ﷺ قال له: «(ريح البيع)» وروى ابن عيينة في تفسيره، وابن سعد عن مجاهد أول من أظهر إسلامه سبعة، فذكره فيهم، وروى ابن سعد من طريق عمر بن الحكم قال: كان عمار بن ياسر يعذب حتى لا يدري ما يقول، وكذا صهيب، وأبو فائد، وعمار بن فهيرة وقوم، ولما مات عمر أوصى أن يصلي عليه صهيب، وأن يصلي بالناس إلى أن يجتمع المسلمون على إمام، رواه البخاري في تاريخه، مات صهيب في شوال سنة ثمان وثلاثين وهو ابن سبعين. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر، ٧٢٦/٢، والإصابة في تمييز الصحابة، ٤٤٩/٣.

أَسْلَطَ عَلَيْهِمُ الْجُوعَ، وَإِنَّمَا أَنْ أَرْسَلَ عَلَيْهِمُ الْمَوْتَ؟ فَقَالُوا: أَمَّا الْجُوعُ وَالْعَدُوُّ، فَلَا طَاقَةَ لَنَا بِهِمَا، وَلَكِنَّ الْمَوْتَ، فَأَرْسَلَ عَلَيْهِمُ الْمَوْتَ، فَمَاتَ مِنْهُمْ فِي لَيْلَةٍ سَبْعُونَ أَلْفًا، فَأَنَا أَقُولُ: اللَّهُمَّ بِكَ أَحَاوِلْ، وَبِكَ أَصَاوِلْ، وَبِكَ أَقَاتِلْ»^(١).

٤٣٢- وفي لفظ آخر لابن حبان: عَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، كَانَ أَيَّامَ خَيْبَرَ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ بِشَيْءٍ بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ تُحَرِّكُ شَفَتَيْكَ بِشَيْءٍ مَا كُنْتَ تَفْعَلُهُ، فَمَا هَذَا الَّذِي تَقُولُ؟ قَالَ ﷺ: أَقُولُ: «اللَّهُمَّ بِكَ أَحَاوِلْ، وَبِكَ أَقَاتِلْ، وَبِكَ أَصَاوِلْ»^(٢).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللَّهُمَّ»: «اللَّهُمَّ بِمَعْنَى: يَا اللَّهُ، ... الْمِيمُ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أُولَها، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الْإِسْمِ الْمُتَنَادِي الْمُفْرَدِ»^(٣).

٢- قوله: «أنت عضدي» أي: معتمدي فلا أعتمد على غيرك^(٤) والعضد هو الناصر المعين.

٣- قوله: «وأنت نصيري» أي: ناصري على أعدائي ميسر لي الغلبة عليهم.

٤- قوله: «بك أحاول» أي: أصرف بعونك كيد العدو وأحتال لدفع مكرهم فلا حول ولا قوة لأحد إلا بك. وفي رواية: «بك أحاول» قال ابن الجوزي: «قوله:

(١) السنن الكبرى للنسائي، ٥/ ١٨٨، برقم ٨٦٣٢، وأحمد، ٣١/ ٢٦٢، برقم ١٨٩٣٨، وابن حبان، ١١/ ٧٢، برقم ٤٧٥٨، وصححه محققو المسند، ٣١/ ٢٦٣، ومحقق ابن حبان، ١١/ ٧٢، والألباني في التعليقات الحسان، ٢٥/ ٤٣٥، برقم ٤٧٣٨.

(٢) صحيح ابن حبان، ٥/ ٣٧٤، برقم ٢٠٢٧، وصححه محققو المسند، ٣١/ ٢٦٣، ومحقق ابن حبان، ١١/ ٧٢، والألباني في التعليقات الحسان، ٢٥/ ٤٣٥، برقم ٤٧٣٨، وصححه محقق ابن حبان، والألباني في التعليقات الحسان، ٦/ ١٤٧٢، برقم ٢٠٢٥.

(٣) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، في المفردة رقم ٦.

(٤) قال في القاموس هي بالفتح وبالكسر وبالضم..

«بك أحوّل» أي: أطالب، وبك أحوّل أي: أتحرّك، ولا حوّل أي: لا حركة»^(١).

٥- قوله: «وبك أصول» أي: أحمل على العدو حتى أغلبه وأستأصله»^(٢).

٦- قوله: «وبك أقاتل» أي: أعداء الملة الذين يصدون عن سبيلك، قال الصنعاني رحمه الله: «فالكل من الأفعال [أي: أحوّل، وأصول، وأجول، وأقاتل]: مستعان فيه تعالى فهو الأمر بقتال العدو ومنه تطلب الإعانة على قتاله»^(٣).

٧- قوله: «يروم هؤلاء»: يطلبون، فالروم من «رام الشيء يرومه روماً ومراماً: طلبه، ... والمرام المطلب... رومت فلاناً ورومت فلاناً إذا جعلته يطلب الشيء»^(٤).

٨- قوله: «أيام حنين»: وقت وزمان حنين، وهي المعركة التي حدثت بعد فتح مكة، وقد ذكرها القرآن الكريم، وفي رواية: «أيام خير»، وهي الغزوة التي فتح الله بها على نبيه مدينة خيبر، «... قد يراد باليوم الوقت مطلقاً؛ ومنه الحديث: «تلك أيام الهزج» أي: وقته، ولا يختصّ بالنهار دون الليل، واليوم الأيوم: آخر يوم في الشهر. ويوم أيوم ويوم ويوم؛ الأخيرة نادرة لأن القياس لا يوجب قلب الياء واواً، كله: طويل شديد هائل. ويوم ذو أيويم»^(٥).

٩- قوله: «فيستبيحهم»: يجعل أموالهم ونساءهم حلالاً، فيسبيحهم، وينهبهم، ويجعلهم له مباحاً، أي: لا تبعه عليه فيهم، يقال: أباحه يبيحه واستباحه يشبيحه»^(٦).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- النصير الحقيقي هو رب العالمين، فالواجب على أهل القبلة أن لا

(١) غريب الحديث لابن الجوزي، ١ / ٢٥٤.

(٢) انظر عون المعبود، ٤ / ١٦٣.

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨ / ٤٢٦.

(٤) لسان العرب، ١٢ / ٢٥٨، مادة (روم).

(٥) لسان العرب، ١٢ / ٦٥٠، مادة (يوم).

(٦) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ١ / ١٦٠، مادة (بوح).

تتعلق قلوبهم بغير الله ﷻ، قال تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾^(١).

٢- بيان شجاعة الرسول ﷺ حيث كان يياشر القتال بنفسه، ويعرضها للمهالك، كما حدث يوم أحد، وقد كان الصحابة إذا اشتد البأس يحتمون في ظهر النبي ﷺ^(٢).

٣- كان النبي ﷺ أشجع الناس يقول أنس ؓ: كان رسول الله ﷺ أشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق ناس قبل الصوت، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعاً، وقد سبقهم إلى الصوت، وهو على فرس لأبي طلحة في عنقه السيف، وهو يقول: «لم تراعوا، لم تراعوا» قال أنس: وجدناه بحرًا، أو إنه لبحر^(٣).

ومعنى «بحرًا»: أي: سريع العدو، ولا تراعوا أي: اطمئنوا.

قال النووي وفيه: بيان شجاعته ﷺ في الخروج للعدو قبل الناس كلهم بحيث كشف الحال ورجع قبل وصول الناس، وبيان معجزته بانقلاب الفرس سريعًا بعد أن كان يبطأ وغير ذلك^(٤).

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٠.

(٢) مختصر الشمائل المحمدية للألباني، وقال: إنه صحيح، لم أجدها الحديث في الموضع الذي أشار إليه الشارح، ولكن ما في المتن يؤيده ما ورد في صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، برقم ١٧٧٦: «جاء رجل إلى البراء ؓ، فقال: أكنتم ولستم يوم حنين يا أبا غمارة؟ فقال: أشهد على نبي الله ﷺ ما ولي، ولكنني أنطلق أخفاء من الناس، وحسرت إلى هذا الحَي من هوازن، وهم قوم رماة، فرمؤهم برشق من نبل، كأنها رجل من جراد، فأنكشفوا، فأقبل القوم إلى رسول الله ﷺ، وأبو سفيان بن الحارث يقدو به بغلته، فنزل، ودعا، واشتصر، وهو يقول:

أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ

اللَّهُمَّ نَزَّلْ نَصْرَكَ

قَالَ الْبَرَاءُ: كُنَّا وَاللَّهِ إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ نَتَّقِي بِهِ، وَإِنْ الشَّجَاعُ مَنَّا لِلَّذِي يُحَاذِي بِهِ، يَغْنِي النَّبِيُّ ﷺ.

(٣) مسلم، كتاب الفضائل، باب في شجاعة النبي ﷺ، وتقدمه للحرب، برقم ٢٣٠٧.

(٤) انظر مسلم بشرح النووي، ١٥ / ٦٨، فهناك فوائد أخر.



١٢٨- (٣) «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤٣٣- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه^(٢): «﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم حِينَ قَالُوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾»^(٣)^(٤).

٤٣٤- وفي لفظ آخر للبخاري: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ آخِرَ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»^(٥).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «حسبنا الله» أي: هو كافينا، وناصرنا، ومتولي أمورنا، قال في النهاية: «في أسماء الله تعالى: «الحَسِيب» هو الكافي، فعِل بمعنى مُفْعِل، من أَحَسَبَنِي الشَّيْءُ: إِذَا كَفَانِي، وَأَحَسَبْتُهُ، وَحَسَبْتُهُ -بالتشديد- أَعْطَيْتَهُ مَا يُرْضِيهِ، حَتَّى يَقُولَ حَسْبَنِي»^(٦)، وقال شيخ الإسلام في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا

(١) البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾، برقم ٤٥٦٣، وهو حديث موقوف، لم يرفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى، ٨/ ٥٣٩: «وَقَدْ ثَبِتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ «ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه فِي قَوْلِهِ: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ أَنَّهُ قَالَهَا: إِبْرَاهِيمُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم حِينَ قَالَ لَهُ النَّاسُ: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾».

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٣ من أحاديث الشرح.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.

(٤) البخاري، برقم ٤٥٦٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ برقم ٤٥٦٤.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٣٨١)، مادة (حسب).

النَّبِيِّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ^(١): «وَمَعْنَى ذَلِكَ عِنْدَ جَمَاهِيرِ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ أَنَّ اللَّهَ وَخَدَهُ حَسْبُكَ، وَحَسْبُ مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، كَمَا بَسِطَ ذَلِكَ بِالْأَدِلَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الرُّسُلَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هُمْ الْوَسَائِطُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ اللَّهِ فِي أَمْرِهِ، وَنَهْيِهِ، وَوَعْدِهِ، وَوَعِيدِهِ، فَالْحَلَالُ مَا أَحَلَّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَالْحَرَامُ مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَالِدَيْنِ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»^(٢).

وقال الفيومي: (حَسِبْتُ) زيدا قائماً (أَحْسَبُهُ) (حَسْبَانًا) بالكسر بمعنى ظننت، ويقال: (حَسْبُكَ) درهم، أي كافيك، و(أَحْسَبَنِي) الشيء بالآلف أي كفاني، و(الْحَسْبُ) بفتح الحاء ما يعدّ من المآثر، وهو مصدر (حَسَبَ) وزان شُرْفُ شرفاً، وكُزِمَ كرمًا، ورجل (حَسِيبٌ) كريم بنفسه، وأما المجد والشرف فلا يوصف بهما الشخص إلا إذا كانا فيه، وفي آباءه، وقال الأزهري (الْحَسْبُ) الشرف الثابت له ولآبائه، (فَالْحَسْبُ) الفعال له ولآبائه مأخوذ من الحساب، وهو عَدُّ المناقب لأنهم كانوا إذا تفاخروا حسب كل واحد مناقبه و مناقب آباءه^(٣).

وقال الإمام الطبري: «وأصل «الحسيب» في هذا الموضع عندي، «فعليل» من «الحساب» الذي هو في معنى الإحصاء، يقال منه: «حاسبت فلاناً على كذا وكذا»، و«فلان حاسبه على كذا»، و«هو حسيبه»، وذلك إذا كان صاحب حساب. وقد زعم بعض أهل البصرة من أهل اللغة: أن معنى «الحسيب» في هذا الموضع، الكافي، يقال منه: «أحسبني الشيء يُحسبني إحساباً»، بمعنى كفاني، من قولهم: «حسبي كذا وكذا، وهذا غلط من القول وخطأ. وذلك أنه لا يقال في «أحسبني الشيء»^(٤)، وقال شيخ الإسلام: «أَيُّ اللَّهِ وَخَدَهُ حَسْبُكَ، وَحَسْبُ

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٤.

(٢) تفسير الطبري، ٨ / ٥٩١.

(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١ / ١٣٤، مادة (حسب).

(٤) المرجع السابق.

الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ، وَمَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ وَالْمُؤْمِنِينَ حَسْبُكَ، فَقَدْ ضَلَّ، بَلْ قَوْلُهُ مِنْ جِنْسِ الْكُفْرَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ حَسْبُ كُلِّ مُؤْمِنٍ بِهِ، والحسب الكافي»^(١).

٢- قوله: «ونعم»: كلمة مدح وثناء. قال الفيروزآبادي: «ونعم الله تعالى بك، كسمع، ونعمك وأنعم بك عينا: أقرّ بك عين من تحبه، أو أقر عينك بمن تحبه، ونعم عين، ونعمة ونعام ونعيم بفتحهن، ونعمى ونعامى ونعام ونعم ونعمة بضمهن، ونعمة ونعام بكسرهما، وينصب الكل بإضمار الفعل، أي: أفعل ذلك إنعاماً لعينك، وإكراماً»^(٢).

٣- قوله: «الوكيل»: أي: المفوض إليه تدبير عبادته والقائم بمصالحهم^(٣). وقال شيخ الإسلام: «ونهى أن يتخذ من دونه وكيلاً؛ لأن المخلوق لا يستقل بجميع حاجات العبد، والوكالة الجائزة أن يوكل الإنسان في فعل يقدر عليه، فيحصل للموكل بذلك بعض مطلوبه، فأما مطالبه كلها، فلا يقدر عليها إلا الله، وذلك الذي يوكله لا يفعل شيئاً إلا بمشيئة الله ﷻ وقدرته، فليس له أن يتوكل عليه، وإن وكله بل يعتمد على الله في تيسير ما وكله فيه، فلو كان الذي يحصل للمتوكل على الله يحصل، وإن توكل على غيره، أو يحصل بلا توكل؛ لكان اتخاذ بعض المخلوقين وكيلاً أنفع من اتخاذ الخالق وكيلاً، وهذا من أقبح لوازم هذا القول الفاسد، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤)، أي: الله كافيك، وكافي من اتبعك من المؤمنين، فلو كانت كفايته للمؤمنين المتبعين للرسول؛ سواء اتبعوه أو لم يتبعوه، لم يكن للإيمان، واتباع الرسول، ثم أثر في هذه الكفاية، ولا كان

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ٢٦ / ١٥٨.

(٢) القاموس المحيط، ص: ١٥٠١، مادة (نعم).

(٣) تفسير السعدي، ص ١٥٧.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٦٤.

لتخصصهم بذلك معنى، وكان هذا نظير أن يقال: هو خالقك وخالق من اتبعك من المؤمنين، ومعلوم أن المراد خلاف ذلك»^(١).

٤- قوله: «قالها إبراهيم، وقالها محمد»: قال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام هما خليلان لله ﷻ، قال الله **﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾**^(٢)، وقال النبي ﷺ: «إن الله قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً»^(٣)، والخليل معناه الحبيب الذي بلغت محبته الغاية، ولا نعلم أن أحداً وصف بهذا الوصف، إلا محمد ﷺ، وإبراهيم، فهما الخليلان، ... لكن الخلّة لا نعلم أنها ثبتت إلا لمحمد وإبراهيم، وعلى هذا فنقول: الصواب أن يقال: إبراهيم خليل الله، ومحمد خليل الله، وموسى كليم الله، على أن محمداً قد كلمه الله ﷻ بدون واسطة»^(٤).

٥- قوله: «قالها إبراهيم حينما ألقى في النار» وذلك أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام دعا قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وأبوا وأصروا على الكفر والشرك، فقام ذات يوم على أصنامهم، فكسرها، وجعلهم جذاً إلا كبير لهم، فلما رجعوا وجدوا آلهتهم قد كسرت، فانتقموا، والعياذ بالله، لأنفسهم، فقالوا: ماذا نصنع بإبراهيم؟ **﴿قَالُوا خَرِّقُوهُ﴾** انتصاراً لآلهتهم **﴿وَأَنْضَرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾**^(٥)، فأوقدوا ناراً عظيمة جداً، ثم رموا إبراهيم في هذه النار، ويقال: إنهم لعظم النار لم يتمكنوا من القرب منها، وأنهم

(١) رسالة في تحقيق التوكل، ص: ٨٩.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٢٥.

(٣) مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، واتخاذ الصور فيها، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد، برقم ٥٣٢.

(٤) شرح رياض الصالحين، لابن العثيمين، شرح الحديث رقم ٧٦.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٦٨.

رموا إبراهيم فيها بالمنجنق من بعد، فلما رموه قال: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾^(١)، فما الذي حدث؟ قال الله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾^(٢)، برداً ضد حر، وسلاماً ضد هلاك؛ لأن النار حارة ومحرقة مهلكة، فأمر الله هذه النار أن تكون برداً وسلاماً عليه، فكانت برداً وسلاماً^(٣).

أما الخليل الثاني الذي قال: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾^(٤)، فهو النبي ﷺ وأصحابه حين رجعوا من أحد، قيل لهم: إن الناس قد جمعوا لكم، يريدون أن يأتوا إلى المدينة، ويقضوا عليكم، فقالوا: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾^(٥)، قال الله: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾^(٦)، فينبغي لكل إنسان رأى من الناس جمعاً، أو عدواناً، عليه أن يقول: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾، فإذا قال هكذا كفاه الله شرهم، كما كفى إبراهيم ومحمداً عليهما الصلاة والسلام، فاجعل هذه الكلمة دائماً على بالك، إذا رأيت من الناس عدواناً عليك، والله الموفق^(٧).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- الابتلاء سنة كونية وهو طريق التمكين، قال الشافعي: لا يُمْكِنُ الرجل حتى يتلى وقد تكرر للأنبياء جميعاً عليهم السلام.

٢- شدة بلاء أبي الأنبياء إبراهيم ﷺ لما فارق قومه وتبرأ مما يعبدون من دون

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٦٩.

(٣) شرح رياض الصالحين، لابن العثيمين، شرح الحديث رقم ٧٦.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٧٤.

(٧) شرح رياض الصالحين، لابن العثيمين، شرح الحديث رقم ٧٦.

الله وإظهار كرامته عند ربه لما ألقاه قومه في النار فكانت بردًا وسلامًا.

٣- تمام اليقين في نصر الله وتأيده عند سيد الخلق ومن كان معه من الصحابة الكرام لما حدث لهم ما حدث في غزوة أحد، ثم عادوا إلى المدينة وخوفهم الناس من أبي سفيان ومن معه، فندبهم إلى الخروج إلى «حمراء الأسد» فخرجوا - على ما بهم من الجراح - فلم يزداهم ذلك إلا إيمانًا وتوكلًا على الله^(١).

قال شيخ الإسلام: «فَهَذِهِ الزِّيَادَةُ عِنْدَ تَخْوِيفِهِمْ بِالْعَدُوِّ لَمْ تَكُنْ عِنْدَ آيَةِ نَزَلَتْ فَارْزَادُوا يَقِينًا وَتَوَكَّلًا عَلَى اللَّهِ وَثَبَاتًا عَلَى الْجِهَادِ وَتَوْحِيدًا بِأَنْ لَا يَخَافُوا الْمَخْلُوقَ ؛ بَلْ يَخَافُونَ الْخَالِقَ وَحْدَهُ»^(٢).

٤- وقال أيضًا: «يَتَضَمَّنُ الْأَمْرُ بِالرِّضَا وَالتَّوَكُّلِ، وَالرِّضَا وَالتَّوَكُّلُ يَكْتَفِيَانِ الْمَقْدُورَ، فَالتَّوَكُّلُ قَبْلَ وَقُوعِهِ، وَالرِّضَا بَعْدَ وَقُوعِهِ؛ وَلِهَذَا «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي الصَّلَاةِ: «اللَّهُمَّ بَعْلَمِكَ الْغَيْبُ، وَبِقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْيَيْ مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَشْيَتِكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا، وَأَسْأَلُكَ الْقَضْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ؛ وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَأَسْأَلُكَ الشُّوقَ إِلَى لِقَائِكَ مِنْ غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زِينَةَ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ» رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالتَّسَائِي مِنْ حَدِيثِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ^(٣)»^(١).

(١) شرح رياض الصالحين، لابن العثيمين: شرح الحديث رقم ٧٦.

(٢) مجموع الفتاوى، ٧ / ٢٢٨.

(٣) النسائي، برقم ١٣٠٤، وأحمد، برقم ١٨٣٢٥، وصححه الألباني في صحيح النسائي، ٢٨١/١، وتقدم

٥- قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: والتوكل أقسام:

أ- توكل اختيار: ويكون ذلك مع وجود السبب المفضي- إلى المراد، فإن كان السبب مأمورًا به ذم على تركه وإن قام بالسبب وترك التوكل ذم على ذلك أيضًا.

ب- توكل إجبار: بحيث لا يجد العبد ملجأ إلا التوكل بعد أن ضاقت عليه الأسباب، وهذا لا يتخلف عنه الفرج واليسير البتة.

ج- أما أعظم التوكل: هو التوكل على الله في الهداية وتجريد التوحيد ومتابعة الرسول ﷺ وجهاد أهل الباطل فهذا توكل الرسل وخاصة أتباعهم. وهذا يكون بالقلب أولاً ثم باللسان (٢).

د- «فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرَهُ لَمْ يَكُنْ مُسْتَعِينًا بِاللَّهِ عَلَى ذَلِكَ فَيَكُونُ قَدْ تَرَكَ الْعِبَادَةَ وَالْإِسْتِعَانَةَ عَلَيْهَا بَرَكَ التَّوَكُّلِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَيْضًا وَآخِرُ تَوَكُّلٍ بِلَا فِعْلٍ مَأْمُورٍ وَهَذَا هُوَ الْعَجْزُ الْمَذْمُومُ» (٣).

هـ - «فَنَهَى الْمُؤْمِنِينَ عَنْ خَوْفِ أَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ وَأَمَرَهُمْ بِخَوْفِهِ وَخَوْفِهِ يُوجِبُ فِعْلَ مَا أَمَرَ بِهِ وَتَرْكَ مَا نَهَى عَنْهُ وَالْإِسْتِعْفَارَ مِنَ الذُّنُوبِ وَحَيْثُ يَنْدَفِعُ الْبَلَاءُ وَيَنْتَصِرُ عَلَى الْأَعْدَاءِ فَلِهَذَا قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَا يَخَافَنَّ عَبْدٌ إِلَّا ذَنْبَهُ . وَإِنْ سَلِطَ عَلَيْهِ مَخْلُوقٌ فَمَا سَلِطَ عَلَيْهِ إِلَّا بِذُنُوبِهِ فَلْيَخَفِ اللَّهُ وَلْيَتُبْ مِنْ ذُنُوبِهِ الَّتِي

تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ٦٢.

(١) مجموع الفتاوى، ١٠ / ٣٧.

(٢) انظر: الفوائد، لابن القيم، ص ٨٦.

(٣) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ٨ / ١٧٧.

نَالَهُ بِهَا مَا نَالَهُ^(١).

٦- في هذا الحديث لفظ «الحسيب»، وله معنيان:

أ- الكافي أي: كافي المتوكلين عليه.

ب- المحاسب أي: المجازي عباده على ما فعلوه من خير أو شر^(٢).

وأن من أسماء الله الحسنى كذلك: «الوكيل»، وله معاني ثلاثة:

أ- الكفيل: لقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾^(٣) أي: كفيلاً بما وعدك.

ب- الكافي: لقوله: ﴿أَلَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾^(٤)، يقال: رباً ويقال: كافياً.

ج- الحفيظ: لقوله: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾^(٥).

أي: أن الله على كل ما خلق من شيء رقيب حفيظ^(٦).

قال القرطبي رحمه الله: فيجب على كل مؤمن أن يعلم أن كل ما لا بد له منه فالله عز وجل هو الوكيل والكفيل المتوكل بإيصاله إلى العبد، إما بنفسه، فيخلق له الشبع والري، كما يخلق الهداية في القلوب، أو بواسطة ملك أو غيره يوكل به^(٧).

٧- «حَسْبُنَا اللَّهُ أَيُّ: كَافَيْنَا اللَّهُ فِي دَفْعِ الْبَلَاءِ وَأَوْلَيْكَ أَمْرُوا أَنْ يَقُولُوا: حَسْبُنَا فِي جَلْبِ النِّعَمَاءِ فَهُوَ سُبْحَانَهُ كَافٍ عَبْدُهُ فِي إِزَالَةِ الشَّرِّ وَفِي إِنَالَةِ الْخَيْرِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ

(١) المرجع السابق، ٨ / ١٦٤.

(٢) تفسير السعدي، ص ٨٧٨.

(٣) سورة المزمل، الآية: ٩.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٢.

(٥) سورة الزمر، الآية: ٦٢.

(٦) انظر: النهج الأسمى للنجدي ١٢ / ٢٧.

(٧) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ١ / ٥٠٧، وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية،

عَبْدَهُ وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَى غَيْرِ اللَّهِ وَرَجَاهُ خُذِلَ مِنْ جِهَتِهِ وَحُرِمَ^(١).

٨- ما ذكره بعض أهل التفسير أن إبراهيم لما ألقى في النار موثقاً جاءه جبريل عليه السلام، فقال يا إبراهيم: أما لك حاجة؟ قال: أما منك فلا. قال جبريل: فسل ربك. قال إبراهيم: علمه بحالي يغنيه عن سؤالي، وهذا لا يصح، وقد قال الألباني: لا أصل له، وهو من الإسرائيليات، قال ابن تيمية: موضوع، وإلا فالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أشد الناس دعاءً لله في السراء فكيف بالضراء^(٢).

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ٨ / ١٦٥.

(٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة، ص ٢١.

٣٧- دُعَاءُ مَنْ خَافَ ظُلْمَ السُّلْطَانِ

١٢٩- (١) «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، كُنْ لِي جَارًا مِنْ فُلَانٍ بِنِ فُلَانٍ، وَأَخْزَابِهِ مِنْ خَلَائِقِكَ، أَنْ يَفْزُطَ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَوْ يَطْغَى، عَزَّ جَارُكَ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» (١).

الشرح:

أولاً: لفظ الأثر:

٤٣٥- قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه (٢): «إِذَا كَانَ عَلَى أَحَدِكُمْ إِمَامٌ يَخَافُ تَغَطُّسَهُ، أَوْ ظُلْمَهُ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، كُنْ لِي جَارًا مِنْ فُلَانٍ بِنِ فُلَانٍ، وَأَخْزَابِهِ مِنْ خَلَائِقِكَ، أَنْ يَفْزُطَ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ، أَوْ يَطْغَى، عَزَّ جَارُكَ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» (٣).

٤٣٦- ولفظ محمد بن فضيل: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (٤): «إِذَا كَانَ

(١) البخاري في الأدب المفرد، ص ٢٤٧، برقم ٧٠٧، والدعاء لمحمد بن فضيل الضبي، ص ٤٣، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، ص ٢٥٧، برقم ٥٤٨، وقال في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٦٧: «وهذا الموقوف يحتمل أن يكون في حكم المرفوع» وقال البيهقي في الدعوات الكبير، ٢/ ٦٢: «عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا تَخَوَّفَ الرَّجُلُ السُّلْطَانَ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، كُنْ لِي جَارًا مِنْ شَرِّ فُلَانٍ بِنِ فُلَانٍ - يُسَمِّي الَّذِي يُرِيدُ - وَشَرِّ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ، وَلِأَخْوَانِهِمْ، وَأَتْبَاعِهِمْ، أَنْ يَفْزُطَ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ، أَوْ يَطْغَى، عَزَّ جَارُكَ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» ورواه الحارث بن سويد عن عبد الله بن مسعود من قوله غير مرفوع» وأشار النووي في الأذكار إلى رواية ابن السني فقال: «روينا في كتاب ابن السني، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا خِفْتَ سُلْطَانًا أَوْ غَيْرَهُ، فَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَلِيمُ الْحَكِيمُ، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، عَزَّ جَارُكَ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ».

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث ١٢ من أحاديث الشرح.

(٣) الأدب المفرد، ص ٢٤٧، برقم ٧٠٧، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، ٥٤٨، وتقديم

تخریجه في تخريج حديث المتن.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث ١٢ من أحاديث الشرح.

على أحدكم إمام يخاف تغطرسه، وظلمه، فليتوضأ، وليصل ركعتين، ثم ليقل في دبر صلاته: «اللهم رب السموات السبع، ورب العرش العظيم، كن لي جاراً من فلان بن فلان، وأحزابه من الجن والإنس، أن يفرطوا علي، وأن يطفؤا، عزّ جارك، وجلّ ثناؤك، ولا إله إلا أنت»^(١).

٤٣٧- ولفظ الطبراني: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «إِذَا تَخَوَّفَ أَحَدُكُمْ السُّلْطَانَ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، كُنْ لِي جَارًا مِنْ شَرِّ فُلَانٍ بَنِ فُلَانٍ يَغْنِي الَّذِي يُرِيدُ، وَشَرِّ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ وَاتَّبَاعِهِمْ، أَنْ يَفْرُطَ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ، عَزَّ جَارُكَ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ»^(٢).

ثانياً: شرح مفردات الأثر:

١- قوله: «اللهم»: «بِمَعْنَى: يَا اللَّهُ، ... الْمِيمَ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أُولَها، وَالضَّمَّةُ الَّتِي فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الْإِسْمِ الْمُنَادَى الْمُفْرَدِ»^(٣).

٢- قوله: «اللهم رب السموات السبع» أي: وما فيهن من الملائكة، وغير ذلك من الجنود والخلائق التي لا يعلمها إلا أنت. قال ابن جرير رحمته الله: «إِنْ رِيكُم الَّذِي لَهُ عِبَادَةٌ كُلُّ شَيْءٍ، وَلَا تَنْبَغِي الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ، هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، وَانْفَرَدَ بِخَلْقِهِمَا بِغَيْرِ شَرِيكَ، وَلَا ظَهِيرٍ»^(٤).

٣- قوله: «ورب العرش العظيم»: صفة للعرش، وهو عز وجل ربّ لما دونه من

(١) الدعاء، لابن فضيل، ١/ ٤٤، وبنحوه ابن أبي شيبة، ٧/ ٢٤، هكذا روي بهذا اللفظ موقوفاً، وصحح الألباني هذه الرواية الموقوفة في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٦٧.

(٢) المعجم الكبير للطبراني، ١٠/ ١٥، برقم ٩٧٩٥، وصححه المنذري في الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٦٧، برقم ٣٣٨٤، وقواه الهيثمي في مجمع الزوائد، ٤/ ٤٣٤، وقد ضعفه الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة، ٥/ ٤٢١، وقال: «قال الحافظ ابن حجر في بذل الماعون، ق ١/ ٤٠: «سنده حسن».

(٣) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، في المفردة رقم ٦.

(٤) تفسير الطبري، ١٥/ ١٨، وتقدم في شرح مفردات حديث المتن رقم ١٠٧، المفردة رقم ٢.

المخلوقات، قال ابن جرير الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾^(١): «الذي يملك كل ما دونه، والملوك كلهم مماليكه وعبيده، وإنما عنى بوصفه جل ثناؤه نفسه بأنه «رب العرش العظيم»، الخبر عن جميع ما دونه أنهم عبيده، وفي ملكه وسلطانه؛ لأن «العرش العظيم»، إنما يكون للملوك، فوصف نفسه بأنه «ذو العرش» دون سائر خلقه، وأنه الملك العظيم دون غيره، وأن من دونه في سلطانه، وملكه، جارٍ عليه حكمه وقضاؤه»^(٢).

٤- قوله: «كن لي جارًا» أي: حاميًا وناصرًا، وفي اللسان: «وأَجَارَ الرجلَ إِجَارَةً وَجَارَةً؛ الأخيرة عَنْ كُرَاعٍ: خَفَرُهُ. وَاسْتَجَارَهُ: سَأَلَهُ أَنْ يُجِيرَهُ، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزُ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾^(٣)، قَالَ الزَّجَّاجُ: الْمَعْنَى إِنْ طَلَبَ مِنْكَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْحَرْبِ أَنْ تُجِيرَهُ مِنَ الْقَتْلِ إِلَى أَنْ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ، فَأَجِرْهُ، أَيْ أَمِّنْهُ، وَعَرَفَهُ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي يَتَّبِعُنْ بِهِ الْإِسْلَامَ، ﴿ثُمَّ أبلغه مَأْمَنَهُ﴾ لئلا يصاب بِسُوءٍ قَبْلَ انْتِهَائِهِ إِلَى مَأْمَنِهِ. وَيُقَالُ لِلَّذِي يَسْتَجِيرُ بِكَ: جَارٌ، وَلِلَّذِي يُجِيرُ: جَارٌ. وَالْجَارُ: الَّذِي أَجَرْتَهُ مِنْ أَنْ يَظْلِمَهُ ظَالِمٌ ... وَجَارُكَ: الْمُسْتَجِيرُ بِكَ. وَهُمْ جَارَةٌ مِنْ ذَلِكَ الْأَمْرِ»^(٤).

وقال الراغب: «يقال: استجرته فأجارني»^(٥).

٥- قوله: «من فلان بن فلان» أي: يسمي هذا الظالم باسمه واسم أبيه، قال ابن الأثير: «وفلان وفلانة: كناية عن الذكر والأنثى من الناس، فإن كنت

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٩.

(٢) تفسير الطبري، ١٤ / ٥٨٧.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٦.

(٤) لسان العرب، ٤ / ١٥٤، مادة (جور).

(٥) المفردات في غريب القرآن، ص ١٠٣، مادة (جور).

بهما عن غير الناس قلت: الْفُلان وَالْفُلانة»^(١).

٦- قوله: «وأحزابه» أي: أعوانه وأنصاره، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «الأحزاب: جمع حزب، وهم الذين يجتمعون من طوائف متفرقة، يتعاضدون على شيء»^(٢).

٧- قوله: «من خلأثك» أي: من خلقتك: جنهم، وإنسهم، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «الْخُلُق والخليقة: اسمان بمعنى: وهم الخلأثك كلهم، وقيل: الخلق: الناس، والخليقة: الدواب والبهائم»^(٣).

٨- قوله: «أن يفرط علي أحد منهم» أي: يعجل العقوبة ضرباً، أو حبساً، أو قتلاً، وهذا كقوله ﷺ في قصة فرعون مع موسى وهارون عليهما السلام: ﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾^(٤).

٩- قوله: «أو يطغى»: الطغيان هو مجاوزة الحد وهذا كقوله: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾^(٥) أي: زاد الماء عن حده، والمراد هو دعاء الله أن يجنب قائل هذا الدعاء أي إساءة قولية أو فعلية، قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ في تفسير (طغى): «أي: تمرّد، وزاد على الحد في الكفر، والفساد، والعلو في الأرض، والقهر»^(٦).

١٠- قوله: «عز جارك» أي: أن من كان في جوارك لا يقدر أحد عليه فهو عزيز بعزتك، وفي اللسان: «الجار، والمُجِير، والمُعِيدُ واحدٌ، وَمَنْ عَاذَ بِاللَّهِ، أَي اسْتَجَارَ بِهِ أَجَارَهُ اللهُ، وَمَنْ أَجَارَهُ اللهُ لَمْ يُوصَلْ إِلَيْهِ، وَهُوَ ﷻ يُجِيرُ، وَلَا

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٤٧٣، مادة (فل).

(٢) جامع الأصول، ٢/ ٥٦٩.

(٣) جامع الأصول، ١٠/ ٩١.

(٤) سورة طه، الآية: ٤٥.

(٥) سورة الحاقة، الآية: ١١.

(٦) تفسير السعدي، ص ٥٠٤.

يُجَارُ عَلَيْهِ، أَي: يُعِيدُ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ: ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾^(١)؛ أَي: لَنْ يَمْنَعَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ، وَالْجَارُ وَالْمُجِيرُ: هُوَ الَّذِي يَمْنَعُكَ وَيُجِيرُكَ، وَاسْتَجَارَهُ مِنْ فُلَانٍ فَأَجَارَهُ مِنْهُ، وَأَجَارَهُ اللَّهُ مِنَ الْعَذَابِ: أَنْقَذَهُ، وَفِي الْحَدِيثِ: «وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَدْنَاهُمْ»^(٢)؛ أَي: إِذَا أَجَارَ وَاحِدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: حُرًّا، أَوْ عَبْدًا، أَوْ امْرَأَةً وَاحِدًا، أَوْ جَمَاعَةً مِنَ الْكُفَّارِ، وَخَفَرَهُمْ، وَأَمَنَّهُمْ، جَازَ ذَلِكَ عَلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، لَا يَنْقُضُ عَلَيْهِ جَوَارُهُ وَأَمَانُهُ»^(٣).

«ولما استعظم حق الجار عقلاً وشرعاً، عبّر عن كل من يعظم حقه، أو يستعظم حق غيره بالجار ... ويقال استجرتَه فأجارني، ... وقد تصور من الجار معنى القرب، فقليل لمن يقرب من غيره: جاره، وجاوره»^(٤).

١١- قوله: «وجل ثناؤك» أَي: تكثر وتعاظم وتبارك الثناء عليك فأنت أهل لذلك مستحق له دون منازع، قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «اللَّهُ الْجَلِيلُ سُبْحَانَهُ، ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، جَلَّ جَلَالُ اللَّهِ، وَجَلَّالُ اللَّهِ: عَظُمَتُهُ، وَلَا يُقَالُ: الْجَلَالُ، إِلَّا لِلَّهِ، وَالْجَلِيلُ: مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَقَدَّسَ وَتَعَالَى، وَقَدْ يُوصَفُ بِهِ الْأَمْرُ الْعَظِيمُ، وَالرَّجُلُ ذُو الْقَدْرِ الْخَطِيرِ ... وَأَجَلَّهُ: عَظَّمَهُ، يُقَالُ: جَلَّ فُلَانٌ فِي عَيْنِي، أَي: عَظُمَ، وَأَجَلَلْتَهُ: رَأَيْتَهُ جَلِيلًا نَبِيلًا، وَأَجَلَلْتَهُ فِي الْمَرْتَبَةِ، وَأَجَلَلْتَهُ أَي: عَظَّمْتَهُ، وَجَلَّ فُلَانٌ يَجِلُّ، بِالْكَسْرِ، جَلَالَةً أَي: عَظُمَ قَدْرُهُ فَهُوَ جَلِيلٌ»^(٥)، وَأَمَّا الثَّناء فَقَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ أَيْضًا: «مَغْنَاةٌ: تَمْتَدُّ وَتَقْتَضِرُ ... وَأَثْنٌ عَلَيْهِ خَيْرٌ،

(١) سورة الجن، الآية: ٢٢.

(٢) أخرجه أحمد، ٢٨٨/١١، رقم ٦٦٩٢، والبيهقي، ٣٣٥/٦، وابن خزيمة، ٢٦/٤، رقم ٢٢٨٠،

وحسن إسناده محققو المسند، ٢٨٨/١١، والألباني في تعليقه على ابن خزيمة، ٢٦/٤، وفي

مشكاة المصابيح، ٢/٢٩٥.

(٣) لسان العرب، ٤/١٥٥، مادة (جور).

(٤) المفردات في غريب القرآن، ص ١٠٣.

(٥) لسان العرب، ١١/١١٦، مادة (جلل).

وَالِاسْمُ الثَّنَاءُ الْمُظْفَرُ: الثَّنَاءُ، مَمْدُودٌ، تَعَمَّدُكَ لثَنِي عَلَى إِنْسَانٍ بِحَسَنٍ أَوْ قَبِيحٍ، وَقَدْ طَارَ ثَنَاءُ فُلَانٍ أَيْ: ذَهَبَ فِي النَّاسِ، وَالْفِعْلُ: أَثْنَى فُلَانٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، ثُمَّ عَلَى الْمَخْلُوقِ يُثْنِي إِثْنَاءً، أَوْ ثَنَاءً^(١).

١٢- قوله: «لا إله إلا أنت»: أي: لا معبود بحق غيرك، ولا معروف بهذه المعرفة سواك^(٢)، قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إثبات للإلهية المطلقة لله تعالى على سبيل الحصر، بعد إثبات الملك له»^(٣).

١٣- قوله: «تَغَطَّرَسَ»: ظلم، وتكبر، وعلا على من دونه، قال في اللسان: «الْعَطْرَسَةُ، وَالتَّغَطَّرَسُ: الإِعْجَابُ بِالشَّيْءِ، وَالتَّطَاوُلُ عَلَى الْأَقْرَانِ، ... وَقِيلَ: هُوَ الظُّلْمُ، وَالتَّكَبُّرُ، وَالْغَطْرَسُ، وَالْغَطْرِيْسُ، وَالمُتَغَطَّرَسُ: الظَّالِمُ، المَتَكَبِّرُ، ... التَّغَطَّرَسُ: الكِبَرُ... تَغَطَّرَسَ فِي مِشْيَتِهِ: إِذَا تَبَخَّثَرَ، وَتَغَطَّرَسَ إِذَا تَعَسَّفَ الطَّرِيقَ»^(٤).

١٤- قوله: «تَخَوَّفَ»: توقع منه القتل أو الظلم، «والخوف أيضاً: القتل، قيل: ومنه: ﴿وَلَتَبْلُوَنَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ﴾^(٥)، والقتال، ومنه: ﴿فَلِإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ﴾^(٦)، ... ورجل خاف: شديد الخوف، ... وخفته كقلته: غلبته بالخوف، وطريق مخوف: يخاف فيه، ووجع مخيف؛ لأن الطريق لا تخيف، وإنما يخيف قاطعها، والمخيف: الأسد، وحائط مخيف: إذا خفت أن يقع عليك، وخوفه: أخافه، أو صيَّره بحال يخافه الناس»^(٧).

(١) لسان العرب، ١٤ / ١٢٤، مادة (ثني).

(٢) المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٣٣ / ٧.

(٣) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣ / ٩٩٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٢ من مفردات حديث المتن رقم ٢٩.

(٤) لسان العرب، ٦ / ١٥٥، مادة (غطرس).

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٥٥.

(٦) سورة الأحزاب، الآية: ١٩.

(٧) القاموس المحيط، ص ١٠٤٦، مادة (خوف).

١٥- قوله: «يسطو»: السطو: البطش والظلم، «والسَطُو: أن يَسْطُو الرجلُ على غيره بالضرب والشَّتم والإساءة»^(١).

وقال العيني: «السطوة: يقال: سطا عليه، وسطا به، إذا تناوله بالبطش، والعنف، والشدة، أي: يكادون يقعون بمحمد وأصحابه من شدة الغيظ، ويبسطون إليهم أيديهم بالسوء»^(٢).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- الدنيا دار بلاء واختبار، وهي ما صفت لأحد، لا لنبي، ولا لولي فكيف بمن دونهم؟ ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾^(٣).

٢- على قدر التوكل تكون الكفاية من الله ﴿الْيَسَّ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾^(٤)، فعلى العبد أن يجاهد نفسه في طاعة ربه، وإلا أجهدته الله بما لا يطيقه.

٣- المؤمن يعيش حياته على منهج الله؛ فإن أصابه خير شكر، وإن أصابته بلية صبر، وبذلك تنقلب البلية في حقه عطية، والمحنة في حقه منحة.

٤- بيان مكانة الالتجاء إلى الله، والاستعاذة به سبحانه؛ لأن ذلك ينجي به الله من الشدائد.



١٣٠- (٢) «اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَعَزُّ مِنْ خَلْقِهِ جَمِيعاً، اللَّهُ أَعَزُّ مِمَّا أَخَافُ وَأَحْذَرُ، أَعُوذُ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، الْمُمْسِكِ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ أَنْ يَقَعْنَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، مِنْ شَرِّ عَبْدِكَ فَلَانٍ،

(١) غريب الحديث لابن سلام، ٤/ ٤٥٠.

(٢) عمدة القاري للعيني، ١٩/ ٦٦.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٢.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٣٦.

وَجُنُودِهِ وَأَتْبَاعِهِ وَأَشْيَاعِهِ، مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، اللَّهُمَّ كُنْ لِي جَارًا
مِنْ شَرِّهِمْ، جَلَّ ثَنَاؤُكَ وَعَزَّ جَارُكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَلَا إِلَهَ
غَيْرُكَ» (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ)^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الأثر:

٤٣٨- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا^(٢)، قَالَ: «إِذَا أَتَيْتَ سُلْطَانًا مَهِيئًا تَخَافُ أَنْ
يَسْطُوَ عَلَيْكَ فَقُلْ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَعَزُّ مِنْ خَلْقِهِ جَمِيعًا، اللَّهُ أَعَزُّ مِمَّا أَخَافُ،
وَأَحْذَرُ، أَعُوذُ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، الْمُمْسِكُ السَّمَوَاتِ السَّنِيعِ أَنْ يَقَعْنَ
عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، مِنْ شَرِّ عَبْدِكَ فُلَانٍ، وَجُنُودِهِ، وَأَتْبَاعِهِ، وَأَشْيَاعِهِ مِنَ
الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، اللَّهُمَّ كُنْ لِي جَارًا مِنْ شَرِّهِمْ، جَلَّ ثَنَاؤُكَ، وَعَزَّ جَارُكَ،
وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ^(٣).

ثانياً: شرح مفردات الأثر:

١- قوله: «اللَّهُ أَكْبَرُ» أي: أكبر من كل كبير فهو عَلَى كبير الشأن، كبير القدر،
كبير عن مشابهة أحد من خلقه، وقال ابن الأثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «معناه الله الكبير، وقال
النحويون: معناه الله أكبر من كل شيء»^(٤).

(١) البخاري في الأدب المفرد برقم ٧٠٨، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٥٤٦،
وانظر: تخريج حديث المتن السابق.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث ٣٣ من أحاديث الشرح.

(٣) الأدب المفرد للبخاري، ٢٤٧، برقم ٧٠٨، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب،
٢ / ٢٦٧، وصحيح الأدب المفرد، برقم ٥٤٩.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٤ / ٥٢، مادة (كبر)، وتقدم في شرح المفردة رقم ٨
من مفردات حديث المتن رقم ٢.

٢- قوله: «الله أعز من خلقه جميعاً»: لأنه هو الذي له العزة التامة، وله تمام الرفعة، والغلبة، والمنعة وكل من سواه مقهور مربوب، قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «أي: ذو قوة عظيمة، سخر بها المخلوقات، فلم يستعص عليه شيء منها، بل هي منقادة لعزته خاضعة لجلاله»^(١).

٣- قوله: «الله أعز مما أخاف وأحذر» أي: من المخلوقين فكلهم عبيد قائمون به، قال الفيومي رَحِمَهُ اللهُ: «أَخَافُنِي الْأَمْرُ فَهُوَ مُخِيفٌ - بِضَمِّ الْمِيمِ - اسْمُ فَاعِلٍ؛ فَإِنَّهُ يُخِيفُ مَنْ يَرَاهُ... يُقَالُ: أَخَفْتُهُ الْأَمْرَ فَخَافَهُ، وَخَوْفُهُ إِيَّاهُ فَتَخَوَّفَهُ»^(٢)، وقال في الحذر: «حَذِرَ حَذَرًا... بِمَعْنَى اسْتَعَدَّ، وَتَأَهَّبَ فَهُوَ حَاذِرٌ، وَحَذِرٌ، وَالِاسْمُ مِنْهُ الْحَذَرُ، مِثْلُ: حَمَلٍ وَحَذِرِ الشَّيْءِ: إِذَا خَافَهُ»^(٣).

٤- قوله: «أعوذ بالله» أي: ألجأ إليه وأتحصن به»^(٤).

٥- قوله: «الذي لا إله إلا هو»: قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «الذي له جميع معاني الألوهية، وأنه لا يستحق الألوهية والعبودية إلا هو، فألوهية غيره، وعبادة غيره باطلة»^(٥).

٦- قوله: «الممسك السموات السبع أن يقعن على الأرض»: أن يقعن على الأرض إلا بإذنه: إشارة إلى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾^(٦)، قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «فلولا رحمته، وقدرته، لسقطت السماء على الأرض، فتلَف ما

(١) تفسير السعدي، ص ١١٢.

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١/ ١٨٤، مادة (خوف).

(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١/ ١٢٦، مادة (حذر).

(٤) عمدة القاري، ٤/ ١٧٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من مفردات حديث المتن رقم ٢٠.

(٥) تفسير السعدي، ص ٩٥٣، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من تفسير آية الكرسي في حديث المتن رقم ٧١.

(٦) سورة فاطر، الآية: ٤١.

عليها، وهلك من فيها»^(١)، وقال في موضع آخر ﷺ: «...كمال قدرته، وتمام رحمته، وسعة حلمه ومغفرته، وأنه تعالى يمسك السماوات والأرض عن الزوال، فإنهما لو زالتا ما أمسكهما أحد من الخلق، ولعجزت قدرهم وقواهم عنهما، ولكنه تعالى، قضى أن يكونا كما وجدا، ليحصل للخلق القرار، والنفع، والاعتبار، وليعلموا من عظيم سلطانه وقوة قدرته، ما به تمتلئ قلوبهم له إجلالا وتعظيما، ومحبة وتكريما، وليعلموا كمال حلمه ومغفرته، بإمهال المذنبين، وعدم معاجلته للعاصين، مع أنه لو أمر السماء لحصبتهم، ولو أذن للأرض لابتلعتهم، ولكن وسعتهم مغفرته، وحلمه، وكرمه»^(٢).

٧- قوله: «من شر عبدك فلان»: قال الشوكاني ﷺ: «من شر فلان بن فلان الذي يريد، وشر الجن والإنس، وأتباعهم أن يفرط علي أحد منهم»^(٣).

٨- قوله: «وجنوده»: قال ابن منظور ﷺ: «الجند: الأعوان، والأنصار، والجند: العسكر، والجمع أجناد»^(٤).

٩- قوله: «أشياعه من الجن والإنس»: هم الأتباع، والأنصار على نفس المنهج. قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾^(٥) أي: من أنصار لوط عليه السلام، قال الراغب الأصفهاني ﷺ: الجن: «شرار: وهم الشياطين»^(٦)، والإنس قال الراغب فيها: «الإنسي منسوب إلى الإنس، يقال ذلك لمن كثر أنسه، ولكل ما يؤنس به، ... والإنسي من كل شيء: ما يلي الإنسان،

(١) تفسير السعدي، ص ٥٤٤.

(٢) تفسير السعدي، ص ٦٩١.

(٣) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين، ص: ٣٠٣.

(٤) لسان العرب، ٣ / ١٣٢، مادة (جند).

(٥) سورة الصافات، الآية: ٨٣.

(٦) مفردات ألفاظ القرآن، ١ / ١٩٣، مادة (جن).

والوحشي: ما يلي الجانب الآخر له»^(١).

١٠- قوله: «جل ثناؤك»: قال ابن منظور رحمته الله: «جَلَالُ اللَّهِ: عَظَمَتُهُ، وَلَا يُقَالُ: الْجَلَالُ، إِلَّا لِلَّهِ، وَالْجَلِيلُ: مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَقَدَّسَ وَتَعَالَى»^(٢)، وأما الشاء فقال ابن منظور أيضاً: «مَعْنَاهُ: تَمْتَدِّحُ وَتَفْتَحِرُ... وَأَثْنَى عَلَيْهِ خَيْرًا، وَالْإِسْمُ الشَّاءُ الْمُظْفَرُ: الشَّاءُ، مَمْدُودٌ، تَعَمَّدُكَ لَشْنِي عَلَى إِنْسَانٍ بِحَسَنٍ أَوْ قَبِيحٍ»^(٣).

١١- قوله: «عَزَّ جَارُكَ»: أَي: لَا يُضَامُ مَنْ لَجَأَ إِلَيْكَ، وَاعْتَصَمَ بِكَ»^(٤)، وقال الراغب الأصفهاني رحمته الله: «ولما استعظم حق الجار عقلاً وشرعاً، عبّر عن كل من يعظم حقه، أو يستعظم حق غيره بالجار... ويقال استجرته فأجارني،... وقد تصور من الجار معنى القرب، فقل لمن يقرب من غيره: جاره، وجاوره»^(٥).

١٢- قوله: «تبارك اسمك» أي: تعالى وتعاضم وكثرت بركاته في السموات والأرض، إذ به تقوم وبه تستنزل الخيرات»^(٦).

١٣- قوله: «لا إله غيرك»: أي: لا معبود بحق غيرك، ولا معروف بهذه المعرفة سواك»^(٧)، قال الطيبي رحمته الله: «إثبات للإلهية المطلقة لله تعالى على سبيل الحصر، بعد إثبات الملك له»^(٨).

(١) مفردات ألفاظ القرآن، ١/ ٥٣، مادة (أنس).

(٢) لسان العرب، ١١/ ١١٦، مادة (جلل).

(٣) لسان العرب، ١٤/ ١٢٤، مادة (ثني)، وتقدم في شرح مفردات حديث المتن رقم ١٢٩، المفردة رقم ١١.

(٤) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، ٢/ ٣٠٣.

(٥) المفردات في غريب القرآن، ص ١٠٣، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٠ من حديث المتن رقم ١٢٩.

(٦) العلم الهيب، ص ٢٦٢.

(٧) المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٧/ ٣٣.

(٨) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ٩٩٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٢ من

مفردات حديث المتن رقم ١٢٩.

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- مقدمة وتصدير الدعاء بالثناء على الله ﷻ وتوحيده، «قال الطيبي: صدر الثناء بذكر الرب؛ ليناسب كشف الكرب؛ لأنه مقتضى التربية «لا إله إلا الله رب السموات السبع، ورب الأرض، ورب العرش الكريم»، قالوا: هذا دعاء جليل، ينبغي الاعتناء به، والإكثار منه عند العظائم، فيه: التهليل المشتمل على التوحيد، وهو أصل التنزيهات الجلالية، والعظمة الدالة على تمام القدرة، والحلم الدال على العلم؛ إذ الجاهل لا يتصور منه حلم ولا كرم، وهما أصل الأوصاف الإكرامية، قال الإمام ابن جرير: كان السلف يدعون به، ويسمونه دعاء الكرب، وهو وإن كان ذكراً؛ لكنه بمنزلة الدعاء»^(١).

٢- التكبر لا يليق إلا بالله ﷻ، فصفة السيد: التكبر، والترفع، أما العبد، فصفته: التذلل، والخشوع، والخضوع؛ ولذلك فهو تعالى أكبر من يعرف كنه كبريائه، وأكبر من أن نحيط به علماً^(٢) قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾^(٣).

٣- يقين المسلم أن ربه هو العزيز، يبعث في نفسه إيماناً صادقاً بأن النصر من عند الله وحده، فيأخذ بأسبابه، ولا يقع في أسباب منعه، أو تأخيرهِ.

٤- بيان عظيم قدرة الله مع تمام لطفه بخلقه، بإمساكه للسموات والأرض أن تزولا، ولو حدث ذلك لانهار نظام الكون، وهو يحلم على خلقه بصبره على معاصيهم، ويدعوهم إلى التوبة كما ختم الآية ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾^(٤).

٥- قال ابن القيم رحمه الله في بيان اسم الله «العزيز»:

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٥ / ٢٧١.

(٢) النهج الأسمي، للنجدي، ١ / ١٥٤.

(٣) سورة طه، الآية: ١١٠.

(٤) سورة فاطر، الآية: ٤١.

وهو العزيز فلن يرام جنابه
وهو العزيز القاهر الغلاب لم
وهو العزيز بقوة هي وصفه
وهي التي كملت له سبحانه
أنى يرام جناب ذي السلطان
يغلبه شيء هذه صفتان
فالعز حيثئذ ثلاث معان
من كل وجه عادم النقصان^(١)

(١) النونية، لابن القيم، ٢/٢١٨.

٣٨- الدعاء على العدو

١٣١- «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، اهْزِمِ الْأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ، وَزَلِّزْلَهُمْ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤٣٩- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنه^(٢)، قَالَ: دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْأَحْزَابِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ، مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، اهْزِمِ الْأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ، اهْزِمْهُمْ وَزَلِّزْلَهُمْ»^(٣)، وهذا لفظ البخاري، ومسلم.

٤٤٠- وفي لفظ آخر لمسلم: عَنْ كِتَابِ رَجُلٍ مِنْ أَسْلَمَ، مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى، فَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ حِينَ سَارَ إِلَى الْحَزْوَرِيَّةِ يُخْبِرُهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا الْعَدُوَّ، يَنْتَظِرُ حَتَّى إِذَا مَالَتِ الشَّمْسُ، قَامَ فِيهِمْ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ الشُّيُوفِ»، ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمِ الْأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ، وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ»^(٤).

٤٤١- وأخرج أحمد عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى، قَالَ: اعْتَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ فَطَافَ

(١) البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة، برقم ٢٩٣٣، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو، برقم ١٧٤٢.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١٥٦ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري، برقم ٢٩٣٣، ومسلم، برقم ٢١- (١٧٤٢)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو، برقم ٢٠- (١٧٤٢).

بِالْبَيْتِ، وَطُفْنَا مَعَهُ، وَصَلَّى خَلْفَ الْمَقَامِ، وَصَلَّيْنَا مَعَهُ، ثُمَّ خَرَجَ فَطَافَ بَيْنَ الصُّفَا وَالْمَزَوَّةِ، وَنَحْنُ مَعَهُ نَسْتُرُهُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، لَا يَزِمِيهِ أَحَدٌ، أَوْ يُصِيبُهُ أَحَدٌ بِشَيْءٍ، قَالَ: فَدَعَا عَلَى الْأَخْزَابِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، هَازِمَ الْأَخْزَابِ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلِّزْلَهُمْ»، قَالَ: وَرَأَيْتُ بِيَدِهِ ضَرْبَةً عَلَى سَاعِدِهِ، فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ؟ قَالَ: ضَرَبْتُهَا يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَقُلْتُ لَهُ: أَشْهَدْتُ مَعَهُ حُنَيْنًا؟ قَالَ: نَعَمْ، وَقَبْلَ ذَلِكَ»^(١).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللَّهُمَّ»: (بِمَعْنَى: يَا اللَّهُ، ... الْمِيمَ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أُولَها، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الْإِسْمِ الْمُنَادَى الْمُفْرَدِ)^(٢).

٢- قوله: «منزل الكتاب» أي: القرآن العظيم، والذي يشمل الإيمان بكل كتاب أنزله الله من قبل، قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «توسل بإنزال الكتاب، وهو القرآن الكريم، أو يشمل كل كتاب، ويكون المراد به الجنس، أي: منزل الكتب على محمد، وعلى غيره»^(٣).

٣- قوله: «سريع الحساب» أي: مجازي العباد على أعمالهم، ومحاسبهم عليها في وقت واحد، كما يرزقهم في وقت واحد، ويسمعهم في وقت واحد على اختلاف اللّهجات والمطالب، قال العلامة العثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «يعني يا سريع الحساب إما أن يراد به أنه سريع حسابه بمجيء وقته وإما أنه سريع في الحساب»^(٤).

(١) مسند أحمد، ٣١/ ٤٧٥، برقم ١٩١٣١، وابن خزيمة، ٤/ ٢٣٨، برقم ٢٧٧٥، وابن حبان، ١٥٢/ ٩، برقم ٣٨٤٣، وصححه محققو المسند، ومحقق ابن خزيمة، ومحقق ابن حبان، والألباني في التعليقات الحسان، ٦/ ٥٥، برقم ٣٨٣٣.

(٢) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، في المفردة رقم ٦.

(٣) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٥٢.

(٤) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٥٢.

٤- قوله: «اهزم الأحزاب» أي: الكفار الذين اجتمعوا لقتالنا، وإطفاء نورك، قال القرطبي رحمه الله: «والأحزاب: جمع حزب، وهم الجمع، والقطعة من الناس، ويعني بهم الذين تحزبوا عليه في المدينة، فهزمهم الله تعالى بالريح، ووصف الله بأنه سريع الحساب، يعني به: يعلم الأعداد المتناهية، وغيرها في آن واحد، فلا يحتاج في ذلك إلى فكر، ولا عقد، كما يفعله الحُساب منّا»^(١).

٥- قوله: «وزلزلهم» أي: أزعجهم، وحركهم بالشدائد^(٢)، وأنزل عليهم بأسك الذي لا يرد، وقال القاضي عياض رحمه الله: «والزلال والزلزلة: الشدائد التي تحرك الناس، قال الله ﷻ: ﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾»^(٣)»^(٤).

٦- قوله: «لا تتمنوا لقاء العدو»: قال الحافظ ابن حجر: «لما كان لقاء الموت من أشق الأشياء على النفس، وكانت الأمور الغائبة ليست كالأمر المحققة، لم يؤمن أن يكون عند الوقوع كما ينبغي، فيكره التمني لذلك؛ ولما فيه لو وقع من احتمال أن يخالف الإنسان ما وعد من نفسه، ثم أمر بالصبر عند وقوع الحقيقة»^(٥).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «وهذا دعاء ينبغي للمجاهد أن يدعو به إذا لقي العدو، فهنا توسل الرسول عليه الصلاة والسلام بالآيات الشرعية، والآيات الكونية توسل بإنزال الكتاب، وهو القرآن الكريم، أو يشمل كل كتاب، ويكون

(١) المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٥٧ / ١١.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ٧٤ / ١٢.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ١١.

(٤) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض، ٢٢ / ٦.

(٥) فتح الباري، لابن حجر، ١٥٧ / ٦.

المراد به الجنس، أي منزل الكتب على محمد وعلى غيره.

٢- ومجري السحاب هذه آية كونية، فالسحاب المسخر بين السماء والأرض لا يجريه إلا الله ﷻ لو اجتمعت الأمم كلها بآلاتها ومعداتنا على أن تجري هذا السحاب، أو أن تصرف وجهه ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، وإنما يجريه من إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون»^(١).

٣- إثبات علو الله ﷻ، وأنه مستوٍ على عرشه، بائن من خلقه، وذلك لأن الإنزال لا يكون إلا من أعلى، وهذا كقوله: ﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾^(٢) والأدلة على ذلك كثيرة.

٤- قال الحافظ في الفتح^(٣): «أشار بهذا الدعاء إلى وجوه النصر عليهم في الكتاب إلى قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾^(٤).

وبمجري السحاب إلى القدرة الظاهرة في تسخير السحاب حيث:

أ- يحرك الريح بمشيئته تعالى.

ب- وحيث يستمر في مكانه مع هبوب الريح.

ج- وحيث تمطر تارة، وأخرى لا تمطر.

فأشار بحركته إلى إعانة المجاهدين في حركتهم في القتال، وبوقوفه إلى إمساك أيدي الكفار عنهم، وبإنزال المطر إلى غنيمة ما معهم حيث يتفق قتلهم وبعدمه إلى هزيمتهم حيث لا يحصل الظفر بشيء منهم وكلها أحوال صالحة للمسلمين.

(١) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٥٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣.

(٣) فتح الباري، ٦/ ٢٠٠.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٤.

٥- أشار بهازم الأحزاب إلى التوسل بالنعمة السابقة، وإلى تجريد التوكل، واعتقاد أن الله هو المتفرد بالفعل، وفيه التنبيه على عظم هذه النعم الثلاث؛ فإن يأنزال الكتب حصلت النعمة الأخروية، وهي الإسلام، ويأجاء السحاب حصلت النعمة الدنيوية، وهي الرزق، وبهزيمة الأحزاب حصل حفظ نعمتين^(١).

٦- مشروعية الدعاء عند قتال الكفار، والتوسل إلى الله بهذه الكلمات، وهذا الوقت من الأوقات التي هي مظنة الإجابة؛ لقوله ﷺ: «ساعتان تفتح أبواب السماء، وقلمًا ترد على داع دعوته: لحضور الصلاة، والصف في سبيل الله»^(٢)، وقد ورد أن النبي ﷺ قال هذا الدعاء يوم الخندق^(٣)، وهذا الحديث من جوامع كلمه ﷺ.

٧- هذا الدعاء هو أحد آداب القتال، قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «وقد جمع الله ﷻ آداب القتال في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ»^(٤).

٨- جاء في بعض ألفاظ هذا الدعاء أن الرسول ﷺ قاله في بعض أيامه التي لقي فيها العدو، حيث انتظر حتى مالت الشمس، ثم قام في الناس فقال: «أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموهم

(١) انظر: فتح الباري، ٦/ ١٥٧.

(٢) الطبراني في الكبير، ٦/ ١٤٠، برقم ٥٧٧٤، ورواه الإمام مالك كما في التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر، ٢١/ ١٣٨، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ٣٥٨٧.

(٣) البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، برقم ٤١١٥.

(٤) سورة الأنفال، الآيات: ٤٥ - ٤٧.

فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف» ثم قال هذا الدعاء^(١).
أما انتظاره حتى تزول الشمس لأنه أمكن للقتال؛ ولأن فيه أوقات الصلاة،
والدعاء عندها، وأما النهي عن تمني لقاء العدو؛ لأن المرء لا يعلم ما سيؤول
إليه الأمر، أو لما فيه من صورة الإعجاب، والاتكال على النفس، أما إذا وقع،
فقد جاء الأمر بالصبر^(٢).

٩- وقوله: «اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، سريع
الحساب»، دليل على جواز السَّجْع في الدعاء إذا لم يتكلف^(٣)، وقال: إنما نهى
عن السَّجْع في الدعاء، والله أعلم؛ لأن طلب السَّجْع فيه تكلف ومشقة، وذلك
مانع من الخشوع، وإخلاص التضرع لله تعالى، وقد جاء في الحديث: «أن الله
لا يقبل دعاء من قلب غافل لاه»^(٤)، وطالب السَّجْع في دعائه همته في تزويج
الكلام وسجعه، ومن شغل فكره، وكد خاطره بتكلفه، فقلبه عن الخشوع غافل
لاه؛ لقول الله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾^(٥)، فإن قيل: فقد
وجد في دعاء النبي ﷺ نحو ما نهى عنه ابن عباس رضي الله عنه، وهو قوله: «اللهم
منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب»، وقال في تعويد حسن أو

(١) البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب لا تمنوا لقاء العدو، برقم ٣٠٢٥، ٣٠٢٦، وفي كتاب التمني،
باب كراهية تمني لقاء العدو، برقم ٧٢٣٧.

(٢) انظر: فتح الباري في مواضع شتى، مثل: ٦/ ١٥٦، و ١٠/ ١٩٠.

(٣) انظر: المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ١١/ ٥٧.

(٤) هذا اللفظ في الحاكم، ومسنَد البزار، ١٧/ ٣٠٧، والحاكم، ١/ ٦٧٠، وقال: «مستقيم الإسناد» وأخرجه
الترمذي بلفظ: «وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلْبٌ غَافِلٌ لَّاهٍ» كتاب الدعوات، باب حدثنا عبد
الله، برقم ٣٤٧٩، وقال: «حديث غريب» والطبراني في الأوسط، ٥/ ٢١١، برقم ٥١٠٩، وحسنه الألباني
في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ١٣٣، برقم ١٦٥٣.

(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٤.

حسين: «أعيذه من الهامة، والسامة، وكل عين لامة»^(١)، وإنما أراد مُلَمَّةً، فللمقاربة بين الألفاظ، وإتباع الكلمة أخواتها في الوزن قال: «لامة»، قيل: هذا يدل أن نهيه ﷺ عن السجع، إنما أراد به من يتكلف السجع في حين دعائه، فيمنعه من الخشوع كما قدمنا، وأما إذا تكلم به طبعاً من غير مؤنة، ولا تكلف، أو حفظه قبل وقت دعائه مسجوعاً، فلا يدخل في النهي عنه؛ لأنه لا فرق حينئذ بين المسجوع وغيره؛ لأنه لا يتكلف صنعته وقت الدعاء، فلا يمنعه ذلك من إخلاص الدعاء، والخشوع، والله أعلم^(٢).

وقال الحافظ: «المَكْرُوه مِنَ السَّجْعِ هُوَ الْمُتَكَلِّفُ؛ لَأَنَّهُ لَا يُلَاقِمُ الضَّرَاعَةَ، وَالذَّلَّةَ، وَإِلَّا فَفِي الْأَدْعِيَةِ الْمَأْثُورَةِ كَلِمَاتٌ مُتَوَازِيَةٌ؛ لَكِنَّهَا غَيْرُ مُتَكَلِّفَةٍ، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: وَإِنَّمَا كَرِهَهُ ﷺ لِإِمْشَاكَلَتِهِ كَلَامَ الْكَهَنَةِ، كَمَا فِي قِصَّةِ الْمَرْأَةِ مِنْ هَذِيلَ، وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ وَغَيْرُهُ: أَصْلُ السَّجْعِ الْقَصْدُ الْمُسْتَوِيُّ، سَوَاءٌ كَانَ فِي الْكَلَامِ أَمْ غَيْرُهُ»^(٣).

(١) هذه رواية ابن سعد، عن ابن عباس، ورواه ابن عساکر في تاريخه ١٣٠ / ٢٢٤، عن ابن مسعود، وفي صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حدثنا موسى بن إسماعيل، برقم ٣٣٧١، ولفظه: «عن ابن عباس رضيهما قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَيَقُولُ: «إِنَّ أَبَاكَمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ، وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ غَيِّنٍ لَامَةٍ».

(٢) انظر: شرح صحيح البخاري، لابن بطال، ٩٨ / ١٠.

(٣) فتح الباري، لابن حجر، ١١ / ١٣٩.

٣٩- مَا يَقُولُ مَنْ خَافَ قَوْمًا

١٣٢- «اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤٤٢- عَنْ ضَهَبٍ رضي الله عنه^(٢)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبُرَ، قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَأَبْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أَعْلِمُهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ، إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ، وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعْجَبَهُ، فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرْبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبْسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبْسَنِي السَّاحِرُ، فَيَنْمَما هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتْ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ السَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمْ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجْرًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ، حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيُّ بُنْيَ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنْ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهِدَايَا كَثِيرَةً، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ

(١) مسلم، كتاب الزهد، باب قصة أصحاب الأخدود، برقم ٣٠٠٥، والترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة البروج بسم الله الرحمن الرحيم، برقم ٣٣٤٠، وأحمد، ٤٥١/٣٩، برقم ٢٣٩٣١، وابن حبان، ١٥٤/٣، برقم ٨٧٣، والبيهقي في شعب الإيمان، ٢٤٠/٢، برقم ١٦٣٤، وصححه محققو المسند ٤٥٥/٣٩، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٤٤٦١.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٣١ من أحاديث الشرح.

أَنْتَ شَفِيتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ، فَأَمَّنَ بِاللَّهِ فَشَفَاهُ اللَّهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيُّ بَنِي قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ازْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمُشَارِ، فَوَضَعَ الْمُشَارَ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شَقُّهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ازْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَوَضَعَ الْمُشَارَ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شَقُّهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ: ازْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلٍ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذْهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَارْجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيَهُمُ اللَّهُ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرُقُورٍ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ، فَذْهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَاَنْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيَهُمُ اللَّهُ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمْرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَضْلِبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعَّ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلَّ: بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ازْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ

فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: أَمَّنَّا بِرَبِّ الْعُلَامِ، أَمَّنَّا بِرَبِّ الْعُلَامِ، أَمَّنَّا بِرَبِّ الْعُلَامِ، فَأَتَى الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذْرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالْأُخْذُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكِّ، فَخُذْتُ وَأَضْرَمَ النَّيرانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجَعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: افْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتْ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا، فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْعُلَامُ: يَا أُمُّهُ اضْبِرِّي، فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ»^(١).

٤٤٣- ولفظ الترمذي عَنْ ضَهَبٍ رضي الله عنه ^(١) قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى الْعَصْرَ هَمَسَ، وَالْهَمْسُ فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ تَحَرُّكَ شَفْتَيْهِ كَأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا صَلَّيْتَ الْعَصْرَ هَمَسْتَ؟ قَالَ: «إِنَّ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ كَانَ أُعْجِبَ بِأَمَّتِهِ فَقَالَ: مَنْ يَقُومُ لِهَؤُلَاءِ؟ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ خَيَّرَهُمْ بَيْنَ أَنْ أَنْتَقِمَ مِنْهُمْ، وَبَيْنَ أَنْ أَسْلِطَ عَلَيْهِمْ عَذْوَهُمْ، فَاخْتَارُوا النَّقْمَةَ، فَسَلَّطَ عَلَيْهِمُ الْمَوْتَ، فَمَاتَ مِنْهُمْ فِي يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفًا»، قَالَ: وَكَانَ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ الْآخَرَ، قَالَ: «كَانَ مَلِكٌ مِنَ الْمُلُوكِ، وَكَانَ لِذَلِكَ الْمَلِكِ كَاهِنٌ يَكْهَنُ لَهُ، فَقَالَ الْكَاهِنُ: انظُرُوا لِي غُلَامًا فَهَمًّا، أَوْ قَالَ: فَطَنًّا، لَقِنَّا، فَأَعْلَمَهُ عِلْمِي هَذَا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ أَمُوتَ فَيَنْقَطِعَ مِنْكُمْ هَذَا الْعِلْمُ، وَلَا يَكُونَ فِيكُمْ مَنْ يَعْلَمُهُ»، قَالَ: «فَنَظَرُوا لَهُ عَلَى مَا وَصَفَ، فَأَمَرُوهُ أَنْ يَخْضُرَ ذَلِكَ الْكَاهِنَ، وَأَنْ يَخْتَلِفَ إِلَيْهِ، فَجَعَلَ يَخْتَلِفُ، إِلَيْهِ وَكَانَ عَلَى طَرِيقِ الْعُلَامِ رَاهِبٌ فِي صَوْمَعَةٍ»، قَالَ مَعْمَرٌ: أَحْسِبُ أَنَّ أَصْحَابَ الصَّوَامِعِ كَانُوا يَوْمِيذٍ مُسْلِمِينَ، قَالَ: «فَجَعَلَ الْعُلَامُ يَسْأَلُ ذَلِكَ الرَّاهِبَ كُلَّمَا مَرَّ بِهِ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى أَخْبَرَهُ، فَقَالَ: إِنَّمَا أَعْبُدُ اللَّهَ، قَالَ: فَجَعَلَ الْعُلَامُ يَمْكُثُ عِنْدَ الرَّاهِبِ، وَيَبْطِئُ عَنِ الْكَاهِنِ، فَأَرْسَلَ الْكَاهِنُ إِلَى أَهْلِ

(١) مسلم، برقم ٣٠٠٥، وتقدم تخريجه في حديث تخريج حديث المتن.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٣١ من أحاديث الشرح.

الْغُلَامَ إِنَّهُ لَا يَكَادُ يَحْضُرُنِي، فَأَخْبَرَ الْغُلَامَ الرَّاهِبَ بِذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: إِذَا قَالَ لَكَ الْكَاهِنُ: أَيْنَ كُنْتَ؟ فَقُلْ: عِنْدَ أَهْلِي، وَإِذَا قَالَ لَكَ أَهْلُكَ: أَيْنَ كُنْتَ؟ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّكَ كُنْتَ عِنْدَ الْكَاهِنِ، قَالَ: فَبَيْنَمَا الْغُلَامُ عَلَى ذَلِكَ، إِذْ مَرَّ بِجَمَاعَةٍ مِنَ النَّاسِ كَثِيرٍ قَدْ حَبَسَتْهُمْ دَابَّةٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ تِلْكَ الدَّابَّةَ كَانَتْ أَسَدًا، قَالَ: فَأَخَذَ الْغُلَامُ حَجَرًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ مَا يَقُولُ الرَّاهِبُ حَقًّا فَاسْأَلْكَ أَنْ أَقْتُلَهَا، قَالَ: ثُمَّ رَمَى فَقَتَلَ الدَّابَّةَ، فَقَالَ النَّاسُ: مَنْ قَتَلَهَا؟ قَالُوا: الْغُلَامُ، فَفَرَعَ النَّاسُ، وَقَالُوا: لَقَدْ عَلِمَ هَذَا الْغُلَامُ عِلْمًا لَمْ يَعْلَمْهُ أَحَدٌ، قَالَ: فَسَمِعَ بِهِ أَعْمَى، فَقَالَ لَهُ: إِنْ أَنْتَ رَدَدْتَ بَصْرِي فَلَكَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: لَا أُرِيدُ مِنْكَ هَذَا، وَلَكِنْ أَرَأَيْتَ إِنْ رَجَعَ إِلَيْكَ بَصْرُكَ، أَتُؤْمِنُ بِالَّذِي رَدَّهُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَدَعَا اللَّهَ فَرَدَّ عَلَيْهِ بَصْرَهُ، فَأَمَّنَ الْأَعْمَى، فَبَلَغَ الْمَلِكُ أَمْرَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ، فَأَتَى بِهِمْ، فَقَالَ: لَا أَقْتُلَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ قِتْلَةً لَا أَقْتُلُ بِهَا صَاحِبَهُ، فَأَمَرَ بِالرَّاهِبِ وَالرَّجُلِ الَّذِي كَانَ أَعْمَى، فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ عَلَى مَفْرَقِ أَحَدِهِمَا، فَقَتَلَهُ، وَقَتَلَ الْآخَرَ بِقِتْلَةٍ أُخْرَى، ثُمَّ أَمَرَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى جَبَلٍ كَذَا وَكَذَا، فَأَلْقُوهُ مِنْ رَأْسِهِ، فَاَنْطَلَقُوا بِهِ إِلَى ذَلِكَ الْجَبَلِ، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ الَّذِي أَرَادُوا أَنْ يُلْقُوهُ مِنْهُ جَعَلُوا يَتَهَايَتُونَ مِنْ ذَلِكَ الْجَبَلِ وَيَتَرَدَّدُونَ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا الْغُلَامُ، قَالَ: ثُمَّ رَجَعَ، فَأَمَرَ بِهِ الْمَلِكُ أَنْ يَنْطَلِقُوا بِهِ إِلَى الْبَحْرِ، فَيُلْقُوهُ فِيهِ، فَاَنْطَلَقَ بِهِ إِلَى الْبَحْرِ، فَعَرَّقَ اللَّهُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ وَأَنْجَاهُ، فَقَالَ الْغُلَامُ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَا تَقْتُلُنِي حَتَّى تَصْلُبُنِي وَتَرْمِيَنِي، وَتَقُولَ إِذَا رَمَيْتَنِي: بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ هَذَا الْغُلَامِ، قَالَ فَأَمَرَ بِهِ، فَصَلَبَ، ثُمَّ رَمَاهُ، فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ هَذَا الْغُلَامِ، قَالَ: فَوَضَعَ الْغُلَامُ يَدَهُ عَلَى صُدْغِهِ حِينَ رُمِيَ، ثُمَّ مَاتَ، فَقَالَ أَنَاسٌ: لَقَدْ عَلِمَ هَذَا الْغُلَامُ عِلْمًا مَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ، فَإِنَّا نُوْمِنُ بِرَبِّ هَذَا الْغُلَامِ، قَالَ: فَقِيلَ لِلْمَلِكِ: أَجَزَعْتَ أَنْ خَالَفَكَ ثَلَاثَةً، فَهَذَا الْعَالَمُ كُلُّهُمْ قَدْ خَالَفُوكَ، قَالَ: فَخَدَّ أَخَذُودًا، ثُمَّ أَلْقَى فِيهَا الْحَطَبَ وَالنَّارَ، ثُمَّ جَمَعَ النَّاسُ، فَقَالَ: مَنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ تَرَكْنَاهُ، وَمَنْ لَمْ يَزِجْغِ الْقَيْنَاهُ فِي هَذِهِ النَّارِ،

فَجَعَلَ يُلْقِيهِمْ فِي تِلْكَ الْأَخْدُودِ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهِ: ﴿قَتِلْ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ قَالَ: فَأَمَّا الْغُلَامُ فَإِنَّهُ ذَفِنَ، قَالَ: فَيَذْكُرُ أَنَّهُ أَخْرَجَ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَإِضْبَعُهُ عَلَى صُدْغِهِ كَمَا وَضَعَهَا حِينَ قُتِلَ^(١).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

- ١- قوله: «اللَّهُمَّ»: «بِمَعْنَى: يَا اللَّهُ، ... الْمِيمُ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أَوَّلِهَا، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الْإِسْمِ الْمُنَادَى الْمُفْرَدِ»^(٢).
- ٢- قوله: «اكفنيهم» أي: ادفع عني مكرهم، وردّ كيدهم في نحورهم، قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَفَى، يَكْفِي كِفَايَةً، إِذَا قَامَ بِالْأَمْرِ، وَيُقَالُ: اسْتَكْفَيْتَهُ أَمْرًا فَكَفَانِيهِ، وَيُقَالُ: كَفَاكَ هَذَا الْأَمْرُ، أَي: حَسْبُكَ، وَكَفَاكَ هَذَا الشَّيْءُ»^(٣).
- ٣- قوله: «بما شئت» أي: بما تشاء فأنت الذي تقول للشَّيْءِ كُنْ فيكون، قال ابن علان رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَي: بِمَشِيئَتِكَ، فَمَا مَصْدَرِيَّةٌ، أَوْ مَوْصُولَةٌ، أَي: بِالَّذِي شِئْتَ مِنْ أَنْوَاعِ الْكِفَايَةِ، إِمَّا بِإِهْلَاكِهِمْ، أَوْ بغيره»^(٤).
- ٤- قوله: «بالمنشار»، أشرت الخشبة بالمنشار: إِذَا شَقَّقْتُهَا، وَوَشَرْتُهَا بِالْمِشَارِ، غَيْرَ مَهْمُوزٍ لُغَةً فِيهِ، وَالْمِشَارُ وَالْمَنْشَارُ سَوَاءٌ^(٥).
- ٥- قوله: «(قرقور)»، القرقور: سفينة صغيرة^(٦).

(١) الترمذي، برقم ٣٣٤٠، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٤٤٦١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، في المفردة رقم ٦.

(٣) لسان العرب، ١٥/ ٢٢٥، مادة (كفي).

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ١/ ١٩٣.

(٥) جامع الأصول، لابن الأثير، ١٠/ ٣٠٤.

(٦) جامع الأصول، لابن الأثير، ١٠/ ٣٠٤.

٦- قوله: «فانكفأت السفينة»: أي: انقلبت، ومنه: كفأت القدر: إذا كببتها»^(١).

٧- قوله: «الصعيد»: وجه الأرض، وأراد: أنه جمعهم في أرض واحدة منبسطة ليشاهدوه»^(٢).

٨- قوله: «من كنانتي»، الكنانة: الجعبة التي يكون فيها الشباب»^(٣).

٩- قوله: «كبد القوس»: وسطها، والمراد به: موضع السهم من الوتر والقوس»^(٤).

١٠- قوله: «بالأخدود»: الأخدود: الشق في الأرض، وجمعه الأخاديد.

١١- قوله: «السكك»: جمع سكة، وهي الطريق»^(٥).

١٢- قوله: «أضرمت النار»: إذا أوقدتها وأثرتها»^(٦).

١٣- قوله: «اقتحم»، الاقتحام: الوقوع في الشيء من غير رؤية ولا تثبت»^(٧).

١٤- قوله: «فتقاعست»، التقاعس: التأخر، والمشي إلى وراء»^(٨).

١٥- قوله: «الهمس»: الكلام الخفي الذي لا يكاد يسمع»^(٩).

١٦- قوله: «اللقن»: الرجل الفهم الذكي»^(١٠).

١٧- قوله: «التهافت»: الوقوع في الشيء مثل التساقط»^(١١).

(١) جامع الأصول، لابن الأثير، ١٠ / ٣٠٤.

(٢) جامع الأصول، لابن الأثير، ١٠ / ٣٠٤.

(٣) جامع الأصول، لابن الأثير، ١٠ / ٣٠٤.

(٤) جامع الأصول، لابن الأثير، ١٠ / ٣٠٤.

(٥) جامع الأصول، لابن الأثير، ١٠ / ٣٠٤.

(٦) جامع الأصول، لابن الأثير، ١٠ / ٣٠٤.

(٧) جامع الأصول، لابن الأثير، ١٠ / ٣٠٤.

(٨) جامع الأصول، لابن الأثير، ١٠ / ٣٠٤.

(٩) جامع الأصول، لابن الأثير، ١٠ / ٣٠٤.

(١٠) جامع الأصول، لابن الأثير، ١٠ / ٣٠٤.

١٨- قوله: «فمن لم يرجع عن دينه فأحموه فيها»، أو قيل له: اقتحم، قال القاضي: كذا هو في جميع النسخ، وقال بعضهم: لعل صوابه: فأحموه فيها، أو قولوا له: اقتحم، ولا يبعد عندي صحة معنى: أحموه، على ما روي من أحمت الحديد، والشيء في النار.

١٩- قوله: «فرجف بهم الجبل»، قال الإمام: أي تحرك حركة شديدة، ومنه قوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾^(١)، أي: تنزل.

٢٠- قوله: «فإذا بلغتم ذروته»: قال الإمام: أي: أعلاه، وذروة كل شيء: أعلاه^(٢).

٢١- قوله: «حَتَّى تَضْلِبُنِي»: أي: على جذع كما في رواية مسلم، قال في القاموس: ضَلَبَهُ كَضْرَبَهُ جَعَلَهُ مَضْلُوبًا كَضَلَبَهُ^(٣).

٢٢- قوله: «فَوَضَعَ الْغُلَامُ يَدَهُ عَلَى صُدْغِهِ حِينَ رُمِيَ ثُمَّ مَاتَ»، وفي رواية مسلم: «ثم رماه فوضع السهم في صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ»^(٤).

٢٣- قوله: «أَجَزَعَتْ» - بِكَسْرِ الزَّايِ - مِنَ الْجَزَعِ مُحَرَّكَةً: وَهُوَ نَقِيضُ الصَّبْرِ^(٥).

٢٤- قوله: «فَخَدَّ»: أي: شَقَّ أَخْذُودًا - بِضَمِّ الهمزة، وَشُكُونِ الْمُعْجَمَةِ -: الشَّقُّ الْعَظِيمُ، وَجَمْعُهُ أَخَادِيدُ^(٦).

(١) جامع الأصول، لابن الأثير، ١٠ / ٣٠٤.

(٢) سورة المزمل، الآية: ١٤.

(٣) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض، ٨ / ٢٨٢.

(٤) تحفة الأحوذى، ٩ / ١٨٥.

(٥) تحفة الأحوذى، ٩ / ١٨٥.

(٦) تحفة الأحوذى، ٩ / ١٨٥.

(٧) تحفة الأحوذى، ٩ / ١٨٥.

٢٥- قوله: «أصحاب الأخدود»: أي: المَلِكُ الَّذِي خَدَّ الْأَخْدُودَ، وَأَصْحَابُهُ. النَّارِ بَدَلِ اشْتِمَالِ مِنَ الْأَخْدُودِ، ذَاتِ الْوُقُودِ: وَصَفَ لَهَا بِأَنَّهَا عَظِيمَةٌ، لَهَا مَا يَزْتَفِعُ بِهِ لَهَا مِنَ الْحَطَبِ الْكَثِيرِ وَأَبْدَانِ النَّاسِ، وَبَعْدَهُ إِذْ ظَرَفَ لِقَتْلِ أَيْ: لُعِنُوا حِينَ أَحْرَقُوا بِالنَّارِ قَاعِدِينَ حَوْلَهَا»^(١).

٢٦- قوله: «الضُّدْعُ» -بِضَمِّ الْمُهِمْلَةِ، وَإِسْكَانِ الدَّالِّ بَعْدَهَا مُعْجَمَةٌ-: مَا بَيْنَ الْأُذُنِ وَالْعَيْنِ، وَيُقَالُ ذَلِكَ أَيْضًا لِلشَّعْرِ الْمُتَدَلِّي مِنَ الرَّأْسِ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ»^(٢).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- «في هذا الحديث صبر الصالحين على الابتلاء في ذات الله، وما يلزمهم من إظهار دينه، والدعاء لتوحيده، واستقتالهم أنفسهم في ذلك، وهو مراد الغلام بقوله للملك: «لست بقاتلي حتى تصلبني، وتجمع الناس، وتضع السهم في كبد القوس، وتقول: بسم الله رب الغلام، ليرى الناس ذلك فيؤمنوا بالله كما كان»^(٣).

٢- وهذا الحديث «يدل على أنه ينبغي للإنسان أن يصبر، وأن يحتسب، ولكن هل يجب على الإنسان أن يصبر على القتل، أو يجوز أن يقول كلمة الكفر، ولا تضره إذا كان مكرهاً؟ هذا فيه تفصيل: إن كانت المسألة تتعلق به نفسه، فله الخيار إن شاء قال كلمة الكفر دفعاً للإكراه مع طمأنينة القلب بالإيمان، وإن شاء أصر وأبى، ولو قتل هذا إذا كان الأمر عائداً إلى الإنسان بنفسه.

٣- إما إذا كان الأمر يتعلق بالدين بمعنى أنه لو كفر، ولو ظاهراً أمام الناس؛ لكفر الناس؛ فإنه لا يجوز له أن يقول كلمة الكفر، بل يجب أن يصبر، ولو قتل

(١) تحفة الأحوذى، ١٨٥ / ٩.

(٢) فتح الباري، ٥٧١ / ٦.

(٣) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض، ٢٨٢ / ٨.

كالجهاد في سبيل الله، المجاهد يقاتل ولو قُتل؛ لأنه يريد أن تكون كلمة الله هي العليا؛ فإذا كان إماماً للناس، وأجبر على أن يقول كلمة الكفر؛ فإنه لا يجوز أن يقول كلمة الكفر لا سيما في زمن الفتنة، بل عليه أن يصبر ولو قتل .

٤- ما يحفظه الشاب يبقى، وما يحفظه الكبير ينسى؛ ولهذا كان من الحكمة الشائعة بين الناس: إن العلم في الصغر كالنقش على الحجر لا يزول.

٥- وفيه: أن الشاب إذا ثقف العلم من أول الأمر صار العلم كالسجية له، والطبيعة له، وصار كأنه غريزة قد شب عليه فيشيب عليه.

٦- من نعمة الله على العبد أن الإنسان إذا شك في الأمر، ثم طلب من الله آية تبين له شأن هذا الأمر، فبينه الله له؛ فإن هذا من نعمة الله عليه.

٧- ومن هنا شرعت الاستخارة للإنسان إذا هم بالأمر، وأشكل عليه هل في إقدامه خير، أم في إحجامه خير؛ فإنه يستخير الله، وإذا استخار الله بصدق وإيمان؛ فإن الله يعطيه على ما يستدل به، على أن الخير في الإقدام أو الإحجام، إما بشيء يلقيه في قلبه ينشرح صدره لهذا، أو لهذا، وإما برؤيا يراها في المنام، وإما بمشورة أحد من الناس وإما بغيره»^(١).

٨- هذا الدعاء وإن كان من شرع من قبلنا، إلا أن إخبار النبي ﷺ به جعله شرعاً لنا.

٩- إذا علم العبد أن الله هو الكافي، عظم رجاءه فيه، ورغبته إليه، قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: (٢): الكافي عباده ما يحتاجون ويضطرون إليه، الكافي كفاية خاصة من آمن به، وتوكل عليه، واستمد منه حوائج دينه ودنياه ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾^(٣).

١٠- «اللَّهُ ﷻ يجيب دعوة المضطر إذا دعاه؛ فإذا دعا الإنسان ربه في حال

(١) شرح رياض الصالحين للعلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ، شرح الحديث رقم ٣٠.

(٢) انظر تفسير السعدي سورة الزمر، ص ٩٤٩.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٣٦.

ضرورة، موقناً أن الله يجيبه؛ فإن الله تعالى يجيبه، حتى الكفار إذا دعوا الله في حال الضرورة، أجابهم الله، مع أنه يعلم أنهم سيرجعون إلى الكفر إذا غشيهم موج كالظلل في البحر دعوا الله مخلصين له الدين، فإذا نجاهم أشركوا، فينجيهم لأنهم صدقوا في الرجوع إلى الله عند دعائهم، وهو سبحانه يجيب المضطر، ولو كان كافراً.

١١- الإنسان يجوز أن يغرر بنفسه في مصلحة عامة للمسلمين؛ فإن هذا الغلام دل الملك على أمر يقتله به، ويهلك به نفسه، وهو أن يأخذ سهماً من كنانته.

١٢- قال شيخ الإسلام: لأن هذا جهاد في سبيل الله، آمنت أمة وهو لم يفتقد شيئاً لأنه مات، وسيموت أجلاً أو عاجلاً، فأما ما يفعله بعض الناس من الانتحار بحيث يحمل آلات متفجرة، ويتقدم بها إلى الكفار، ثم يفجرها إذا كان بينهم؛ فإن هذا من قتل النفس والعياذ بالله^(١).

(١) شرح رياض الصالحين للعلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ، شرح الحديث رقم ٣٠.

٤٠ - دَعَاءُ مَنْ أَصَابَهُ وَسْوَسةٌ فِي الْإِيمَانِ

١٣٣- (١) «يَسْتَعِذُّ بِاللَّهِ»^(١).

(٢) «يَنْتَهِي عَمَّا وَسَّوَسَ فِيهِ»^(٢).

(٣) يَقُولُ: «اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ

يَكُنْ لَهُ كُفْوًا أَحَدٌ، ثُمَّ لِيَتَقَلَّ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلِيَسْتَعِذَّ مِنَ الشَّيْطَانِ»^(٣).

الشرح

أولاً: لفظ الحديث:

٤٤٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه (٤) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ، فَلْيَسْتَعِذَّ بِاللَّهِ، وَلِيَنْتَهَ»، هذا لفظ البخاري، ومسلم^(٥).

٤٤٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: فَذَكَرَ نَحْوَهُ، قَالَ: «فَإِذَا قَالُوا ذَلِكَ فَقُولُوا: اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْوًا، أَحَدٌ، ثُمَّ لِيَتَقَلَّ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلِيَسْتَعِذَّ مِنَ الشَّيْطَانِ»^(٦).

(١) البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، برقم ٣٢٧٦، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان والاستعاذة عند وسوسة الشيطان، برقم ١٣٤.

(٢) البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، برقم ٣٢٧٦، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان والاستعاذة عند وسوسة الشيطان، برقم ١٣٤.

(٣) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في الجهمية، برقم ٤٧٢٢، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١٢٣ / ٢، برقم ١٦١٣.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٥) البخاري، برقم ٣٢٧٦، ومسلم، برقم ١٣٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٦) سنن أبي داود، برقم ٤٧٢٢، وصححه العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١٢٣ / ٢،

ثانياً شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ، وَلْيَتَّهِ»، لَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الْوَسَاوِسُ مِنْ إلقاءِ الشَّيْطَانِ، وَلَا قُوَّةَ لِأَحَدٍ بِدَفْعِهِ إِلَّا بِمَعُونَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَكِفَايَتِهِ -: أَمَرَ بِالِاتِّجَاءِ إِلَيْهِ، وَالتَّعْوِيلِ فِي دَفْعِ ضَرَرِهِ عَلَيْهِ، وَذَلِكَ مَعْنَى الْاسْتِعَاذَةِ عَلَى مَا يَأْتِي، ثُمَّ عَقَّبَ ذَلِكَ بِالْأَمْرِ بِالْإِنْتِهَاءِ عَنْ تِلْكَ الْوَسَاوِسِ وَالْخَوَاطِرِ، أَيْ: عَنِ الْإِلْتِفَاتِ إِلَيْهَا وَالْإِصْغَاءِ نَحْوَهَا، بَلْ يُغَرِّضُ عَنْهَا وَلَا يَبَالِي بِهَا»^(١).

٢- قوله: «وليتته» أي: عن الاسترسال مع الشيطان في هذا الباب. قال القاضي عياض: «أي: ليقطع التفكير، والنظر فيما زاد على إثبات الذات، وليقف هناك عن التخطي إلى ما بعد، وليعلم أن إثبات ذاته، وعلم ما يجب له، ويستحيل عليه منتهى العلم، وغاية مبلغ العقل»^(٢).

وقال الحافظ ابن حجر: «أي: عَنِ الْإِسْتِرْسَالِ مَعَهُ فِي ذَلِكَ، بَلْ يَلْجَأُ إِلَى اللَّهِ فِي دَفْعِهِ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ يُرِيدُ إِفْسَادَ دِينِهِ، وَعَقْلُهُ بِهَذِهِ الْوَسْوَسَةِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَجْتَهِدَ فِي دَفْعِهَا بِالِاسْتِغَالِ بِغَيْرِهَا»^(٣).

٣- قوله: «يأتي» أي: بوسوسته وتليسه على العبد المسلم، قال القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَيُّ: يُوسُوسُ إِبْلِيسُ، أَوْ أَحَدُ أَغْوَانِهِ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ عَلَى طَرِيقِ التَّلْيِيسِ»^(٤).

٤- قوله تعالى: ﴿قُلْ﴾ قولاً جازماً به، معتقداً له، عارفاً بمعناه.

٥- قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي: قد انحصرت فيه الأحدية، فهو الأحد

برقم ١٦١٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ١١٠/٢.

(٢) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض، ٢٨٦/١.

(٣) فتح الباري، لابن حجر، ٣٤٠/٦.

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٣٧/١.

المنفرد بالكمال، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة العليا، والأفعال المقدسة، الذي لا نظير له ولا مثيل.

٦- قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ أي: المقصود في جميع الحوائج، فأهل العالم العلوي والسفلي مفتقرون إليه غاية الافتقار، يسألونه حوائجهم، ويرغبون إليه في مهماتهم، لأنه الكامل في أوصافه، العليم الذي قد كمل في علمه، الحليم الذي قد كمل في حلمه، الرحيم الذي كمل في رحمته، الذي وسعت رحمته كل شيء، وهكذا سائر أوصافه.

٧- قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ لكمال غناه.

٨- قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ لا في أسمائه، ولا في أوصافه، ولا في أفعاله، تبارك وتعالى^(١).

٩- قوله: «الشيطان»: هو في لغة العرب مشتق من شطن إذا بعد، فهو بعيد عن طباع البشر وبعيد بفسقه عن كل خير^(٢).

قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمته الله: «ولما كان الشيطان على نوعين: نوع يرى عياناً، وهو شيطان الإنس، ونوع لا يرى، وهو شيطان الجن، أمر ﷺ نبيه ﷺ أن يكتفي من شر شيطان الإنس بالإعراض عنه، والعفو، والدفع بالتي هي أحسن، ومن شيطان الجن بالاستعاذة بالله منه، وجمع بين النوعين في سورة الأعراف، وسورة المؤمنين، وسورة فصلت، والاستعاذة في القراءة والذكر أبلغ في دفع شر شياطين الجن، والعفو، والإعراض، والدفع بالإحسان أبلغ في دفع شر شياطين الإنس»^(٣).

١٠- قوله: «فليستعذ بالله» أي: بقوله: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» صادقاً

(١) تقدم تفسير آيات سورة الإخلاص في شرح حديث المتن رقم ٧٠، وأعدت تفسيرها هنا لأهميتها.

(٢) تفسير ابن كثير، ١/ ٤٩.

(٣) زاد المعاد، لابن القيم، ٢/ ٤٢٠.

مخلصاً، قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: «يَلْجَأُ إِلَى اللَّهِ فِي دَفْعِهِ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ يُرِيدُ إِفْسَادَ دِينِهِ، وَعَقْلَهُ بِهَذِهِ الْوَسْوسَةِ، فَيَتَّبِعِي أَنْ يَجْتَهِدَ فِي دَفْعِهَا بِالِاشْتِغَالِ بِغَيْرِهَا»^(١).

١١- قوله: «ثم ليتفل»: التفل: شبيه بالبزق، وهو أقل منه، أوله البزق، ثم التفل، ثم النفث»^(٢).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- بيان عداوة الشيطان للإنسان، وأنه لا يزال به حتى يكون معه في جهنم، وقد حذر الله من ذلك بقوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾^(٣).

٢- وجوب عدم الاسترسال مع الشيطان في وسوسته، بل يقطع عليه ذلك بالتعوذ بالله منه على الفور، والانتهاز عن هذه المسائل الردية، والتي لا تزيد صاحبها إلا حيرة، وتنتهي به إلى الضلال.

٣- الاستعاذة بالله من الشيطان تحفظ المسلم من الافتتان، وينال التوفيق والحفظ من الله تعالى، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «فَأَمَرَ بِالِاسْتِعَاذَةِ عِنْدَمَا يَطْلُبُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَهُ فِي شَرٍّ، أَوْ يَمْنَعَهُ مِنْ خَيْرٍ؛ كَمَا يَفْعَلُ الْعَدُوُّ مَعَ عَدُوِّهِ، وَكُلَّمَا كَانَ الْإِنْسَانُ أَعْظَمَ رَغْبَةً فِي الْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ، وَأَقْدَرَ عَلَى ذَلِكَ مِنْ غَيْرِهِ، بِحَيْثُ تَكُونُ قُوَّتُهُ عَلَى ذَلِكَ أَقْوَى، وَرَغْبَتُهُ وَإِرَادَتُهُ فِي ذَلِكَ أَتَمَّ؛ كَانَ مَا يَحْصُلُ لَهُ إِنْ سَلَّمَهُ اللَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ أَعْظَمَ؛ وَكَانَ مَا يَفْتَتِنُ بِهِ إِنْ تَمَكَّنَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ أَعْظَمَ»^(٤).

(١) فتح الباري، ٦ / ٣٤٠.

(٢) جامع الأصول لابن الأثير، ٥ / ٥٧.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٦.

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية، ٧ / ٢٨٤.

٤- اللجوء إلى الله، والاعتصام به أكبر عاصم للعبد من وسوسة الشيطان، قال الإمام النووي رحمته الله: «فَلْيُسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَتَّه: فَمَعْنَاهُ: إِذَا عَرَضَ لَهُ هَذَا الْوَسْوَاسُ، فَلْيُلْجَأْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي دَفْعِ شَرِّهِ عَنْهُ، وَلْيُعْرِضْ عَنِ الْفِكْرِ فِي ذَلِكَ، وَلْيَعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْخَاطِرَ مِنَ وَسْوَسةِ الشَّيْطَانِ، وَهُوَ إِنَّمَا يَسْعَى بِالْفَسَادِ وَالْإِغْوَاءِ- فَلْيُعْرِضْ عَنِ الْإِضْغَاءِ إِلَى وَسْوَستِهِ، وَلْيُبَادِرْ إِلَى قَطْعِهَا بِالِاشْتِغَالِ بِغَيْرِهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ»^(١).

٥- قال المازري رحمته الله: الخواطر على قسمين: فالتى لا تستقر ولا يصاحبها شبهة فهي التى تندفع بالإعراض عنها وعلى هذا يتنزل الحديث، وعلى مثلها يطلق اسم الوسوسة وأما الخواطر المستقرة الناشئة عن الشبهة فهي التى لا تندفع إلا بالنظر والاستدلال^(٢).

٦- «الشَّيْطَانُ إِنَّمَا يُوسُوسُ لِمَنْ أَيْسَ مِنْ إِغْوَائِهِ فَيُنَكِّدُ عَلَيْهِ بِالْوَسْوَسةِ لِعَجْزِهِ عَنِ إِغْوَائِهِ ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَإِنَّهُ يَأْتِيهِ مِنْ حَيْثُ شَاءَ وَلَا يَقْتَصِرُ فِي حَقِّهِ عَلَى الْوَسْوَسةِ بَلْ يَتَلَاعَبُ بِهِ كَيْفَ أَرَادَ . فَعَلَى هَذَا مَعْنَى الْحَدِيثِ : سَبَبُ الْوَسْوَسةِ مَحْضُ الْإِيْمَانِ ، أَوْ الْوَسْوَسةُ عَلَامَةُ مَحْضِ الْإِيْمَانِ، وَهَذَا الْقَوْلُ إِخْتِيَارُ الْقَاضِي عِيَاضُ»^(٣).

٧- لا بد من قطع الوسوس الفاسدة، فإذا قال الشيطان للإنسان موسوساً: من خلق الله «فإذا وجد ذلك أحدكم، فليستعذ بالله، وليتته، فأمره بالاستعاذة منه؛ ليقطع عنه الله الوسوس الفاسدة التى يلقىها الشيطان بغير اختياره، ويؤذيه بها، حتى قد يتمنى الموت، أو حتى يختار أن يحترق، ولا يجدها، وهى الوسوسة التى سألها عنها الصحابة فقالوا: يا رسول الله، إن أحدنا ليجد فى نفسه ما لأن

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ٢/ ٢٥٥.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ١/ ٤٩ والمراد بالنظر والاستدلال: أى بإقامة الحجة وإزالة الشبهة.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ٢/ ١٥٤.

يحترق، حتى يصير حمة^(١)، أو يخر من السماء إلى الأرض، خيراً له من أن يتكلم به، فقال: «ذلك صريح الإيمان»^(٢)، وفي رواية: ما يتعظم أحدنا أن يتكلم به، فقال: «الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة»^(٣)، وأراد بذلك أن كراهته هذه الوسوسة، ونفيها، هو محض الإيمان، وصريحه^(٤).

٨- «فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلِيَّتِهِ» أي: يترك التفكير في ذلك الخاطر، ويستعيذ بالله، إذا لم يزُلْ عَنْهُ التَّفَكُّرُ، والحكمة في ذلك أن العلم باستغناء الله تعالى عن كل ما يوسوسه الشيطان أمر ضروري، لا يحتاج للاحتجاج والمناظرة، فإن وقع شيء من ذلك، فهو من وسوسة الشيطان، وهي غير مُتَنَاهِيَةٍ، فَمَهْمَا عُوِرِضَ بِحُجَّةٍ يَجِدُ مَسْلَكًا آخَرَ مِنَ الْمُغَالَطَةِ، والاسترسال، فيُضَيِّعُ الوقت إن سَلِمَ مِنْ فِتْنَتِهِ، فلا تدبير في دفعه أقوى من الإلجاء إلى الله تعالى بالاستعاذة به، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا يَتَرَعَّنَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ الآية^(٥)»^(٦).

٩- ومن وسوسته أيضاً أن يشغل القلب بحدِيثه حتى ينسيه ما يريد أن يفعله؛ ولهذا يضاف النسيان إليه إضافته إلى سببه، قال تعالى حكاية عن صاحب موسى إنه قال: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾^(٧).

(١) الحمة: العَيْنُ الحَارَّةُ، وَحَمَّ الْمَاءِ: سَخَنَهُ، وَحَمَّ الرَّجُلُ أَيُّضًا مِنَ الْحُمَى، وَأَحْمَهُ اللَّهُ فَهُوَ مَحْمُومٌ، وَالْحَمِيمُ: الْمَاءُ الْحَارُّ. انظر: مختار الصحاح، ص ٨٢، مادة (حمم).

(٢) مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان، وما يقوله من وجدها، برقم ١٣٢.

(٣) أخرجه أحمد ٤/ ١٠، برقم ٢٠٩٧، وأبو داود، كتاب الأدب، باب في رد الوسوسة، برقم ٥١١٢، والنسائي في الكبرى، ٦/ ١٧١، برقم ١٠٥٠٣، وابن حبان، ١/ ٣٦٠، برقم ١٤٧، وصححه محققو المسند، ٤/ ١٠، والألباني في صحيح أبي داود، برقم ٥١١٢.

(٤) درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ٢/ ١٥.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٠.

(٦) فتح الباري، ١٣/ ٢٧٣.

(٧) سورة الكهف، الآية: ٦٣.

١٠- تأمل حكمة القرآن الكريم، وجلالته كيف أوقع الاستعاذة من شر الشيطان؛ الموصوف بأنه الوسواس الخناس؛ الذي يوسوس في صدور الناس، ولم يقل من شر وسوسته؛ لتعم الاستعاذة شره جميعه؛ فإن قوله: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾^(١) يعم كل شره، ووصفه بأعظم صفاته، وأشدّها شراً، وأقواها تأثيراً، وأعمها فساداً: هي الوسوسة التي هي مبادئ الإرادة؛ فإن القلب يكون فارغاً من الشر والمعصية، فيوسوس إليه، ويخطر الذنب بباله، فيصوره لنفسه، ويمنيه، ويشهيه، فيصير شهوة، ويزينها له، ويحسنها، ويخيلها له في خيال تميل نفسه إليه، فيصير إرادة ثم لا يزال يمثل، ويخيل، ويمني، ويشهيه، وينسى علمه بضررها، ويطوي عنه سوء عاقبتها، فيحول بينه وبين مطالعته، فلا يرى إلا صورة المعصية، والتذاذبه بها فقط، وينسى ما وراء ذلك، فتصير الإرادة عزيمة جازمة، فيشتد الحرص عليها من القلب، فيبعث الجنود في الطلب، فيبعث الشيطان معهم مدداً لهم وعوناً، فإن فتروا حركهم، وإن ونوا أزعجهم، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا﴾^(٢)، أي: تزعجهم إلى المعاصي إزعاجاً، كلما فتروا، أو ونوا، أزعجتهم الشياطين، وأزتهم، وأثارتهم، فلا تزال بالعبد تقوده إلى الذنب، وتنظم شمل الاجتماع بالطف حيلة، وأتم مكيدة»^(٣).

(١) سورة الناس، الآية: ٤.

(٢) سورة مريم، الآية: ٨٣.

(٣) بدائع الفوائد لابن القيم، ٢ / ٤٨١.

١٣٤- (٤) «يَقُولُ: «آمَنْتُ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤٤٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه^(٢)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ: هَذَا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهُ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ»^(٣).

٤٤٧- وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ مَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ»، ثُمَّ ذَكَرَ بِمِثْلِهِ وَزَادَ «وَرُسُلِهِ»^(٤).

٤٤٨- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْتِي أَحَدَكُمْ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ فَيَقُولُ: اللَّهُ ﷻ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ؟ فَيَقُولُ: اللَّهُ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ اللَّهُ؟ فَإِذَا أَحَسَّ أَحَدَكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَبِرُسُلِهِ»^(٥).

٤٤٩- عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها^(٦)، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ وَجَدَ مِنْ هَذَا الْوَسْوَاسِ فَلْيَقُلْ: آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِرُسُلِهِ ثَلَاثًا. فَإِنْ ذَلِكَ يَذْهَبُ عَنْهُ»^(٧).

(١) مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، برقم ٢١٢، ٢١٣- (١٣٤).

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٣) مسلم، برقم ٢١٢- (١٣٤)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) مسلم، ٢١٣- (١٣٤)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) مسند أحمد، ١٤/ ١٠٩، برقم ٨٣٧٦، ومسند عبد بن حميد، ص ١٠١، برقم ٢١٥، والطبراني، ٨٥/ ٣٧١٩، وصححه إسناده محققو المسند، ١٤/ ١١٠، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ١٦٥٧.

(٦) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٥٤ من أحاديث الشرح.

(٧) عمل اليوم والليلة لابن السني، برقم ٦٢٥، الفردوس بمأثور الخطاب للديلمي، ٣/ ٤٨٠، برقم ٥٤٨٩، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٦٥٨٧، دون كلمة ثلاثاً.

- ٤٥٠ - وفي لفظ لمسلم، وهو في رواية البخاري: «يأتي الشيطانُ العبدَ، أو أحدكم، فيقول: مَنْ خَلَقَ كَذَا وكَذَا، حَتَّى يَقُولَ مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟»^(١).
- ٤٥١ - وفي لفظ لمسلم: «مَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ مَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ؟ فيقول الله»^(٢).
- ٤٥٢ - ولأحمد، والطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ خُرَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ مِثْلَهُ^(٣).
- ٤٥٣ - ولمسلم مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدَ بْنِ سِيرِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «حَتَّى يَقُولُوا هَذَا اللَّهُ خَلَقَنَا»^(٤).
- ٤٥٤ - ولمسلم فِي رِوَايَةِ يَزِيدَ بْنِ الْأَصَمِّ عَنْهُ: «حَتَّى يَقُولُوا اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ»^(٥).
- ٤٥٥ - وفي رواية المُخْتَارِ بْنِ فُلْفُلٍ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ ﻋَزَّ وَجَلَّ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَزَالُ تَقُولُ مَا كَذَا وكَذَا، حَتَّى يَقُولُوا هَذَا اللَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ»^(٦)^(٧).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١ - قوله: «أمنت بالله» أي: إيماناً راسخاً، تزول أمامه كل شبهة، قال الإمام ابن باز رحمته الله: «فمعناه الإعراض عن هذا الخاطر الباطل، والالتجاء إلى الله تعالى في إذهابه، قال الإمام المازري رحمته الله: ظاهر الحديث أنه ﷺ أمرهم أن يدفعوا الخواطر بالإعراض عنها، والرد لها، من غير استدلال، ولا نظر في إبطالها»^(٨)، وقال أيضاً رحمته الله: «معناه: إذا عرض له هذا الوسواس، فليلجأ إلى الله تعالى في دفع شره عنه، وليعرض عن الفكر في ذلك، وليعلم أن هذا الخاطر من وسوسة

(١) البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، برقم ٣٢٧٦.

(٢) مسلم، برقم ١٣٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) مسلم، ٢١٣ - (١٣٤)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) مسلم، برقم ٢١٥ - (١٣٥)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان، وما يقوله من وجدها، برقم ٢١٦ - (١٣٥).

(٦) مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان، وما يقوله من وجدها، برقم ١٣٦.

(٧) مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان، وما يقوله من وجدها، برقم ١٣٤، وانظر: فتح الباري لابن حجر، ١٣/ ٢٧٢.

(٨) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز، ١/ ٦١.

الشیطان، وهو إنما يسعى بالفساد والإغواء، فليعرض عن الإصغاء إلى وسوسته، وليبادر إلى قطعها بالاشتغال بغيرها، والله أعلم»^(١).

٢- قوله: «ورسله»: الذين بلغوا عن الله أمره بتوحيده، وعبادته، وبينوا لنا صراط ربنا المستقيم، وقال الإمام ابن باز رحمته الله: «الله سبحانه لا شبيه له، ولا كفوله، ولا ند له، وهو الكامل في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وهو خالق كل شيء، وما سواه مخلوق، وقد أخبرنا في كتابه المبين، وعلى لسان رسوله الأمين، عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم، بما يجب اعتقاده في حقه سبحانه، وبما يعرفنا به، ويدلنا عليه من أسمائه، وصفاته، وآياته المتلوة، وآياته المشاهدة من سماء، وأرض، وجبال، وبحار، وأنهار، وغير ذلك من مخلوقاته عليه السلام، ومن جملة ذلك نفس الإنسان؛ فإنها من آيات الله الدالة على قدرته، وعظمته، وكمال علمه، وحكمته»^(٢).

٣- قوله: «لا يزال الناس»: أي: أن هذا هو شأن الناس قديماً وحديثاً، يجتهد عليهم الشيطان بإلقاء الشبهات، والوساوس في صدورهم، فيتكلمون بها، والمقصود بهؤلاء الأصناف هم ضعاف الإيمان، أي: «لا يزال الناس يتساءلون أي لا ينقطعون عن سؤال بعضهم بعضاً في أشياء»^(٣)، وقال الطيبي رحمته الله: «التساؤل: جريان السؤال بين اثنين فصاعداً، ويجوز بين العبد، والشیطان، أو النفس، أو إنسان آخر، ويجري بينهما السؤال في كل نوع، حتى يبلغ إلى أن يقال هذا»^(٤).

٤- قوله: «فمن وجد من ذلك شيئاً»: قال القاضي عياض: معناه الاعراض

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز، ٢٨ / ٣٨٨.

(٢) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز، ٢٨ / ٣٩١.

(٣) مرقاة المفاتيح، ١ / ٣٤٦.

(٤) شرح المشكاة للطبيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٢ / ٥١٩.

عن هذا الخاطر الباطل، والالتجاء إلى الله تعالى في إذهابه^(١).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- قال الإمام النووي رحمته الله: «الْخَوَاطِرُ عَلَى قِسْمَيْنِ: فَأَمَّا الَّتِي لَيْسَتْ بِمُسْتَقَرَّةٍ، وَلَا اجْتِنَبَتْهَا شُبْهَةٌ طَرَأَتْ، فَهِيَ الَّتِي تُدْفَعُ بِالْإِعْرَاضِ عَنْهَا، وَعَلَى هَذَا يُحْمَلُ الْحَدِيثُ، وَعَلَى مِثْلِهَا يَنْطَلِقُ إِسْمُ الْوَسْوَسَةِ؛ فَكَأَنَّهُ لَمَّا كَانَ أَمْرًا طَارِئًا بِغَيْرِ أَضَلٍّ، دُفِعَ بِغَيْرِ نَظَرٍ فِي دَلِيلٍ؛ إِذْ لَا أَضَلَّ لَهُ يُنْظَرُ فِيهِ، وَأَمَّا الْخَوَاطِرُ الْمُسْتَقَرَّةُ الَّتِي أَوْجَبَتْهَا الشُّبْهَةُ؛ فَإِنَّهَا لَا تُدْفَعُ إِلَّا بِالْإِسْتِدْلَالِ وَالنَّظَرِ فِي إِبْطَالِهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ»^(٢)، وقال أيضاً: «وَلْيَعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْخَاطِرَ مِنْ وَسْوَسَةِ الشَّيْطَانِ، وَهُوَ إِنَّمَا يَسْعَى بِالْفَسَادِ وَالْإِغْوَاءِ فَلْيُعْرِضْ عَنِ الْإِضْغَاءِ إِلَى وَسْوَسَتِهِ وَلْيَبَادِرْ إِلَى قَطْعِهَا بِالْإِسْتِغَالِ بِغَيْرِهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ»^(٣).

٢- رد هذه الوسواس في بدايتها وعلاجها في منشأها أيسر على العبد من معالجتها بعد استحكامها في قلبه.

٣- هذا الحديث علم من أعلام نبوته ﷺ؛ إذ أخبر بوقوع شيء لم يكن واقعاً فوق، حيث قال له ﷺ: «لَا يَزَالُونَ يَسْأَلُونَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، حَتَّى يَقُولُوا: هَذَا اللَّهُ فَمَنْ خَلَقَ اللَّهُ؟»^(٤)، يقول أبو هريرة رضي الله عنه: «فبينما أنا في المسجد إذ جاءني ناس من الأعراب، فقالوا: يا أبا هريرة، هذا الله، فمن خلق الله؟ قال^(٥): فَأَخَذَ حَصَى بِكَفِّهِ، فَرَمَاهُمْ، ثُمَّ قَالَ: قَوْمُوا، قَوْمُوا، صَدَقَ خَلِيلِي»^(٦).

(١) الديباج على مسلم، ١/ ١٤٧.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ٢/ ١٥٤.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ٢/ ١٥٥.

(٤) مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان، وما يقوله من وجدها، برقم ٢١٥- (١٣٥).

(٥) أي الراوي عن أبي هريرة رضي الله عنه، وهو أبو سلمة بن عبد الرحمن.

(٦) مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان، وما يقوله من وجدها، برقم ٢١٥- (١٣٥).

٤- لا يجوز قياس الخالق بالمخلوق، قال الكشميري: «أي: لا يزَالون يقيسون المخلوق على مخلوق آخر، حتَّى يقيسون الخالق أيضاً على المخلوق، فيقولون: من خَلَقَ الله، وهو باطلٌ، فإن الأمر إذا وَصَلَ إلى ما بالذات انتهى، وفيه دليلٌ على استحالة تسلسل العِلَل»^(١).

٥- «قال ابن بطال: في حديث أنس الإشارة إلى ذم كثرة السؤال؛ لأنها تُفْضِي إلى المَحْذُور كَالسُّؤَالِ الْمَذْكُورِ، فَإِنَّهُ لَا يَنْشَأُ إِلَّا عَنْ جَهْلٍ مُفْرِطٍ، وَقَدْ وَرَدَ بزيادةٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ بَلْفَظٍ: «لا يزَال الشَّيْطَانُ يَأْتِي أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ حتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ الله، فإذا وَجَدَ ذَلِكَ أَحَدَكُمْ فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ»^(٢).

٦- لا يجوز النطق بوسوسة الشيطان، بل يجب الإعراض عنها، ويحرم النطق بها، ويجب دفعه عن خاطر، وأن يلجأ الإنسان إلى الاستعاذة بالله تعالى من الشيطان؛ ليكفيه شر وسوسته، وفتنته، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٣).

٧- وفيه أنه ينبغي مع الإعراض عن ذلك، والانتفاء عنه: النطق بالإيمان، والتصريح به، بأن يقول: «آمَنْتُ بِاللَّهِ ورسله»^(٤).

٨- قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وقد خلق الله النفس شبيهة بالرحى التي لا تسكن، وهذه الرحى لا بد أن يوضع فيها شيء، فالأفكار والخواطر التي تجول في النفس، هي بمنزلة الحب الذي يوضع في الرحى، فمن الناس من تطحن

(١) فيض الباري شرح صحيح البخاري، ١ / ٣٦٢.

(٢) فتح الباري لابن حجر، ١٣ / ٢٧٣.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٠.

(٤) طرح التشريب في شرح التقريب للزين العراقي، ٨ / ١٥٧.

رحاه حبًّا يخرج دقيقًا ينفع به نفسه وغيره، وأكثرهم يطحن رملاً، وحصى، وتبنًا، ونحو ذلك، فإذا جاء وقت العجن والخبز تبين له حقيقة طحيته^(١).

١٣٥- (٥) «يَقْرَأُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ

وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾»^(٢).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤٥٦- قَالَ أَبُو زَمِيلَ^(٣): سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنه^(٤) فَقُلْتُ: مَا شَيْءٌ أَجَدُّهُ فِي صَدْرِي؟ قَالَ: مَا هُوَ؟ قُلْتُ: وَاللَّهِ مَا أَتَكَلَّمُ بِهِ، قَالَ: فَقَالَ لِي: «أَشْيَاءٌ مِنْ شَكِّ؟» قَالَ: وَضَحِكًا، قَالَ: «مَا نَجَا مِنْ ذَلِكَ أَحَدٌ»، قَالَ: حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾^(٥) الْآيَةَ، قَالَ: فَقَالَ لِي: «إِذَا وَجَدْتَ فِي نَفْسِكَ شَيْئًا فَقُلْ: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾»^(٦)^(٧).

٤٥٧- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلُوهُ:

(١) انظر: فوائد الفوائد، ص ٢٧٠.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٣. أبو داود، كتاب الأدب، باب في رد الوسوسة، برقم ٥١١٠، وجود إسناده النووي في كتاب الأذكار، ص ١٧٥، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، ٩٦٢/٣.

(٣) هو سماك بن الوليد الحنفي. تابعي ثقة احتج به مسلم في صحيحه.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٢ من أحاديث الشرح.

(٥) سورة يونس، الآية: ٩٤.

(٦) سورة الحديد، الآية: ٣.

(٧) أبو داود، برقم ٥١١٠، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، ٩٦٢/٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاطَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، قَالَ: «وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟»
قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ»^(١).

٤٥٨- وفي لفظ لمسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سئل النبي ﷺ عن الوسوسة فقال: «تلك محض الإيمان»^(٢).

٤٥٩- وفي رواية لأحمد: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَحَدْتُ نَفْسِي بِالشَّيْءِ: لِأَنِّي أَخِرُّ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَكَلَّمَ بِهِ، قَالَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَى الْوَسْوَسةِ»^(٣).

ثانياً: شرح مفردات الحديث والاثار:

١- قوله: «هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» قال العلامة السعدي رحمته الله في الآية: «﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ الذي ليس قبله شيء.

﴿وَالْآخِرُ﴾ الذي ليس بعده شيء.

﴿وَالظَّاهِرُ﴾ الذي ليس فوقه شيء.

﴿وَالْبَاطِنُ﴾ الذي ليس دونه شيء.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ قد أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والسرائر والخفايا، والأمور المتقدمة والمتأخرة»^(٤).

٢- ويقول العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾

(١) مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان، وما يقوله من وجدها، برقم ١٣٢.

(٢) مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، برقم ١٣٣.

(٣) أخرجه أحمد، ١٠/٤، برقم ٢٠٩٧، وأبو داود، برقم ٥١١٢، وغيرهما، وصححه محققو المسند، ١٠/٤،

والألباني في صحيح أبي داود، برقم ٥١١٢، وتقدم تخريجه في فوائد حديث المتن رقم ١٣٣ في الفائلة رقم ٧.

(٤) تفسير السعدي، ص ٨٣٧.

أربعة أشياء: ﴿الأول﴾ أي الذي ليس قبله شيء؛ لأنه لو كان قبله شيء لكان الله مخلوقاً، وهو **مُخْلَقُ الخالق**؛ ولهذا فسر النبي ﷺ ﴿الأول﴾ الذي ليس قبله شيء^(١)، فكل الموجودات بعد الله، فليس معه أحد، ولا قبله، ﴿والآخر﴾ الذي ليس بعده شيء؛ لأنه لو كان بعده شيء لكان ما يأتي بعده غير مخلوق لله، والمخلوقات كلها مخلوقة لله **مُخْلَقُ الخالق**، فهو الأول لا ابتداء له، والآخر لا انتهاء له، ليس بعده شيء، ﴿والظاهر﴾، قال النبي ﷺ: تفسيرها: «الذي ليس فوقه شيء»، فكل المخلوقات تحته جل وعلا، فليس فوقه شيء، ﴿والباطن﴾، قال النبي ﷺ: «الذي ليس دونه شيء» أي: لا يحول دونه شيء، خبير عليم بكل شيء، لا يحول دونه جبال، ولا أشجار، ولا جدران^(٢).

٣- قوله: «ما شيء أجده في صدري»: والمعنى أنه يجد في صدره وسوسة من الشيطان: مَنْ وَجَدَ الشَّيْءَ، وَوَجَدَ ضَالَّتَهُ، يَجِدُهَا وَجَدَانًا، وَوَجَدًا، وَجَدَةً، وَوَجَدًا، وَوُجُودًا وَوَجَدَانًا وَإِجْدَانًا: إِذَا رَأَاهَا وَلَقِيَهَا بَعْدَ أَنْ كَانَتْ عَنْهُ غَائِبَةً وَبَعِيدَةً^(٣).

٤- قوله: «أشياء من شك»، أي: مَا تَجِدُهُ فِي صَدْرِكَ، وَتَحَسُّ بِهِ، أَهْوُ شَيْءٍ مِنْ رِيْبَةٍ وَشَكٍّ^(٤).

(١) لفظ الحديث عند مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، برقم ٢٧١٣: كَانَ أَبُو صَالِحٍ يَأْمُرُنَا، إِذَا أَرَادَ أَحَدُنَا أَنْ يَتِمَّ، أَنْ يَضْطَجِعَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ الثَّوَرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، أَقْضِ عَنَّا الدُّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ». وَكَانَ يَزُوي ذَلِكَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

(٢) تفسير ابن عثيمين، ١٥ / ٤.

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ١٥٥ / ٥، مادة (وجد).

(٤) انظر: عون المعبود مع حاشية ابن القيم، ١٠ / ١٤.

٥- قوله: «إذا وجدت في نفسك»: أي: إذا حصل في نفسك وصدرك شيء من هذا الشك، وهذه الريبة فأتعبك هذا وأرهقك، ففي القاموس: «وتوجد السهر، وغيره: شكاه»^(١).

٦- وفي تفسير الآية قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «قوله تعالى لنبية محمد ﷺ: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ هل هو صحيح أم غير صحيح؟

يكون جواب هذا السؤال: ﴿فَأَسْأَلِ الَّذِينَ يَفْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ أي: اسأل أهل الكتب المنصفين، والعلماء الراسخين، فإنهم سيقرون لك بصدق ما أخبرت به، وموافقة لما معهم، فإن قيل: إن كثيرًا من أهل الكتاب، من اليهود والنصارى، بل ربما كان أكثرهم ومعظمهم كذبوا رسول الله، وعاندوه، وردوا عليه دعوته.

والله تعالى أمر رسوله أن يستشهد بهم، وجعل شهادتهم حجة لما جاء به، وبرهانًا على صدقه، فكيف يكون ذلك؟

فالجواب عن هذا، من عدة أوجه:

أ- منها: أن الشهادة إذا أضيفت إلى طائفة، أو أهل مذهب، أو بلد ونحوهم، فإنها إنما تتناول العدول الصادقين منهم، وأما من عداهم، فلو كانوا أكثر من غيرهم فلا عبرة فيهم؛ لأن الشهادة مبنية على العدالة والصدق، وقد حصل ذلك بإيمان كثير من أبحارهم الربانيين، (عبد الله بن سلام)، وأصحابه، وكثير ممن أسلم في وقت النبي ﷺ، وخلفائه، ومن بعده، و(كعب الأحبار) وغيرهما.

ب- ومنها: أن شهادة أهل الكتاب للرسول ﷺ مبنية على كتابهم التوراة الذي يتسبون إليه، فإذا كان موجودًا في التوراة، ما يوافق القرآن ويصدق، ويشهد له بالصحة،

(١) القاموس المحيط، ص: ٤١٣، مادة (وجد).

فلو اتفقوا من أولهم لآخرهم على إنكار ذلك، لم يقدر بما جاء به الرسول ﷺ.

ج- منها: أن الله تعالى أمر رسوله أن يستشهد بأهل الكتاب على صحة ما جاءه، وأظهر ذلك وأعلنه على رؤوس الأشهاد.

ومن المعلوم أن كثيرًا منهم من أحرص الناس على إبطال دعوة الرسول محمد ﷺ، فلو كان عندهم ما يرد ما ذكره الله، لأبدوه، وأظهروه، وبينوه، فلما لم يكن شيء من ذلك، كان عدم رد المعادي، وإقرار المستجيب من أدل الأدلة على صحة هذا القرآن وصدقه.

د- ومنها: أنه ليس أكثر أهل الكتاب، رد دعوة الرسول ﷺ، بل أكثرهم استجاب لها، وانقاد طوعًا واختيارًا، فإن الرسول بعث وأكثر أهل الأرض المتدينين أهل كتاب، فلم يمكث دينه مدة غير كثيرة، حتى انقاد للإسلام أكثر أهل الشام، ومصر، والعراق، وما جاورها من البلدان التي هي مقر دين أهل الكتاب، ولم يبق إلا أهل الرياسات الذين آثروا ریاساتهم على الحق، ومن تبعهم من العوام الجهلة، ومن تدين بدينهم اسمًا لا معنى، كالإفرنج الذين حقيقة أمرهم أنهم دهرية منحلون عن جميع أديان الرسل، وإنما انتسبوا للدين المسيحي، ترويجًا لملكهم، وتمويهًا لباطلهم، كما يعرف ذلك من عرف أحوالهم البيئة الظاهرة»^(١).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- الرجل وإن كان مؤمناً مصدقاً، فقد يعرض له الشيطان بهذه الوسواس.

٢- قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «ومعنى صريح الإيمان وهو استعظامكم الكلام به هو صريح الإيمان فإن استعظام هذا وشدة الخوف منه ومن النطق به فضلاً عن اعتقاده إنما يكون لمن استكمل الإيمان استكمالاً محققاً وانتفت عنه الريبة

(١) تفسير السعدي، ص ٣٧٣.

والشكوك، أما الكافر فإن الشيطان يتلاعب به حيث أراد»^(١).

٣- قال الإمام ابن قيم الجوزية: «فَأَرْشَدَهُمْ بِهَذِهِ الْآيَةِ إِلَى بَطْلَانِ التَّسْلُسِ الْبَاطِلِ بِبِدْيَةِ الْعَقْلِ، وَأَنَّ سِلْسِلَةَ الْمَخْلُوقَاتِ فِي ابْتِدَائِهَا تَنْتَهِي إِلَى أَوَّلِ لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ، كَمَا تَنْتَهِي فِي آخِرِهَا إِلَى آخِرِ لَيْسَ بَعْدَهُ شَيْءٌ، كَمَا أَنَّ ظُهُورَهُ هُوَ الْعُلُوُّ الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ، وَبُطُونُهُ هُوَ الْإِحَاطَةُ الَّتِي لَا يَكُونُ دُونُهُ فِيهَا شَيْءٌ، وَلَوْ كَانَ قَبْلَهُ شَيْءٌ يَكُونُ مُؤَثِّرًا فِيهِ لَكَانَ ذَلِكَ هُوَ الرَّبُّ الْخَلَّاقُ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَنْتَهِيَ الْأَمْرُ إِلَى خَالِقٍ غَيْرِ مَخْلُوقٍ وَغَنِيٍّ عَنْ غَيْرِهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ فَقِيرٌ إِلَيْهِ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ مَوْجُودٌ بِذَاتِهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ مَوْجُودٌ بِهِ قَدِيمٌ لَا أَوَّلَ لَهُ، وَكُلُّ مَا سِوَاهُ فَوْجُودُهُ بَعْدَ عَدَمِهِ بَاقٍ بِذَاتِهِ، وَبَقَاءُ كُلِّ شَيْءٍ بِهِ فَهُوَ الْأَوَّلُ الَّذِي لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ، وَالْآخِرُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ شَيْءٌ، الظَّاهِرُ الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ، الْبَاطِنُ الَّذِي لَيْسَ دُونَهُ شَيْءٌ»^(٢).

٤- قال الجزائري: وإنما وجه الله الخطاب للنبي ﷺ ليكون غيره من باب أولى ألف مرة ومرة، وإلا فالرسول ﷺ لا يشك، ولا يسأل كيف ذلك، وهو يتلقى الوحي من ربه^(٣).

٥- وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: والمراد من أهل الكتاب هم المنصفين والعلماء الراسخين كعبد الله بن سلام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فإنهم سيقرون بصدق ما أخبرت به وموافقته لما معهم^(٤).

(١) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ٢/ ٣٣٣.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، للإمام ابن قيم الجوزية، ٢/ ٤٢٢.

(٣) أيسر التفاسير، ص ٧٢٤.

(٤) تيسير الكريم الرحمن، ص ٣٧٣.

٤١ - دُعَاءُ قَضَاءِ الدِّينِ

١٣٦- (١) «اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ» (١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤٦٠- عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام (٢) أَنَّ مُكَاتَّبًا جَاءَهُ فَقَالَ: إِنِّي قَدْ عَجَزْتُ عَنْ كِتَابَتِي فَأَعِنِّي، قَالَ: أَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ عَلَّمْنِيهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلٍ صِيرَ دَيْنًا أَدَاهُ اللَّهُ عَنْكَ؟ قَالَ: «قُلِ اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ» (٣).

٤٦١- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه (٤)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه: «أَلَا أَعْلَمُكَ دُعَاءً تَدْعُو بِهِ لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلٍ لَأَدَّى اللَّهُ عَنْكَ؟ قُلْ يَا مُعَاذُ: اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ، تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ، وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ، وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ، بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، رَحْمَنٌ

(١) الترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن، برقم ٣٥٦٣، وأحمد، ٤٣٨/٢، برقم ١٣١٩، والحاكم، ٧٢١/١، وصححه، ووافقه الذهبي، والمقدسي في الأحاديث المختارة، ٢٧٥/١، وحسنه، والعلامة الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٨٢٢، وفي صحيح الترغيب والترهيب، برقم ١٨٢٠، وفي رواية الحاكم: «صير» مكان «صير».

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٥ من أحاديث الشرح.

(٣) الترمذي، برقم ١٣١٩، والحاكم، ٧٢١/١، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٨٢٢، وفي صحيح الترغيب والترهيب، برقم ١٨٢٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.

(٥) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤ من أحاديث الشرح.

الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، تُعْطِيَهُمَا مَنْ تَشَاءُ، وَتَمْنَعُ مِنْهُمَا مَنْ تَشَاءُ، ارْحَمْنِي رَحْمَةً تُغْنِيَنِي بِهَا عَنْ رَحْمَةِ مَنْ سِوَاكَ»^(١).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللَّهُم اكفني بحلالك عن حرامك» أي: اجعلني غنياً بالحلال عن الحرام. قال القاري رحمته الله: «اكفني بهمزة وصل تثبت في الابتداء مكسورة وتسقط في الدرج وضبط في بعض النسخ بفتح الهمزة ولا وجه له إذ هو أمر من كفى يكفي بحلالك عن حرامك أي متجاوزاً أو مستغنيا عنه»^(٢).

٢- قوله: «واغني بفضلك عمن سواك» أي: اجعلني غنياً بما تمن علي به من فضل فلا أسأل غيرك ولا ألتجئ إلا لك، وقال الزبيدي: «فالغني هو الذي لا تعلق له بغيره، ولا يتصور أن يكون غنياً مطلقاً إلا الله تعالى، فالله تعالى هو الغني، وهو المغني أيضاً، ولكن الذي أغناه لا يتصور أن يكون بإغنائه غنياً مطلقاً، فمن أقل أموره أنه يحتاج إلى المغني، فلا يكون غنياً، بل يستغني عن غير الله تعالى بأن يمدّه الله تعالى بما يحتاج إليه؛ لا بأن يقطع عنه أصل الحاجة، والغني الحقيقي هو الذي لا حاجة له إلى أحد أصلاً، ... فالمستغني بالحق أغنى الأغنياء، وإن كان يخزن مؤنة من كُلف به، فإن ذلك من آداب الكُمّل لقوة معرفتهم بحدود الله...»^(٣).

٣- قوله: «أن مكاتباً»: المكاتب: هو العبد الذي يتفق مع سيده على أن يكون حرّاً، وذلك مقابل مبلغاً من المال اتفقا عليه في وقت معين، قال ابن الأثير: «مكاتباً:

(١) المعجم الصغير، للطبراني، ١/ ٣٣٦، برقم ٥٥٨، والضياء المقدسي في المختارة، ٧/ ٦٩٦، برقم ٢٦٣٣، وحسنه، والهيثمي في مجمع الزوائد، ٤/ ٤٣٤، وحسنه أيضاً الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ١٨٢١.

(٢) مرقة المفاتيح، ١/ ٣٦٢.

(٣) إتحاف السادة المتقين، للزبيدي صاحب معجم تاج العروس، ٣/ ٢٦٨.

المكاتب: العبد يشتري نفسه من مولاه بمال معين في ذمته ليؤديه إليه من كسبه.

٤- قوله: «مثل جبل صبير ديناً»: المراد من ذلك المبالغة في عظم الدين، وأن الله سيقضيه عنه مهما كان قدره، وصبير اسم لجبل في ديار طيئ فيه كهوف كاليوت، وصير: جبل باليمن، وقال بعضهم: الذي جاء في حديث علي: «مثل جبل صير» بإسقاط الباء الموحدة، قال: وهو جبل لطيّ، وجبل على الساحل أيضاً، بين عمان وسيراف، قال: فأما صبير: فإنما جاء في حديث معاذ^(١).

٥- قوله: «عجزت عن كتابتي» أي: لم أجد المال لأدفعه كما اتفقنا في عقد الكتابة، قال الطيبي رحمته الله: «الكتابة: المال الذي كاتب به السيد عبده، يعني: بلغ وقت أداء مال الكتابة، وليس لي مال، أقول [القائل الطيبي رحمته الله]: طلب المكاتب المال، فعلمه [عليّ] عليه السلام الدعاء، إما لأنه لم يكن عنده شيء من المال ليعينه، فردّه أحسن رد، عملاً بقوله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ﴾^(٢)، أو أرشده إلى أن الأولى والأصلح له أن يستعين بالله لأدائها، ولا يتكل على الغير»^(٣).

٦- قوله: «المكاتب»: بفتح الكاف من تقع له الكتابة، وبالكسر من تقع منه، وهي مشتقة من كتب أي: أوجب. كقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾^(٤)، قال ابن التين: كانت موجودة في الجاهلية، وأقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأول من كوتب من الرجال: سلمان الفارسي رضي الله عنه، ومن النساء بريرة رضي الله عنها، وبعد موته صلى الله عليه وسلم أبو أمية مولى عمر رضي الله عنه، ثم سيرين مولى أنس بن مالك رضي الله عنه^(٥).

٧- قوله: «ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله صلى الله عليه وسلم»: قال القاري رحمته الله:

(١) جامع الأصول، لابن الأثير، ٤ / ٣٤٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٣.

(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦ / ١٩٠٨.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

(٥) انظر: فتح الباري، ٥ / ٢١٩.

«يحتمل أن تكون ألا للتنبيه، وأن تكون الهمزة للاستفهام، ولا للنفي، وسقط الجواب ببلى اختصاراً، أو إشارة إلى أنه لا يحتاج إليه؛ لأن من المعلوم أنه هو المراد، والمعنى: ألا أخبرك بكلمات، أو بفضيلة دعوات»^(١).

٨- قوله: «لو كان عليك مثل جبل صير ديناً»: قال الطيبي: «أن يكون تمييزاً عن اسم (كان)؛ لما فيه من الإبهام، و(عليك) خبره مقدماً عليه، وأن يكون (ديناً) خبر (كان)، و(عليك) حالاً من المستتر في الخبر، والعامل هو معنى الفعل المقدر في الخبر، ومن جوّز إعمال (كان) في الحال، فظاهر على مذهبه»^(٢).

٩- قوله: «أداه الله عنك»: قال الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ: «أي: أنقذك من مذلتك، وأخرجه من ذمتك»^(٣).

١٠- قوله: «رحمن الدنيا والآخرة»: الرحمن الرحيم اسمان من أسماء الله الحسنى، وهناك فروق بينهما، ولذلك كان استعمال اسم الرحمن هنا دون الرحيم، لأمر بياني إيماني، قال الحافظ ابن حجر في الفروق بين الاسمين الحسنيين: «الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ: اسمانِ مِنَ الرَّحْمَةِ، أَيِ مُشْتَقَّانِ مِنَ الرَّحْمَةِ»^(٤).

وقال العلامة السعدي: «﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ اسمان دالان على أنه تعالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت كل شيء، وعمت كل حي، وكتبها للمتقين المتبعين لأنبيائه ورسله، فهؤلاء لهم الرحمة المطلقة، ومن عداهم فلهم نصيب منها، واعلم أن من القواعد المتفق عليها بين سلف الأمة وأئمتها، الإيمان بأسماء الله وصفاته، وأحكام الصفات، فيؤمنون مثلاً بأنه رحمن رحيم، ذو الرحمة التي اتصف بها، المتعلقة بالمرحوم. فالنعم

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨ / ٣٤٤.

(٢) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦ / ١٩٠٨.

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، ٤ / ٣٧١.

(٤) انظر: فتح الباري، لابن حجر، ٨ / ١٥٥.

كلها، أثر من آثار رحمته، وهكذا في سائر الأسماء. يقال في العليم: إنه عليم ذو علم، يعلم به كل شيء، قدير، ذو قدرة يقدر على كل شيء»^(١).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- العتق من جملة محاسن هذا الدين ومفاخره وهو إزالة الملك. قال الأزهري: هو مشتق من عتق الفرس إذا سبق؛ لأن الرقيق يتخلص بالعتق ويذهب حيث شاء^(٢).

٢- حث الله على إعتاق الرقاب، فقال ﷺ: ﴿فَكَ رَقَبَةً﴾^(٣)، والمراد تخليصها من الرق، وإنما خصت بالذكر إشارة إلى أن حكم السيد على سيده كالغل في الرقبة، فإذا أعتق فك الغل من رقبتة، كما قال الرسول ﷺ: «أيما رجل أعتق امرأً مسلماً، استنقذ الله بكل عضو منه عضواً منه من النار»^(٤).

٣- ما كان عليه عليّ ﷺ من حسن إرشاد السائل إلى ما ينفعه؛ حيث علمه هذا الدعاء، وفي ذلك فضل لتعلم العلم، وتعليمه لمن يجله.

٤- الحث على الإكثار من هذا الدعاء لمن ابتلي بالدين، مع تفويض الأمر إلى الله، وبذل كل سبب شرعي لقضائه، وعدم المماطلة لقوله ﷺ: «مطل الغني ظلم»^(٥).

٥- عون الله للمدين على حسب نيته في السداد، أو عدمه؛ لقوله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ كَانَتْ لَهُ نِيَّةٌ فِي آدَاءِ دَيْنِهِ، إِلَّا كَانَ لَهُ مِنَ اللَّهِ عَوْنٌ، فَأَنَا أَلْتَمِسُ

(١) تفسير السعدي، ص: ٣٩.

(٢) فتح الباري، ٥/ ١٧٥.

(٣) سورة البلد، الآية: ١٣.

(٤) البخارين كتاب العتق، باب ما جاء في العتق وفضله، برقم ٢٥١٧.

(٥) البخاري، كتاب الحوالات، باب في الحوالة وهل يرجع في الحوالة، برقم ٢٢٨٧.

ذَلِكَ الْعَوْنُ»^(١)، وضد ذلك من استدان وليس في نيته السداد توعدده النبي ﷺ بقوله: «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ»^(٢).

٦- ينبغي المبادرة إلى قضاء الدين قبل الموت لما يترتب على عدم قضائه بعد الموت من أمور عظام حذر منها رسول الله ﷺ كقوله: «نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدِينِهِ، حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ»^(٣)، وقوله ﷺ لسعد بن الأحول ؓ لما مات أخوه، وترك ثلاث مائة دينار، وترك أولادًا صغارًا، فأراد سعد أن ينفق على أولاد أخيه من هذا المال، فأخبره الرسول ﷺ بقوله: «إِنَّ أَخَاكَ مَحْبُوسٌ بِدِينِهِ، فَادْهَبْ، فَاقْضِ عَنْهُ» قَالَ: فَذَهَبْتُ، فَقَضَيْتُ عَنْهُ، ثُمَّ جِئْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ قَضَيْتُ عَنْهُ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا امْرَأَةٌ تَدْعِي دِينَارَيْنِ، وَلَيْسَتْ لَهَا بَيِّنَةٌ، قَالَ: «أَعْطِهَا، فَإِنَّهَا صَادِقَةٌ»^(٤)، وقوله ﷺ: «لَا تُخَيِّفُوا أَنْفُسَكُمْ بَعْدَ أَمْنِهَا» قَالُوا: وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الدَّيْنُ»^(٥).

(١) مسند أحمد، ٤٠/٤٩٧، برقم ٢٤٤٣٩، والبيهقي في السنن الكبرى، ٥/٣٥٤، والحاكم، ٢/٢٢، وصححه، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ١٨٠١.

(٢) البخاري، كتاب في الاستقراض، باب من أخذ أموال الناس يريد أداءها أو إتلافها، برقم ٢٣٨٧.

(٣) ابن ماجه، كتاب الصدقات، باب التشديد في الدين، برقم ٢٤١٣، وأحمد، ١٥/٤٢٥، والبيهقي، ٤/٦١، ورواية أحمد بلفظ: «نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ مَا كَانَ عَلَيْهِ دَيْنٌ» وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب بروايته، برقم ١٨١١.

(٤) مسند أحمد، ٢٨/٤٦٣، برقم ١٧٢٢٧، وصححه محققو المسند، ٢٨/٤٦٣، والألباني في أحكام الجنائز، ص ١٥، وحسن الألباني لفظ أبي داود، برقم ٣٣٤١: عَنْ سَمُرَةَ، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «هَاهُنَا أَحَدٌ، مِنْ بَنِي فَلَانٍ؟» فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: «هَاهُنَا أَحَدٌ مِنْ بَنِي فَلَانٍ؟» فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: «هَاهُنَا أَحَدٌ مِنْ بَنِي فَلَانٍ؟» فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ ﷺ: «مَا مَنَعَكَ أَنْ تُجِيبَنِي فِي الْمَرْتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ؟ أَمَا إِنِّي لَمْ أَنْوَهُ بِكُمْ إِلَّا خَيْرًا، إِنَّ صَاحِبَكُمْ مَأْسُورٌ بِدِينِهِ» فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ أَدَّى عَنْهُ حَتَّى مَا بَقِيَ أَحَدٌ يَطْلُبُهُ بِشَيْءٍ» وفي صحيح الترغيب والترغيب، برقم ١٥٥٠.

(٥) أحمد، ٢٨/٥٥٧، برقم ١٧٣٢٠، والبيهقي، ٥/٣٥٥، وأبو يعلى، ٣/٢٨٠، برقم ١٧٣٩، وحسنه محققو المسند، ١٥/٤٢٦، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٢٤٢٠.

١٣٧- (٢) «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ
وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث، وشرح مفرداته^(٢) :

تقدم لفظه، وشرح مفرداته، وبيان فوائده، وتخريجه في حديث المتن رقم ١٢١.

(١) البخاري، ١٥٨/٧، برقم ٢٨٩٣، وتقدم ص ٨٣، برقم ١٢١.

(٢) تنبيه هام: جاء هذا الدعاء عند أبي داود من حديث أبي سعيد الخدري ؓ وفيه قصة حيث دخل رسول الله ﷺ ذات يوم المسجد، فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة فقال: «يا أبا أمامة، مالي أراك جالساً في المسجد في غير وقت صلاة؟» قال: هموم لزممتني وديون يا رسول الله، قال: «أفلا أعلمك كلاماً إذا قلته أذهب الله همك وقضى عنك دينك؟» قلت: بلى يا رسول الله قال: «قل: إذا أصبحت وإذا أمسيت» ثم ذكر الدعاء، قال أبو أمامة: ففعلت فأذهب الله تعالى همي وغمي وقضى عني ديني. قال الألباني: «وقد ضعف الحديث مع هذه القصة أيضاً أبو داود، والمنذري، والعسقلاني، وقد صح هذا الدعاء من حديث أنس كما تقدم من غير ذكر الصباح والمساء». انظر: ضعيف سنن أبي داود، برقم ١٥٥٥.

٤٢ - دَعَاءُ الْوَسْوَسةِ فِي الصَّلَاةِ وَالْقِرَاءَةِ

١٣٨ - «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَاتَّقِلْ عَلَى يَسَارِكَ (ثَلَاثًا)»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظا الحديث:

٤٦٢ - أتى عُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ رضي الله عنه ^(٢) النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي وَقِرَاءَتِي، يَلْبِسُهَا عَلَيَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ، وَاتَّقِلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلَاثًا»، قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللَّهُ عَنِّي، هَذَا لَفْظُ مُسْلِمٍ^(٣).

٤٦٣ - ولفظ ابن ماجه: عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا اسْتَعْمَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الطَّائِفِ، جَعَلَ يَعْزِضُ لِي شَيْءٌ فِي صَلَاتِي، حَتَّى مَا أَدْرِي مَا أَصْلِي، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ رَحَلْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «ابْنُ أَبِي الْعَاصِ؟» قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «مَا جَاءَ بِكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَزَّضَ لِي شَيْءٌ فِي صَلَوَاتِي، حَتَّى مَا أَدْرِي مَا أَصْلِي، قَالَ: «ذَاكَ الشَّيْطَانُ، إِذْنُهُ»، فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَجَلَسْتُ عَلَى صُدُورِ قَدَمَيَّ، قَالَ: فَضَرَبَ صَدْرِي بِيَدِهِ، وَتَقَلَّ فِي فَمِي، وَقَالَ: «اخْرُجْ عَدُوَّ اللَّهِ» فَفَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ:

(١) مسلم، كتاب السلام، باب التعوذ من شيطان الوسوسة في الصلاة، برقم ٢٢٠٣.

(٢) عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه: أبو عبد الله الثقفي الطائفي، الأمير الفاضل المؤمن، قدم في وفد ثقيف على النبي ﷺ سنة تسع، فأسلموا، وأمره عليهم؛ لما رأى من عقله، وحرصه على الخير والدين، وكان أصغر الوفد سناً، ثم أقره أبو بكر وعمر على الطائف، ثم استعمله عمر على عُمان والبحرين، ثم قدمه على جيش، فافتتح توج ومضرها، وسكن البصرة، وكانت وفاته عام إحدى وخمسين. انظر: الاستيعاب، ٣/ ١٠٣٥، ترجمة رقم ١٧٧٢، سير أعلام النبلاء، ٢/ ٣٧٤، ترجمة رقم (٧٨).

(٣) مسلم، برقم ٢٢٠٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

«الْحَقُّ بِعَمَلِكَ». قَالَ: فَقَالَ عُثْمَانُ: فَلَعَمْرِي مَا أَحْسِبُهُ خَالَطَنِي بَعْدُ^(١).

٤٦٤- ولفظ البيهقي: عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ، قَالَ: اسْتَعْمَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَا أَصْغَرُ السِّتَةِ الَّذِينَ وَفَدُوا عَلَيْهِ مِنْ ثَقِيفٍ، وَذَلِكَ أَنِّي كُنْتُ قَرَأْتُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الْقُرْآنَ يَنْفِلْتُ مِنِّي، فَوَضَعَ يَدُهُ عَلَى صَدْرِي، وَقَالَ: «يَا شَيْطَانُ، اخْرُجْ مِنْ صَدْرِ عُثْمَانَ»، فَمَا نَسِيتُ شَيْئًا بَعْدَهُ أَرِيدُ حِفْظَهُ^(٢).

٤٦٥- ولفظ الطبراني: عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ رضي الله عنه، يَقُولُ: شَكَّوْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نِسْيَانَ الْقُرْآنِ، فَضَرَبَ صَدْرِي بِيَدِهِ، فَقَالَ: «يَا شَيْطَانُ اخْرُجْ مِنْ صَدْرِ عُثْمَانَ»، قَالَ عُثْمَانُ: فَمَا نَسِيتُ مِنْهُ شَيْئًا بَعْدُ أَحْبَبْتُ أَنْ أَذْكُرَهُ^(٣).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ»: قَالَ الرَّاعِبُ الْأَصْفَهَانِيُّ رحمته الله: «الْعُوذُ: الْإِلْتِجَاءُ إِلَى الْغَيْرِ، وَالتَّعَلُّقُ بِهِ. يُقَالُ: عَاذَ فُلَانٌ بِفُلَانٍ، ... وَأَعَذْتَهُ بِاللَّهِ أَعِيْذَهُ، أَيِ: أَلْتَجِئْتُ إِلَيْهِ، وَأَسْتَنْصِرُ بِهِ أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ، فَإِنْ ذَلِكَ سَوَاءٌ أَتَحَاشَى مِنْ تَعَاطِيهِ^(٤)، وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رحمته الله: فَإِنَّ الْمُسْتَعَاذَ مِنْهُ نَوْعَانِ: فَتَوَعُّدٌ مَوْجُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ ضَرَرِهِ الَّذِي لَمْ يُوجَدْ بَعْدُ، وَتَوَعُّدٌ مَفْقُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ وُجُودِهِ؛ فَإِنَّ نَفْسَ وَجُودِهِ ضَرَرٌ، مِثَالُ الْأَوَّلِ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، وَمِثَالُ الثَّانِي: التَّعَوُّدُ مِنَ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ، أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أَزَلَ^(٥)».

٢- قوله: «مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»: قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ رحمته الله: «الشَّيْطَانُ: مَنْ

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الطب، باب الفزع والأرق، برقم ٣٥٤٦، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة/ ٦/ ٤١٧.

(٢) دلائل النبوة، للبيهقي، ٥/ ٣٠٨، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ٦/ ٤١٧.

(٣) المعجم الكبير للطبراني، ٩/ ٣٧، برقم ٨٣٤٧، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ٦/ ٤١٧.

(٤) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للرأغب الأصفهاني، ٢/ ١٣٦.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله، ١٨/ ٢٨٨، وتقدم في شرح المفردة رقم ١

من مفردات حديث المتن رقم ١٧.

الشطن: البعد، أي: بَعْدَ عن الخير، أو من الحبل الطويل، كأنه طال في الشر، أو من شاط يشيط إذا هلك، أو من استشاط غضباً إذا احتدّ في غضبه، والتهب، والأول أصح^(١)، وقال الطبري رَحِمَهُ اللهُ: «وأما الرجيم، فهو: فَعِيل بمعنى مفعول.... ملعون. وتأويل الرجيم: الملعون المشتوم، وكل مشتوم بقولٍ رديء، أو سبٍّ، فهو مَرْجُوم، وأصل الرجم الرَّمْيُ، بقول كان أو بفعل»^(٢).

٣- قوله: «واتفل على يسارك ثلاثاً»: إنما جاء الأمر باليسار؛ لأن الشيطان لا يقصد إلا القلب والقلب أقرب إلى اليسار^(٣).

٤- قوله: «حال بيني وبين صلاتي» أي: صار حائلاً، والحائل هو الحاجز بين الشيئين، والمعنى: أن الشيطان جاءه، فوسوس له، وشغله في صلاته، قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ: «حال: أصل الحول تغير الشيء، وانفصاله من غيره باعتبار التغير، وقيل: حال الشيء، يحول حوْلاً، واستحالة: تهيئاً لأن يحول، وباعتبار الانفصال قيل: حال بيني وبينك كذا»^(٤).

٥- قوله: «يلبسها»: أي: يخلطها، واللبس هو الخلط، وقال النووي: «وَمَعْنَى (يَلْبَسُهَا): أَيُّ: يَخْلُطُهَا، وَيُشَكِّكُنِي فِيهَا، وَهُوَ بِفَتْحِ أَوَّلِهِ وَكَسْرِ ثَالِثِهِ، وَمَعْنَى: «حَالٌ بَيْنِي وَبَيْنَهَا»: أَيُّ: نَكَّدَنِي فِيهَا، وَمَنْعَنِي لَدَّتْهَا، وَالْفَرَاغَ لِلْخُشُوعِ فِيهَا»^(٥).

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٤٧٤، مادة (شطن)، وتقدم في المفردة رقم ٧ من

مفردات حديث المتن في المقدمة في فضل الذكر، رقم ١.

(٢) تفسير الطبري، ١/ ١١٢، وتقدم في شرح المفردة رقم ٧ من مفردات حديث المتن رقم ٢٠.

(٣) انظر: العلم الهيب، ، ص ٣٦١.

(٤) شرح المشكاة للطبري: الكاشف عن حقائق السنن، ٢/ ٥٢٨.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٤/ ١٩٠.

٦- قوله: «خنزب»: لقب لذاك الشيطان، ومعنى خنزب في اللغة: «القطعة الممتنة من اللحم»^(١).

وقال النووي: «قلت: خنزب بخاء معجمة، ثم نون ساكنة، ثم زاي مفتوحة، ثم باء موحدة، واختلف العلماء في ضبط الخاء منه، فمنهم من فتحها، ومنهم من كسرهما، وهذان مشهوران، ومنهم من ضمّها»^(٢)، وقال القرطبي: «هو بالحاء المهملة ويفتحها عند الجياني، وبكسرهما عند الصدي، وفي الصحاح: الخنزاب: هو الغليظ القصير، وأنشد:

تَاخَ لَهَا بَعْدَكَ خِنْزَابٌ وَزَى

والوزى: الشديد، فيمكن أن يُسمّى الشيطان: خنزبًا؛ لأنه يتراءى غليظًا قصيرًا. وحذفت الألف لما صار علمًا، فكثيرًا ما تغيّر الأعلام عن أصولها»^(٣).

ثالثًا: ما يستفاد من الحديث:

١- حرص عدو الله إبليس على الذهاب بلب الصلاة، وهو الخشوع، حتى يخرج المصلي من صلاته، ولم يعقل منها شيئًا، فيفوت عليه الأجور العظيمة، وإن كان العبد قد سقطت عنه الفريضة بعد أدائها.

٢- الوسوسة من أعظم مكائد الشيطان، ابتداءً من أمر الطهارة والنية، ثم في داخل الصلاة، ولا علاج لهذا إلا بالعلم الشرعي، وإلا صار الموسوس مجنونًا، أو على درب المجانين.

٣- ما أنعم الله ﷻ به على الصحابة رضي الله عنهم من حضور النبي ﷺ ووجوده بين ظهرانيهم، فإذا أشكل عليهم أمر رجعوا إليه.

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١٦٣ / ٢، مادة (خنزب).

(٢) الأذكار النووية للإمام النووي، ص ١٧٥.

(٣) المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٧٢ / ١٨.

٤- اليقين التام على صدق الرسول ﷺ فيما قال، هو طريق قطع الوسوسة؛ لأن بعض الناس يطبقون هذه السنة وأمثالها على سبيل التجربة، وهذا من تلبس الشيطان عليهم.

٥- ذكر في هذا الحديث: تعوذ بالله، وفيه: «واتفل عن يسارك ثلاثاً»، وفي الآخر: «قل: بسم الله ثلاثاً»، «وقل سبع مرات: أعوذ بالله، وقدرته، من شر ما أجد وأحاذر»^(١)، فيه اختصاص هذه الأمور بالوتر، وتخصيص الثلاث منها، والسبع، وذلك كثير في موارد الشرع، لا سيما تخصيص السبع بما هو في باب الشفاء، والمعافة، والنشر، ودفع السحر، وأمر الشيطان والسم»^(٢).

٦- وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ اسْتِحْبَابُ التَّعَوُّذِ مِنَ الشَّيْطَانِ عَنْ وَسْوَستِهِ مَعَ الثَّفَلِ عَنِ الْيَسَارِ ثَلَاثًا^(٣).

٧- قال ابن القيم رحمه الله: ومن جملة مفسدات الوسوسة ما يلي:

أ - يجمع الموسوس على نفسه طاعة إبليس ومخالفة السنة.

ب - تعذيب نفسه وإضاعة وقته.

ج - الاشتغال بما ينقص أجره.

د - فوات ما هو أنفع له.

هـ - تعريض نفسه لظعن الناس فيه.

و - تغرير الجاهل بالاعتداء به.

ز - يجعل من نفسه قرة عين لخنزب وأصحابه.

٨- قال أبو حامد الغزالي رحمه الله: والوسوسة سببها إما جهل بالشرع أو

(١) مسلم، برقم ٢٢٠٢، وسيأتي تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ٢٤٣.

(٢) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم للقاضي عياض، ٥٤ / ٧.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٩٠ / ١٤.

خبل في العقل وكلاهما من أعظم النقائص والعيوب^(١).

٩- قد ذَكَرَ عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ لِلْوُضُوءِ شَيْطَانًا يُقَالُ لَهُ: الْوَلَهَانُ، فَاتَّقُوا وَسْوَاسَ الْمَاءِ»^(٢).

(١) انظر: إغاثة اللّهفان، ١/ ١٢٧.

(٢) "تهذيب الكمال" ٤٨٨/١، و"تهذيب التهذيب" ٧٠/١، و"التقريب" (١١٠).
(٣) الترمذي، برقم ٥٧، وقال الألباني: ضعيف الإسناد، وانظر المشكاة، برقم ٤١٩، وقد استشهد بهذا الحديث عدد من الأئمة في كثير من كتبهم، ففي شرح عمدة الفقه لابن تيمية، ١/ ٢١٣: «وَعَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لِلْوُضُوءِ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ الْوَلَهَانُ، فَاتَّقُوا وَسْوَاسَ الْمَاءِ». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ، وَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيْمِ فِي تحفة المودود بأحكام المولود، ص: ١١٨: «وفي سنن ابن ماجه، وزيادات عبد الله في مسند أبيه، من حديث أبي بن كعب عن النبي ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِلْوُضُوءِ شَيْطَانًا يُقَالُ لَهُ الْوَلَهَانُ، فَاتَّقُوا وَسْوَاسَ الْمَاءِ» وفي زاد المعاد، ١/ ١٨٤: «وكان من أيسر الناس صباً لماء الوضوء، وكان يحذر أمته من الإسراف فيه، وأخير أنه يكون في أمته من يعتدي في الطهور وقال: «إِنَّ لِلْوُضُوءِ شَيْطَانًا يُقَالُ لَهُ الْوَلَهَانُ، فَاتَّقُوا وَسْوَاسَ الْمَاءِ».

٤٣- دَعَاءُ مَنْ اسْتَصْعَبَ عَلَيْهِ أَمْرٌ

١٣٩- «اللَّهُمَّ لَا سَهْلَ إِلَّا مَا جَعَلْتَهُ سَهْلًا، وَأَنْتَ تَجْعَلُ الْحَزْنَ إِذَا شِئْتَ سَهْلًا»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤٦٦- عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه^(٢)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «اللَّهُمَّ لَا سَهْلَ إِلَّا مَا جَعَلْتَهُ سَهْلًا، وَأَنْتَ تَجْعَلُ الْحَزْنَ سَهْلًا إِذَا شِئْتَ»^(٣).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللَّهُمَّ»: «بِمَعْنَى: يَا اللَّهُ، ... الْمِيمُ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أُولَها، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الْاسْمِ الْمُتَادِي الْمُفْرَدِ»^(٤).

٢- قوله: «لا سهل»: السهل هو الأمر الميسور الخالي من التعب والتكد. قال في اللسان: السَّهْلُ نَقِيضُ الْحَزْنِ، والنسبة إليه سُهْلِيٌّ، وَنَهْزٌ سَهْلٌ ذُو سَهْلَةٍ، وَالسُّهُولَةُ ضِدُّ الْحُزُونَةِ، وَقَدْ سَهَّلَ الْمَوْضِعَ -بِالضَّم- ... السَّهْلُ كُلُّ شَيْءٍ إِلَى الْبَلِينِ، وَقِلَّةُ الْخَشُونَةِ ... وَالسَّهْلُ كَالسَّهْلِ ... وَقَدْ سَهَّلَ سُهُولَةً،

(١) رواه ابن حبان في صحيحه، ٢٥٥/٣، برقم ٩٧٤، والضياء المقدسي في المختارة، ٦٢/٥، برقم ١٦٨٤، وحسن إسناده، والديلمي في مسند الفردوس، ٤٩٥/١، برقم ٢٠١٩، وابن السني، برقم ٣٥١، وصححه عبد القادر الأرناؤوط في تخريج الأذكار للنووي، ص ١٠٦، ومحقق ابن حبان، ٢٥٥/٣، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٩٠٢/٦.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه، برقم ٩٧٤، والضياء المقدسي في المختارة، برقم ١٦٨٤، وحسن إسناده، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٩٠٢/٦، وتقدم تخريجه في حديث المتن.

(٤) لسان العرب، ١٣/٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، في المفردة رقم ٦.

وَسَهَّلَهُ صَيَّرَهُ سَهْلًا، وفي الدعاء: «سَهَّلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْأَمْرَ، وَلَكَ»، أي: حَمَلَ مَوْنَتَهُ عَنْكَ، وَخَفَّفَ عَلَيْكَ، وَالسَّهْلُ مِنَ الْأَرْضِ نَقِيضُ الْحَزْنِ ... وَأَرْضٌ سَهْلَةٌ، وَقَدْ سَهَّلْتُ سُهولةً»^(١).

٣- قوله: «إِلَّا مَا جَعَلْتَهُ سَهْلًا»: أي: أَنْكَ الَّذِي تَمْلِكُ التَّيْسِيرَ وَالرَّاحَةَ، قَالَ الشُّوْكَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الدَّعَاءُ بِأَنَّ اللَّهَ ﷻ يَجْعَلُ كُلَّ صَعْبٍ مِنَ الْأُمُورِ سَهْلًا، يُمْكِنُ الْوَصُولُ إِلَيْهِ بِلاَ صُعُوبَةٍ، وَإِنْ أَخَذَهُ إِعْيَاءٌ مِنْ شُغْلٍ، أَوْ طَلَبَ زِيَادَةَ قُوَّةٍ»^(٢).

٤- قوله: «الْحَزْنُ»: بِفَتْحِ الْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ وَإِسْكَانِ الزَّايِ أَيِ: الْأَرْضِ الْخَشْنَةِ الْغَلِيظَةِ، قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: «الْحَزْنُ: الْمَكَانُ الْغَلِيظُ الْحَشِينُ، وَالْحُزُونَةُ: الْخُشُونَةُ، وَمِنْهُ حَدِيثُ الْمَغِيرَةِ «مَحْزُونٌ لِلَّهِزْمَةِ» أَيِ: خَشِنْتُهَا، أَوْ أَنَّ لَهْزَمَتَهُ تَدَلَّتْ مِنَ الْكَأَبَةِ، وَمِنْهُ حَدِيثُ الشَّعْبِيِّ: «أَحْزَنَ بَنَا الْمَنْزِلِ» أَيِ: صَارَ ذَا حُزُونَةٍ، كَأَخْصَبَ وَأَجْدَبَ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ قَوْلِهِمْ: أَحْزَنَ الرَّجُلُ، وَأَسْهَلَ: إِذَا رَكِبَ الْحَزْنَ، وَالسَّهْلَ، كَأَنَّ الْمَنْزِلَ أَرْكَبَهُمُ الْحُزُونَةَ حَيْثُ نَزَلُوا فِيهِ»^(٣).

٥- قوله: «وَأَنْتَ تَجْعَلُ الْحَزْنَ إِذَا شِئْتَ سَهْلًا»: قَالَ الشُّوْكَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الدَّعَاءُ بِأَنَّ اللَّهَ ﷻ يَجْعَلُ كُلَّ صَعْبٍ مِنَ الْأُمُورِ سَهْلًا، يُمْكِنُ الْوَصُولُ إِلَيْهِ بِلاَ صُعُوبَةٍ، وَإِنْ أَخَذَهُ إِعْيَاءٌ مِنْ شُغْلٍ، أَوْ طَلَبَ زِيَادَةَ قُوَّةٍ»^(٤).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- خزائن كل شيء بيد من خلقها، وهو الله ﷻ: «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ»^(٥).

(١) لسان العرب، ١١ / ٣٤٩، مادة (سهل).

(٢) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين للشوكانى، ص ٢٩٧.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ١ / ٣٨٠، مادة (حزن).

(٤) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين للشوكانى، ص ٢٩٧.

(٥) سورة الحجر، الآية: ٢١.

٢- أسباب التيسير يجعلها الله هينة لينة لمن شاء من عبادة وبضدها تتميز الأشياء.

٣- مشروعية قول هذا الدعاء عند الأمور الصعبة مع شدة اليقين والتوكل على الله والأخذ بالأسباب المشروعة.

٤- مهما بذل العبد من سبب لتيسير الأمر الصعب فإن ذلك كله بمشيئة الله؛ لأن العباد كما أنهم لم يوجدوا أنفسهم لم يوجدوا أفعالهم فالكل بيد الله ومشيئة العبد داخلة تحت مشيئة الرب قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(١) وقول الرسول ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَصْنَعُ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنَعَتُهُ»^(٢).

(١) سورة الإنسان، الآية: ٣٠.

(٢) خلق أفعال العباد، للبخاري، ص: ٤٦، برقم ١٠٢، والحاكم، ١ / ٣١، وصححه الحافظ في الفتح، ٤٩٨ / ١٣، والألباني في صحيح الجامع، برقم ١٧٧٧.

٤٤ - مَا يَقُولُ وَيَفْعَلُ مَنْ أَذْنَبَ ذَنْبًا

١٤٠- «مَا مِنْ عَبْدٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤٦٧- عن عليّ^(٢) قال: كُنْتُ رَجُلًا إِذَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا نَفَعَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِمَا شَاءَ أَنْ يَنْفَعَنِي، وَإِذَا حَدَّثَنِي أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ اسْتَحْلَفْتُهُ، فَإِذَا حَلَفَ لِي صَدَّقْتُهُ، قَالَ: وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ، وَصَدَّقَ أَبُو بَكْرٍ^(٣) أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ»، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ^(٤)، هذا لفظ أصحاب السنن.

٤٦٨- ولفظ الطبراني: عن يوسف بن عبد الله بن سلام^(٥)، قال: أتيت أبا

(١) أبو داود، كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، برقم ١٥٢١، والترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء في الصلاة عند التوبة، برقم ٤٠٦، والنسائي في الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يفعل من بلي بذنب ويقول، برقم ١٠٢٤٧، وابن ماجه، كتاب الصلاة، باب ما جاء في أن الصلاة كفارة، برقم ١٣٩٥، وصححه الحافظ ابن حجر في فتح الباري، ٩٨ / ١١، والألباني في صحيح أبي داود، ٢٨٣ / ١.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٥ من أحاديث الشرح.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢١٤ من أحاديث الشرح.

(٤) أبو داود، برقم ١٥٢١، والترمذي، ٢ / ٢٥٧، برقم ٤٠٦، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٢٨٣ / ١، وقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) يوسف بن عبد الله بن سلام الإسرائيلي المدني، أبو يعقوب، صحابي أدرك النبي ﷺ وهو صغير، أجلسه رسول الله ﷺ في حجره، ومسح على رأسه، وسماه يوسف، روى عن النبي ﷺ أحاديث، وقال: سماني رسول الله ﷺ يوسف، وأقعدني في حجره، ومسح على رأسي، وقد ذكره العجلي في ثقات التابعين. انظر: الاستيعاب، ٤ / ١٥٩٠، تقريب التهذيب، ٢ / ٣٤٤.

الدرء^(١)، وهو بالشام، فقال: ما جاء بك يا بني إلى هذه البلدة، وما عناك إليها؟ قلت: ما جاء بي إلا صلة ما كان بينك وبين أبي، فأخذ بيدي، فأجلسني، فساندته، ثم قال: بشئ ساعة الكذب على رسول الله ﷺ، سمعت النبي ﷺ يقول: «ما من مسلم يذنب ذنباً، فيتوضأ، ثم يصلي ركعتين، أو أربعاً مفروضة، أو غير مفروضة، ثم يستغفر الله إلا غفر الله له»^(٢).

٤٦٩- وعند البيهقي: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا، فَيَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ ﷻ إِنْ شَاءَ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَنْ يُعَذِّبَهُ عَلَيْهِ عَذَّبَهُ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ ﷻ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ»^(٣).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

- ١- قوله: «ما من عبد»: يدخل في ذلك الذكر والأنثى؛ لعموم الأدلة على ذلك.
- ٢- قوله: «يذنب ذنباً»: أي: يقترب ذنباً من الذنوب، وهي المعاصي، قال ابن فارس رحمته الله: «الذنب والجُرم، يقال: أذنب يذنب، والاسم الذنب، وهو مُذْنِبٌ...»^(٤). وقال ابن منظور رحمته الله: «الذنب: الإثم والجُرم والمَعْصِيَةُ»^(٥).
- ٣- قوله: «فيحسن الطهور»: بضم الطاء هو الوضوء، وبالفتح هو الماء المستخدم في الطهارة. أي: يتقن الوضوء بواجباته، ومستحباته، قال ابن

وأما أبوه: عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي ثم الأنصاري، كان حليفاً للأنصار، كان اسمه في الجاهلية الحصين، فلما أسلم سماه رسول الله ﷺ عبد الله، وتوفي بالمدينة في خلافة معاوية سنة ثلاث وأربعين، وهو أحد الأحرار، أسلم إذ قدم النبي ﷺ المدينة، الاستيعاب، ٣/ ٩٢١، والإصابة، ٤/ ١١٩.

- (١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤ من أحاديث الشرح.
- (٢) المعجم الأوسط للطبراني، ٥/ ١٨٦، برقم ٥٠٢٦، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ١٤/ ١٠.
- (٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.
- (٤) شعب الإيمان، للبيهقي، ٥/ ٤٠٩، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ١٥٨.
- (٥) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ٢/ ٣٦١، مادة (ذنب).
- (٦) لسان العرب، ١/ ٣٨٩، مادة (ذنب)، وتقدم شرح الذنب في شرح المفردة رقم ٢ من حديث المتن رقم ٤٦.

الأثير رحمته: «الطُّهُور - بِالضَّمِّ - : التَّطَهُّرُ، - وبالفَتْح - : الماء الَّذِي يَتَطَهَّرُ بِهِ، كالْوُضُوءِ وَالْوُضُوءِ، وَالسَّحُورِ وَالشُّحُورِ، وَقَالَ سَيِّوْنِيَّةُ: الطُّهُورُ بِالْفَتْحِ يَقَعُ عَلَى الْمَاءِ وَالْمُضَدَّرِ مَعاً، فَعَلَى هَذَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْحَدِيثُ بِفَتْحِ الطَّاءِ وَضَمِّهَا، وَالْمَرَادُ بِهِمَا التَّطَهُّرُ»^(١)، وقال القاري رحمته: «بُضَمِّ الطَّاءِ، أَيُّ: يَأْتِي بِوَاجِبَاتِهِ وَمُكَمَّلَاتِهِ»^(٢).

٤- قوله: «ثم يقوم فيصلي ركعتين» أي: بخشوع وخضوع وتذلل وندم على ما أذنب، قال الحجاوي رحمته: «وصلاة التوبة إذا أذنب ذنباً يتطهر، ثم يصلي ركعتين»^(٣).

٥- قوله: «ثم يستغفر الله» أي: بالقلب واللسان مع العزم على عدم العودة إلى ذلك، قال الطيبي رحمته: «وإن كانت الصلاة أعلى رتبة من الاستغفار؛ لأن المطلوب بالذات في هذا المقام هو الاستغفار، وذكر الصلاة كالوسيلة إلى قبول التوبة، ومآل المعنيين إلى أمر واحد»^(٤)، وقال المباركفوري رحمته في الاستغفار: «أي: لذلك الذنب كما في رواية بن السني والمراد بالاستغفار التوبة بالندامة والإقلاع والعزم على أن لا يعود إليه أبداً، وأن يتدارك الحقوق إن كانت هناك وثم في الموضوعين لمجرد العطف التعقيبي»^(٥).

٦- قوله: «إلا غفر الله له»: فضلاً من الله وكرماً، قال القاري رحمته: «استثناء مفرغ مما هو جواب محذوف للشرط المذكور، أي: الذي قال فيه ذلك الذكر تقديره ما قال قائل هذا الدعاء إلا غفر الله له ما أصابه في يومه ذلك، أو يقدر نفي أي: من قال ذلك لم يحصل له شيء من الأحوال، إلا هذه

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ١٤٧، مادة (طهر).

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣/ ٨٤٢.

(٣) الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، ١/ ١٥٤.

(٤) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤/ ١٢٤٧.

(٥) تحفة الأحوذى، ٢/ ٣٦٨.

الحالة العظيمة من المغفرة الجسيمة من ذنب»^(١).

٧- قوله: «مفروضة أو غير مفروضة»: أي الصلاة إن كانت فرضاً أو غير فرض من الله ﷻ، أي من السنن، أو المستحبات، أو المندوبات، وفَرَضَ الله الأحكام فرضاً: أوجبها، فالْفَرَضُ: الْمَفْرُوضُ، وجمعه فُرُوضٌ، مثل فَلَيْسَ و فُلُوسٍ^(٢).

٨- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: قال العلامة السعدي رحمه الله: «أي: صدر منهم أعمال سيئة كبيرة، أو ما دون ذلك، فبادروا إلى التوبة والاستغفار»^(٣).

٩- قوله تعالى: ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾: قال العلامة السعدي رحمه الله: «أي: ذكروا ربهم، وما توعدهم به العاصين، ووعد به المتقين»^(٤).

١٠- قوله تعالى: ﴿فَاسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ فسألوه المغفرة لذنوبهم، والستر لعيوبهم، مع إقلاعهم عنها، وندمهم عليها^(٥).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- بيان سعة رحمة الله ﷻ فهو رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما وأن باب التوبة لا يغلق لقوله ﷻ: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يَغْرُغْ»^(٦) ومعنى الغرغرة: هي وصول الروح إلى الحلقوم حال النزاع.

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨ / ٢٧٠.

(٢) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ٢ / ٤٦٩.

(٣) تفسير السعدي، ص ١٤٨.

(٤) تفسير السعدي، ص ١٤٨.

(٥) انظر: تفسير السعدي، ص: ١٤٨.

(٦) الترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا إبراهيم بن يعقوب، برقم ٣٥٣٧، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، رقم ١٩٠٣.

٢- ليس معنى هذا أن العبد يتجراً بفعل المعاصي اعتماداً على هذا الحديث وأمثاله؛ لأن هذا سوء أدب مع خالقه، وعاقبة ذلك خسرًا، قال رسول ﷺ: «يا عائشة إياك ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالباً»^(١).

٣- الحث على إسباغ الوضوء، والإقبال على الصلاة بخشوع القلب، مع سكونية الجوارح طامعاً في وعد الله بالمغفرة، وقد جاء في نهاية الحديث أن النبي ﷺ قرأ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَٰئِكَ جَزَاءُ هُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾^(٢).

٤- ومعنى «ينفعني الله به» أي: بالعمل بما في الحديث، وكانت هذه عادة الصحابة ﷺ يتعلمون ويعملون.

٥- قوله: «استحلفت» أي: لزيادة التوثيق، والاطمئنان، وإلا فإن خبر الواحد العدل مقبول، فكيف بالصحابة ﷺ.

٦- قوله: «صدقته» أي: على وجه الكمال وإن كان القبول حاصلًا بدونه^(٣).

(١) أخرجه أحمد، ١٥١/٦، رقم (٢٥٢١٨)، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب، برقم ٤٢٤٣، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول، ٣٥٥/٢، وابن أبي شيبة، ٨٠/٧، برقم ٣٤٣٣٧، قال البوصيري في زوائد ابن ماجه، ٢٤٥/٤: «هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات» وصحح إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة، ٢٦/٢، ٥١٣.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ١٣٥-١٣٦.

(٣) انظر: شرح سنن ابن ماجه للسندي، ١٦٤/٢.

٤٥ - دُعَاءُ طَرْدِ الشَّيْطَانِ وَوَسَاوِسِهِ

١٤١ - (١) «الْأَسْتِعَاذَةُ بِاللَّهِ مِنْهُ» (١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤٧٠ - عن جبير بن مطعم رضي الله عنه (٢)، أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي صَلَاةً - قَالَ عَمْرُو: لَا أَذْرِي أَيَّ صَلَاةٍ هِيَ - فَقَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ثَلَاثًا، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ مِنْ نَفْخِهِ وَنَفْثِهِ وَهَمْزِهِ»، قَالَ: نَفْثُهُ الشَّعْرُ، وَنَفْخُهُ الْكِبْرُ، وَهَمْزُهُ الْمَوْتَةُ» (٣).

٤٧١ - وعند مسلم عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه (٤)، قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَمِعَنَاهُ يَقُولُ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ» ثُمَّ قَالَ «أَلْعَنَكَ بِلَعْنَةِ اللَّهِ» ثَلَاثًا، وَبَسَطَ يَدَهُ كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ سَمِعْنَاكَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ شَيْئًا لَمْ نَسْمَعْكَ تَقُولُهُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَرَأَيْنَاكَ بَسَطْتَ يَدَكَ، قَالَ: «إِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ إِبْلِيسَ، جَاءَ بِشَهَابٍ مِنْ نَارٍ لِيَجْعَلَهُ فِي وَجْهِهِ، فَقُلْتُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قُلْتُ: أَلْعَنَكَ بِلَعْنَةِ اللَّهِ الثَّامَةِ، فَلَمْ يَسْتَأْخِرْ، ثَلَاثَ

(١) أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء، برقم ٧٦٤، وابن ماجه، أبواب إقامة الصلاة، باب الاستعاذة في الصلاة، برقم ٨٠٧، وقواه الألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ٥٥ / ٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ٣١، وانظر: سورة المؤمنون، الآيتان: ٩٧-٩٨.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١١٣ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، برقم ٧٦٤، وابن ماجه، برقم ٨٠٧، وقواه الألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ٥٥ / ٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ٣١، وانظر: سورة المؤمنون، الآيتان: ٩٧-٩٨.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤ من أحاديث الشرح.

مَرَاتٍ، ثُمَّ أَرَدْتُ أَخْذَهُ، وَاللَّهُ لَوْلَا دَعْوَةُ أَخِينَا سَلِيمَانَ لَأَصْبَحَ مُوثَقًا يَلْعَبُ بِهِ وَلَدَانُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ»^(١).

٤٧٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ عَفْرِيَّتًا مِنَ الْجِنِّ تَقْلَتِ الْبَارِحَةَ لَيَقْطَعَ عَلَيَّ صَلَاتِي فَأَمْكِنَنِي اللَّهُ مِنْهُ فَأَخَذْتُهُ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبُطَهُ عَلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ فَذَكَرْتُ دَعْوَةَ أَخِي سَلِيمَانَ رَبِّ ﴿هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ فَرَدَّدْتُهُ خَاسِتًا»^(٢).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «الاستعاذة بالله»: قال الراغب الأصفهاني: «والعوذ: الالتجاء إلى الغير، والتعلق به.... وأعدته بالله أعيده، أي: ألتجئ إليه، وأستنصر به أن أفعل ذلك»^(٣)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَإِنَّ الْمُسْتَعَاذَ مِنْهُ نَوْعَانِ: فَنَوْعٌ مَوْجُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ ضَرَرِهِ... وَنَوْعٌ مَفْقُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ وُجُودِهِ... وَيُسْتَعَاذُ مِنَ الشَّرِّ الْمَوْجُودِ أَنْ لَا يُضَرَّ، وَيُسْتَعَاذُ مِنَ الشَّرِّ الصَّارِ الْمَفْقُودِ أَنْ لَا يُوجَدَ»^(٤).

٢- قوله: «بشهاب»: الشهاب شعلة من النار وقيل: كل أبيض ذي نور فهو شهاب. الشهاب الذي يَنْقُضُ في الليل شَبَه الكوكب، وهو في الأصل الشُّغْلَةُ من النار»^(٥).

(١) مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة، والتعوذ منه، وجواز العمل القليل في الصلاة، برقم ٥٤٢.

(٢) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾، برقم ٣٤٢٣، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة، والتعوذ منه، وجواز العمل القليل في الصلاة، برقم ٥٤١.

(٣) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ١٣٦/٢، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من مفردات حديث لمتن رقم ٥٥.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، ٢٨٨/١٨، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ١٧.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥١٢/٢، مادة (شهب).

٣- قوله: «بلعنة الله» التامة أي: التي توجب عليك العذاب سرمداً، وقيل: إنها لعنة واجبة، وقوله: «ألعنك بلعنة الله التامة»، أصل اللعن: الطرد والبعاد، ومعناه: أسأل الله أن يلعنه بلعنته^(١).

٤- قوله: «لولا دعوة أخينا سليمان»: وهو قوله: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾^(٢)، وقد سخر الله له الجن، ولم يسخر لأحد من بعده، قال القرطبي رحمه الله: «يدلّ على أن مُلْكَ الجن، والتصرف فيهم بالقهر، مما خُصَّ به سليمان عليه السلام، وسبب خصوصيته: دعوته التي استجيبَتْ له»^(٣).

٥- قوله: «قول أخي سليمان» يفهم منه أن مثل هذا مما خُصَّ به سليمان عليه السلام دون غيره من الأنبياء، واستجيبت دعوته في ذلك؛ ولذلك امتنع نبينا عليه السلام من أخذه، إما إنه لم يقدر عليه لذلك؛ أو لما تذكر ذلك لم يتعاط ذلك؛ لظنه أنه لا يقدر عليه، أو تواضعاً، وتأدباً، وتسليماً لرغبة سليمان^(٤).

٦- قوله: «موثقاً»: أي: مقيداً مكتفياً، وَالْحَبْلُ، أَوِ الشَّيْءُ الَّذِي يُوثَقُ بِهِ وَثَاقٌ، وَالْجَمْعُ الْوُثُقُ بِمَنْزِلَةِ الرِّبَاطِ وَالرُّبُطِ، وَأَوْثَقَهُ فِي الْوِثَاقِ، أَيِ شَدَّهُ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَشُدُّوا الْوِثَاقَ﴾^(٥).

٧- قوله: «إِنَّ عَفْرِيَّتاً مِنَ الْجِنِّ»: قال الإمام البخاري في صحيحه مفسراً له: «عفريت: مُتَمَرِّدٌ مِنْ إِنْسٍ، أَوْ جَانٍ، مِثْلُ زَيْبِيَّةَ، جَمَاعَتُهَا: الزَّيْبَانِيَّةُ»^(٦)، وقال العيني رحمه الله: «العفريت من الجن هو العاتي الخبيث ويقال للرجل الخبيث الداهي

(١) المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٥ / ٨٠.

(٢) سورة ص: آية ٣٥.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٥ / ٨١.

(٤) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض، ٢ / ٢٦٤.

(٥) لسان العرب، ١٠ / ٢٧١، مادة (وثق)، وانظر: العلم الهيب، وشرح مسلم للنووي، ٥ / ٣٠. والآية من سورة محمد، الآية: ٤.

(٦) صحيح البخاري، ٤ / ١٦٢.

العفريت وهو ذكر الخنزير سمي به لخبثه والعفريت من كل شيء المبالغ يقال: عفريت نفريت ومعنى تفلت: أي تعرض لي بغتة ليغلبني في صلاتي»^(١).

٨- قوله: «لَوْلَا دَعْوَةُ أَخِينَا سَلِيمَانَ لِأَصْبَحَ مُوثَّقًا يَلْعَبُ بِهِ وَلَدَانُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ» يعني الشيطان الذي عرض له في صلاته، وأراد بدعوة سليمان عليه السلام قوله: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾، ومن جملة ملكه تسخير الشياطين وانقيادهم له^(٢).

٩- قوله ﷺ: «الْعَنَكَ بَلْعَنَةِ اللَّهِ الثَّامَةِ»، قَالَ الْقَاضِي: يَحْتَمِلُ تَسْمِيَتُهَا ثَامَةً، أَيْ لَا نَقْصَ فِيهَا، وَيَحْتَمِلُ الْوَاجِبَةَ لَهُ، الْمُسْتَحَقَّةَ عَلَيْهِ، أَوْ الْمَوْجِبَةَ عَلَيْهِ الْعَذَابَ سَرْمَدًا، وَقَالَ الْقَاضِي: «وَقَوْلُهُ ﷺ: «الْعَنَكَ بَلْعَنَةِ اللَّهِ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ» دَلِيلُ جَوَازِ الدُّعَاءِ لِغَيْرِهِ، وَعَلَى غَيْرِهِ، بِصِيغَةِ الْمُخَاطَبَةِ، خِلَافًا لِابْنِ شَعْبَانَ مِنْ أَصْحَابِ مَالِكٍ فِي قَوْلِهِ: إِنَّ الصَّلَاةَ تَبْطُلُ بِذَلِكَ، قُلْتُ: وَكَذَا قَالَ أَصْحَابُنَا تَبْطُلُ الصَّلَاةُ بِالدُّعَاءِ لِغَيْرِهِ بِصِيغَةِ الْمُخَاطَبَةِ، كَقَوْلِهِ لِلْعَاطِسِ: رَحِمَكَ اللَّهُ، أَوْ يَزَحْمَكَ، وَلِمَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، وَأَشْبَاهُهُ...»^(٣).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- مشروعية الاستعاذة داخل الصلاة، مع التفل عن اليسار، وأن ذلك غير جارح لها؛ لكنه مرتبط بطرد الشيطان، ووسوسته، وفعل ذلك خارج الصلاة من باب أولى.

٢- الجن أجسام روحانية، فيحتمل هذا أنه تشكل على صورة يمكن ذلك فيها على العادة، ثم يمنع من أن يعود إلى ما كان عليه حتى يتأتى اللعب به، وإن خرقت العادة أمكن غير ذلك^(٤).

(١) انظر: العلم الهيب، ص ٣٥٩.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢ / ١٢٢، مادة (جن).

(٣) شرح النووي على مسلم، ٥ / ٣٠.

(٤) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض، ٢ / ٢٦٣.

٣- ما كان عليه الرسول ﷺ من تمام العبودية لله؛ لأنه ترك الإمساك بالجني، مع قدرته على ذلك تأدباً، وتواضعاً، وإقراراً منه لدعوة سليمان عليه السلام.

٤- جاء في القرآن قوله ﷻ: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾^(١)، وقوله ﷻ: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٢)، وقال رسول الله ﷺ: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه»^(٣)، وهذه أدلة صريحة على وجود الشيطان ومشروعية الاستعاذة بالله منه.

٥- فيه دليل على وجود الجن وأنه قد يراهم بعض الآدميين ولا معارضة بين هذا وبين قوله ﷻ: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾^(٤)؛ لأن هذا محمول على الغالب وقيل: إن رؤيتهم على صورهم الأصلية ممتنعة لظاهر الآية إلا للأنبياء عليهم السلام، وإنما يراهم بنو آدم في صور غير صورهم.

٦- قال القاضي عياض: وفيه رؤية بني آدم الجن، وقد جاءت بذلك عن السلف والصالحين أخبار كثيرة، ومجمل قوله ﷻ: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ على الأغلب والأعم، ولو كانت رؤيتهم محالاً لما أخبر النبي ﷺ بما أخبر وأراد، حتى تذكر خبر سليمان، وقيل: هذا الحديث دليل على رؤية أصحاب سليمان لهم، وليس بين عني، إنما دليله قدرة سليمان عليهم، وتسخيرهم له، كما نص الله تعالى عليه، وقد قيل: إن رؤيتهم على خلقهم وظهورهم ممتنعة؛ لظاهر الآية إلا للأنبياء، ومن خرقت له العادة، وإنما يراهم بنو

(١) سورة المؤمنون، الآيتان: ٩٧ - ٩٨.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٦.

(٣) أبو داود، برقم ٧٧٥، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١ / ١٤٩، وتقدم تخريجه في تخريج الحديث رقم ٣١ من أحاديث المتن.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.

آدم في صور غير صورهم، كما جاء في الآثار من ذلك^(١).

١١- إن قال قائل: كيف يسلط الشيطان على الرسول ﷺ وهو معصوم؟ والجواب أن العصمة كانت من الناس؛ لقوله ﷺ: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٢)، وكذلك العصمة من الشيطان في المعاصي دون الوسواس، دل على ذلك قوله: ﴿وَمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٣)، وقيل: إنه معصوم من شيطانه، وما كان يأمره إلا بخير؛ لقوله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وكل به قرينه من الجن». قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: «(وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير)»^(٤).

١٢- قال القاضي: «واعلم أن الأمة مجتمعة على عصمة النبي ﷺ من الشيطان في جسمه، وخاطره، ولسانه»^(٥)، قلت: وعقله ﷺ، وتبليغه للوحي.

١٣- فِيهِ جَوَازُ الْحَلْفِ مِنْ غَيْرِ اسْتِحْلَافٍ؛ لِتَفْخِيمِ مَا يُخْبَرُ بِهِ الْإِنْسَانُ، وَتَعْظِيمِهِ، وَالْمُبَالَغَةَ فِي صِحَّتِهِ، وَصِدْقِهِ، وَقَدْ كَثُرَتِ الْأَحَادِيثُ بِمِثْلِ هَذَا^(٦).

(١) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض، ٢ / ٢٦٤.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٣) فصلت: ٣٦.

(٤) مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب تحريش الشيطان، ويحث سراياه لفتنة الناس، وأن مع كل إنسان قريناً، برقم ٢٨١٤، قال النووي: أما قوله ﷺ: «فأسلم» برفع الميم وفتحها، وهما روايتان مشهورتان، فمن رفع قال معناه: أسلم من شره وفتنته، ومن فتح قال: إن القرين أسلم من الإسلام، وصار مؤمناً بدليل قوله ﷺ: «فلا يأمرني إلا بخير. إلى أن قال النووي: والأرجح رواية الفتح. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ١٥٥/٧.

(٥) مسلم شرح النووي، ٥ / ٣٠، وانظر العلم الهيب.

(٦) مسلم شرح النووي، ٥ / ٣٠.

١٤٢ - (٢) «الْأَذَانُ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤٧٣- لفظ البخاري ومسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه (٢) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ أَذْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ، حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ، فَإِذَا قُضِيَ الدَّاءُ أَقْبَلَ، حَتَّى إِذَا ثُوبَ بِالصَّلَاةِ أَذْبَرَ، حَتَّى إِذَا قُضِيَ الشُّوبُ أَقْبَلَ، حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ، يَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا، اذْكُرْ كَذَا؛ لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ، حَتَّى يَظُلَّ الرَّجُلُ لَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى»^(٣).

٤٧٤- ولفظ آخر للبخاري: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا نُودِيَ بِالصَّلَاةِ أَذْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ، حَتَّى لَا يَسْمَعَ الْأَذَانَ، فَإِذَا قُضِيَ الْأَذَانُ أَقْبَلَ، فَإِذَا ثُوبَ بِهَا أَذْبَرَ، فَإِذَا قُضِيَ الشُّوبُ أَقْبَلَ، حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ، يَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا وَكَذَا، مَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ، حَتَّى يَظُلَّ الرَّجُلُ إِنْ يَدْرِي كَمْ صَلَّى، فَإِذَا لَمْ يَدْرِ أَحَدُكُمْ كَمْ صَلَّى ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا، فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ»^(٤).

٤٧٥- ورواية لمسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه (٥)، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ الشَّيْطَانُ إِذَا سَمِعَ الدَّاءَ بِالصَّلَاةِ أَحَالَ لَهُ ضُرَاطٌ، حَتَّى لَا يَسْمَعَ صَوْتَهُ، فَإِذَا سَكَتَ رَجَعَ فَوْسَوْسَ، فَإِذَا سَمِعَ الْإِقَامَةَ ذَهَبَ حَتَّى لَا يَسْمَعَ صَوْتَهُ، فَإِذَا

(١) البخاري، كتاب الأذان، باب فضل التأذين، برقم ٦٠٨، ومسلم، كتاب الصلاة، باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه، برقم ٣٨٩، والبخاري، كتاب السهو، باب إذا لم يدر كم صلى ثلاثاً أو أربعاً: سجد سجدتين وهو جالس، برقم ١٢٣١.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري، برقم ٦٠٨، ومسلم، برقم ١٩ - (٣٨٩)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) البخاري، برقم ١٢٣١. وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

سَكَتَ رَجَعَ فَوْسَوْسٌ»^(١).

٤٧٦- ورواية أخرى لمسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«إِذَا أَدْنَى الْمُؤَذِّنُ أَذْبَرَ الشَّيْطَانَ وَلَهُ حُصَاصٌ»^(٢).

٤٧٧- وفي رواية ثالثة لمسلم: عَنْ سُهَيْلٍ^(٣)، قَالَ: أَرْسَلَنِي أَبِي إِلَى بَنِي حَارِثَةَ، قَالَ: وَمَعِيَ غُلَامٌ لَنَا - أَوْ صَاحِبٌ لَنَا - فَتَادَاهُ مُنَادٍ مِنْ حَائِطٍ بِاسْمِهِ قَالَ: وَأَشْرَفَ الَّذِي مَعِيَ عَلَى الْحَائِطِ فَلَمْ يَرِ شَيْئًا، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِأَبِي فَقَالَ: لَوْ شَعَرْتُ أَنَّكَ تَلْقَى هَذَا لَمْ أَرْسَلْكَ، وَلَكِنْ إِذَا سَمِعْتَ صَوْتًا فَتَادِ بِالصَّلَاةِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا نُودِيَ بِالصَّلَاةِ وَلَّى وَلَهُ حُصَاصٌ»^(٤).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «الأذان»: قال النووي رحمته الله: «أصل الأذان: الإعلام، والأذان للصلاة معروف... المؤذن: المعلم بأوقات الصلاة... أذن المؤذن تأذينا، وأذانا، أي: أعلم الناس بوقت الصلاة... وأصله من الأذن، كأنه يلقي في أذان الناس بصوته ما يدعوهم إلى الصلاة، قال القاضي عياض رحمته الله: «اعلم أن الأذان كلام جامع لعقيدة الإيمان، مشتمل على نوعه من التعليقات والسمعيات، فأوله إثبات الذات، وما يستحقه من الكمال، والتنزيه عن أضدادها، وذلك بقوله: «الله أكبر»، وهذه اللفظة مع اختصار لفظها دالة على ما ذكرناه، ثم صرح بإثبات الوجدانية، ونفى ضدها من الشركة المستحيلة

(١) مسلم، برقم ١٦- (٣٨٩)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) مسلم، برقم ١٧- (٣٨٩).

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٤٤ من أحاديث الشرح.

(٤) مسلم، برقم ١٨- (٣٨٩)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

في حقه ﷺ، وهذه عمدة الإيمان، والتوحيد المقدمة على كل وظائف الدين، ثم صرح بإثبات النبوة والشهادة بالرسالة لنبينا ﷺ، وهي قاعدة عظيمة بعد الشهادة بالوحدانية، وموضعها بعد التوحيد؛ لأنها من باب الأفعال الجائزة الوقوع، وتلك المقدمات من باب الواجبات، وبعد هذه القواعد كملت العقائد العقلية فيما يجب، ويستحيل، ويجوز في حقه ﷺ، ثم دعا إلى ما دعاهم إليه من العبادات، فدعا إلى الصلاة، وجعلها عقب إثبات النبوة؛ لأن معرفة وجوبها من جهة النبي ﷺ، لا من جهة العقل، ثم دعا إلى الفلاح، وهو الفوز، والبقاء في النعيم المقيم، وفيه إشعار بأمور الآخرة من البعث، والجزاء، وهي آخر تراجم عقائد الإسلام، ثم كرر ذلك بإقامة الصلاة للإعلام بالشروع فيها، وهو متضمن لتأكيد الإيمان وتكرار ذكره عند الشروع في العبادة بالقلب واللسان وليدخل المصلي فيها علي بينة من أمره وبصيرة من إيمانه ويستشعر عظيم ما دخل فيه، وعظمة حق من يعبد، وجزيل ثوابه: هذا آخر كلام القاضي، وهو من النفائس الجليلة، وبالله التوفيق»^(١).

٢- قوله: «إذا نودي للصلاة» أي: بشروع المؤذن في أذانه، يريد إذا أذن لها فر الشيطان من ذكر الله في الأذان^(٢).

٣- قوله: «أدبر الشيطان» أي: ابتعد مسرعاً مولئاً، فرّ الشيطان من ذكر الله في الأذان، وأدبر وله ضراط من شدة ما لحقه من الخزي والذعر عند ذكر الله، وذكر الله في الأذان تفزع منه القلوب ما لا تفزع من شيء من الذكر؛ لما فيه من الجهر بالذكر، وتعظيم الله فيه، وإقامة دينه، فيدبر الشيطان لشدة ذلك على قلبه، حتى لا يسمع النداء^(٣).

(١) المجموع شرح المذهب، ٣ / ٧٥.

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ١٨ / ٣٠٨.

(٣) المرجع السابق، ١٨ / ٣٠٨.

٤- قوله: «الشيطان»: والظاهر أن المراد به إبليس، ويحتمل أن المراد جنس شيطان الجن^(١).

٥- قوله: «وله ضراط»: يمكن حمله على ظاهره؛ لأنه جسم متغذ يصح منه خروج الريح، ويحتمل أنها عبارة عن شدة نفاره، وعند مسلم «حصاص» أي: ضراط^(٢)، «له ضراط» جملة اسمية وقعت حالاً بدون واو؛ لحصول الارتباط بالضمير، وفي رواية للبخاري «وله» بالواو، وقال القاضي عياض: يمكن حمله على ظاهره؛ لأنه جسم منفذ، يصح منه خروج الريح، ويحتمل أنه عبارة عن شدة خوفه ونفاره، حتى لا يسمع النداء، أو يصنع ذلك استخفافاً، كما يفعله السفهاء، ويحتمل أنه لا يعتمد ذلك، بل يحصل له عند سماع الأذان، ولشدة خوفه يحصل له ذلك الصوت بسببها، ويحتمل أن يعتمد ذلك ليناسب ما يقابل الصلاة من الطهارة بالحدث^(٣).

٦- قوله: «فإذا قضي النداء» أي: انتهى المؤذن من أذانه وفرغ منه، قال ابن عبد البر: «فإذا قضي النداء أقبل على طبعه وجبلته، يوسوس أيضاً، ويفعل ما يقدر مما قد سلط عليه»^(٤).

٧- قوله: «أقبل» أي: رجع مرة ثانية بعدما ولى ليوسوس، قال العيني رَحِمَهُ اللهُ: «إذا فُرج من الأذان أقبل الشيطان، لزوال ما يلحقه من الشدة والداهية»^(٥).

٨- قوله: «ثوب بالصلاة»: المراد بالتثويب هو إقامة الصلاة، وقوله: «ثوب: وأصله من ثاب إلى الشيء إذا رجّع، وإنما قيل لقوله: «الصلاة خير من

(١) تنوير الحوالك، للسيوطي، ص: ٦٩.

(٢) فتح الباري، ٢ / ١٠٧.

(٣) تنوير الحوالك، للسيوطي، ص: ٦٩.

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ١٨ / ٣٠٨.

(٥) شرح أبي داود للعيني، ٢ / ٤٦٥.

النوم» تثويبًا ؛ لأنه راجعٌ إلى معنى ما تقدّم من قوله: «حي على الصلاة، حي على الفلاح»، وقيل : لتكراره له مرتين، قال الخطابي: التثويب: الإعلام بالشيء، ووقوعه، وأصله: أن الرجل إذا جاء فزعًا لوح شوسه^(١)، وقال ابن نافع: معناه: إذا نودي لها، وقال الهروي: التثويب - أيضاً - الإقامة، وقال عيسى بن دينار: معناه: أقيمت الصلاة، وهذا أصح التفسير؛ بدليل قوله في الأم في هذا الحديث من رواية ابن أبي شيبة: «فإذا سمع الإقامة ذهب»^(٢)، وقوله: «حتى إذا ثُوب بالصلاة أدبر»؛ أي : أقيمت، وأصله: أنه رجع إلى ما يشبه الأذان؛ أو لأن الإقامة يُرجع إليها، وتكرر على ما تقدم، وأصله: من ثاب إلى الشيء إذا رجع، ومنه قيل لقول المؤذن: «الصلاة خير من النوم» تثويب . وقال الخطابي رَحِمَهُ اللهُ: التثويب: الإعلام بالشيء ووقوعه، وأصله: أن الرجل إذا جاء فزعًا لوح بثوبه^(٣)، «المُرَاد بِالتَّثْوِيبِ الْإِقَامَةُ، وَأَصْلُهُ مِنْ ثَابَ إِذَا رَجَعَ، وَمُقِيمُ الصَّلَاةِ رَاجِعٌ إِلَى الدُّعَاءِ إِلَيْهَا، فَإِنَّ الْأَذَانَ دُعَاءٌ إِلَى الصَّلَاةِ، وَالْإِقَامَةُ دُعَاءٌ إِلَيْهَا»^(٤)، «وقال الطبري رَحِمَهُ اللهُ: قوله: «إذا ثُوب بالصلاة»، يعني صرخ بالإقامة مرة بعد مرة أخرى، ورجع، وكل مردد صوتًا فهو مَثُوبٌ، ولذلك قيل للمرجع صوته في الأذان بقوله: «الصلاة خير من النوم»، مَثُوبٌ، وأصله من ثاب يثوب، إذا رجع إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾^(٥)، يعني أنهم إذا انصرفوا منه رجعوا إليه، وجمهور العلماء على أن الإقامة للصلاة سنة، ولا خلاف بينهم أن قول المؤذن في نداء

(١) الشوس: الطوال، جمع أشوس. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢ / ٥٠٨، مادة (شوس).

(٢) المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٤ / ١٠٢١٤١) :

(٣) المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٤ / ١٠٣.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤ / ٩١.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٢٥.

الصباح «الصلاة خير من النوم»، يقال له: تثويب^(١)، وقال العراقي رَحِمَهُ اللهُ: «وأصل التثويب أن يجيء الرجل مستصرخاً، فيلوح بثوبه ليُرى، ويشتهر، فسمي الدعاء تثويباً لذلك، وكل داع مثوب، وقيل إنما سمي تثويباً من ثاب يثوب إذا رجع، فالمؤذن رجع بالإقامة إلى الدعاء للصلاة»^(٢).

٩- قوله: «يخطر» أي: بالوسوسة والتشويش، وأصله من خَطَرَ البعير بذنبه إذا حَرَّكَه فَضَرَبَ بِهِ فَخَذَيْهِ^(٣).

١٠- قوله: «حتى يخطر بين المرء ونفسه»: أي: بين المصلي وقلبه؛ ليذهب عنه الخشوع الذي هو لب الصلاة. قال الباجي: يمرّ فيحول بين المرء وما يريد من نفسه؛ من إقباله على صلاته، وإخلاصه، وهو على رواية أكثرهم بضم الطاء، وعن أبي بحر: يخطر - بكسرهما -؛ من قولهم: خطر البعير بذنبه: إذا حرَّكه، فكأنه يريد حركته بوسوسة النفس، وشغل السر^(٤)، وقال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ» هُوَ بِضَمِّ الطَّاءِ وَكَسْرِهَا، حَكَاهُمَا الْقَاضِي عِيَّاضُ فِي الْمَشَارِقِ، قَالَ: ضَبَطْنَاهُ عَنِ الْمُتَقِينِ بِالْكَسْرِ، وَسَمِعْنَاهُ مِنْ أَكْثَرِ الرُّوَاةِ بِالضَّمِّ، قَالَ: وَالْكَسْرُ هُوَ الْوَجْهَ، وَمَعْنَاهُ يُوسِسُ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ: خَطَرَ الْفَخْلُ بِذَنْبِهِ، إِذَا حَرَّكَهُ فَضَرَبَ بِهِ فَخَذَيْهِ، وَأَمَّا بِالضَّمِّ فَمَنْ السُّلُوكِ، وَالْمُرُورِ، رَأَى يَذْنُو مِنْهُ فَيَمُرُّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَلْبِهِ، فَيُشْغِلُهُ عَمَّا هُوَ فِيهِ، وَبِهَذَا فَسَّرَهُ الشَّارِحُونَ لِلْمَوْطَأِ، وَبِالْأَوَّلِ فَسَّرَهُ الْخَلِيلُ^(٥).

١١- قوله: «المرء»: الإنسان، وفيه سبع لغات: فتح الميم، وضمها، وكسرهما،

(١) شرح صحيح البخاري، لابن بطال، ٢ / ٢٣٥.

(٢) طرح التثريب في شرح التريب، ٢ / ١٧٤.

(٣) فتح الباري، ٢ / ٨٦.

(٤) المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٤ / ١٠٣.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤ / ٩١.

وتغيرها باعتبار إعراب اللفظة، فإن كانت مرفوعة، فالميم مضمومة، وإن كانت منصوبة، فالميم مفتوحة، وإن كانت مجرورة فالميم مكسورة، والخامسة والسادسة والسابعة امرؤ بزيادة همزة الوصل، مع ضم الراء في سائر الأحوال، ومع فتحها في سائر الأحوال، ومع تغيرها باعتبار حركات الإعراب، حكاها في الصحاح، إلا اللغة الثالثة والرابعة فحكاها في المحكم^(١).

١٢- قوله: «للشيطان حصاص»: وهو الضراط لما بيناه من قبل، وذكرنا أنه جسم من الأجسام، مؤتلف من طعام وشراب، وفي بعض طرق الحديث: «إن الشيطان حساس، أو حساس، أو لحاس»^(٢)، فلا يمتنع أن يكون له حصاص، لا سيما وهو أذلّ له في الفرار، وأبلغ لدخول الرعب في قلبه، حتى لا يملك نفسه من خوف ذكر الله^(٣). وقال النووي: «وَلَهُ حُصَاصٌ» هُوَ بِحَاءٍ مُهْمَلَةٌ مَضْمُومَةٌ، وَصَادَيْنِ مُهْمَلَتَيْنِ، أَيْ ضُرَاطٌ كَمَا فِي الرَّوَايَةِ الْأُخْرَى، وَقِيلَ: الْخُصَاصُ: شِدَّةُ الْعَدُوِّ، قَالَهُمَا أَبُو عُبَيْدٍ، وَالْأَيْثَمَةُ مِنْ بَعْدِهِ^(٤).

وقال عاصم بن أبي النّجود: إذا ضرب بأذنيه، ومصع بذنبه وعدا، فذلك الخُصاص، وهذا يصح حمله على ظاهره؛ إذ هو جسم مُغْتَذٍ يصح منه خروج الريح، وقيل: إنه عبارة عن شدة الغيظ والتّفار، وذلك لما يسمع من ظهور الإسلام، ودخولهم فيه، وامثالهم أوامره، كما يعتريه يوم عرفة لما رأى من اجتماع الناس على البر والتقوى، ولما يتنزل عليهم من الرحمة^(٥).

(١) طرح الشريب في شرح التّريب، ٢ / ١٧٤.

(٢) أخرجه الترمذي، برقم ١٨٥٩، وقال: «غريب» والحاكم، ٤ / ١٣٢، وصححه، وقال الذهبي: «موضوع» وقال الألباني في ضعيف التّريب والترهيب، برقم ٢١٢: «موضوع».

(٣) المسالك في شرح موطأ مالك، ٢ / ٦٤٥.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤ / ٩١.

(٥) المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٤ / ١٠٢.

١٣- قوله: «إن يدري كم صلى» بالكسر، بمعنى: ما يدري، ويُروى: «أن يدري» بفتحها، وهي رواية أبي عمر بن عبد البر، وقال: هي رواية أكثرهم، قال: ومعناها: لا يدري، وكذا ضبطها الأصيلي، وفي كتاب البخاري: «أن» بالفتح، وليست هذه الرواية بشيء، إلا مع رواية الضاد، فتكون «أن» مع الفعل بتأويل المصدر، ومفعول «ضل»: «أن» بإسقاط حرف الجر؛ أي: يضل عن درايته، وينسى عدد ركعاته، وهذا أيضًا فيه بُعد^(١).

١٤- قوله: «إِذَا سَمِعَ الشَّيْطَانُ الْأَذَانَ أَحَالَ» هُوَ بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ أَيْ ذَهَبَ هَارِبًا^(٢).

١٥- قوله: «بني حارثة»- بالمهملة والمثلثة-: بطن من الأوس، وكانوا إذ ذاك غربي مشهد حمزة، وزاد الإسماعيلي: وهي في سند الحرة، أي في الجانب المرتفع منها^(٣).

١٦- قوله: «وأشرف الذي معي»: الشَّرَفُ: العلو، وشرف، فهو شَرِيفٌ، وقوم أَشْرَافٌ، وشُرَفَاءُ، واستَشْرَفْتُ الشيء: رفعت البصر أنظر إليه، وأشْرَفْتُ عليه بالألف: اطلعت عليه، وأشْرَفَ الموضع ارتفع، فهو مُشْرِفٌ، وشُرْفَةٌ القصر جمعها: شُرُفٌ، مثل غرفة، وغرف ومَشَارِفُ الأرض: أعاليها، الواحد مَشْرِفٌ بفتح الميم والراء^(٤).

١٧- قوله: «على الحائط»: الحائط: الجدار، جمعه: حيطان، وحياط، والقياس: حوطان، وهو البستان أيضًا^(٥)، وقال الفيومي: الحَائِطُ: البستان، وجمعه حَوَائِطُ^(٦).

(١) المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٤ / ١٠٣.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤ / ٩١.

(٣) شرح القسطلاني إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٣ / ٣٣٠.

(٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١ / ٣١٠، مادة (شرف).

(٥) انظر: القاموس المحيط، ص ٨٥٦، مادة (حوط).

(٦) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١ / ١٥٧، مادة (حوط).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- مشروعية الأذان لطرد الشيطان، ولو في غير وقت الصلاة؛ لقول سهيل بن أبي صالح: أرسلني أبي إلى بني حارثة، ومعي غلام، فناداه منادٍ من حائط باسمه، فنظر الغلام إلى الحائط، فلم ير شيئاً، فذكرت ذلك لأبي، فقال: إذا سمعت صوتاً فناد بالصلاة، ثم ذكر له حديث أبي هريرة رضي الله عنه ^(١).

٢- فِيهِ أَنَّ مِنْ شَأْنِ الصَّلَاةِ النَّدَاءَ لَهَا. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا﴾ ^(٢). وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ﴾ ^(٣)، وَأَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ الْأَذَانَ فِي الْمَكْتُوباتِ عَلَى مَا قَدْ ذَكَرْنَاهُ عَنْهُمْ، وَلَمْ يَخْتَلَفُوا أَنَّ ذَلِكَ وَاجِبٌ فِي الْمَضَرِّ عَلَى جَمَاعَتِهِ ^(٤).

٣- وفي الباب فضيلة الأذان والمؤذن، وَقَدْ جَاءَتْ فِيهِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ مُصَرِّحَةً بِعَظَمِ فَضْلِهِ، وَاخْتَلَفَ أَصْحَابُنَا هَلْ الْأَفْضَلُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَرُضِدَ نَفْسَهُ لِلْأَذَانِ، أَمْ لِلْإِمَامَةِ عَلَى أَوْجِهٍ أَصَحَّهَا الْأَذَانُ أَفْضَلُ ^(٥).

٤- في هذا الحديث عظم فضل الأذان، وأن الشيطان ينافره ما لا ينافر سائر الذكر، ألا ترى أنه يقبل عند قراءة القرآن، ويدبر عند الأذان.

٥- السبب في فرار الشيطان هو اشتغال الأذان على دعوة التوحيد، والإقرار برسالة الرسول ﷺ، والدعوة إلى الصلاة المشتملة على السجود لله، والذي أباه عدو الله، فأخرج منها مذبذباً مدحوراً، وعلى الدعوة إلى الفلاح، والتكبير، وكلها أمور لا تناسب طبعه الخبيث.

(١) مسلم، برقم ٣٨٩، وتقدم تخريجه في ألفاظ الحديث رقم ١٤٢ من أحاديث المتن.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٨.

(٣) سورة الجمعة، الآية: ٩.

(٤) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ٤ / ٤٩.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤ / ٩١.

٦- اختلف العلماء في معنى هروبه عند الأذان، ولا يهرب من الصلاة وفيها قراءة القرآن، فقال المهلب: إنما يهرب، والله أعلم، من اتفاق الكل على الإعلان بشهادة التوحيد، وإقامة الشريعة، كما يفعل يوم عرفة لما يرى من اتفاق الكل على شهادة التوحيد لله تعالى، وتنزل الرحمة عليهم، ويأس أن يردهم عما أعلنوا به من ذلك، وأيقن بالخيبة بما تفضل الله عليهم من ثواب ذلك، ويذكر معصية الله، ومضادته أمره، فلم يملك الحديث؛ لما استولى عليه من الخوف، وقال غيره: إنما ينفر عن التأذين لئلا يشهد لابن آدم بشهادة التوحيد؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ جِنَّ وَلَا إِنْسَ وَلَا شَيْءَ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١)، وليس قول من قال: إنما ينفر من الأذان لأنه دعا إلى الصلاة التي فيها السجود الذي أباه بشيء؛ لأنه قد أخبر عليه الصلاة والسلام، أنه إذا قضى التثويب أقبل يُذَكِّرُهُ ما لم يَذْكُرْ، يخلط عليه صلاته، وكان فراره من الصلاة التي فيها السجود أولى لو كان كما زعموا^(٢).

٧- ذكر وسوسته للمصلي: وقد لا يلزم هذا الاعتراض، إذ لعل نفاره إنما كان من سماع الأمر، والدعاء بذلك، لا برؤيته ليغالط نفسه، لأنه لم يسمع دعاء، ولا خالف أمراً، وقيل: بل ليأسه من وسوسة الإنسان عند الإعلان، وانقطاع طمعه أن يصرف عنه الناس، حتى إذا سكت رجع لحاله التي أقدره الله عليها، من تشغيب خاطره ووسوسة قلبه، وقوله: «حتى إذا ثوب بالصلاة»: قال الطبري: ثوب أي: صُرخ بالإقامة مرة بعد مرة^(٣).

٨- استحباب رفع الصوت بالأذان؛ لأن الشيطان يفر من الصوت «حتى لا

(١) البخاري، كتاب الأذان، باب رفع الصوت بالنداء، برقم ٦٠٩.

(٢) شرح صحيح البخاري، لابن بطال، ٢ / ٢٣٤.

(٣) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض، ٢ / ١٤١.

يسمع»، وقد بوب البخاري رَحِمَهُ اللهُ بِأَبَا بعد هذا الحديث، قال فيه: «باب رفع الصوت بالنداء»، وهذا من شدة فقهه، وحسن ترتيبه رَحِمَهُ اللهُ.

٩- وَقِيلَ: إِنَّمَا يُدْبِرُ الشَّيْطَانُ لِعَظَمِ أَمْرِ الْأَذَانِ؛ لِمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ قَوَاعِدِ التَّوْحِيدِ، وَإِظْهَارِ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ، وَإِعْلَانِهِ، وَقِيلَ: لِيَأْسِيهِ مِنْ وَسْوَسةِ الْإِنْسَانِ عِنْدَ الْإِعْلَانِ بِالتَّوْحِيدِ^(١).

١١- قال الحافظ في الفتح: قال ابن بطال: يشبه أن يكون الزجر عن خروج المرء من المسجد بعد أن يؤذن المؤذن من هذا المعنى لئلا يكون متشبهاً بالشيطان الذي يفر عند سماع الأذان والله أعلم^(٢)، وهذا محمول على عدم الخروج لحاجة وقد ورد الزجر عن ذلك في قول النبي ﷺ: «مَنْ أَدْرَكَهُ الْأَذَانُ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ خَرَجَ لَمْ يَخْرُجْ لِحَاجَةٍ، وَهُوَ لَا يُرِيدُ الرَّجْعَةَ، فَهُوَ مُنَافِقٌ»^(٣)، وقول أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لَمَّا كَانَ جَالِسًا مَعَ أَصْحَابِهِ فِي الْمَسْجِدِ فَأَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ فَقَامَ رَجُلٌ فَخَرَجَ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «أَمَّا هَذَا فَقَدْ عَصَى أَبَا الْقَاسِمِ»^(٤).

١٤٣- (٣) «الْأَذْكَارُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ»^(٥).

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ٢ / ١١٣.

(٢) فتح الباري، لابن حجر، ٢ / ١٠٩.

(٣) سنن ابن ماجه، كتاب الصلاة، باب إذا أذن وأنت في المسجد فلا تخرج، برقم ٧٣٤، وصححه لغيره العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٢٦٣.

(٤) مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن الخروج من المسجد إذا أذن المؤذن، برقم ٦٥٥.

(٥) ومما يطرد الشيطان أذكار الصباح والمساء، والنوم والاستيقاظ، وأذكار دخول المنزل والخروج منه، وأذكار دخول المسجد والخروج منه، وغير ذلك من الأذكار المشروعة، مثل: قراءة آية الكرسي عند النوم، والآيتين الأخيرتين من سورة البقرة، ومن قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير مائة مرة، كانت له حرزاً من الشيطان يومه كله، وكذا الأذان يطرد الشيطان، كما تقدم.

الشرح:

أولاً: ألفاظ الحديث:

٤٧٨- لفظ مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ^(١)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ» ^(٢).
 ٤٧٩- ولفظ أبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قُبُورِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ» ^(٣).

٤٨٠- وفي لفظ للبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ أَذْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّأَذِينَ، فَإِذَا قُضِيَ النَّدَاءُ أَقْبَلَ، حَتَّى إِذَا ثُوبَ بِالصَّلَاةِ أَذْبَرَ، حَتَّى إِذَا قُضِيَ التَّثْوِبُ أَقْبَلَ، حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ، يَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا اذْكُرْ كَذَا، لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ، حَتَّى يَظُلَّ الرَّجُلُ لَا يَذَرِي كَمْ صَلَّى» ^(٤).

٤٨١- وفي رواية لمسلم: عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا سَمِعَ النَّدَاءَ بِالصَّلَاةِ أَحَالَ لَهُ ضُرَاطًا، حَتَّى لَا يَسْمَعَ صَوْتَهُ، فَإِذَا سَكَتَ رَجَعَ فَوْسُوسٌ، فَإِذَا سَمِعَ الْإِقَامَةَ ذَهَبَ حَتَّى لَا يَسْمَعَ صَوْتَهُ، فَإِذَا سَكَتَ رَجَعَ فَوْسُوسٌ» ^(٥).

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٢) مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد، برقم ٧٨٠.

(٣) أبو داود، كتاب المناسك، باب زيارة القبور، برقم ٢٠٤٤، وأحمد، ١٤/٤٠٣، برقم ٨٨٠٤، والبيهقي في شعب الإيمان، ٣/٤٩١، برقم ٤١٦٢، وصحح إسناده العلامة الألباني، برقم ١٧٨٠، وحسنه محققو المسند، ١٤/٤٠٣.

(٤) البخاري، كتاب الأذان، باب فضل التأذين، برقم ٦٠٨، ومسلم، كتاب الصلاة، باب فضل الأذنين، وهرب الشيطان عند سماعه، برقم ١٩-(٣٨٩).

(٥) مسلم، كتاب الصلاة، باب فضل الأذنين، وهرب الشيطان عند سماعه، برقم ١٦-(٣٨٩).

٤٨٢- ولفظ الترمذي عَنْ أَبِي ذَرٍّ^(١) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ فِي ذُبْرِ صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَهُوَ ثَانِي رَجْلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مَرَّاتٍ، كُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَمُحِي عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ، وَكَانَ يَوْمَهُ ذَلِكَ فِي حِزْزٍ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ، وَحَزْسٍ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَلَمْ يَتَّبِعْ لِدُنبِ أَنْ يُذْرِكَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَّا الشُّرُكَ بِاللَّهِ»^(٢).

٤٨٣- ولأبي داود عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُثَيْبٍ^(٣) أَنَّهُ قَالَ: خَرَجْنَا فِي لَيْلَةٍ مَطَرٍ، وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ، نَطْلُبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ لَنَا، فَأَذَرَكْنَاهُ، فَقَالَ: «أَصَلَّيْتُمْ؟» فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ: «قُلْ»، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ»، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾»، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمَسِّي، وَحِينَ تُصْبِحُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»^(٤).

٤٨٤- ولأبي داود عن عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ^(٥) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَالَ بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَمْ تُصِبْهُ فَجَاءَةٌ بَلَاءٍ حَتَّى يُضْبِحَ وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُضْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَمْ تُصِبْهُ فَجَاءَةٌ بَلَاءٍ حَتَّى يُمَسِيَ». قَالَ: فَأَصَابَ أَبَانَ بْنُ عُثْمَانَ الْفَالِجُ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ الَّذِي سَمِعَ مِنْهُ الْحَدِيثَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: مَا لَكَ تَنْظُرُ إِلَيَّ؟ فَوَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ عَلَى عُثْمَانَ، وَلَا كَذَبَ عُثْمَانُ عَلَى النَّبِيِّ

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٤٥ من أحاديث الشرح.

(٢) رواه الترمذي، برقم ٣٤٧٤، وحسنه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ٣٢١، وتقدم

تخريجه في تخريج حديث المتن برقم ٧٢.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٥٩ من أحاديث الشرح.

(٤) أبو داود برقم ٥٠٨٢، وغيره، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/ ١٨٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ٧٦.

(٥) تقدمت ترجمته في لفظ الحديث رقم ٢٩٢ من أحاديث الشرح.

ﷺ، وَلَكِنَّ الْيَوْمَ الَّذِي أَصَابَنِي فِيهِ مَا أَصَابَنِي، غَضِبْتُ فَنَسِيتُ أَنْ أَقُولَهُ»^(١).

٤٨٥- ورواية للحاكم عن أَبِي بِنِ كَعْبٍ رضي الله عنه^(٢)، أَنَّهُ كَانَ لَهُ جَرِينُ تَمْرٍ، فَكَانَ يَجِدُهُ يَنْقُصُ، فَحَرَسَهُ لَيْلَةً، فَإِذَا هُوَ بِمِثْلِ الْغُلَامِ الْمُخْتَلِمِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، فَقَالَ: أَجِنِّي، أَمْ إِنْسِي؟ فَقَالَ: بَلْ جِنِّي، فَقَالَ: أَرِنِي يَدَكَ فَأَرَاهُ، فَإِذَا يَدُ كَلْبٍ، وَشَعْرُ كَلْبٍ، فَقَالَ: هَكَذَا خَلَقَ الْجِنَّ، فَقَالَ: لَقَدْ عَلِمْتَ الْجِنُّ إِنَّهُ لَيْسَ فِيهِمْ رَجُلٌ أَشَدَّ مِنِّي، قَالَ: مَا جَاءَ بِكَ؟ قَالَ: أَتَيْتُنَا أَنْكَ تَحِبُّ الصَّدَقَةَ، فَجِئْنَا نُصِيبُ مِنْ طَعَامِكَ، قَالَ: مَا يُجِيرُنَا مِنْكُمْ؟ قَالَ: تَقْرَأُ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: إِذَا قَرَأْتَهَا غَدَوَةً أُجِزْتَ مِنَّا حَتَّى تُمْسِيَ، وَإِذَا قَرَأْتَهَا حِينَ تُمْسِي أُجِزْتَ مِنَّا حَتَّى تُصْبِحَ، قَالَ أَبِي فَعَدَوْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ، فَقَالَ: صَدَقَ الْخَيْثُ»^(٣).

٤٨٦- وللإمام أحمد عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه^(٤)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا سِرْتُمْ فِي الْخَضَبِ، فَأَمْكِنُوا الرِّكَابَ أَسْنَانَهَا، وَلَا تُجَاوِزُوا الْمَنَازِلَ، وَإِذَا سِرْتُمْ فِي الْجَذَبِ، فَاسْتَجِدُّوا، وَعَلَيْكُمْ بِالْذَّلَجِ، فَإِنَّ الْأَرْضَ تُطَوَّى بِاللَّيْلِ، وَإِذَا تَغَوَّلْتَ لَكُمْ الْغِيلَانَ، فَبَادِرُوا بِالْأَذَانِ، وَإِيَّاكُمْ وَالصَّلَاةَ عَلَى جَوَادِ الطَّرِيقِ، وَالتَّزْوَلَ عَلَيْهَا،

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم، ٥٠٨٨، والترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى، برقم ٣٣٨٨، وابن ماجه، برقم ٣٨٦٩، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يقول إذا انتهى إلى قوم فجلس إليهم، برقم ١٠١٧٨، وأحمد، برقم ٤٤٦، وابن ماجه، كتاب الدعاء، باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح، برقم ٣٨٦٨، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٢/ ٣٣٢، وصحيح الترمذي، برقم ٢٦٩٨، وصحيح الجامع الصغير، برقم ٥٧٤٥، وحسن إسناده العلامة ابن باز رحمته الله في تحفة الأخيار، ص ٣٩.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٥٨ من أحاديث الشرح.

(٣) أخرجه الحاكم، ١/ ٥٦٢، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢٧٣، وتقدم

تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ٧٥.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٧٢ من أحاديث الشرح.

فَإِنَّهَا مَأْوَى الْحَيَّاتِ، وَالسَّبَّاعِ، وَقَضَاءِ الْحَاجَةِ، فَإِنَّهَا الْمَلَاعِنُ»^(١).

٤٨٧- وللبزاري عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وقاصٍ رضي الله عنه^(٢)، قَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا تَغَوَّلْتَ لَنَا الْغُولُ، أَوْ إِذَا رَأَيْنَا الْغُولَ تُنَادِي بِالْأَذَانِ»^(٣).

٤٨٨- ولفظ البيهقي عن الحسن أن عمر بعث رجلاً إلى سعد بن أبي وقاص، فلما كان ببعض الطريق عرضت له الغول، فلما قدم على سعد قصص عليه القصة، فقال: ألم أقل لكم: إنا كنا إذا تغوّل لنا الغول أن ننادي بالأذان؟ فلما رجع إلى عمر، فبلغ قريباً من ذلك المكان، عرض له يسير معه، فذكر ما قال له سعد، فنادى بالأذان، فذهب عنه، فإذا سكت عرض له، فإذا أذن ذهب عنه»^(٤).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «الأذكار وقراءة القرآن»: قال العيني: «...وقد يطلق ذكر الله ويراد به المواظبة على العمل بما أوجبه الله تعالى، أو ندب إليه، كقراءة القرآن، وقراءة الحديث، ومدارسة العلم، والتنفل بالصلاة»^(٥)، قال الراغب الأصفهاني رحمته الله:

(١) مسند أحمد، ٢٢ / ١٧٨، برقم ١٤٢٧٧، وهذا لفظه، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، الأمر بالأذان إذا تغولت الغيلان، وعمل اليوم والليلة لابن السني، ص ٤٧١، برقم ٥٣٢، وقال محققو المسند، ٢٢ / ١٧٩: «صحيح لغيره دون قوله: «وإذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان» ورجاله ثقات رجال الصحيح، لكن الحسن - وهو البصري - لم يسمع من جابر» وهذه الزيادة التي ذكرها المحققون هي التي استشهد بها العلماء مقرين لها، ومنهم: الإمام النووي في الأذكار النووية، ١ / ٢٨٢، وشرحه على صحيح مسلم، ١٤ / ٢١٧، والحافظ ابن حجر في فتح الباري، ١٠ / ١٥٩، والإمام ابن باز في مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز، ٢٥ / ٩٣، والعلامة ابن عثيمين في شرح رياض الصالحين، شرح الحديث: ١٤٥٧.

(٢) تقدمت ترجمته في حديث الشرح رقم ٩٦.

(٣) مسند البزاري، ١ / ٢١٩، برقم ١٢٤٧، قال الهيثمي في مجمع الزوائد، ١٠ / ١٣٤: «رواه البزاري ورجاله ثقات إلا أن الحسن البصري لم يسمع من سعد فيما أحسب».

(٤) دلائل النبوة للبيهقي، ٧ / ١٠٤.

(٥) عمدة القاري، ٢٣ / ٢٦، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من حديث المتن في المقدمة في فضل الذكر، رقم ١.

«الْقِرَاءَةُ: ضَمَّ الحُرُوفِ، والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، و... لا يقال للحرف الواحد إذا نفوّه به قراءة، والقُرْآنُ في الأصل مصدر، نحو: كفران ورجحان. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾^(١)، قال ابن عباس: إذا جمعناه، وأثبتناه في صدرك فاعمل به، وقد خصّ»^(٢).

٢- قوله: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا»، أي تكن البيوت والمنازل التي تعيشون فيها كالقبور التي ينام فيها الأموات، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «يَعْنِي: أَنَّ الْقُبُورَ مَوْضِعَ الْمَوْتَى، فَإِذَا لَمْ تُصَلُّوا فِي بُيُوتِكُمْ وَلَمْ تَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهَا كُنْتُمْ كَالْمَيِّتِ، وَكَانَتْ كَالْقُبُورِ»^(٣).

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا أَي: لَا تَتْرَكُوا الصَّلَاةَ فِي بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَجْعَلُوهَا كَالْقُبُورِ الَّتِي لَا يُصَلِّي فِيهَا... نَهَى لَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهَا بِمَنْزِلَةِ الْقُبُورِ الَّتِي لَا يُصَلِّي فِيهَا»^(٤).

٣- قوله: «وَلَا تَجْعَلُوا قُبُورِي عِيدًا» أي لا تجعلوه مكانا تعتادونه غب أوقات مخصوصة كالأعياد المعروفة، قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وكَذَلِكَ نَهَى لَهُمْ أَنْ يَتَّخِذُوا قَبْرَهُ عِيدًا، نَهَى لَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهَ مَجْمَعًا كَالْأَعْيَادِ الَّتِي يَقْصِدُ النَّاسُ الْجَمَاعَ إِلَيْهَا لِلصَّلَاةِ؛ بَلْ يُزَارِ قَبْرَهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، كَمَا كَانَ يَزُورُهُ الصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَرْضِيهِ، وَيُجِبُهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ»^(٥).

(١) سورة القيامة، الآيتان: ١٧ - ١٨.

(٢) المفردات في غريب القرآن، ٢/ ٦٦٨، مادة (قرأ).

(٣) الفتاوى الكبرى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ٣/ ٧٣.

(٤) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود، ٦/ ٢٢.

(٥) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود، ٦/ ٢٣.

٤- قوله: «وَصَلُّوا عَلَيَّ»: الصلاة من الله على نبيه هي الثناء عليه في الملائ الأعلى أي: عند الملائكة المقربين^(١)، وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «فقولك اللهم صلّ على محمد، يعني: اللهم أثّن عليه في الملائ الأعلى، ومعنى أثّن عليه، يعني: اذكره بالصفات الحميدة، والملائ الأعلى هم الملائكة، فكأنك إذا قلت: اللهم صل على محمد، كأنك تقول: يا ربّ صِفْهُ بالصفات الحميدة، واذكره عند الملائكة حتى تزداد محبتهم له، ويزداد ثوابهم بذلك، هذا معنى اللهم صلى على محمد»^(٢).

٥- قوله: «لَمْ يَنْبَغِ لِدَنْبٍ أَنْ يُذَرِكَهُ»: أي: يهلكه ويبطل عمله^(٣)، ويجعله حرزاً أي: حفظاً له من كل مكروه^(٤)، أو تعويذاً منه الشيطان الرجيم^(٥)، أي: يهلكه، ويبطل عمله في ذلك اليوم إلا الشرك، أي وإن وقع منه؛ فإنه في حصن التوحيد، فلا يستقيم لمذنب أن يحل ويهتك حرمة الله؛ فإذا خرج عن حرم التوحيد أدركه الشرك لا محالة»^(٦).

٦- مفردات سورة الإخلاص^(٧): ﴿قُلْ﴾ قولاً جازماً به، معتقداً له، عارفاً بمعناه، ﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي: قد انحصرت فيه الأحدية، فهو الأحد المنفرد بالكمال، ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ أي: المقصود في جميع الحوائج، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ لكمال غناه، و﴿لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ لا في أسمائه، ولا في أوصافه، ولا في

(١) صحيح البخاري، قبل الحديث رقم ٤٧٩٧، وتقدم تخريجه.

(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٣٩٧.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٢٢٥، مادة (ثنا)، ومرواة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤/ ٦٤.

(٤) مرواة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤/ ٦٤.

(٥) مرواة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤/ ٦٤.

(٦) مرواة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤/ ٦٤، وسبق شرح مفردات الحديث في شرح ألفاظ حديث المتن رقم ٧٢.

(٧) انظر: تفسير السعدي، ص ٩٣٧.

أفعاله، فهي سورة مشتملة على توحيد الأسماء والصفات^(١).

٧- مفردات سورة الفلق^(٢): ﴿قُلْ﴾ متعوذاً، و﴿أَعُوذُ﴾ أي: ألجأ، وأعتصم، ﴿بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ أي: فائق الحب والنوى والإصباح، ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ أي: جميع ما خلق الله، من إنس، وجن، وحيوانات، فيستعاذ بخالقها من شرها، ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ أي: من شر ما يكون في الليل، ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ أي: ومن شر السواحر، يستعن على سحرهن بالنفث في عقد يسحرن بها، ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ والحاسد، هو الذي يحب زوال النعمة عن المحسود، ويسعى في زوالها، فيستعاذ بالله من شره، ويدخل فيه العاين، فهذه السورة، تضمنت الاستعاذة من جميع أنواع الشرور، عموماً وخصوصاً^(٣).

٨- مفردات سورة الناس^(٤): هذه السورة مشتملة على الاستعاذة برب الناس ومالكهم وإلههم، من الشيطان الذي هو أصل الشرور كلها، وهو دائماً يوسوس ويخنس أي: يتأخر إذا ذكر العبد ربه واستعان على دفعه، وأن الخلق كلهم، داخلون تحت الربوبية والملك، وبألوهية الذي خلقهم لأجلها، والوسواس كما يكون من الجن يكون من الإنس، ولهذا قال: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾^(٥).

٩- قوله: «تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ» أي: أن هاتين السورتين (المعوذتين) كافيتان للحفظ من كل الشرور، يقول الإمام ابن قيم الجوزية: يصف هاتين السورتين ويرى أن فيهما: «بيان عظيم منفعتهما، وشدة الحاجة، بل الضرورة

(١) تقدم تفسير سورة الإخلاص مفصلاً في شرح مفردات حديث المتن رقم ٧٠، ورقم ٧٦.

(٢) تفسير السعدي، ص ٩٣٧.

(٣) تقدم تفسير سورة الإخلاص مفصلاً في شرح مفردات حديث المتن رقم ٧٠، ورقم ٧٦.

(٤) انظر: تفسير السعدي، ص ٩٣٧.

(٥) تقديم تفسير سورة الفلق في حديث المتن رقم ٧٠، ورقم ٧٦.

إليهما، وأنه لا يستغني عنهما أحد قط، وأن لهما تأثيراً خاصاً في دفع السحر، والعين، وسائر الشرور، وأن حاجة العبد إلى الاستعاذة بهاتين السورتين أعظم من حاجته إلى النفس، والطعام، والشراب، واللباس»^(١).

١٠- قوله: «لَيْلَةٌ مَطَرٌ»: أي: ماطرة^(٢) أي كثيرة المطر.

١١- قوله: «والفالج»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «هُوَ دَاءٌ مَعْرُوفٌ يُرْخِي بَعْضَ الْبَدَنِ»^(٣)، وفي التعريف المعاصر: «شللٌ نصفي؛ شللٌ يصيب أحدَ شِقَيِ الْجِسْمِ طَوْلًا، فيُثْبِلُ إحْسَاسَهُ، وحركته (أُصِيبَ بالفالج فصار قعيدَ المنزل)»^(٤).

١٢- قوله: «والفجأة»: أي: البلاء الذي يأتي بغتة، قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «فجئته الأمر، وفجأه فجأة، وفجأة - بالضم والمد- فجأه، ومفاجأة إذا جاءه بغتة من غير تقدم سبب، وقيده بعضهم بفتح الفاء وسكون الجيم من غير مدٍّ على المرة»^(٥)، وقال القاري رَحِمَهُ اللهُ: «وفيه إشارة إلى أن المراد بالفجأة ما يُفْجَأُ به، والمصدر بمعنى المفعول، وهو أعم من أن يكون بالمد وغيره، فقول الطيبي: قيده بعضهم بفتح الفاء وسكون الجيم على المرة مراده ضبط اللفظة، لا حقيقة معناها من الوحدة، فتنبه من نوم الغفلة، ثم قول ابن حجر: إنه يفهم من ذلك انتفاء التدريج بالأولى هو خلاف الأولى، إذ دليل فهو مسكوت عنه، وإنما خُصَّ هذا لأنه أقطع، وأعظم، فكأنه قال: لم تصبه بليّة عظيمة لأن المؤمن لا يخلو عن علة، أو قلة، أو ذلّة، هذا ويمكن أن تكون

(١) بدائع الفوائد، لابن القيم، ٢/ ٤٢٦.

(٢) انظر: شرح السيوطي لسنن النسائي، ٢/ ١٥.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٤٦٩، مادة (فلج).

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة، ٣/ ١٧٣٨، مادة (فلج).

(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٧٨.

هذه الرواية، وهي المخصوصة بمضرة الفجأ، مفسرة، ومبينة لمفهوم المضرة المذكورة في الرواية المتقدمة، أو المراد بنفي المضرة عدم الجزع، والفرع في البلية جمعاً بين الأدلة النقلية، والعقلية حتى يصبح، ومن قاله، أي: تلك الكلمات حين يصبح، لم تصبه فجأة بلاء بالوجهين، حتى يمسي، وفي الغائتين، أعني: حتى يصبح، وحتى يمسي، إيماءً إلى أن ابتداء الحفظ من الفجأة، والمضرة عقيب قول القائل: في أي جزء من أجزاء أوائل الليل أو النهار، بل وفي سائر أثناهما، ودعوى ابن حجر، وجزمه بأنه لو قال أثناء النهار، أو الليل، ولم يقل من أول الليل أو أول النهار، لا يحصل له تلك الفائدة، لا دليل عليه مع أن الإثبات في وقت لا يدل على النفي في آخر^(١).

١٣- قوله: «بسم الله»: أي: بسم الله أستعيز، وبه أتحصن، والباء للاستعانة، قال الإمام ابن كثير رحمته الله: «من قدره باسم، تقديره: باسم الله ابتدائي، ومن قدره بالفعل أمراً، وخبراً نحو: أبدأ بسم الله، أو ابتدأت بسم الله، فكلاهما صحيح ... فالمشروع ذكر اسم الله في كل أمر، تبركاً، وتيمناً، واستعانة على الإتمام والتقبل»^(٢).

١٤- قوله: «مع اسمه»: أي: من تعوذ باسم الله صادقاً لا تضره مصيبة، قال القاري رحمته الله: «أَيُّ: أَسْتَعِينُ أَوْ أَتَحَفَّظُ مِنْ كُلِّ مُؤْذٍ بِاسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ، أَيُّ: مَعَ ذِكْرِ اسْمِهِ، بِاعْتِقَادِ حَسَنِ، وَنِيَّةِ خَالِصَةٍ»^(٣).

١٥- قوله: «في الأرض ولا في السماء»: أي: لا يضره أحد من أهل الأرض، ولا يأتيه الضرر من جهة السماء كخسف، أو ريح، أو حجارة من

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨ / ٢٦٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١ / ١٢١، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من مفردات حديث المتن رقم ١٨.

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤ / ١٦٥٩.

السماء، أو غير ذلك، قال القاري رَحِمَهُ اللهُ: «أَيُّ: مِنَ الْبَلَاءِ النَّازِلِ مِنْهَا»^(١).

١٦- قوله: «وهو السميع»: أي: السميع لأقوال عباده، وخلقه، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «السَّمِيعُ: وَهُوَ الَّذِي لَا يَعْزُبُ عَنْ إِدْرَاكِهِ مَسْمُوعٌ، وَإِنْ خَفِيَ ... وَفَعِيلٌ مِنْ أُبْنِيَةِ الْمُبَالِغَةِ»^(٢)، وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «السميع لسائر الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات»^(٣).

١٧- قوله: «العليم»: أي: العليم بأفعالهم، لا تخفى عليه خافية^(٤)، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «هُوَ الْعَالِمُ الْمُحِيطُ عِلْمُهُ بِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ: ظَاهِرُهَا، وَبَاطِنُهَا، دَقِيقُهَا، وَجَلِيلُهَا، عَلَى أَتَمِّ الْإِمْكَانِ، وَفَعِيلٌ مِنْ أُبْنِيَةِ الْمُبَالِغَةِ»^(٥)، وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «الْعَلِيمُ: بِمَا فِي الضَّمَائِرِ، وَأَكْتَنَّهُ السَّرَائِرِ»^(٦).

١٨- قوله: «الحي»: أي: ذو الحياة الكاملة، المتضمنة لجميع صفات الكمال.

١٩- قوله: «القيوم»: القائم بنفسه، والقائم على غيره.

٢٠- قوله: «لا تأخذه سنة ولا نوم»: السَّيِّئَةُ: النعاس، وهي مقدمة النوم.

٢١- قوله: «له ما في السموات وما في الأرض»: أي: هو المالك، وما سواه مملوك، وهو الخالق، وغيره مخلوق، فالكل له عبد.

٢٢- قوله: «من ذا الذي يشفع عنده»: الشفاعة: هي التوسط للغير بجلب منفعة، أو دفع مضرة.

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤/ ١٦٥٩.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٤٠١، مادة (سمع).

(٣) تفسير السعدي، ص ٥١٨.

(٤) تقدم شرحه بالتفصيل في شح لفظ حديث المتن رقم ٧٦.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٢٩٢، مادة (علم).

(٦) تفسير السعدي، ص ٥١٨.

- ٢٣- قوله: «إِلا يَأْذَنهُ»: تصح الشفاعة بإذن الله، ورضا الله عن الشافع والمشفوع له.
- ٢٤- قوله: «يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ»: يعلم علماً، «وما بين أيديهم» أي: المستقبل، «وما خلفهم» الماضي.
- ٢٥- قوله: «وَلَا يَحِيطُونَ» أي: لا يحيط الخلق؛ لأنهم عاجزون، «من علمه إلا بما شاء» وذلك وفق حكمته.
- ٢٦- قوله: «وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ»: أي: أن كرسيه محيط بالسماوات والأرض، وأكبر منهما^(١).
- ٢٧- قوله: «وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا» أي: لا يشق عليه ذلك.
- ٢٨- قوله: «الْعَلِيِّ»: بذاته، وقدره، وقهره لجميع المخلوقات.
- ٢٩- قوله: «الْعَظِيمِ»: الذي يتصاغر كل شيء أمام عظمته، وكبريائه^(٢).
- ٣٠- قوله: «جَرِينُ ثَمَرٍ»: هو موضع تَجْفِيفِ الثَّمَرِ^(٣).
- ٣١- قوله: «الْغُلَامُ الْمُخْتَلِمُ»: أي: البالغ المُدْرِكُ^(٤).
- ٣٢- قوله: «نُصِيبُ مَنْ طَعَامِكَ»: أصاب الإنسان من المال وغيره: أي: أَخَذَ وتناول، ومنه الحديث: «يُصِيبُونَ مَا أَصَابَ النَّاسُ»^(٥) أي: يَنَالُونَ مَا نَالُوا^(٦).

(١) شرح الواسطية ابن عثيمين، ص ١٧١.

(٢) تقدّم شرح وتفسير الآية الكريمة في حديث المتن رقم ٧١.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٢٣٧، مادة (جرن).

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٤٣٢، مادة (حلم).

(٥) روى أحمد في المسند، ١٤٨/ ٤٤، برقم ٧٢٥/ ٢٦، عن أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِنَّ الشُّوءَ إِذَا فَشَا فِي الْأَرْضِ فَلَمْ يَنْتَهِ عَنْهُ، أَرْسَلَ اللَّهُ ﷻ بِأَسْءَلِ أَهْلِ الْأَرْضِ» قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَفِيهِمْ الصَّالِحُونَ؟ قَالَتْ: «نَعَمْ، وَفِيهِمُ الصَّالِحُونَ، يُصِيبُهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، ثُمَّ يَقْبِضُهُمُ اللَّهُ ﷻ إِلَى مَغْفِرَتِهِ وَرِضْوَانِهِ، أَوْ إِلَى رِضْوَانِهِ وَمَغْفِرَتِهِ» وضعفه محققو المسند، وفي لفظ آخر في موضوع آخر لمسلم، برقم ١٠٦١ عن عبد الله بن زيد: «قَبْلَهُ أَنْ الْأَنْصَارَ يُجِبُونَ أَنْ يُصِيبُوا مَا أَصَابَ النَّاسَ».

(٦) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٥٦، مادة (صوب).

٣٣- قوله: «مَا يُجِيرُنَا مِنْكُمْ»: أي: يحول بيننا وبينكم، وينجيننا منكم^(١).

٣٤- قوله: «إِذَا قَرَأْتَهَا غُدُوَّةً»: الغُدُوَّةُ: سير أول النهار نَقِيضَ الرُّوْحِ^(٢).

٣٥- قوله: «صَدَقَ الْخَيْثُ»: الشَّيْطَانُ قَدْ يَصْدُقُ بَعْضُ مَا يَصْدُقُ بِهِ الْمُؤْمِنُ^(٣)^(٤).

٣٦- قوله: «فَاسْتَجِدُوا»، أي: أسرعوا في سيركم^(٥).

٣٧- قوله: «إِذَا تَغَوَّلْتَ الْغِيلَانَ فَبَادِرُوا بِالْأَذَانِ»: قال ابن الأثير: «الْغُولُ: أَحَدُ الْغِيلَانِ، وَهِيَ جِنْسٌ مِنَ الْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ، كَانَتْ الْعَرَبُ تَزْعُمُ أَنَّ الْغُولَ فِي الْفَلَاةِ تَتَرَاءَى لِلنَّاسِ فَتَتَغَوَّلُ تَعَوُّلاً: أَيُّ تَتَلَوَّنَ تَلَوُّنًا فِي صُورٍ شَتَّى، وَتَعَوَّلُهُمْ أَيُّ تُضِلُّهُمْ عَنِ الطَّرِيقِ وَتُهْلِكُهُمْ أَيْ ادْفَعُوا شَرَّهَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى»^(٦).

٣٨- قوله: «الْخَصْبُ»: قال ابن الأثير: «وَهُوَ ضِدُّ الْجَذْبِ. أَخْصَبَتِ الْأَرْضُ، وَأَخْصَبَ الْقَوْمُ، وَمَكَانٌ مُخْصَبٌ وَخَصِيبٌ»^(٧).

٣٩- قوله: «الرَّكَابُ أَسْنَانُهَا»: قال في النهاية: «إِذَا مَشَقَّتْ مِنْهُ مَشَقًا صَالِحًا. وَيُجْمَعُ السِّنُّ بِهَذَا الْمَعْنَى أَسْنَانًا، ثُمَّ تُجْمَعُ الْأَسْنَانُ أَسِنَّةً، مِثْلُ كَيٍّْ وَأَكْنَانٍ وَأَكْنَةٍ، وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: «الْمَعْنَى أَعْطَوْهَا مَا تَمْتَنِعُ بِهِ مِنَ التَّحَرُّ؛ لِأَنَّ صَاحِبَهَا إِذَا أَحْسَنَ رِعِيَّتَهَا سَمِنَتْ وَحَسُنَتْ فِي غَيْرِهِ فَيَنْخَلُ بِهَا مَنْ أَنْ تَنْحَرُ، فَشَبَّهَ ذَلِكَ بِالْأَسِنَّةِ فِي وَقُوعِ الْامْتِنَاعِ بِهَا»^(٨).

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ١ / ٣١٢، مادة (جور).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣ / ٣٤٥، مادة (غدو).

(٣) فتح الباري، ٤ / ٤٨٩.

(٤) تقدم شرح مفردات الحديث بالتفصيل في لفظ حديث المتن رقم ٧٥.

(٥) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، ١ / ١٠٦.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣ / ٣٩٦، مادة (غول).

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢ / ٣٦، مادة (جذب).

(٨) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢ / ٤١١، مادة (ركب).

٤٠- قوله: «الدلج»: قال ابن الأثير: «هُوَ سَيْر اللَّيْلِ. يُقَالُ أَذْلَجَ بِالتَّخْفِيفِ إِذَا سَارَ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ، وَادَّلَجَ - بِالتَّشْدِيدِ - إِذَا سَارَ مِنْ آخِرِهِ. وَالْأَسْمُ مِنْهُمَا الدُّلْجَةُ وَالدَّلْجَةُ، بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ»^(١).

٤١- قوله: «تطوى بالليل»: قال ابن الأثير: تَقَرَّبَ وَيَسْهَلُ السَّيْرُ، حَتَّى لَا تَطُولَ، فَكَأَنَّهَا قَدْ طُوِيَتْ، أَيْ تُقْطَعُ مَسَافَتُهَا بِسُرْعَةٍ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ فِيهِ أَنْشَطُ مِنْهُ فِي النَّهَارِ، وَأَقْدَرُ عَلَى الْمَشْيِ وَالسَّيْرِ لِعَدَمِ الْحَرِّ وَغَيْرِهِ^(٢).

٤٢- قوله: «جواد الطريق»: قال ابن الأثير: «الْجَوَادُ: الطَّرِيقُ، وَاحِدُهَا جَادَّةٌ، وَهِيَ سَوَاءُ الطَّرِيقِ وَوَسْطُهُ. وَقِيلَ هِيَ الطَّرِيقُ الْأَعْظَمُ الَّتِي تَجْمَعُ الطَّرِيقُ وَلَا بُدَّ مِنَ الْمُرُورِ عَلَيْهَا»^(٣).

٤٣- قوله: «الملاعن»: قال في النهاية: «جَمَعَ مَلْعَنَةً، وَهِيَ الْفَعْلَةُ الَّتِي يُلْعَنُ بِهَا فَاعِلُهَا، كَأَنَّهَا مَظَنَّةٌ لِلْعَنِّ وَمَحَلٌّ لَهَا، وَهِيَ أَنْ يَتَغَوَّطَ الْإِنْسَانُ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ، أَوْ ظِلِّ الشَّجَرَةِ، أَوْ جَانِبِ النَّهْرِ، فَإِذَا مَرَّ بِهَا النَّاسُ لَعَنُوا فَاعِلُهَا»^(٤).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- تقدم ذكر فضائل الذكر، وفوائده في أول هذا الكتاب من الآيات، والأحاديث الدالة على فضل الذكر، وفوائده^(٥).

٢- تدل هذه الأحاديث على أن قبر النبي ﷺ أفضل القبور، ومع ذلك نهى النبي ﷺ عن اتخاذهِ عيداً، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «ووجه الدلالة أن قبر النبي ﷺ أفضل قبر على وجه الأرض، وقد نهى عن اتخاذهِ عيداً، فقبر

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ١٢٩، مادة (دلج).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ١٤٦، مادة (طوي).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٢٤٥، مادة (جدد).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/ ٢٥٥، مادة (لعن).

(٥) انظر: ص ٧- ٥٠ في فضل الذكر وفوائده من هذا الكتاب.

غيره أولى بالنهي كائناً من كان، ثم قرن ذلك بقوله ﷺ: «ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً» أي لا تعطلوها عن الصلاة فيها، والدعاء، والقراءة، فتكون بمنزلة القبور، فأمر بتحري العبادة في البيوت، ونهى عن تحريها عند القبور، وهذا عكس ما يفعله المشركون من النصارى، ومن تشبه بهم»^(١).

٣- قال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللهُ: «عقب النهي عن اتخاذ عيدا بقوله: «وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم» يشير بذلك إلى أن ما ينالني منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبري وبعدكم، فلا حاجة بكم إلى اتخاذ عيدا، وقد حرف هذه الأحاديث بعض من أخذ شبهاً من النصارى بالشرك، وشبهاً من اليهود بالتحريف، فقال: هذا أمر بملازمة قبره، والعكوف عنده، واعتياد قصده وانتيا به، ونهى أن يجعل كالعيد الذي إنما يكون في العام مرة أو مرتين، فكأنه قال: لا تجعلوه بمنزلة العيد الذي يكون من الحول إلى الحول، واقصدوه كل ساعة وكل وقت، وهذا مراغمة ومحادة لله، ومناقضة لما قصده الرسول ﷺ، وقلب للحقائق، ونسبة الرسول ﷺ إلى التدليس والتلبيس بعد التناقض، فقاتل الله أهل الباطل أنى يؤفكون، ولا ريب أن من أمر الناس باعتياد أمر وملازمته، وكثرة انتيا به بقوله: لا تجعلوه عيدا، فهو إلى التلبيس وضد البيان أقرب منه إلى الدلالة والبيان؛ فإن لم يكن هذا تنقيصاً، فليس للتنقيص حقيقة فينا، كمن يرمي أنصار الرسول ﷺ وحزبه بدائه ومصابه، وينسل كأنه بريء، ولا ريب أن ارتكاب كل كبيرة بعد الشرك أسهل إثماً، وأخف عقوبة من تعاطي مثل ذلك في دينه، وستته، وهكذا»^(٢).

٤- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «... وَقَدْ تَوَاتَرَ عَنِ الصَّحَابَةِ أَنَّهُمْ كَانُوا

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ص ٣٢٣.

(٢) إغاثة اللهفان، ١/ ١٩٢.

إِذَا نَزَلَتْ بِهِمُ الشَّدَائِدُ كَحَالِهِمْ فِي الْجَذْبِ وَالِاسْتِسْقَاءِ، وَعِنْدَ الْقِتَالِ، وَالِاسْتِنْصَارِ، يَدْعُونَ اللَّهَ وَيَسْتَغِيثُونَهُ فِي الْمَسَاجِدِ وَالْبُيُوتِ، وَلَمْ يَكُونُوا يَقْصِدُوا الدُّعَاءَ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَا غَيْرِهِ مِنْ قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ»^(١).

٥- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ أَيضاً: «فَلَا تَتَّخِذُوا بَيْتِي عَيْدًا، وَلَا يُبُوتَكُمْ قُبُورًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ حَيْثُمَا كُنْتُمْ؛ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي؛ وَلِهَذَا اتَّفَقَ أئِمَّةُ الْإِسْلَامِ عَلَى أَنَّهُ لَا يُشْرَعُ بِنَاءُ الْمَسْجِدِ عَلَى الْقُبُورِ، وَلَا تُشْرَعُ الصَّلَاةُ عِنْدَ الْقُبُورِ؛ بَلْ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ يَقُولُ الصَّلَاةُ عِنْدَهَا بَاطِلَةٌ»^(٢).

٦- وقال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا «يدل على أن القبر ليس موضعاً للصلاة، قال العلماء: نهى عن الصلاة في القبور لأمر؛ فإن الأمر قد يعلل بعلي كثيرة، فقالوا: منها: خوف الشرك، وهذا أعظمها وأجلها؛ لأن الصلاة على القبر قد تؤدي إلى تعظيمه وإجلاله إلى درجة قد تصل بالمرء إلى الصلاة لصاحب القبر والعياذ بالله، وقيل: نهى عن الصلاة فيها حتى لا يشابه اليهود والنصارى؛ لأن النبي ﷺ لعنهم عند موته»^(٣).

٧- وقد ذكر الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ ما يقارب مائة فائدة من فوائد الذكر، وقد ذكرت هذه الفوائد بعد فضل مجالس الذكر، وحلقات العلم في آخر فضل الذكر^(٤).

والأدلة على ذلك كثيرة من القرآن والسنة الصحيحة، فلتراجع في مواضعها من هذا الكتاب^(٥) وغيره.

(١) الفتاوى الكبرى (٢/ ٤٣١)

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٩٨)

(٣) شرح زاد المستقنع للشنقيطي، ١١/ ٣٥.

(٤) وذلك في آخر فضل الذكر، قبل الحديث رقم ١ من أحاديث المتن، قبل أذكار الاستيقاظ من النوم.

(٥) حاشية حديث المتن رقم ١٤٣.

٤٦ - الدعاء حينما يقع ما لا يرضاه أو غلب على أمره

١٤٤ - «قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤٨٩ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه^(٢)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ آخِرُضٌ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنْ لَوْ تَفَتَّحَ عَمَلُ الشَّيْطَانِ»^(٣).

٤٩٠ - ولفظ أحمد وابن ماجه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ، أَوْ أَفْضَلُ، وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ، آخِرُضٌ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَلَا تَعْجِزْ، فَإِنْ غَلَبَكَ أَمْرٌ، فَقُلْ: قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ صَنَعَ، وَإِيَّاكَ وَاللَّوْ، فَإِنَّ اللَّوْ تَفْتَحُ مِنَ الشَّيْطَانِ»^(٤).

٤٩١ - ولفظ ابن حبان: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ الْخَيْرِ، فَآخِرُضٌ عَلَى مَا تَنْتَفِعُ بِهِ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، فَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ: قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ اللَّوْ

(١) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز، والاستعانة بالله، وتفويض المقادير لله، برقم ٢٦٦٤.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٣) مسلم، برقم ٢٦٦٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) مسند أحمد، ١/ ٤٠٠، برقم ٨٧٩١، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب التوكل واليقين، برقم ٤١٦٨،

وأبو يعلى، ١١/ ٢٣٠، برقم ٦٣٤٦، وحسنه محققو المسند، ومحقق أبي يعلى، وصححه الألباني

في صحيح سنن ابن ماجه، برقم ٣٣٦١.

تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»^(١).

٤٩٢- ولفظ النسائي في الكبرى: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ، اخِرَضَ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَلَا تَعْجِزُ، فَإِنْ غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ صَنَعَ، وَإِيَّاكَ وَاللَّوْ، فَإِنَّ اللَّوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»^(٢).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «قدر الله وما شاء فعل»: لأنه عليم ببواطن الأمور؛ ولأن ما قدره الله كائن لا محالة، والشقي التعيس من لام حاله، أي اعترض على أقدار الله تعالى، فلا يعجز المؤمن عن مأمور، ولا يجزع عن مقدر، قال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «قدر الله أي: هذا قدر الله، أي تقدير الله وقضاؤه، وما شاء الله تعالى فعله: إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ، لا أحد يمنعه في ملكه ما يشاء، ما شاء فعل تعالى، ولكن يجب أن نعلم أنه تعالى لا يفعل شيئاً إلا لحكمة خفيت علينا، أو ظهرت لنا، والدليل على هذا قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^(٣)، فبين أن مشيئته مقرونة بالحكمة والعلم، وكم من شيء كره الإنسان وقوعه فصار في العاقبة خيراً له، كما قال تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾^(٤)، ولقد جرت حوادث كثيرة تدل على عظم حكمة الله تعالى، وعلمه، وعلى مكانة هذه الآية، من ذلك قبل عدة سنوات أقلعت طائرة من الرياض متجهة إلى جدة، وفيها ركاب كثيرون، يزيدون

(١) صحيح ابن حبان، ٢٩/١٣، برقم ٥٧٢٢، وحسنه محقق ابن حبان، وصححه الألباني في التعليقات الحسان، ٨/٢٢٦.

(٢) النسائي في الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقول إذا غلبه أمر، برقم ١٠٤٩٥، ومسند أحمد،

١٤/٣٩٥، برقم ٨٧٩١، وحسنه محققو المسند.

(٣) سورة الإنسان، الآية: ٣٠.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢١٦.

عن ثلاثمائة راكب، وكان أحد الركاب الذين سجلوا في هذه الطائفة في قاعة الانتظار حتى نام، وأعلن عن إقلاع الطائفة، وذهب الركاب وركبوا، فإذا بالرجل يستيقظ بعد أن أغلق الباب، فندم ندامة شديدة، كيف فاتته الطائفة؟ ثم إن الله قدر بحكمته أن تحترق الطائفة وركابها، فسبحان الله كيف نجا هذا الرجل؟ كره أنه فاتته الطائفة، ولكن كان ذلك خيراً له، فأنت إذا بذلت الجهد، واستعنت بالله، وصار الأمر على خلاف ما تريد لا تندم^(١).

٢- قوله: «المؤمن القوي»: يشمل قوة الإيمان وقوة البدن.

قال النووي رحمته الله: «وَالْمُرَادُ بِالْقُوَّةِ هُنَا عَزِيمَةُ النَّفْسِ وَالْقَرِيحَةِ فِي أُمُورِ الْآخِرَةِ، فَيَكُونُ صَاحِبُ هَذَا الْوُصْفِ أَكْثَرُ إِقْدَامًا عَلَى الْعَدُوِّ فِي الْجِهَادِ، وَأَسْرَعَ خُرُوجًا إِلَيْهِ، وَذَهَابًا فِي طَلَبِهِ، وَأَشَدُّ عَزِيمَةً فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالصَّبْرَ عَلَى الْأَذَى فِي كُلِّ ذَلِكَ، وَاحْتِمَالَ الْمَشَاقِّ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَرْغَبَ فِي الصَّلَاةِ وَالصُّومِ وَالْأَذْكَارِ وَسَائِرِ الْعِبَادَاتِ، وَأَنْشَطَ طَلَبًا لَهَا، وَمُحَافَظَةً عَلَيْهَا، وَنَحْوَ ذَلِكَ»^(٢).

٣- قوله: «وفي كل خير»: لا اشتراكهما في أصل الإيمان بالله ﷻ.

ويرى النووي: أن في كل من القوي والضعيف خير لا اشتراكهما في الإيمان، مع ما يأتي به الضعيف من العبادات^(٣)، وقال القاضي عياض: «وفي كل خير، للإيمان الذي هو صفتهم، لكن الله قد باين بين خلقه في داره، ورفع بعضهم فوق بعض درجات»^(٤).

(١) شرح رياض الصالحين، ج: ١٠٠، قلت: وهذا الحادث بعد عام ١٤٠٠هـ إما عام ١٤٠١، أو

١٤٠٢، أو ١٤٠٣، أو بعد ذلك بقليل؛ لأن القصة اشتهرت في ذلك الزمن.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٦ / ٢١٥.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٦ / ٢١٥.

(٤) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض، ٧٧ / ٨.

٤- وقوله: «أحرص على ما ينفعك» أي: من طاعة الله ورسوله ﷺ، وكل أمر حلال يترتب عليه منفعة لك؛ لأن الحرص هو بذل الجهد واستفراغ الوسع مع الرضا بالمقدور، وقال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «(أَحْرَضَ) بِكَسْرِ الرَّاءِ، (وَتَعَجَزَ) بِكَسْرِ الْجِيمِ، وَحُكِيَ فَتَحَهُمَا جَمِيعًا، وَمَعْنَاهُ إِحْرَضَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالرَّغْبَةَ فِيمَا عِنْدَهُ، وَاطْلُبَ الْإِعَانَةَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ^(١)».

٥- قوله: «استعن بالله» أي: اطلب العون من الله فهو خير معين، أي: توكل على الله وإذا استعنت بالله وتوكلت عليه ودخلت فيما يرضيه ﷻ فأبشر بالخير وأن الله تعالى سيعينك^(٢)، واستعن بالله: ما أروع هذه الكلمة بعد قوله: «أحرص على ما ينفعك» لأن الإنسان إذا كان عاقلاً ذكياً؛ فإنه يتتبع المنافع، ويأخذ بالأنتفع، وربما تغره نفسه حتى يعتمد على نفسه، وينسى الاستعانة بالله، وهذا يقع لكثير من الناس، حيث يعجب بنفسه، ولا يذكر الله ﷻ، ويستعين به؛ فإذا رأى من نفسه قوة على الأعمال، وحرصاً على النافع، وفعلاً له، أعجب بنفسه، ونسى الاستعانة بالله؛ ولهذا قال: «أحرص على ما ينفعك، واستعن بالله» أي: لا تنس الاستعانة بالله، ولو على الشيء اليسير، وفي الحديث: «لَيْسَ أَلْأَحَدُكُمْ رَبُّهُ حَاجَتُهُ كُلُّهَا، حَتَّى يَسْأَلَ شَيْعَ نَعْلِهِ، إِذَا انْقَطَعَ»^(٣)، يعني: حتى الشيء اليسير لا تنس الله، حتى ولو أردت أن تتوضأ،

(١) شرح النووي على مسلم، ١٦/ ٢١٥.

(٢) شرح رياض الصالحين، للعلامة ابن عثيمين، ح: ٩١.

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، ليسأل حاجته مهما صغرت، برقم ٣٦٠٤، وابن حبان (٣/ ٧٦)، وأبو يعلى، ١٣٠/ ٦، برقم ٣٤٠٣، والبيهقي في شعب الإيمان، ٤٠/ ٢، والضياء ٩/ ٥، وقال: «رجاله موثقون والصواب أنه مرسل» والبزار، ٣١٧/ ٢، برقم ٦٨٧٦، وقال في مجمع الزوائد، ١٠/ ١٥٠ عن رواية البزار: «رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير سيار بن حاتم وهو ثقة» وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح، ٧/ ٢.

أو تصلي، أو تذهب يميناً أو شمالاً، أو تضع شيئاً، فاستحضر أنك مستعين بالله ﷻ، وأنه لولا عون الله ما حصل لك هذا الشيء^(١).

٦- قوله: «ولا تعجز» أي: عن طلب الإعانة منه، وسبيل ذلك الجد في الطاعة.

فاستعمل الحرص، والاجتهاد في تحصيل ما تنتفع به في أمر دينك ودنياك التي تستعين بها على صيانة دينك، وصيانة عيالك، ومكارم أخلاقك، ولا تفرط في طلب ذلك، ولا تتعاجز عنه معتذراً، وتحتجج بالقدر، فتنسب للتقصير، وتلام على التفريط شرعاً وعادة، ومع إنهاء الاجتهاد نهايته، وإبلاغ الحرص غايته، فلا بد من الاستعانة بالله، والتوكل عليه، والالتجاء في كل الأمور إليه، فمن سلك هذين الطريقين حصل على خير الدارين^(٢).

«ونهاه عن العجز، وهو التساهل في الطاعات، وقد استعاذ منه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بقوله: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن؛ ومن العجز والكسل»^(٣)، فقوله: «ولا تعجز» يعني استمر في العمل، ولا تعجز وتتأخر، وتقول إن المدى طويل، والشغل كثير، فما دمت قد صممت في أول الأمر أن هذا هو الأنفع لك، واستعنت بالله، وشرعت فيه فلا تعجز، وهذا الحديث في الحقيقة يحتاج إلى مجلدات يتكلم عليه فيها الإنسان؛ لأن له من الصور والمسائل ما لا يُحصى، منها مثلاً: طالب العلم الذي يشرع في كتاب يرى أنه منفعة، وفيه مصلحة له، ثم بعد أسبوع، أو شهر يمل، وينتقل إلى كتاب آخر، هذا نقول استعان بالله، وحرص على ما نفعه، ولكنه عجز، كيف عجز؟

(١) شرح رياض الصالحين، للعلامة ابن عثيمين، ح: ٩١.

(٢) سبل السلام شرح بلوغ المرام، للإمام الصنعاني، ٣/ ٣٣١.

(٣) البخاري، برقم ٢٨٩٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ١٣٧.

(٤) سبل السلام شرح بلوغ المرام، ٣/ ٣٣١.

بكونه لم يستمر؛ لأن معنى قوله: «لا تعجز» أي: لا تترك العمل، بل مادمت دخلت فيه على أنه نافع فاستمر فيه^(١).

٧- وقوله: «وإن أصابك شيء» أي: مما تكرهه نفسك، وإن أصابك شيء أي من أمر دينك أو دنياك^(٢).

٨- قوله: «فإذا غلبك أمر»: وقعت في الأمر المكروه بعد الاحتياط ولم تجد إلى الدفع سبيلاً^(٣).

٩- قوله: «فلا تقل»: لو أني فعلت لكان كذا وكذا، قل: قدر الله، وما شاء فعل، يعني: إن الذي يتعين بعد وقوع المقدور التسليم لأمر الله، والرضا بما قدره الله تعالى، وإعراض عن الالتفات لما مضى وفات^(٤).

١٠- قوله: «لو أني فعلت كذا وكذا»: قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «إذا قدر أنه اجتهد في أمر ينفعه، ثم فات الأمر، ولم يكن على ما توقع تجده يندم، ويقول: ليتني ما فعلت كذا، ولو أني فعلت كذا لكان كذا، وهذا ليس بصحيح، فأنت أد ما عليك، ثم بعد هذا فوض الأمر لله عَزَّ وَجَلَّ»^(٥).

١١- قوله: «وإِيَّاكَ وَاللَّو»، نقل العلامة ابن حجر: عن السبكي قوله: «وقد تأملت اقتران قوله ﷺ: «أَحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ» بِقَوْلِهِ: «وإِيَّاكَ وَاللَّو»، فَوَجَدْتُ الإِشَارَةَ إِلَى مَحَلِّ (لَوْ) الْمَذْمُومَةِ، وَهِيَ نَوْعَانِ:

أَحَدُهُمَا فِي الْحَالِ مَا دَامَ فِعْلُ الْخَيْرِ مُمَكِّنًا، فَلَا يَتْرَكَ لِأَجْلِ فَقْدِ شَيْءٍ آخَرَ،

(١) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، شرح الحديث رقم ١٠٠.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٢١٤ / ١٥.

(٣) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٤٠٠ / ٢.

(٤) انظر: شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، شرح الحديث رقم ١٠٠.

(٥) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، شرح الحديث رقم ١٠٠.

فَلَا تَقُولُ: لَوْ أَنَّ كَذَا كَانَ مَوْجُودًا لَفَعَلْتُ كَذَا، مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى فِعْلِهِ، وَلَوْ لَمْ يَوْجَدْ ذَاكَ، بَلْ يَفْعَلُ الْخَيْرَ، وَيَحْرِصُ عَلَى عَدَمِ قَوَاتِهِ.

وَالثَّانِي: مَنْ فَاتَهُ أَمْرٌ مِنْ أُمُور الدُّنْيَا، فَلَا يَشْغَلُ نَفْسَهُ بِالتَّلَهُّفِ عَلَيْهِ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الِاعْتِرَاضِ عَلَى الْمَقَادِيرِ^(١).

١٢- قوله: «فإن لو تفتح عمل الشيطان» أي: بالتذمر والاعتراض على ما وقع من غير جدوى وقد يجره هذا إلى إساءة الظن بخالقه ﷻ ثم الكفر به عياداً بالله من ذلك، «ولا تقل لو أني فعلت لكان كذا»، إذا قلت هذا انفتح عليك من الوسوس والندم والأحزان ما يكدر عليك الصفو، فقد انتهى الأمر وراح، وعليك أن تسلم الأمر للجبار ﷻ، قل: قدر الله وما شاء فعل، والله لو أننا سرنا على هدي هذا الحديث لاسترحنا كثيراً، لكن تجد الإنسان أولاً: لا يحرص على ما ينفعه، بل تمضي أوقاته ليلاً ونهاراً بدون فائدة، تضع عليه سدى.

ثانياً: إذا قَدِّرَ أنه اجتهد في أمر ينفعه، ثم فات الأمر، ولم يكن على ما توقع تجده يندم، ويقول: ليتني ما فعلت كذا، ولو أني فعلت كذا لكان كذا، وهذا ليس بصحيح، فأنت أد ما عليك ثم بعد هذا فوض الأمر لله ﷻ^(٢).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- حث الإسلام على: القوة، والنشاط، والعمل، والاجتهاد، والكسب من عمل اليد، وعدم الاعتماد على الغير، فكل ذلك داخل في معنى «المؤمن القوي».

٢- قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: والمراد بالقوة عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة، فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداماً على العدو في الجهاد، وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في

(١) فتح الباري، ١٣ / ٢٣٠.

(٢) شرح رياض الصالحين، للعلامة ابن عثيمين، شرح الحديث رقم ١٠٠.

ذات الله ﷻ، وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات ونحو ذلك^(١)، وفي كل خير لئلا يتوهم أحد من الناس أن المؤمن الضعيف لا خير فيه، بل المؤمن الضعيف فيه خير، فهو خير من الكافر لاشك، وهذا الأسلوب يسميه البلاغيون الاحتراز، وهو أن تكلم الإنسان كلاماً يوهم معنى لا يقصده، فيأتي بجملة تبين أنه يقصد المعنى المعين^(٢).

٣- وفي الحديث: الأمر بفعل الأسباب والاستعانة بالله، وفيه: التسليم لأمر الله، والرضا بقدر الله^(٣).

٤- الإيمان بالقضاء والقدر: حلوه وممره، أحد أركان الإيمان الستة، والواجب على المسلم الإيمان بذلك؛ لأنه لا يتم الإيمان إلا به .
٥- فوائد الإيمان بالقدر:

أ - أنه من تمام الإيمان بالربوبية.

ب - أن الإنسان يَرُدُّ كل أموره إلى خالقه لمعرفة أنه هو الذي قضاه وقدرها.

ج - تهوين المصائب على العبد.

د - إضافة النعم إلى مسديها لا لمن باشر إيصالها إلى العبد.

هـ - معرفة الإنسان قدر نفسه فلا يفخر بفعل خير أو عمل صالح.

و - الحرص على فعل كل سبب ينفع العبد في الدارين من: الأسباب الواجبة، والمستحبة، والمباحة، مستعيناً بالله في ذلك، عالمًا أن السبب لا يعمل إلا بأمر خالق السبب والمسبب.

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٦ / ٢١٥.

(٢) شرح رياض الصالحين، للعلامة ابن عثيمين، شرح الحديث رقم ١٠٠.

(٣) تطريز رياض الصالحين، لفیصل بن عبد العزيز المبارك، ص ٩١.

٦- الفرق بين القضاء والقدر: أن القدر في اللغة بمعنى التقدير، أما القضاء فهو بمعنى الحكم؛ ولذلك فالقضاء والقدر متباينان إذا اجتمعا، ومترادفان إذا افترقا، فالتقدير هو ما قدره الله في الأزل أن يكون في خلقه، والقضاء هو ما قضى به الله في خلقه، وعلى هذا فيكون التقدير سابقاً للقضاء^(١).

٧- فيما جاء في «اللو» تستخدم هذه الكلمة على وجهين:

أ - على وجه الحزن على ما فات، والجزع على ما وقع من المقدور، وهذا منهي عنه لقول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾^(٢)، وقول الرسول ﷺ: «وإياك واللو، فإن اللو تفتح عمل الشيطان»^(٣).

ب - أن يقول لو؛ لبيان علم نافع كقول الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(٤) وقول النبي ﷺ: «لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا سُفِّتَ الْهَدْيُ»^(٥)، وقوله ﷺ: «لو أوتيت مثل ما أوتي هذا لفعلت كما يفعل»^(٦)؛ وهذا لبيان محبة الخير وإرادته وقوله ﷺ: «وددنا أن موسى كان صبر فقص الله علينا من

(١) تطريز رياض الصالحين، لفصيل بن عبد العزيز المبارك، ص ٩١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٦.

(٣) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب التوكل واليقين، برقم ٤١٦٨، وابن حبان، ٢٨ / ١٣، برقم ٥٧٢١، وحسن إسناده محقق ابن حبان، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، برقم ٣٣٦١.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.

(٥) البخاري، كتاب التمني، باب قول النبي ﷺ: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت» برقم ٧٢٢٩، ومسلم، برقم ١٢١١ بلفظ: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَرْبَعِ مَضِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، أَوْ خَمْسٍ، فَدَخَلَ عَلَيَّ وَهُوَ غَضَبَانُ فَقُلْتُ: مَنْ أَغْضَبَكَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ، قَالَ: «أَوْ مَا شَعَرْتُ أَنِّي أَمَرْتُ النَّاسَ بِأَمْرٍ، فَلِذَا هُمْ يَتَرَدَّدُونَ؟» قَالَ الْحَكَمُ: كَانَهُمْ يَتَرَدَّدُونَ أَحْسِبُ «وَلَوْ أَنِّي اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ، مَا سُفِّتَ الْهَدْيُ مَعِيَ حَتَّى أَشْتَرِيَهُ، ثُمَّ أَحِلَّ كَمَا حَلُّوا».

(٦) البخاري، كتاب التمني، باب تمني القرآنة والعلم، برقم ٧٢٣٢.

أمرهما»^(١) لأن هذا القصص فيه منفعة وليس في ذلك وأمثاله جزع ولا حزن على ما مضى^(٢)، ولذلك بوب البخاري باب قال فيه: «ما يجوز من اللو»^(٣).

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَدْ جَاءَ مِنْ اسْتِعْمَالِ (لَوْ) فِي الْمَاضِي قَوْلُهُ ﷺ: «لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا سُقْتُ الْهَدْيُ»، وَغَيْرَ ذَلِكَ، فَالظَّاهِرُ أَنَّ النَّهْيَ إِنَّمَا هُوَ عَنْ إِطْلَاقِ ذَلِكَ فِيمَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ، فَيَكُونُ نَهْيٌ تَنْزِيهِ لَا تَحْرِيمَ، فَأَمَّا مَنْ قَالَهُ تَأْسُفًا عَلَى مَا فَاتَ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ مَا هُوَ مُتَعَدِّرٌ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ، وَنَحْوِ هَذَا، فَلَا بَأْسَ بِهِ، وَعَلَيْهِ يُحْمَلُ أَكْثَرُ الْإِسْتِعْمَالِ الْمَوْجُودِ فِي الْأَحَادِيثِ»^(٤).

٨- وقال القسطلاني رَحِمَهُ اللَّهُ: فَإِنَّ اللَّوَّ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ، أَيْ تَلْقَى فِي الْقَلْبِ مَعَارِضَةَ الْقَدْرِ، فَيُوسِسُ بِهِ الشَّيْطَانُ، وَلَا مَعَارِضَةَ بَيْنَ مَا وَرَدَ مِنَ الْأَحَادِيثِ الدَّالَّةِ عَلَى الْجَوَازِ، وَالدَّالَّةِ عَلَى النَّهْيِ؛ لِأَنَّ النَّهْيَ مَخْصُوصٌ بِالْجَزْمِ بِالْفِعْلِ الَّذِي لَمْ يَقَعْ، فَالْمَعْنَى لَا تَقُلْ لَشَيْءٍ لَمْ يَقَعْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا لَوَقَعَ قَاضِيًا بِتَحْتَمِ ذَلِكَ غَيْرِ مُضْمَرٍ فِي نَفْسِكَ شَرْطَ مَشِيئَةِ اللَّهِ، وَمَا وَرَدَ مِنْ قَوْلِ «لَوْ» مَحْمُولٌ عَلَى مَا إِذَا كَانَ قَائِلُهُ مَوْقِفًا بِالشَّرْطِ الْمَذْكُورِ، وَهُوَ أَنَّهُ لَا يَقَعُ شَيْءٌ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَإِرَادَتِهِ، قَالَهُ الطَّبْرِيُّ. وَقَالَ غَيْرُهُ: الظَّاهِرُ أَنَّ النَّهْيَ عَنْ إِطْلَاقِ ذَلِكَ فِيمَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ، أَمَا مَنْ قَالَهُ تَأْسُفًا عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ فَلَا بَأْسَ بِهِ^(٥).

٩- نقل العلامة ابن حجر: عن السبكي قوله: «...الإشارة إلى محلّ (لو) المذمومة، وهي نوعان:

(١) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، برقم ٣٤٠١.

(٢) انظر: المفيد على كتاب التوحيد للشيخ / عبد الله القصير، ٢٨٩، ٢٩٠.

(٣) كتاب التمني، باب ما يجوز في اللو، قبل الحديث رقم ٧٢٣٨.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٦ / ٢١٦.

(٥) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني، ١٠ / ٢٨٢.

أَحَدَهُمَا: فِي الْحَالِ مَا دَامَ فِعْلُ الْخَيْرِ مُمَكِّنًا، فَلَا يَتْرَكَ لِأَجْلِ فَقْدِ شَيْءٍ آخَرَ ، فَلَا تَقُولَ: لَوْ أَنَّ كَذَا كَانَ مَوْجُودًا لَفَعَلْتُ كَذَا، مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى فِعْلِهِ، وَلَوْ لَمْ يُوجَدْ ذَاكَ، بَلْ يَفْعَلُ الْخَيْرَ، وَيَحْرِصُ عَلَى عَدَمِ فَوَاتِهِ.

وَالثَّانِي: مَنْ فَاتَهُ أَمْرٌ مِنَ أُمُورِ الدُّنْيَا، فَلَا يَشْغُلُ نَفْسَهُ بِالتَّأَهُفِ عَلَيْهِ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الِاعْتِرَاضِ عَلَى الْمَقَادِيرِ، وَتَعْجِيلِ تَحَسُّرٍ لَا يُغْنِي شَيْئًا، وَيَشْتَغِلُ بِهِ عَنْ اسْتِدْرَاكِ مَا لَعَلَّهُ يُجِدِّي ، فَالذَّمُّ رَاجِعٌ فِيمَا يُوَوِّلُ فِي الْحَالِ إِلَى التَّفْرِيطِ، وَفِيمَا يُوَوِّلُ فِي الْمَاضِي إِلَى الِاعْتِرَاضِ عَلَى الْقَدْرِ، وَهُوَ أَقْبَحُ مِنَ الْأَوَّلِ، فَإِنْ انْضَمَّ إِلَيْهِ الْكَذِبُ فَهُوَ أَقْبَحُ، مِثْلُ قَوْلِ الْمُنَافِقِينَ: ﴿لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾^(١)، وَقَوْلِهِمْ: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَانَاكُمْ﴾^(٢)، وَكَذَا قَوْلُهُمْ: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾^(٣)، ثُمَّ قَالَ: وَكُلُّ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ (لَوْ) الَّتِي مِنْ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾^(٤)، ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ﴾^(٥)، وَنَحْوَهُمَا فَهُوَ صَحِيحٌ لِأَنَّهُ تَعَالَى عَالِمٌ بِهِ، وَأَمَّا الَّتِي لِلزَّبْطِ فَلَيْسَ الْكَلَامُ فِيهَا، وَلَا الْمَصْدَرِيَّةُ، إِلَّا إِنْ كَانَ مُتَعَلِّقًا مَذْمُومًا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾^(٦)؛ لِأَنَّ الَّذِي وَدَّوهُ وَقَعَ خِلَافَهُ^(٧).

١٠ - قَالَ ابْنُ الْقِيمِ رَحِمَهُ اللَّهُ مَعْلُوقًا عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ:

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٧.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٦٨.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٥٤.

(٥) سورة النساء، الآية: ٧٨.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٠٩.

(٧) فتح الباري، ١٣ / ٢٣٠.

فتضمن هذا الحديث أصولاً عظيمة من أصول الإيمان منها:

- أ - أن الله تعالى موصوف بالمحبة وأنه يحب حقيقة.
- ب - أنه يحب مقتضى أسمائه وما يوافقها فهو القوي ويحب المؤمن القوي، وعليم ويحب العلماء وهكذا.
- ج - أن محبته للمؤمنين تتفاضل فيحب بعضهم أكثر من بعض.
- د - أن الخير كله في الحرص على ما ينفع الإنسان في الدارين.
- هـ - أن هذا الحديث تضمن: إثبات القدر، والكسب، والاختيار، والقيام بالعبودية: ظاهرًا وباطنًا في حالتي المطلوب وعدمه.
- و - أن هذا الحديث مما لا يستغني عنه العبد أبدًا^(١).

(١) شفاء العليل، ص ١٨، ونقله في فتح المجيد شرح كتاب التوحيد الشيخ/ عبد الرحمن آل شيخ ص ٤٠٤.

٤٧- تَهْنِئَةُ الْمَوْلُودِ لَهُ وَجَوَابُهُ

١٤٥- «بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي الْمَوْهُوبِ لَكَ، وَشَكَرْتَ الْوَاهِبَ، وَبَلَغَ أَشُدَّهُ، وَرَزَقْتَ بَرَّهُ» (١). وَيُرَدُّ عَلَيْهِ الْمُهْنَأُ فَيَقُولُ: «بَارَكَ اللَّهُ لَكَ وَبَارَكَ عَلَيْكَ، وَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا، وَرَزَقَكَ اللَّهُ مِثْلَهُ، وَأَجْزَلَ ثَوَابِكَ» (٢).

الشرح:

أولاً: لفظ الأثر:

٤٩٣- قال رجل عند الحسن (٣): يهنيك الفارس، فقال الحسن: وما يهنيك الفارس؛ لعله أن يكون بقاراً، أو حمّاراً، ولكن قل: شكرت الواهب، وبورك لك في الموهوب، وبلغ أشده، ورزقت برّه». هذا لفظ ابن الجعد، وابن أبي الدنيا (٤).

(١) ذَكَرَ من كلام الحسن البصري. انظر: تحفة المودود لابن القيم، ص ٢٠، وعزاه لابن المنذر في الأوسط. (٢) قاله النووي في الأذكار، ص ٣٤٩ منسوباً للحسين عليه السلام، وهو في مجموع النووي، ٨/ ٤٤٣ منسوباً للحسين عليه السلام أيضاً، ولم أجده منسوباً للحسين إلا في كتب الشافعية نقلاً عن النووي، وكل من ذكره في كتبهم غير الشافعية نسبة للحسن البصري عليه السلام، وانظر: صحيح الأذكار للنووي، لسليم الهلالي، ٧١٣/٢، وتمام التخريج في الذكر والدعاء والعلاج بالرقى للمؤلف، ١/ ٤١٦.

(٣) هو الحسن البصري: أبو سعيد مولى زيد بن ثابت الأنصاري عليه السلام، وأمه اسمها خيرة مولاة لأم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، سكن المدينة، وأعتق، ثم تزوج في خلافة عمر ثم حضر الجمعة مع عثمان، وشهد يوم الدار، وإنما أعرض أهل الصحيح عنه؛ لأنه كان يدلّس فبقي في النفس من ذلك شيء، وسمع خلائق من كبار التابعين، روى عنه خلائق من التابعين وغيرهم. مات رحمته الله سنة عشر ومائة، وكانت جنازته مشهودة. انظر: تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، ١/ ١٦١، وسير أعلام النبلاء، ٤/ ٥٦٣، ترجمة رقم (٢٢٣).

(٤) مسند ابن الجعد، ص ٤٨٨، والعيال، لابن أبي الدنيا، ١/ ٣٦٥، والكمال في ضعفاء الرجال، ١٠١/ ٧. وذكره ابن قدامة في المغني شرح مختصر الخرقي، ٩/ ٣٦٦ بلفظ: «أن رجلاً قال لرجل عند الحسن يهنيك يابن لة: يهنيك الفارس. فقال الحسن: وما يذكرك أنه فارس هو أو حمّار؟ فقال: كيف نقول؟ قال: قل: بورك في الموهوب، وشكرت الواهب، وبلغ أشده، ورزقت برّه».

٤٩٤- ولفظه في تاريخ دمشق: «جاء رجل عند الحسن، وقد وُلِدَ له مولود، فقيل له: يهنتك الفارس، فقال الحسن: وما يدريك أفرس هو؟ قالوا: كيف نقول يا أبا سعيد؟ قال: تقول: بورك لك في الموهوب، وشكرت الواهب، ورُزقت برّه، وبلغ أشدّه»^(١).

٤٩٥- وروى النووي: «يُسْتَحَبُّ أَنْ يُهَنَّا بِمَا جَاءَ عَنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام»^(٢) أنه علّم إنساناً التهنة، فقال: قل: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي الْمَوْهُوبِ لَكَ، وشكرت الواهب، وبلغ أشدّه ورُزقت برّه. وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يردّ عَلَى الْمُهْنَى فيقول: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ، وَبَارَكَ عَلَيْكَ، وَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا، وَرَزَقَكَ اللَّهُ مِثْلَهُ، أَوْ أَجْزَلَ اللَّهُ ثَوَابَكَ، وَنَحْوَ هَذَا»^(٣).

ثانياً: شرح مفردات الأثر:

١- قوله: «بارك الله لك»: قال القاضي عياض رحمته الله: «معنى البركة هنا: الزيادة من الخير والكرامة، والتكثير منهما»^(٤).

٢- قوله: «الموهوب لك»: أي: المولود ذكراً كان أم أنثى.

٣- قوله: «شكرت الواهب»: أي: أدت شكر هذه النعمة لواهبها وهو الله تعالى.

٤- قوله: «وبلغ أشدّه»: الأشد هو الحلم؛ لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾^(٥).

(١) تاريخ دمشق، للحافظ ابن عساكر، ٥٩ / ٢٧٥.

(٢) الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي عليه السلام: أبو عبد الله، سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وريحانته، وهو وأخوه الحسن سيّدا شباب أهل الجنة، ولد سنة أربع من الهجرة، وكان الحسن أشبه برسول الله، وحج الحسين خمساً وعشرين حجة ماشياً. قالوا: وكان عليه السلام فاضلاً، كثير الصلاة، والصوم، والحج، والصدقة، وأفعال الخير جميعها. قُتِلَ عليه السلام يوم عاشوراء سنة إحدى وستين بكريلاء من أرض العراق. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ٢ / ٧٦، وتهذيب الأسماء واللغات، ١ / ١٦٢.

(٣) قاله النووي في الأذكار، ص ٣٤٩، والمجموع، ٨ / ٤٤٣، وتقدم تخريجه في أثر المتن.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٢ / ٣٠٣، وتقدم في شرح المفردة رقم ٧ من مفردات حديث المتن رقم ٥٣.

(٥) سورة النساء، الآية: ٦.

والحلم أول الأشد، وأقصاه أربع وثلاثون سنة، أما استواء الرجل فهو بلوغه سن الأربعين^(١). قال تعالى في شأن موسى عليه السلام: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾^(٢).

٥- قوله: «ورزقت بره»: البر هو الإحسان القولي، والفعل، وضده العقوق.

يقال: صدقت وبررت: أي صدقت في دعواك إلى الطاعات، وصرت باراً، دعاءً له بذلك، ودعاء له بالقبول، والأصل برّ عملك، وبررت والدي، أبره، برأ، وبروراً: أحسنت الطاعة إليه، ورفقت به، وتحريت محابته، وتوقيت مكارهه^(٣).

٦- قوله: «ويرد عليه المهنأ»: قال النووي رحمته الله: «ويستحب أن يرد المهنأ على المهنئ»^(٤).

٧- قوله: «بارك الله لك»: قال السمين الحلبي رحمته الله: «البركة: الزيادة، يقال: بارك الله لك، أي: زادك خيراً، وهو متعدّ، ويدلّ عليه: ﴿أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾»^(٥)، ويضمّن معنى ما يتعدى بعلى كقوله: ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ﴾^(٦)، و«تبارك» لا يتصرّف، ولا يُستعمل مسنداً إلا لله تعالى، ومعناه في حقّه تعالى: تزايد خيره وإحسانه^(٧).

٨- قوله: «وبارك عليك»: قال الصنعاني رحمته الله: «أثيب عليك ما أولاك، وفي شرح العيني على البخاري: أي اختص لك، وارتفع عليك»^(٨).

(١) انظر تفسير الجزائري، ص ١٢٨١.

(٢) سورة القصص، الآية: ١٤.

(٣) انظر: المصباح المنير، ١/ ٤٣، مادة (بر).

(٤) المجموع شرح المذهب، ٨/ ٤٤٣.

(٥) سورة النمل، الآية: ٨.

(٦) سورة الصافات، الآية: ١١٠.

(٧) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ٣/ ٣١٦.

(٨) التنوير شرح الجامع الصغير، ١/ ٦٢٠.

٩- قوله: «وجزاك الله خيراً»: قال المناوي رحمته الله: «أي: قضى لك خيراً، وأثابك عليه: يعني أطلب من الله أن يفعل ذلك بك»^(١).

١٠- قوله: «ورزقك الله مثله»: قَالَ الْمَاوَرْدِيُّ: «وَالْتَهْنِئَةُ بِهِ: [يعني بـ] المولود أَنْ يُقَالَ لَهُ: جَعَلَهُ اللَّهُ لَكَ خَلْفًا صَالِحًا، وَأَرَاكَ فِيهِ السُّرُورَ، فَإِذَا أَجَابَ عَنْ هَذِهِ التَّهْنِئَةِ ... أَنْ يَذُلَّ عَلَى إِقْرَارِهِ، كَقَوْلِهِ: أَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَكَ وَرَزَقَكَ اللَّهُ مِثْلَهُ، أَوْ يَقْتَصِرُ عَلَى قَوْل: آمِينَ، فَيَكُونُ بِهَذَا الْجَوَابِ وَأَمْثَالِهِ مُقَرًّا بِهِ لِمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ الرِّضَا وَالْإِعْتِرَافِ»^(٢).

١١- قوله: «أجزل ثوابك»: أي: أعظم لك العطاء والمنة، والجزيل مأخوذة من جزل، والجزل: التام الخلق، ويجوز أن تكون ذات كلام جزل: أي قوي شديد، أو هو الغليظ القوي^(٣)، والثواب: هو العطاء والجزاء على العمل والصنيع، «يقال: أثابه يشبه إثابة، والاسم الثواب، ويكون في الخير والشر، إلا أنه بالخير أخص، وأكثر استعمالاً»^(٤).

١٢- قوله: «يهنيك الفارس»: التَّهْنِئَةُ: خِلَافُ التَّعْزِيَةِ، يُقَالُ: هَنَأَهُ بِالْأَمْرِ وَالْوِلَايَةِ هَنَاءً، وَهَنَأَهُ تَهْنِئَةً وَتَهْنِئَةً، إِذَا قُلْتَ لَهُ لِيَهْنِئَكَ. وَالْعَرَبُ تَقُولُ: لِيَهْنِئَكَ الْفَارِسُ، بِجَزْمِ الْهَمْزَةِ، وَلِيَهْنِئَكَ الْفَارِسُ، بِيَاءٍ سَاكِنَةٍ ... وَكُلُّ أَمْرٍ يَأْتِيكَ مِنْ غَيْرِ تَعَبٍ، فَهُوَ هَنِئٌ. الْأَصْمَعِيُّ: يُقَالُ فِي الدُّعَاءِ لِلرَّجُلِ هُنَيْتٌ وَلَا تُنْكَهَ، أَي: أَصَبَتْ خَيْرًا، وَلَا أَصَابَكَ الضَّرُّ، تَدْعُو لَهُ، وَقَوْلُهُ: هُنَيْتٌ، يُرِيدُ ظَفَرَتْ، عَلَى الدُّعَاءِ لَهُ، وَيُقَالُ هَنَأَ ذَلِكَ وَهَنَأَ لَهُ ذَلِكَ، كَمَا يَقَالُ هَنِئًا لَهُ، وَهَنَاءَ الرَّجُلَ

(١) فيض القدير، ١/ ٤١٠.

(٢) الحاوي الكبير للماوردي، ١١/ ٣٤٤.

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٢٧٠، مادة (جزل).

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٢٢٧، مادة (ثوب).

هَنَأَ: أَطْعَمَهُ. وَهَنَأَهُ يَهْنُؤُهُ وَيَهْنُئُهُ هَنَأً، وَأَهْنَأَهُ: أَعْطَاهُ: الْأَخِيرَةُ أَيُّ أَهْنَاءَ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ، وَهَانَيْ: اسْمُ رَجُلٍ، وَفِي الْمَثَلِ: إِنَّمَا سُمِّيَتْ هَانِئًا لِتَهْنِئَ وَلِتَهْنَأَ، أَيُّ لَتُعْطِيَ، وَالْهِنَاءُ: الْعَطِيَّةُ^(١).

١٣- قوله: «بقار»: البقر: حيوان معروف، والبقار: رجلٌ بَقَّارٌ: صاحب بقر^(٢).

١٤- قوله: «حمَّار»: الحِمَارُ الْعِزُّ الْأَهْلِيُّ وَالْوَحْشِيُّ، وَجَمْعُهُ أَحْمَرَةٌ وَحُمُرٌ وَحَمِيرٌ، وَرَجُلٌ حَامِرٌ وَحَمَّارٌ: ذُو حِمَارٍ، كَمَا يُقَالُ فَارِشٌ لِدَيِّ الْفَرَسِ. وَالْحَمَّارَةُ جَمْعُ حَمَّارٍ: وَهُمْ أَصْحَابُ الْحَمِيرِ^(٣).

ثالثاً: ما يستفاد من الأثر:

١- استحباب حمد الله وشكره أولاً وآخراً على نعمه التي لا تعدُّ، ولا تُحصى، ومن جملة هذه النعم نعمة الولد، قال الله تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يَزْوَجَهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾^(٤)، وقال الله ﷻ: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً﴾^(٥)، ومن تمام الشكر تربية الولد على ما بينه الشرع الحنيف في تربية الأولاد.

٢- إبطال الإسلام لعادات الجاهلية حيث كان يتوارى الوالد من الناس إذا رزقه الله بالأنثى، قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾^(٦) بل كان بعضهم يقتلها ويدفنها.

(١) انظر: لسان العرب، ١ / ١٨٥، مادة (هنا).

(٢) انظر: لسان العرب، ٤ / ٧٣، مادة (بقر).

(٣) انظر: لسان العرب، ٤ / ٢١٢، مادة (حمر).

(٤) سورة الشورى، الآيتان: ٤٩ - ٥٠.

(٥) سورة الكهف، الآية: ٤٦.

(٦) سورة النحل، الآيتان: ٥٨ - ٥٩.

قال الله: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾^(١).

٣- البر عامة وبر الوالدين خاصة مما حث عليه الإسلام، والمتدبر لكتاب الله يجد أن الله يقرن كثيراً بين عبادته وتوحيده، وبين الإحسان إلى الوالدين كقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(٢) ونكتة ذلك من أمور:

أ- أن الله هو الخالق الرازق، فهو وحده الذي يستحق العبادة، والوالدان سبب وجودك، فيستحقان الإحسان.

ب- الله ﷻ هو المنعم المتفضل على عباده بالنعم الكثيرة، والخيرات الوفيرة، فيستحق الشكر، وكذلك الأبوان هما اللذان يجلبان لك ما تحتاجه مما رزقهما ﷻ من مأكّل ومشرب وملبس فيستحقان الشكر.

ج- أن الله هو رب الناس الذي يربّيهم على منهجه، فيستحق التعظيم والحب، وكذلك الأبوان ربّاك صغيراً، فيستحقان، التواضع والتوقير والتأدب والتلطف بالقول والفعل، فلا يجوز أن تسمعها أدنى مراتب القول السيئ، وهو التأفف، ولا يجوز أن تنفض يدك عليهما، وهو أدنى مراتب الفعل السيئ^(٣).

(١) سورة التكوين، الآيتان: ٨- ٩.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

(٣) انظر: بهجة الناظرين للهلال، ١/ ٣٥٦.

٤٨ - مَا يُعَوِّذُ بِهِ الْأَوْلَادُ

١٤٦- كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ  :
«أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ
عَيْنٍ لَآمَّةٍ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤٩٦- لفظ البخاري: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه^(٢) قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ
وَالْحُسَيْنَ وَيَقُولُ: «إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهِمَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ
التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَآمَّةٍ»^(٣).

٤٩٧- ولفظ أبي داود: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَوِّذُ
الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ: «أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ
كُلِّ عَيْنٍ لَآمَّةٍ»، ثُمَّ يَقُولُ: «كَانَ أَبُوكُمْ يُعَوِّذُ بِهِمَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ»^(٤).

٤٩٨- ولفظ الترمذي: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ
وَالْحُسَيْنَ يَقُولُ: «أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ
لَآمَّةٍ»، وَيَقُولُ: «هَكَذَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يُعَوِّذُ إِسْحَاقَ وَإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ»^(٥).

(١) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حدثنا موسى بن إسماعيل، برقم ٣٣٧١.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٣ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري، برقم ٣٣٧١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) أبو داود، كتاب السنة، باب في القرآن، برقم ٤٣٧٣، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم ٤٧٣٧.

(٥) الترمذي، كتاب الطب، باب ما جاء في الرقية من العين، برقم ٢٠٦٠، وصححه العلامة الألباني

في صحيح الترمذي، برقم ٢٠٦٠.

٤٩٩- ولفظ ابن ماجه: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، يَقُولُ: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَةٍ»، قَالَ: «وَكَانَ أَبُوْنَا إِبْرَاهِيمُ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ» أَوْ قَالَ: «إِسْمَاعِيلَ وَيَعْقُوبَ»^(١).

٥٠٠- ولفظ أحمد: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، كَانَ يُعَوِّذُ حَسَنًا وَحُسَيْنًا، يَقُولُ: «أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَةٍ»، وَكَانَ يَقُولُ: «كَانَ إِبْرَاهِيمُ أَبِي يُعَوِّذُ بِهِمَا إِسْمَاعِيلَ، وَإِسْحَاقَ»^(٢).

٥٠١- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ^(٣)، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ قَاعِدًا فِي أَنَاسٍ، فَمَرَّ بِهِ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ، فَقَالَ: «هَاتُوا ابْنَيْ أَعُوذُكُمَا، بِمَا عَوَّذَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ ابْنَيْهِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ، أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَةٍ»^(٤).

ثانيًا: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «كان رسول الله ﷺ يعوذ»: التعويذ الدعاء إلى الله بأن يجير ويحفظ، واللجوء إلى الله، واللواذ به، والعوذ: الالتجاء، كالعياذ، والمعاذ، والاستعاذة، وقد عاذت عيادًا، وأعاذت، وهي معيذٌ، ومعوذٌ، والمعوذة:

(١) ابن ماجه، كتاب الطب، باب ما عوذ به النبي ﷺ، برقم ٣٥٢٥، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، برقم ٢٨٤١.

(٢) مسند أحمد، ٤/ ٢٠، برقم ٢١١٢، وصححه إسناده محققو المسند،

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١٢ من أحاديث الشرح.

(٤) رواه البزار، ٤/ ٣٠٤، برقم ١٤٨٣، وتاريخ دمشق، ١٣/ ٢٢٣، ووثقه الهيثمي في مجمع الزوائد، ١٠/ ٣٠١، وروى عبد الرزاق، ٤/ ٣٣٦، برقم ٧٩٨٧: عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَوِّذُ حَسَنًا وَحُسَيْنًا، يَقُولُ: «أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَةٍ» قَالَ: وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَوِّذُوا بِهَا أَبْنَاءَكُمْ، فَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا ابْنَيْهِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ» وَهُوَ عِنْدَ أَبِي نَعِيمٍ فِي حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ، ٥/ ٤٤، والطبراني في الأوسط، ٩/ ٧٩، برقم ٩١٨٣، ولم أجد من قواه، لكن يغني عنه ما تقدم.

الرقية، كالمعاذة والتعويد، والعوذ بالتحريك: الملجأ، كالمعاذ، والعياذ، ومعاذ الله أي: أعوذ بالله معاذاً، وكذا: معاذة الله^(١).

٢- قوله: «الحسن والحسين»: هما سبطا النبي ﷺ، وريحانته، وسيدا شباب أهل الجنة: الحسن بن علي بن أبي طالب، ولد في شوال سنة ثلاث، وكان أشبه الناس برسول الله ﷺ، وكان يحج ماشياً، ونجائبه تقاد إلى جانبه، توفي بالمدينة ودفن بالبقيع واختلف في وفاته فالأكثر أنه توفي سنة خمسين على الأرجح.

وأما أخوه الحسين بن علي بن أبي طالب أبو عبد الله الهاشمي، سبط رسول الله ﷺ وريحانته، ولد بعد الحسن بعام سنة أربع للهجرة، وكان أشبههم برسول الله ﷺ، فالحسن أشبه برسول الله ﷺ ما بين الصدر والرأس، والحسين أشبه النبي ﷺ ما كان أسفل من ذلك، ومناقبه كثيرة، والمشهور أنه قتل يوم عاشوراء من سنة إحدى وستين^(٢).

٣- قوله: «أعيذكما»: الاستعاذة هي طلب العوذ، يقال عذت به، واستعذت به، أي لجأت إليه، واستجرت به، واعتصمت به، والاستعاذة بالله من الشيطان هي الطلب منه سبحانه أن يعيذ العبد من الشيطان، ويحميه منه، ويقيه من شره^(٣).

٤- قوله: «بكلمات الله التامة»: المراد بالتامة الكاملة، وقيل النافعة، وقيل الشافية، وقيل المباركة، وقيل القاضية التي تمضي وتستمر، ولا يرد لها شيء، ولا يدخلها نقص ولا عيب^(٤).

(١) انظر: القاموس المحيط، ص: ٤٢٨، مادة (عوذ).

(٢) انظر: طرح الثريب في شرح التقريب للحافظ الزين العراقي، ١/ ٣٤، وتقدمت ترجمة الحسين في حديث رقم ٤٩٢ من أحاديث الشرح.

(٣) فقه الأدعية والأذكار، ص ٢٤.

(٤) فتح الباري، ٥١٠/٦، وقد سبق المزيد من معناها في شرح مفردات حديث المتن رقم (٩٧) من هذا الكتاب.

وإنما وُصف كلامه بالتمام؛ لأنه لا يجوز أن يكون في شيء من كلامه نقص أو عيب كما يكون في كلام الناس، وقيل: معنى التمام ها هنا أنها تنفع المُتعوذ بها، وتحفظه من الآفات وتكفيه^(١)، وقال الخطابي: «فأما قول النبي ﷺ أعوذ بكلمات الله التامات؛ فإن كلمته القرآن، وصفه بالتمام تنزيهاً له عن أن يلحقه نقص أو عيب، كما يوجد ذلك في كلام آدميين»^(٢).

٥- قوله: «من كل شيطان»: أي الجني منه، والإنسي، والشطن: البعد، أي: بُعد عن الخير، أو من الجبل الطويل؛ كأنه طال في الشر، ويقال: شاط يشيط إذا هلك، واستشاط غضباً إذا احتدّ في غضبه والتهب، والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم؛ لأنه تسلط عليه، فيوسوس له^(٣).

٦- قوله: «وهامة»: واحدة الهوام ذوات السموم، وقيل كل ما له سم يقتل، فأما ما لا يقتل سمه فيقال له السوام، وقيل المراد كل نسمة تهم بسوء^(٤).

وقال العيني: «والهامة كل ذات سم تقتل، والجمع الهوام، فأما ما يسم ولا يقتل فهو السامة، كالعقرب، والزنبور، وقد يقع الهوام على ما يدب من الحيوان، وإن لم يقتل كالحشرات»^(٥).

٧- قوله: «ومن كل عين لامة»: قال الخطابي: المراد به كل داء وآفة تُلم بالإنسان من جنون وخبل^(٦)، قال ابن الأثير: ذات لَمَم، ولذلك لم يقل مُلِمّة، وأصلها من أَلَمَمْتُ بالشيء؛ لِيُزَاجَ قوله: «من شرِّ كُلِّ سامة»، والألَم أي:

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١ / ١٩٧، مائدة: (تمم).

(٢) غريب الحديث للخطابي، ١ / ٢٥٢.

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢ / ٤٧٤، مادة (شطن).

(٤) فتح الباري، ٦ / ٥١٠.

(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٣١ / ٤١٣.

(٦) فتح الباري، ٦ / ٥١٠.

يَقْرُبُ، ومنه الحديث: «مَا يَقْتُلُ حَبْطًا، أَوْ يُلْمُ» أي: يَقْرُبُ مِنَ الْقَتْلِ، وفي الحديث: «وإن كُنْتَ أَلَمْتَ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ»^(١) أي: قَارَبْتِ، وقيل: اللَّمَمُ: مُقَارَبَةُ الْمَعْصِيَةِ مِنْ غَيْرِ إِيقَاعِ فِعْلٍ، وفي الحديث: «لَا بَنَ آدَمَ لَمَّتَانِ: لَمَّةٌ مِنَ الْمَلِكِ، وَلَمَّةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ»^(٢) اللَّمَّةُ: الْهَمَّةُ، وَالْخَطَرَةُ تَقَعُ فِي الْقَلْبِ، فَأَرَادَ إِنْصَابَ الْمَلِكِ، أَوْ الشَّيْطَانِ بِهِ، وَالْقُرْبُ مِنْهُ، فَمَا كَانَ مِنْ خَطَرَاتِ الْخَيْرِ فَهُوَ مِنَ الْمَلِكِ، وَمَا كَانَ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّرِّ فَهُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ^(٣).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- يشرع للمسلم أن يُعوذ بأولاده، ومن يحب بهذه الكلمات التي تقي بفضل الله من كل عائن وحاسد وكل شر.

٢- بيان محبة النبي ﷺ للحسن والحسين عليه السلام، وأنهما عنده بمنزلة الولد^(٤).

٣- المكانة الخاصة لأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام عند رسول الله ﷺ إذ كان يعوذ الحسن والحسين عليه السلام ويقول: «إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يَعُودُ بِهَا إِسْمَاعِيلُ وَإِسْحَاقُ» عليهم الصلاة والسلام^(٥)، وإنما سمّاه أباً لكونه جداً أعلى.

٤- يشهد لهذه المكانة قول الله ﷻ: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ»

(١) هذا جزء من حديث الإفك، رواه البخاري، كتاب المغازي، باب حديث الإفك، برقم ٤١٤١، ومسلم، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك، وقبول توبة القاذف، برقم ٢٧٧٠.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة البقرة، برقم ٢٩٨٨، وقال: «حسن غريب» والنسائي في الكبرى، برقم ١١٠٥١، والبيهقي في شعب الإيمان، ١٢٠/٤، واستشهد به شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى، ٣٣/٤، وصححه الألباني في صحيح موارد الظمان، برقم ٣٨.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤ / ٢٢٧، مادة (لمم).

(٤) انظر ترجمة الحسن وطرفاً من فضائل الحسين عليه السلام في الحديث رقم ٣٩٧ من أحاديث الشرح، وفي مفردة رقم ٢ من مفردات حديث المتن رقم ١٤٦.

(٥) تقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ^(١) وقد كان الرسول ﷺ شبيه الخلقه بإبراهيم عليه السلام لقول رسول الله ﷺ: «أما إبراهيم فانظروا إلى صاحبكم»^(٢)، قال: ذلك وهو يحدث أصحابه ﷺ عن الأنبياء الذين رآهم ليلة الإسراء والمعراج.

٥- استدل الإمام أحمد رحمه الله وغيره من أئمة أهل السنة والجماعة بهذا الحديث على أن كلام الله غير مخلوق؛ لأن النبي ﷺ لا يستعيز بمخلوق، قال الحافظ في الفتح: قال ابن بطال: استدل البخاري بقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾^(٣)، على أن قول الله قديم لذاته، قائم بصفاته، لم يزل موجوداً به، ولا يزال كلامه لا يشبه المخلوقين خلافاً للمعتزلة التي نفت كلام الله تعالى، قال السيهيقي في «الاعتقاد» القرآن كلام الله والكلام صفة من صفات ذاته وليس شيء من صفات ذاته مخلوقاً ولا محدثاً ولا حادثاً، قال الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾^(٤)، فخص القرآن بالتعليم لأنه كلامه، وصفته، وخص الإنسان بالتخليق لأنه خلقه، ومصنوعه، ولولا ذلك لقال خلق القرآن والإنسان^(٥).

٦- وكل صفات الله ﷻ الذاتية، والفعلية المختصة به غير مخلوقة، وهي كلها تليق بجلاله، لا يشبه فيها أحداً من خلقه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٦).

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٨.

(٢) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ النساء: ١٢٥، برقم ٣٣٥٥.

(٣) سورة سبأ، الآية: ٢٣.

(٤) سورة الرحمن، الآيات: ١ - ٤.

(٥) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، ٧ / ٩٤.

(٦) سورة الشورى، الآية: ١١.

الخفاف من مسلمة

بشرح حصن المسلم
من أذكار الكتاب والسنة

تأليف الفقير إلى الله تعالى
وسعيد بن عيسى بن وهف القحطاني

٤٩ - الدعاء للمريض في عيادته

١٤٧- (١) «لَا بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٠٢- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا^(٢): أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى أَغْرَابِيٍّ يَعُودُهُ، قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ عَلَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ قَالَ: «لَا بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ» فَقَالَ لَهُ: «لَا بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ» قَالَ: قُلْتُ: طَهُورٌ؟ كَلَّا، بَلْ هِيَ حُمَّى تَفُورُ، أَوْ تَثُورُ، عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ، تُزِيرُهُ الْقُبُورَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَنَعَمْ إِذَا» هذا لفظ البخاري^(٣).

٥٠٣- ولفظ ابن حبان: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَى أَغْرَابِيٍّ يَعُودُهُ، فَقَالَ: «لَا بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»، فَقَالَ: كَلَّا، بَلْ حُمَّى تَفُورُ عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ، تُورِدُهُ الْقُبُورَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَنَعَمْ إِذَا»^(٤).

٥٠٤- وفي زوائد الحارث: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَغْرَابِيٍّ يَعُودُهُ وَهُوَ مَحْمُومٌ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»، فَقَالَ الْأَغْرَابِيُّ: هِيَ حُمَّى تَفُورُ، فِي جَوْفِ شَيْخٍ كَبِيرٍ، حَتَّى تُزِيرَهُ الْقُبُورَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَنَعَمْ إِذَا»^(٥).

(١) البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، برقم ٣٦١٦.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٣ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري، برقم ٣٦١٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) صحيح ابن حبان، ٢٢٥/٧، برقم ٢٩٥٩، وصححه محققه، والألباني في التعليقات الحسان، ١١/١٢.

(٥) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، ٣٥٦/١، قال البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة،

٤/١٨٨: «هُوَ فِي الصَّحِيحَيْنِ دُونَ قَوْلِهِ: «وَهُوَ مَحْمُومٌ» وَلَمْ يَذْكُرَا: «فِي جَوْفٍ» وَالْبَاقِي مِثْلُهُ.

٥٠٥- وعند أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه ^(١): أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَى أَغْرَابِيٍّ يَعُودُهُ وَهُوَ مَحْمُومٌ، فَقَالَ: «كَفَّارَةٌ وَطَهُورٌ»، فَقَالَ الْأَغْرَابِيُّ: بَلْ حُمِّي تَقُورٌ، عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ، تُزِيرُهُ الْقُبُورُ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَرَكَهُ ^(٢).

٥٠٦- وعند الطبراني عن سُرخِيل ^(٣)، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، إِذْ جَاءَهُ أَغْرَابِيٌّ طَوِيلٌ أَيْضٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، شَيْخٌ كَبِيرٌ بِهِ حُمِّي تَقُورٌ، تُزِيرُهُ الْقُبُورُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «شَيْخٌ كَبِيرٌ، بِهِ حُمِّي تَقُورٌ، هِيَ لَهُ كَفَّارَةٌ وَطَهُورٌ»، فَأَعَادَهَا، وَأَعَادَهَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، أَوْ أَرْبَعَةً، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَّا إِذَا آيَتْ فَهِيَ كَمَا تَقُولُ، وَمَا قَضَى اللَّهُ فَهُوَ كَائِنٌ»، قَالَ: فَمَا أَمْسَى مِنَ الْعَدِ إِلَّا مَيِّتًا ^(٤).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

- ١- قوله: «لا بأس»: أي: لا شدة عليك ولا خوف، يعني لا شدة عليك، ولا أذى ^(٥).
- ٢- قوله: «طهور»: أي: مطهرة لك من الذنوب، يعني: هذا طهور إن شاء الله ^(٦)، لا بأس طهور، أي: هذا المرض مطهر لك من الذنوب ^(٧).

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.

(٢) مسند أحمد، ٢٢٣/٢١، برقم ١٣٦١٦، وصححه لغيره محققو المسند، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ٢/ ٢٩٩: «رِجَالُهُ ثِقَاتٌ».

(٣) شرح حليل بن أوس الجعفي، له صحبة، وروى عنه ابنه عبد الرحمن، وقال ابن حبان يقال له صحبة. الاستيعاب، ٧٠٠/٢، والإصابة في تمييز الصحابة، ٣/ ٣٢٧.

(٤) المعجم الكبير للطبراني، ٣٠٦/٧، برقم ٧٢١٣، وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري، ٦/ ٦٢٥: «(وجه دخوله في هذا الباب أي حديث المتن أنَّ في بعض طُرُقِهِ زِيَادَةُ تَقْتَضِي إِيْرَادِهِ فِي عِلَامَاتِ الثُّبُوتِ، أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ رِوَايَةِ سُرخِيل وَإِلْدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَفِي آخِرِهِ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَّا إِذَا آيَتْ، فَهِيَ كَمَا تَقُولُ، قَضَاءُ اللَّهِ كَائِنٌ، فَمَا أَمْسَى مِنَ الْعَدِ إِلَّا مَيِّتًا»... وَعَجِبْتُ لِلْإِسْمَاعِيلِيِّ كَيْفَ بَنَى عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ فِي قِصَّةِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ وَأَغْفَلَهُ هُنَا» انتهى كلام ابن حجر رحمته الله.

(٥) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، شرح الحديث رقم ٩٠٧.

(٦) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، شرح الحديث رقم ٩٠٧.

(٧) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٣٦ / ١٤٨.

٣- قوله: «إن شاء الله»: هذا من باب الإخبار؛ لأن الدعاء لا يد معه من جزم؛ لنهي الرسول ﷺ أن يقول الرجل: «اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت»^(١)، وإنما قال النبي ﷺ إن شاء الله لأن هذه جملة خبرية، وليست جملة دعائية؛ لأن الدعاء ينبغي للإنسان أن يجزم به، ولا يقل: إن شئت؛ ولهذا نهى النبي ﷺ أن يقول الرجل: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، لا تقل هذا؛ لأن الله لا مكره له، إن شاء غفر لك، وإن شاء لم يغفر، ولم يرحم، فلا يقال إن شئت إلا لمن له مكره، أو لمن يستعظم العطاء، فإذا سألت الله فلا تقل إن شئت، أما قول إن شاء الله في قول النبي ﷺ: «لا بأس، طهور إن شاء الله» فهذا لأنه خبر، وتفاوتل، فيقول: لا بأس، كأنه ينفي أن يكون به بأس، ثم يقول: إن شاء الله؛ لأن الأمر كله بمشيئة الله ﷻ، فيؤخذ من هذا الحديث أنه ينبغي لمن عاد المريض إذا دخل عليه أن يقول: لا بأس، طهور إن شاء الله^(٢).

٤- «أعرابي»: أي: من الأعراب سكان البادية، قال العيني: «قوله على أعرابي، قال الزمخشري في ربيع الأبرار: اسم هذا الأعرابي قيس، فقال في باب الأمراض والعلل: دخل النبي على قيس بن أبي حازم يعودوه، فذكر القصة، وقال بعضهم: لم أرَ تسميته لغيره؛ فهذا إن كان محفوظاً فهو غير قيس بن أبي حازم أحد المخضرمين^(٣)؛ لأن صاحب القصة مات في زمن النبي ﷺ، وقيس لم ير النبي في حياته. قلت [القائل العيني]: عدم رؤيته ذلك لا ينافي رؤية غيره، مع أن بعضهم رأى النبي

(١) البخاري، كتاب الدعوات، باب ليعزم المسألة فإنه لا مكره له، برقم ٦٣٣٩.

(٢) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، شرح الحديث رقم ٩٠٧.

(٣) قيس بن أبي حازم، أبو عبد الله الكوفي ثقة من الثانية، مخضرم، ويقال له رؤية، وهو الذي يقال إنه اجتمع له أن يروي عن العشرة، مات بعد التسعين، وقد جاز المائة، وتغير، روى له الجماعة، انظر: طبقات خليفة بن خياط، ص ٢٩، وتقريب التهذيب، لابن حجر، ٣/ ٣٦٧.

ﷺ يخطب^(١)، وقال الحافظ في الفتح: «الحديث في ربيع الأبرار أن اسمه قيس، وفي حديث أنس ؓ كان رجلاً نصرانياً، فأسلم، وفيه أنه ارتد، ولفظته الأرض^(٢)، وفي صحيح مسلم أنه من بني النجار»^(٣).

٥- قوله: «يعوده»: أي: يزوره، من عاد المريض إذا زاره^(٤).

٦- قول الأعرابي: طهور؟ استفهام إنكاري، يأبى أن يكون المرض الذي فيه الحمى والألم طهوراً، قال العيني رحمه الله: «قوله: (قَالَ: قلت) أي: قَالَ الْأَعْرَابِيُّ مُحَاطِباً لِلنَّبِيِّ ﷺ قلت: طهور. قوله: (كَلَا) أي: لَيْسَ بِطَهْوَرٍ، فَأَبَى، وَسَخَطَ، فَلَا جَرَمَ، أَمَاتَهُ اللَّهُ»^(٥).

٧- قوله: «حُمَى»: الحمى، والحُمّة: عِلّةٌ يَسْتَحِرُّ بِهَا الْجِسْمُ، مِنَ الْحَمِيمِ، قِيلَ: سُمِّيتَ لِمَا فِيهَا مِنَ الْحَرَارَةِ الْمُفْرِطَةِ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «الْحُمَى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ»^(٦)، وَإِمَّا لِمَا يَغْرِضُ فِيهَا مِنَ الْحَمِيمِ وَهُوَ: الْعَرَقُ، أَوْ لَكُونَهَا مِنْ أَمَارَاتِ الْجَمَامِ لِقَوْلِهِمْ: الْحُمَى رَائِدُ الْمَوْتِ، أَوْ بَرِيدُ الْمَوْتِ، وَقِيلَ: بَابُ الْمَوْتِ»^(٧).

٨- قوله: «تفور»: أي تشد وتغلي وتثور، أي تهيج. قال ابن الأثير: تَفُورُ:

(١) عمدة القاري لبدر الدين العيني، ١٦ / ١٤٩.

(٢) البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، برقم ٣٦١٧، ومسلم، كتاب صفة

المنافقين وأحكامهم، برقم ٢٧٨١.

(٣) فتح الباري لابن حجر، ١ / ٢٩٩.

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٣٦ / ١٤٨.

(٥) عمدة القاري، ١٦ / ١٤٩.

(٦) البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة، برقم ٣٢٦٢، ومسلم، كتاب السلام،

باب لكل داء دواء واستحباب التداء، برقم ٢٢٠٩، ولفظ البخاري: عَنْ أَبِي جَمْرَةَ الضَّبْعِيِّ قَالَ:

كُنْتُ أَجَالِسُ ابْنَ عَبَّاسٍ بِمَكَّةَ، فَأَخَذَنِي الْحُمَى، فَقَالَ أَبْرَدُهَا عَنْكَ بِمَاءِ زَمْزَمَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

قَالَ: «الْحُمَى مِنْ فَيْحِ نَمٍّ، فَأَبْرِدُوهَا بِالْمَاءِ» أَوْ قَالَ: «بِمَاءِ زَمْزَمَ» شَكَّ هَمَامٌ.

(٧) تاج العروس، ٣٢ / ١٧، مادة (حمة).

فَارَتِ الْقَدْرُ: إِذَا غَلَتْ، شَبَّهَ شِدَّةَ الْحُمَّى بِفُورَانِ الْقَدْرِ^(١).

٩- قوله: «ثور»: أي: تشتد، ويظهر أثرها على الجسم^(٢)، و«حمى تفور»: أي: تغلي في بدني كغلي القدور، على شيخ كبير، أي: بعقل قصير، آيس من قدرة القدير^(٣)!!.

١٠- «تزيه القبور»: أي: تحمله الحمى على زيارة القبور، وتجعله من أصحاب القبور^(٤).

١١- قوله: «تورده القبور»: المورد جمعه موارد، أي المَجاري والطُرُق إلى الماء، واجدُها: مَوْرِدٌ، وهو مَفْعِلٌ مِنَ الْوُرُودِ، يقال: وَرَدْتُ الْمَاءَ أَرِدُهُ وَرُوداً، إِذَا حَضَرَتْهُ لِيَشْرَبَ، وَالْوَرْدُ: الْمَاءُ الَّذِي تَرُدُّ عَلَيْهِ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ أَنَّهُ أَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ: «هَذَا الَّذِي أَوْرَدَنِي الْمَوَارِدَ»^(٥)، أَرَادَ الْمَوَارِدَ الْمُهْلِكَةَ، وَاحِدَتُهَا: مَوْرِدَةٌ^(٦).

١٢- قوله: «فنعم إذا»: أي: كما ظننت بقولك هذا^(٧)، قال النبي ﷺ أي غضباً عليه: «فنعم» بفتح العين وكسرهما إذاً، وفي نسخة إذن، أي إذن هذا المرض ليس بمطهر كَمَا قَلْتُ، وَإِذَا أُبَيَّتْ إِلَّا الْيَأْسَ، وَكَفْرَانَ النِّعْمَةِ، فَنَعَمْ إِذَا يَحْصُلُ لَكَ مَا قَلْتُ؛ إِذْ لَيْسَ جِزَاءُ كَفْرَانَ النِّعْمَةِ إِلَّا حَرَمَانُهَا، قَالَ الطَّبِيبِيُّ: الْفَاءُ مَرْتَبَةٌ عَلَى مُحْذُوفٍ، وَنَعَمْ تَقْرِيرٌ لِمَا قَالَ، يَعْنِي: أَرَشَدْتُكَ بِقَوْلِي لَا بَأْسَ عَلَيْكَ إِلَى أَنَّ الْحُمَّى تَطْهَرُكَ مِنْ ذُنُوبِكَ، فَاصْبِرْ، وَاشْكُرِ اللَّهَ تَعَالَى، فَأُبَيَّتْ إِلَّا الْيَأْسَ وَالْكَفْرَانَ، فَكَانَ كَمَا

(١) جامع الأصول، ٦/ ٦٣٠.

(٢) جامع الأصول، ٦/ ٦٣٠.

(٣) مرقاة المفاتيح، ٢/ ٢٥٩.

(٤) مرقاة المفاتيح، ٢/ ٢٥٩.

(٥) أخرجه مالك في الموطأ، ٥/ ١٤٣٨، برقم ٣٦٢١، وابن المبارك في الزهد، ١/ ١٢٥، وابن أبي

شيبه، ٧/ ٤٣٢، برقم ٣٧٠٤٧، والبيهقي في شعب الإيمان، ٤/ ٢٥٦، كلهم موقوفاً على أبي بكر ؓ،

وصححه العلامة الألباني في مشكاة المصابيح، برقم ٤٨٦٩.

(٦) النهاية في غريب الحديث ٣ والأثر، ٥/ ٣٨١، مادة (ورد).

(٧) انظر: فتح الباري، ١٠/ ١٤٠، ١٤١.

زعمت، وما اكتفيت بذلك، بل رددت نعمة الله، وأنت مسجع به، قاله غضباً عليه^(١).
وقال البنا: «فنعلم إذا»، ومعناه: أنه سيموت بسببها؛ ولهذا تركه النبي ﷺ؛
لأنه لم يجد عنده صبراً^(٢).

١٣- وقد جاء النهي عن سب الحمى، وقد قال النبي ﷺ لأُم السائب لما
دخل عليها، وهي ترتعد من الحمى فقالت: الحمى لا بارك الله فيها فقال: «لا
تسبي الحمى؛ فإنها تذهب خطايا بني آدم، كما يذهب الكير خبث الحديد»^(٣).
والكير هو كير الحداد، وهو المَبْنِي من الطين، وقيل: الزرق الذي يُنفخ به النَّار^(٤)،
والخبث: «هو ما تلقى النار من وسخ الفضة والنحاس وغيرهما إذا أذيا»^(٥).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- مشروعية زيارة المريض، والدعاء بهذا الدعاء، مع حث المريض على
الصبر، واحتساب الأجر، وتبشيره بالخير العاجل والآجل، وقد دخل رسول الله
ﷺ على أم العلاء وهي مريضة فقال: «أبشري يا أم العلاء، فإن مرض المسلم
يذهب الله به خطاياهم كما تذهب النار خبث الذهب والفضة»^(٦).

٢- ما كان عليه الرسول ﷺ من تفقد رعيته والسؤال عنهم إذا افتقدهم
وفي هذا جبر لخاطره، أي: المريض، وخاطر أهله.

(١) مرقاة المفاتيح، ٢ / ٢٥٩.

(٢) الفتح الرباني شرح مسند أحمد، ٢٢ / ٢٥.

(٣) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك، حتى الشوكة يشاكها، برقم ٢٥٧٥.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ٤ / ٢١٦، مادة (كير).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ٢ / ٤، مادة (خبث).

(٦) أخرجه أبو داود، كتاب الجنائز، باب عيادة النساء، برقم ٣٠٩٢، والطبراني في الكبير، ١٤١ / ٢٥، برقم ٣٤٠، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٣٤٣٨.

قال المهلب: وفائدة هذا الحديث أنه لا نقص على السلطان في عيادة مريض من رعيته، أو واحد من باديته، ولا على العالم في عيادة الجاهل؛ لأن الأعراب شأنهم الجهل كما وصفهم الله، ألا ترى رد هذا الأعرابي لقول النبي ﷺ وتهوينه عليه مرضه بتذكيره ثوابه عليه فقال له: «بل هي حمى تفور، على شيخ كبير، تزيه القبور»، وهذا غاية الجهل، وقد روى معمر عن زيد بن مسلم في هذا الحديث أن النبي حين قال للأعرابي: «فنعم إذا» أنه مات الأعرابي^(١).

٣- قال ابن بطلال رَحِمَهُ اللهُ: «قال المهلب: فيه أن السنة أن يخاطب العليل بما يسليه من ألمه، وبغبطته بأسقامه، بتذكيره بالكفارة لذنوبه، وتطهيره من آثامه، ويطمعه بالإقالة؛ لقوله: لا بأس عليك مما تجده، بل يكفر الله به ذنوبك، ثم يفرج عنك، فيجمع لك الأجر والعافية لئلا يسخط أقدار الله، واختياره له، وتفقدته إياه بأسباب الرحمة، ولا يتركه إلى نزعات الشيطان، والسخط، وربما جازاه الله بالتسخط، وبسوء الظن عقابًا، فيوافق قدرًا يكون سببًا إلى أن يحل به مالفظ به من الموت الذي حكم على نفسه»^(٢).

٤- وقوله ﷺ لابن مسعود: «أجل»^(٣) أنه ينبغي للمريض أن يحسن جواب زائره، ويتقبل مايعده من ثواب مرضه، ومن إقالته، ولا يرد عليه بمثل مارد الأعرابي على النبي ﷺ^(٤).

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطلال، ٩ / ٣٧٩.

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطلال، ٩ / ٣٨٢.

(٣) حديث ابن مسعود المشار إليه متفق عليه، ولفظه كما في البخاري، برقم ٥٦٤٧: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي مَرَضِهِ، وَهُوَ يُوعَكُ وَغَكَا شَدِيدًا، وَقُلْتُ: إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَغَكَا شَدِيدًا، قُلْتُ: إِنَّ ذَاكَ بِأَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ قَالَ: «أَجَلٌ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَدَى إِلَّا حَاتَّ اللَّهُ عَنْهُ خَطَايَاهُ، كَمَا تَحَاتُّ وَرَقُ الشَّجَرِ»، ومسلم، برقم ٢٥٧١.

(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطلال، ٩ / ٣٨٢.

٥-الواجب على المريض إحسان الظن بالله، وأن يجمع بين جانبي الخوف والرجاء حال مرضه، فقد دخل الرسول ﷺ على شاب وهو بالموت، فقال: «كيف تجدك؟» قال: والله يا رسول الله، إني لأرجو الله، وإني أخاف ذنوبي، فقال: «لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو، وأمنه مما يخاف»^(١).

٦-مرض المسلم يجلب التفكير لمن وفقه الله فيما مضى من العمر ومحاسبة النفس وقد دخل النبي ﷺ على مريض يعود فقال له: «أَبَشِرْ، فَإِنَّ مَرَضَ الْمُؤْمِنِ يَجْعَلُهُ اللَّهُ لَهُ كَفَّارَةً، وَمُسْتَعْتَبًا، وَإِنَّ مَرَضَ الْفَاجِرِ كَالْبَعِيرِ عَقَلَهُ أَهْلُهُ، ثُمَّ أَرْسَلُوهُ، فَلَا يَذَرِي لِمَ عَقِلَ، وَلِمَ أُرْسِلَ»^(٢).

٧-هذا الحديث من علامات نبوة النبي ﷺ؛ ولذا أورده البخاري في «علامات النبوة في الإسلام»؛ لأنه جاءت زيادة عند الطبراني أن هذا الرجل ما أمسى من الغد إلا ميتًا، وقد قال له الرسول ﷺ: «فنعمة إذا»^(٣).

٨-ومن البلاء الحاصل بالقول قول الشيخ البائس الذي عاده النبي فرأى عليه حمى فقال: «لا بأس طهور إن شاء الله» فقال بل حمى تفور على شيخ كبير، تزيده القبور، فقال رسول الله: «فنعمة إذا»، وقد رأينا من هذا عبراً فينا، وفي غيرنا، والذي رأيناه كقطرة في بحر^(٤).

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الجنائز، باب حدثنا عبد الله بن زياد، برقم ٩٨٣، والنسائي في الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقول المريض إذا قيل له كيف تجدك، برقم ١٠٩٠١، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، برقم ٤٢٦١، وأبو يعلى، ٥٧/٦، برقم ٣٣٠٣، والبيهقي في شعب الإيمان، ٤/٢، برقم ١٠٠٢، والضياء المقدسي في المختارة، ٤/١٣ وقال: «إسناده صحيح» وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٣٣٨٣.

(٢) الأدب المفرد، ص ١٧٣، برقم ٤٩٣، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٣٧٩.

(٣) فتح الباري، ٦/ ٧٧٠، وتقدم تخريجه في تخريج ألفاظ حديث المتن رقم ١٤٧.

(٤) تحفة المودود بأحكام المولود، ص: ١٢٣.

٩- تشرع زيارة غير المسلم حال مرضه إذا ترتب على ذلك مصلحة، كدعوته إلى الدخول في الإسلام، أو كَفَّ شرّه، أو نحو ذلك، أما إن لم يكن هناك مصلحة، فلا تشرع الزيارة، وقد زار الرسول ﷺ غلاماً يهودياً كان يخدمه وهو في مرض الموت، فدعاه إلى الإسلام فأسلم^(١)، وزار أيضاً عمه أبا طالب وهو في مرض موته رجاء إسلامه^(٢).

١٠- يجوز للمرأة أن تزور الرجل والعكس وذلك بشرط أمن الفتنة، وأن يكون ذلك من وراء حجاب؛ لأن عائشة زارت بلالاً رضي الله عنه لما دخل المدينة فوعك^(٣) بشرط أن لا يخلو بها، بل لا بد من وجود غيره معه، وأن تلتزم بالحجاب الشرعي، وأن تؤمن الفتنة يقيناً لا شك فيه.

١٤٨- (٢) «أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيكَ»

(سبع مرات)^(٤).

(١) البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يُصلى عليه، برقم ١٣٥٦، ولفظه: «عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَمَرَضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَغُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمَ»، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطْعَمَ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ».

(٢) البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله، برقم ١٣٦٠، ولفظه: عن سعيد بن المسيّب، عن أبيه أَنَّهُ أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةَ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلَ بْنَ هِشَامٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي طَالِبٍ: «يَا عَمُّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ» فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَغْرُضُهَا عَلَيْهِ، وَيَعُوذَانِ بِتِلْكَ الْمَقَالَةِ، حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَنَا عَنْكَ» فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ...﴾ التوبة: ١١٣ الآية.

(٣) البخاري، كتاب المرضى، باب عيادة النساء الرجال، برقم ٥٦٥٤.

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب الطب، باب حدثنا محمد بن المثنى، برقم ٢٠٨٣، وأبو داود، كتاب

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٠٧- لفظ أبي داود: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ^(١)، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا، لَمْ يَخْضُرْ أَجَلُهُ فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَارٍ: أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيكَ، إِلَّا عَافَاهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ» ^(٢).

٥٠٨- ولفظ الترمذي: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَعُودُ مَرِيضًا لَمْ يَخْضُرْ أَجَلُهُ فَيَقُولُ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيكَ إِلَّا عُوفِيَ» ^(٣).

٥٠٩- وللبخاري في الأدب المفرد: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا عَادَ الْمَرِيضَ جَلَسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، ثُمَّ قَالَ سَبْعَ مَرَارٍ: «أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ، رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، أَنْ يَشْفِيكَ، فَإِنْ كَانَ فِي أَجَلِهِ تَأْخِيرٌ عُوفِيَ مِنْ وَجَعِهِ» ^(٤).

٥١٠- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما ^(٥)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، كَانَ إِذَا جَاءَ الرَّجُلَ

الجناز، باب الدعاء للمريض عند العيادة، برقم ٣١٠٦، والإمام أحمد، ٤/ ٤٠، برقم ٢١٣٧، وابن حبان، ٧/ ٣٤٠، برقم ٢٩٧٥، والبخاري في الأدب المفرد، ص ١٨٩، برقم ٥٣٦، والحاكم وصححه، ١/ ٣٤٣، والمقدسي في المختارة، ٤/ ٢١٩، وأبو يعلى، ٤/ ٣١٨، برقم ٢٤٣٠، وصححه محققو المسند، ٤/ ٤٠، ومحقق ابن حبان، ٧/ ٣٤٠، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٢٦٦٣، وفي صحيح الأدب المفرد، برقم ٤١٦.

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٣ من أحاديث الشرح.

(٢) أبو داود، برقم ٣١٠٦، والإمام أحمد، ٤/ ٤٠، برقم ٢١٣٧، وابن حبان، ٧/ ٣٤٠، برقم ٢٩٧٥، وصححه محققو المسند، ٤/ ٤٠، ومحقق ابن حبان، ٧/ ٣٤٠، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٢٦٦٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) أخرجه الترمذي، برقم ٢٠٨٣، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٣٤٨٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) الأدب المفرد، برقم ٥٣٦، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٤١٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٨٣ من أحاديث الشرح.

يَعُوذُهُ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْفِ عَبْدَكَ، يَنْكَأُ لَكَ عَدُوًّا، أَوْ يَمْشِي لَكَ إِلَى صَلَاةٍ»^(١).

٥١١- ولأبي داود: عن عبد الله ابن عمرو، قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا جَاءَ الرَّجُلُ يَعُوذُ مَرِيضًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ اشْفِ عَبْدَكَ، يَنْكَأُ لَكَ عَدُوًّا، أَوْ يَمْشِي لَكَ إِلَى جَنَازَةٍ». قَالَ أَبُو دَاوُدَ وَقَالَ ابْنُ السَّرْحِ: «إِلَى صَلَاةٍ»^(٢).

٥١٢- عَنْ عَلِيٍّ^(٣)، قَالَ: اشْتَكَيْتُ، فَأَتَانِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا أَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَجْلِي قَدْ حَضَرَ فَأَرْحِنِي، وَإِنْ كَانَ مُتَأَخِّرًا فَاشْفِنِي - أَوْ عَافِنِي - وَإِنْ كَانَ بَلَاءٌ فَصَبِّرْنِي. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كَيْفَ قُلْتَ؟»، قَالَ: فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ، قَالَ: فَمَسَحَ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْفِهِ - أَوْ عَافِهِ -» قَالَ: فَمَا اشْتَكَيْتُ وَجَعِي ذَاكَ بَعْدُ^(٤).

ثانيًا: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ» أي: أتوجه إلى الله المتصف بالعظمة والجلال، «أي: في ذاته وصفاته»^(٥).

٢- قوله: «رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ»: قال ابن جرير الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾^(٦): «الذي يملك كل ما دونه، والملوك

(١) صحيح ابن حبان، ٢٣٩ / ٧، برقم ٢٩٧٤، وأبو داود، كتاب الجنائز، باب الدعاء للمريض عند

العيادة، برقم ٣١٠٧، وحسن إسناده محقق ابن حبان الشيخ شعيب الأرناؤوط.

(٢) سنن أبي داود كتاب الجنائز، باب الدعاء للمريض عند العيادة، برقم ٣١٠٧، وحسنه الألباني في

السلسلة الصحيحة، ٢٩٠ / ٣، برقم ١٣٠٤.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٥ من أحاديث الشرح.

(٤) مسند أحمد، ٣١٤ / ٢، برقم ١٠٥٧، والطيالسي، ٢١ / ١، برقم ١٤٣، وابن أبي شيبة، ٤٦ / ٥، برقم ٢٣٥٧١،

والترمذي، كتاب الدعوات، باب في دعاء المريض، برقم ٣٥٦٤، وقال: «حسن صحيح» والنسائي في

الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقول عند ضر نزل به، برقم ١٠٨٩٧، وأبو يعلى، ٣٢٨ / ١، برقم ٤٠٩،

وابن حبان، ٣٨٨ / ١٥، برقم ٦٩٤٠، والحاكم، ٦٧٧ / ٢، وأبو نعيم في الحلية، وحسنه محققو المسند، ٣١٥ / ٢،

ومحقق أبي يعلى، ٣٢٨ / ١، واستشهد به الإمام ابن تيمية في الجواب الصحيح، ٣١٥ / ٦.

(٥) تحفة الأحوذى، ٦ / ٢١٦.

(٦) سورة التوبة، الآية: ١٢٩.

كلهم مماليكه وعبيده، وإنما عنى بوصفه جل ثناؤه نفسه بأنه «رب العرش العظيم»، الخبر عن جميع ما دونه أنهم عبيده، وفي ملكه وسلطانه؛ لأن «العرش العظيم»، إنما يكون للملوك، فوصف نفسه بأنه «ذو العرش» دون سائر خلقه، وأنه الملك العظيم دون غيره، وأن من دونه في سلطانه، وملكه، جارٍ عليه حكمه وقضاؤه»^(١).

٣- قوله: «أن يشفيك، اشف عبدك»: قال الراغب الأصفهاني في معنى كلمة الشفاء: «والشفاء من المرض: موافاة شفا السلامة، وصار اسماً للبرء، قال في صفة العسل: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾»^(٢)، وقال في صفة القرآن: ﴿هُدًى وَشِفَاءً﴾»^(٣)، «وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾»^(٤)، «وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾»^(٥)، وقال ابن الأثير في مادة (شفا): «الشِّفاء: البرء من المَرَضِ، يقال: شَفاه الله يَشْفِيهِ، واشْتَفَى افْتَعَلَ منه، فنقله من شِفاء الأجسام إلى شِفاء القلوب والنفوس... ومنه حديث المَلْدُوغ «فَشَفَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ»»^(٦)، أي:

(١) تفسير الطبري، ١٤/ ٥٨٧.

(٢) سورة النحل، الآية: ٦٩.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٤٤.

(٤) سورة يونس، الآية: ٥٧.

(٥) سورة التوبة، الآية: ١٤.

(٦) مفردات ألفاظ القرآن، ١/ ٥٤٦، مادة (شفي).

(٧) هذا لفظ أبي داود، كتاب البيوع، باب كسب الأطباء، برقم ٣٤٢٠، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٢٩١٧، والقصة في الصحيحين، وإحدى لفظي البخاري: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ؓ قَالَ: انْطَلَقَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرَةٍ سَافَرُوهَا، حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَخْيَاءِ الْعَرَبِ، فَاسْتَضَافُوهُمْ فَأَبَوْا أَنْ يُضَيَّفُوهُمْ، فَلَدَغَ سَيِّدُ ذَلِكَ الْحَيِّ، فَسَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، لَا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ أَتَيْنَاهُمْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ نَزَلُوا، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ، فَأَتَوْهُمْ، فَقَالُوا: يَا أَيُّهَا الرَّهْطُ، إِنَّ سَيِّدَنَا لَدَغَ، وَسَعَيْنَا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، لَا يَنْفَعُهُ، فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَعَمْ وَاللَّهِ، إِنِّي لَأَرْقِي، وَلَكِنَّ وَاللَّهِ لَقَدْ اسْتَضَفْنَاكُمْ فَلَمْ تُضَيِّفُونَا، فَمَا أَنَا بِرَاقٍ لَكُمْ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلًا، فَصَالَحُوهُمْ عَلَى قَطِيعٍ مِنَ الْغَنَمِ، فَاِنْطَلَقَ يَنْفُلُ عَلَيْهِ، وَيَقْرَأُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

عَالَجُوهُ بِكُلِّ مَا يُشْتَفَى بِهِ، فَوْضِعَ الشِّفَاءَ مَوْضِعَ الْعِلَاجِ وَالْمُدَاوَاةِ»^(١).

٤- قوله: «لم يحضر أجله» أي: لم يقدر الله الموت في مرضه هذا، قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «لم يحضر أجله: أي ليس الذي فيه مرض الموت، فقال: «أسأل الله العظيم، رب العرش العظيم أن يشفيك سبع مرات إلا شفاه الله من هذا المرض، هذا إذا لم يحضر الأجل» أما إذا حضر الأجل، فلا ينفع الدواء ولا القراءة؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾^(٢)»^(٣).

٥- قوله: «فيقول» أي: العائد للمريض، أي: من يعود مريضاً أن يبدأ بالدعاء، قال الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ: «فيقول داعياً له»^(٤).

٦- قوله: «ينكأ»: أي: إذا أكثر فيهم الجرح والقتل فوهنوا لذلك وقد يهمل لغة فيه يقال: نكأت القرحة أنكؤها إذا قشرتها»^(٥)، ويرى المناوي أن من معاني «النكاية - بالكسر -: القتل، والإثخان»^(٦).

الْعَالَمِينَ ﴿فَكَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ، فَاَنْطَلَقَ يَمْشِي وَمَا بِهِ قَلْبَةٌ، قَالَ: فَأَوْفَوْهُمْ جُعْلَهُمُ الَّذِي صَالَحُوهُمْ عَلَيْهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اأَفْسِمُوا، فَقَالَ الَّذِي رَفَى: لَا تَفْعَلُوا، حَتَّى نَأْتِيَ النَّبِيَّ ﷺ، فَتَذَكَّرَ لَهُ الَّذِي كَانَ، فَتَنْظَرُ مَا يَأْمُرُنَا، فَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرُوا لَهُ، فَقَالَ: «وَمَا يُذَرِّكَ أَنَّهَا رُقِيَّةٌ» ثُمَّ قَالَ: «قَدْ أَصَبْتُمْ، اأَفْسِمُوا، وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ سَهْمًا». فَصَحَّحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، البخاري، كتاب الإجارة، باب ما يعطى في الرقية على أحياء العرب، برقم ٢٢٧٦، والقصة في مسلم، بنحوه، كتاب السلام، باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار، برقم ٢٢٠١.

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢ / ٤٨٨، مادة (شفا).

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣٤.

(٣) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، الحديث رقم ٩٠٦.

(٤) التنوير شرح الجامع الصغير، ٩ / ٥٠٨.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥ / ١١٦، مادة (نكأ).

(٦) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ١ / ٥١٥.

٧- قوله: «لك عدواً» من الكفار، وقدمه على ما بعده لعموم نفعه^(١)، وهو الكافر المعادي لله ورسوله، فيطلب في هذا الدعاء أن يشفي هذا المريض المؤمن ليكون نصراً لدينك يا رب، «أي يجرح لك عدواً، أي: الكفار، أو إبليس وجنوده، ويكثر فيهم النكاية بالإيلاف، وإقامة الحجة، والإلزام، بالجزم، وروي بالرفع بتقدير: فهو ينكأ من النكء بالهمزة، من حد منع، ومعناه الخدش، وينكئ من النكاية من باب ضرب، أي: التأثير بالقتل والهزيمة»^(٢).

٨- قوله: «إلا عوفي» أي: من مرضه هذا، وهذا مشروط بما يلي:
أ- أولاً: بقوة يقين الداعي.

ب- ثانياً: إيمان المريض، وقبوله ذلك الأمر.

٩- قوله: «يمشي لك إلى جنازة»: أي: أنه يمشي إلى الصلاة على جنازة، وهذا الحديث يدل على الدعاء للمريض بالشفاء^(٣).

١٠- قوله: «إن كان أجلي» قال القاري رَحِمَهُ اللهُ: «أي: انتهاء عمري قد حضر، أي: وقته»^(٤).

١١- قوله: «فأرحني» أي: بالموت، وهو مأخوذ من الإراحة، يقال: «أراح الرجل واستراح: إذا رَجَعَتْ نفسه إليه بعدَ الإغْيَاءِ»^(٥) وهي إعطاء الراحة بنوع إزاحةٍ للبلية الواقعة على العبد من مرض، وغيره.

١٢- قوله: «وإن كان متأخراً»: قال القاري رَحِمَهُ اللهُ: «أي: أجلي متأخراً»^(٦).

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ١ / ٥١٥.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٥ / ٢٧٩.

(٣) شرح سنن أبي داود للعباد، ٣٦٢.

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٧ / ٤٥٤.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ٢ / ٢٧٣، مادة (روح).

(٦) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٧ / ٤٥٤.

١٣- قوله: «وإن كان بلاء فصبرني»: قال القاري رحمته الله: «والمعنى وإن كان المرض بلاء، أي: مما قدرت له قضاءً، (وإن كان) أي: مَرَضِي (بلاءً) أي: امتِحَانًا (فَصَبَرَنِي) - بِتَشْدِيدِ الْمُوَحَّدَةِ الْمَكْسُورَةِ - أي: أَعْطَنِي الصَّبْرَ عَلَيْهِ، وَلَا تَجْعَلْنِي مِنْ أَهْلِ الْجَزَعِ لَدَيْهِ أي: لدى المرض»^(١).

١٤- قوله: «فما اشتكيت وجعي»: قال المباركفوري رحمته الله: «أي: هذا «بعد» أي: بعد دعائه ﷺ»^(٢).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- عيادة المريض أحد حقوق المسلم على المسلم؛ لقوله ﷺ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ» قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «إِذَا لَقَيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَسَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرَضَ فَعُدَّهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ»^(٣).

٢- السنة أن يجلس الزائر وهو يدعو بهذا الدعاء عند رأس المريض، وقد جاء هذا في بعض روايات هذا الحديث عند البخاري في الأدب المفرد كما تقدم.

٣- ويسن كذلك وضع يد الداعي على جسد المريض^(٤).

٤- على الزائر أن يعرف نعمة الله عليه بالعافية لأن الإنسان لا يعرف قدر الصحة إلا إذا اعتل.

٥- يشرع للمسلم إذا أحس بال ألم أن يضع يده على هذا الألم، ويقول: بِسْمِ اللَّهِ

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٧ / ٤٥٦.

(٢) تحفة الأحوذى، ١٠ / ٧.

(٣) البخاري، كتاب الجنائز، باب الأمر باتباع الجنائز، برقم ١٢٤٠، ومسلم، واللفظ له، كتاب السلام، باب من حق المسلم على المسلم رد السلام، برقم ٥- (٢١٦٢).

(٤) البخاري، كتاب المرضى، باب وضع اليد على المريض، برقم ٥٦٥٩.

ثلاثاً، أعوذ بعزة الله وقدرته، من شر ما أجد وأحاذر، سبع مرات^(١)، إذا قاله موقناً بذلك مؤمناً به، وأنه سوف يستفيد من هذا؛ فإنه يسكن الألم بإذن الله ﷻ، وهذا أبلغ من الدواء الحسي: كالأقراص، والشراب، والحقن؛ لأنك تستعيز بمن بيده ملكوت السموات والأرض الذي أنزل هذا المرض، هو الذي يجيرك منه.

٦- يشرع للمسلم إذا زار أخاه المريض المسلم أن يدعو له بهذا الدعاء: «أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ، رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، أَنْ يَشْفِيكَ» سبع مرات، فإنه يُشْفَى بإذن الله إذا لم يحضر أجله، أما إذا حضر الأجل، فلا ينفع الدواء، ولا القراءة؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾^(٢)، والله الموفق^(٣).

٧- قال العيني: «إن المريض الذي حضر أجله، لا يفيد شئ في تأخير عمره، ولكن العائد إذا قرأ عنده شيئاً يفيد في الآخرة، ويفيد القارئ أيضاً، وربما يسهل عليه مرضه، ويهون عليه سكرات الموت ببركة القراءة والدعاء»^(٤).

٨- وفي عون المعبود: «(إِلَّا عَافَاهُ اللَّهُ) قَالَ السِّنْدِيُّ: كَانَ كَلِمَةً إِلَّا مَبْنِي عَلَى أَنَّ التَّقْدِيرَ فَلَمْ يَقُلْ ذَلِكَ إِلَّا عَافَاهُ اللَّهُ، أَوْ أَنَّ كَلِمَةً مَنْ لِلْإِسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِيِّ، فَيَرْجِعُ إِلَى مَعْنَى التَّقْيِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾^(٥)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^(٦)»^(٧).

(١) مسلم، برقم ٢٢٠٢، وسيأتي تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ٢٤٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣٤.

(٣) انظر: شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، الحديث رقم ٩٠٦.

(٤) شرح أبي داود للعيني، ٦ / ٢٤.

(٥) سورة الرحمن، الآية: ٦٠.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٧) عون المعبود مع حاشية ابن القيم، ٨ / ٢٥٧.

٩- جمع بين النكاية وتشجيع الجنازة؛ لأن الأول كدح في إنزال العقاب على عدو الله، والثاني سعي في إنزال الرحمة^(١).

١٠- ذكر العلامة ابن عثيمين رحمته الله: أن للعيادة آداباً كثيرة، منها:

الأدب الأول: أن ينوي الإنسان بها امتثال أمر الرسول ﷺ.

الأدب الثاني: أن ينوي الإحسان إلى أخيه بهذه العيادة.

الأدب الثالث: أن يستغل الفرصة في توجيه المريض بما ينفعه: كالتوبة، والخروج من المظالم.

الأدب الرابع: أن ينظر للمصلحة في إطالة البقاء عند المريض، أو عدمها، فلا يتعجل إذا كان المريض مستأنساً، منشرحاً صدره، وإن كان العكس تعجل.

الأدب الخامس: طلب العائد من المريض الدعاء له؛ لأن المريض ترجى إجابة دعائه، خاصة إذا ثقل عليه المرض^(٢).

١١- الفرق بين الزيارة والعيادة: الزيارة تكون للصحيح، والعيادة

للمريض، وإنما سميت عيادة؛ لأنها تتكرر مادام المريض في مرضه^(٣).

١٢- يجوز أن يقول هذا الدعاء سراً وجهاً، فكل ذلك سائغ، ولكن إذا أسمع

المريض فهو الأولى، والأفضل؛ لأن فيه إدخال السرور عليه، وليس هناك دليل يدل على أن المريض يدعو بهذا الدعاء لنفسه، لكن له أن يسأل الله الشفاء^(٤).

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ١/ ١٦٢.

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين، شرح الحديث ٩٠٦.

(٣) انظر: شرح رياض الصالحين لابن عثيمين، شرح الحديث ٩٠٦.

وكذلك لقول الله ﷻ في الحديث القدسي: «أما علمت أن عبيدي فلان مرض فلم تعده، أما إنك لو

عدته لوجدتني عنده» رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل عيادة المريض، برقم ٢٥٦٩.

(٤) شرح سنن أبي داود للعباد، ص ٣٦٢.

١٣- ربما احتاج المريض إلى التمريض، فيتناول ذلك العائد إن لم يكن له أهل، وهذا معنى قوله: «عودوا المريض»؛ فانه محتاج إلى هذه المعاني، والتمريض فرض على الكفايه، لا بد أن يقوم به بعض الخلق عن بعض، وهو على مراتب:

الأول: الأهل، والقريب، ثم الصاحب، ثم الجار، ثم سائر الناس، وقد أمر رسول الله ﷺ بعياده المريض، واتباع الجنائز، وفي ذلك فضل كثير^(١).

١٤- يجوز لزائر المريض أن يدعو له بأي دعاء شاء، مما ورد في السنة الشريفة ومن ذلك الأدعية الآتية:

الأول: اللهم اشف فلاناً، ويسمي المريض؛ لأن النبي ﷺ زار سعداً رضي الله عنه وقال: «اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا»^(٢).

الثاني: «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، أَذْهِبِ الْبَاسَ، اشْفِهِ، وَأَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا»^(٣).

الثالث: «طهور، لا بأس إن شاء الله»، وتقدم.

الرابع: «أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ، رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، أَنْ يَشْفِيكَ» سبع مرات، وتقدم.

(١) المسالك في شرح موطأ مالك، ٧ / ٤٥٩.

(٢) البخاري، كتاب المرضى، باب دعاء العائد للمريض، قبل الحديث رقم ٥٦٧٥.

(٣) البخاري، كتاب الطب، باب رقية النبي ﷺ، برقم ٥٧٤٥.

٥٠ - فَضْلُ عِيَادَةِ الْمَرِيضِ

١٤٩- قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا عَادَ الرَّجُلُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ مَشَى فِي خِرَافَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسَ، فَإِذَا جَلَسَ غَمَرَتْهُ الرَّحْمَةُ، فَإِنْ كَانَ غُدُوَّةً صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ كَانَ مَسَاءً صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُضْبِحَ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥١٣- جَاءَ أَبُو مُوسَى^(٢) إِلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ^(٣) يَعُودُهُ فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ^(٤): «أَعَائِدًا جِئْتَ أَمْ شَامِتًا؟ قَالَ: لَا، بَلْ عَائِدًا. قَالَ: فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: إِنْ كُنْتَ جِئْتَ عَائِدًا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا عَادَ الرَّجُلُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، مَشَى فِي خِرَافَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسَ، فَإِذَا جَلَسَ غَمَرَتْهُ الرَّحْمَةُ، فَإِنْ كَانَ غُدُوَّةً صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ كَانَ مَسَاءً صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُضْبِحَ»^(٥).

(١) رواه الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عيادة المريض، برقم ٩٦٩، وأبو داود، كتاب الجنائز، باب في فضل عيادة المريض، برقم ٣٠٩٨، وابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عيادة المريض، برقم ١٤٤٢، وأحمد، ٤٧/٣، برقم ٦١٢، وصححه موقوفاً محققو المسند، ٤٨/٣، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٢٤٤/١، وصحيح الترمذي، ٢٨٦/١، وصححه أيضاً أحمد شاكر.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١ من أحاديث الشرح.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٩٧ من أحاديث الشرح.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٥ من أحاديث الشرح.

(٥) رواه الترمذي، برقم ٩٦٩، وابن ماجه، برقم ١٤٤٢، وأحمد، ٤٧/٣، برقم ٦١٢، وصححه موقوفاً محققو المسند، ٤٨/٣، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٢٤٤/١، وصحيح الترمذي، ٢٨٦/١، وصححه أيضاً أحمد شاكر، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

٥١٤- عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ^(١)، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَيُّمَا رَجُلٍ يَعُودُ مَرِيضًا، فَإِنَّمَا يَخُوضُ فِي الرَّحْمَةِ، فَإِذَا قَعَدَ عِنْدَ الْمَرِيضِ غَمَرَتْهُ الرَّحْمَةُ»، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا لِلصَّحِيحِ الَّذِي يَعُودُ الْمَرِيضَ، فَالْمَرِيضُ مَا لَهُ؟ قَالَ: «تُحِطُّ عَنْهُ ذُنُوبُهُ» ^(٢).

٥١٥- عَنْ ثَوْبَانَ ^(٣)، مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا، لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَزْجَعَ» ^(٤).

٥١٦- عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ». قِيلَ: وَمَا خُرْفَةُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «جَنَاهَا» ^(٥).

٥١٧- وفي لفظ آخر لأحمد عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا عَادَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، فَهُوَ فِي مَخْرَفَةِ الْجَنَّةِ» ^(٦).

٥١٨- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ^(٧)، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا عَادَ الرَّجُلُ أَخَاهُ أَوْ زَارَهُ، قَالَ اللَّهُ لَهُ: طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّاتَ مَنَزَلًا فِي الْجَنَّةِ» ^(٨).

ثانيًا: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «إِذَا عَادَ، يَعُودُ»: من عاد يعود، وهي زيارة المريض، «وكلُّ مَنْ أَتَاكَ

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح قبل أحاديث المتن.

(٢) مسند أحمد، ٢٠ / ١٧٩، برقم ١٢٧٨٢، وصححه لغيره محققو المسند.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣٣ من أحاديث الشرح.

(٤) مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل عيادة المريض، برقم ٢٥٦٨.

(٥) مسند أحمد، ٣٧ / ٧٣، برقم ٢٢٤٩٨، وصححه إسناده محققو المسند.

(٦) مسند أحمد، ٣٧ / ٥٦، برقم ٢٢٣٧٣، وصححه محققو المسند.

(٧) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٨) الأدب المفرد، ص ١٢٦، برقم ٣٤٥، وأحمد، ٢ / ٣٤٤، برقم ٨٥١٧، وابن أبي الدنيا في الإخوان،

ص ١٤٩، برقم ٩٧، وابن حبان، ٧ / ٢٢٨، برقم ٢٩٦١، والبيهقي في شعب الإيمان، ٦ / ٤٩٣، قال

الحافظ في فتح الباري، ١٠ / ٥٠٠: «ولهُ شاهد عِنْدَ الْبَرَّانِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ» وحسنه

الألباني في صحيح الأدب المفرد، ص ١٤٣، برقم ٢٦٢.

مرّة بعد أخرى، فهو عائد، وإن اشتهر ذلك في عيادة المريض، حتى صار كأنّه مُخْتَصَّ به، وقد تكررت الأحاديث في عيادة المريض^(١). و«العود: الرجوع: كالعودة، والمعاد، والصرف، والرد، وزيارة المريض: كالعياد، والعيادة، والعودة بالضم، وجمع العائد كالعواد والعود، والمريض: معوّد، ومعوود، وانتياب الشيء كالاعتیاد»^(٢).

٢- قوله: «أخاه المسلم»: قال ابن حيان رحمته الله: يَغْلِبُ الْإِخْوَانُ فِي الصَّدَاقَةِ، وَالْإِخْوَةُ فِي النَّسَبِ، وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ كُلُّ مِثْلِهِمَا مَكَانَ الْآخَرِ، وَهِيَ هُنَا أَخْوَةٌ فِي الدِّينِ^(٣).

٣- قوله: «مشى في خرافة الجنة»^(٤): قال ابن العربي: «المشي: عمل من الأعمال، وقد يكون طاعةً، وقد يكون معصيةً»^(٥)، وقال أيضاً: «وذلك أنّ عيادة المريض والمشي إليه سبب إلى الجنة»^(٦)، وخرافة الجنة: أي جناها، وهو تفسير النبي ﷺ^(٧). أي: بساتين الجنة يأخذ منها ما اشتتهته نفسه، وقوله: «فِي خِرَافَةِ الْجَنَّةِ»: بِكَسْرِ الْخَاءِ، أَي: فِي اجْتِنَاءِ ثَمَرِ الْجَنَّةِ، يَقَالُ: خَرَفَتِ النَّخْلَةُ أَخْرَفَهَا، فَشَبَّهَ مَا يَحُوزُهُ عَائِدُ الْمَرِيضِ مِنَ الثَّوَابِ بِمَا يَحُوزُهُ الْمُخْتَرِفُ مِنَ الثَّمَرِ^(٨)، والجنى: اجتناء الثمر وقطافه، يقال خرفت النخلة أخرفها خرفاً، وخرافاً، وعائد المريض على خرفة الجنة، الخرفة - بالضم -: اسم ما يخترف من النخل حين يدرك وينضج، وعائد المريض له خريف في

(١) النهاية في غريب الأثر (٣ / ٦٠١).

(٢) النهاية في غريب الأثر (٣ / ٦٠١).

(٣) انظر: البحر المحيط في التفسير، ٩ / ٥١٦.

(٤) جاء عند مسلم وغيره: «خرقة».

(٥) المسالك في شرح موطأ مالك، ٥ / ٣٨٤.

(٦) المسالك في شرح موطأ مالك، ٧ / ٤٦٤.

(٧) مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل عيادة المريض، برقم ٢٩٦٨.

(٨) عون المعبود مع حاشية ابن القيم، ٨ / ٢٥٢.

الجنة، أي مخروف من ثمرها، وفعل بمعنى مفعول، والنخلة خرفة الصائم أي تمرته التي يأكلها، ونسبها إلى الصائم لأنه يستحب الإفطار عليه، وأخذ مخرفاً فأتى عذقاً، والمخرف - بالكسر - ما يجتنى فيه الثمر، والشجر أبعد من الخارف، هو الذي يخرف الثمر أي: يجتنى، والفقراء من أمة النبي ﷺ يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً، والخريف الزمان المعروف من فصول السنة ما بين الصيف والشتاء، ويريد به أربعين سنة^(١).

٤- قوله: «حتى يجلس، فإذا جلس»: أي: عند المريض، قال نشوان الحميري رحمه الله: «الجلوس: نقيض القيام»^(٢)، وقال ابن منظور رحمه الله: «جَلَسَ: الْجُلُوسُ: الْقُعُودُ»^(٣).

٥- قوله: «غمرته الرحمة»: أي: علت عليه حتى غطته كله، قال المناوي رحمه الله: «أي: علت وسترته، شبه الرحمة بالماء إما في الطهارة وإما في الشيع والشمول لم ينسب إليها ما هو منسوب إلى المشبه به من الخوض ثم عقب الاستعارة ترشيحاً»^(٤).

وقال ابن العربي: «وعائد المريض يخوض في الرحمة، فهو كقوله: «في خرفة الجنة»»^(٥)، وذلك أن عياء المريض، والمشي إليه سبب إلى الجنة، فعبر عن المسبب بالسبب على أحد قسمي المجاز، ترغيباً في العيادة، لما فيها من الألفة، ولما يدخل على المريض من الأنس بعائده، والسكون إلى

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٢٣، مادة (خرف).

(٢) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ٢/ ١١٤٥، مادة (جلس).

(٣) لسان العرب، ٦/ ٣٩، مادة (جلس).

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٤/ ٣٩٢، وانظر: شرح الزرقاني لموطأ مالك، ٤/ ٤٢٤.

(٥) مسند أحمد، برقم ٢٢٤٩٨، وصحح إسناده محققو المسند، وتقدم تخريجه.

كلامه»^(١).

٦- قوله: «غدوة»: أي: كانت زيارته وقت الصباح، وقيل أن الغدوة تكون ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس، قال ابن الأثير رحمته الله: «الغدوة: المرة من الغدوّ، وهو سيّر أول النهار، نقيض الرواح، وقد غدا يغدو غُدُوًّا، والغدوة بالضمّ: ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس»^(٢).

٧- قوله: «صلى عليه سبعون ألف ملك»: أي: دعوا له بالرحمة، والمغفرة حتى المساء، قال ابن علان رحمته الله: «أي: استغفروا له، ودعوا له بأنواع الرحمة، مستمرين كذلك»^(٣).

٨- قوله: «مساء»: أي: كانت الزيارة في آخر النهار، قال ابن علان رحمته الله: «أي: يدخل في المساء وهو من زوال الشمس إلى نصف الليل»^(٤).

٩- قوله: «حتى يصبح»: أي: دعوا له من المساء إلى الصباح^(٥)، قال ابن علان رحمته الله: «أي: يدخل في الصباح، وحتى فيه وفيما قبله غاية لمقدر، دل عليه السياق، كما أشرت إليه، ثم إن كانت (إن) بمعنى (ما) لمقابلتها بها، فتقدر (إلا) وحذفت لدلالة مقابلتها عليها، والواو حينئذ عاطفة، أو مستأنفة، وإن كانت شرطية فلا تقدير لها، والجملة جواب الشرط»^(٦).

١٠- قوله: «شامتاً»: الشماتة هي: الفرح بما يُصاب العدو من مكروه، وينزل به من آفات، قال في القاموس المحيط: «شمت: كفرح: شماتاً،

(١) المسالك في شرح موطأ مالك، لابن العربي، ٧/ ٤٥٨.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٣٤٦، مادة (غدا).

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ١٩٣.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ١٩٣.

(٥) شرح ابن ماجه للسندي، ٢/ ١٩٢.

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ١٩٣.

وشماتة: فرح ببلية العدو، وأشمته الله به، والشماتى والشمات: الخائبون، بلا واحد^(١)، و«الشماتة: فرح العدو ببليّة تنزل بمن يُعاديّه، يقال: شمت به يشمت، فهو شامت، وأشمته غيره، ومنه... «ولا تُطع في عدوّاً شامتاً» أي: لا تفعل بي ما يُحب، فتكون كأنك قد أطعته في^(٢)».

١١- قوله: «تخطّ عنه خطاياها وذنوبه»: أي: يعفو الله عنه، ويتجاوز عما فعله من ذنوب وآثام، «وهي فِغلة من حطّ الشيء يخطّه، إذا أنزله وألقاه، ومنه الحديث في ذكر حطة بني إسرائيل وهو قوله تعالى ﴿وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم﴾^(٣) أي قولوا: حطّ عنا ذُنوبنا»^(٤).

١٢- قوله: «طبت»: أي: سعدت، جاءك كل شيء طيب، وسرور، وسعادة، «وطابت نفسه بالشيء إذا سمحت به من غير كراهة ولا غضب»^(٥).

١٣- قوله: «وطاب ممشاك»: ممشاك: «مصدر، أو مكان، أو زمان مبالغة، قال الطيبي: كناية عن سيره، وسلوكه طريق الآخرة بالتعري عن رذائل الأخلاق، والتحلي بمكارمها»^(٦).

١٤- قوله: «وتبوأ منزلاً في الجنة»: أنزله، كأباءه، والاسم: البيّة بالكسر، وبوأه الرمح نحوه: قابله به، والمكان: حله، وأقام كأباء به وتبوأ، والمبأة: المنزل، كالبيّة، والبأة، وبيت النحل في الجبل، ومتبوأ الولد من

(١) القاموس المحيط (ص: ٣٨٦)

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢ / ٤٩٨، مادة شمت).

(٣) سورة البقرة، الآية ٥٨.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١ / ٤٠١، مادة (حطط).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣ / ١٤٨، مادة (طيب).

(٦) تحفة الأحوذى، ٦ / ١٢٤.

الرحم، وكناس الثور والمعطن^(١)، و«يتبوأ»: يأخذ من الجنة مكاناً يقيم فيه، وأصله من النزول بالمكان، ويقال: بَوَّاهُ الله مَنْزِلاً أَي: أَسْكَنَهُ إِيَّاهُ، وَتَبَوَّأْتُ مَنْزِلاً أَي: اتَّخَذْتُهُ، والمَبَاءة: المنزل، ومنه قوله: أَصْلِي فِي مَبَاءَةِ الْغَنَمِ؟ قَالَ نَعَمْ، أَي: مَنْزِلَهَا الَّذِي تَأْوِي إِلَيْهِ، وَهُوَ الْمُتَبَوَّأُ أَيْضاً، قوله فِي الْمَدِينَةِ: هَا هُنَا الْمُتَبَوَّأُ^(٢).

١٥- قوله: «حتى إذا قعد عنده قَرَّتْ»: أَي: ثَبَّتَتْ (فيه أو نحو هذا)، شَكَّ، ولفظ رواية أحمد عن جابر قال ﷺ: «مَنْ عَادَ مَرِيضاً لَمْ يَزَلْ يَخُوضُ فِي الرَّحْمَةِ حَتَّى يَجْلِسَ، فَإِذَا جَلَسَ اغْتَمَسَ فِيهَا»^(٣)، وَلَهُ أَيْضاً مِنْ حَدِيثِ أَبِي أَمَامَةَ: «عَائِدُ الْمَرِيضِ يَخُوضُ الرَّحْمَةَ»^(٤)،^(٥).

١٦- قوله: «يخوض في الرحمة»: وخاض الماء يخوضه خوضاً وخياضاً : دخله، كخوضه واختاضه^(٦).

١٧- قوله: «خاض في رحمته خوضاً»: فَإِذَا قَعْدَ عَنْده اسْتَنْقَعَ أَوْزَارَهُ احْتِسَاباً لِلَّهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «طَبْتُ وَطَابَ مِمَّشَاكَ» أَي: مَشِيكَ، «وَتَبَوَّأْتُ مَنْزِلاً فِي الْجَنَّةِ» أَي: اتَّخَذْتُهُ^(٧).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- الأجر العظيم، والثواب الجزيل الذي أعده الله لفاعل هذه الخصلة من

(١) انظر: القاموس المحيط، ص ٤٣، مادة (بوأ).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ١ / ١٥٨، مادة (بوأ).

(٣) مسند أحمد، ٢٠ / ١٧٩، برقم ١٢٧٨٢، وصححه لغيره محققو المسند، وتقدم.

(٤) مسند أحمد، برقم ١٢٧٨٢، وصححه محققو المسند، وتقدم تخريجه.

(٥) شرح الزرقاني على الموطأ، ٤ / ٤٢٤.

(٦) انظر: القاموس المحيط، ص: ٨٢٧، مادة (خاض).

(٧) إتحاف السادة المتقين للزبيدي، ٦ / ٢٩٥.

خصال الخير، قال أبو بكر بن الأنباري: يشبه الرسول ﷺ ما يحزره عائد المريض من الثواب بما يحزره المخترف من الثمر، وهذا كلام الحميدي: «شبه ﷺ ما يحوزه عائد المريض من الثواب بما يحوزه المخترف من النخلة، والمخرف النخلة التي يخترف منها، والمخرف - بكسر الميم -: المكتل، يلفظ فيه الرطب»^(١).

٢- قال الإمام ابن القيم: «وَلَمْ يَكُنْ مِنْ هَذِهِ عَلِيمُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ أَنْ يَخُصَّ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ بِعِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَلَا وَقْتًا مِنَ الْأَوْقَاتِ، بَلْ شَرَعَ لِأُمَّتِهِ عِيَادَةَ الْمَرَضَى لَيْلًا وَنَهَارًا وَفِي سَائِرِ الْأَوْقَاتِ»^(٢).

٣- «وَأَدَبُ الْعَائِدِ: خِفَةُ الْجُلُوسَةِ، وَقِلَّةُ السُّؤَالِ، وَإِظْهَارُ الرَّقَّةِ، وَالِدُّعَاءُ بِالْعَافِيَةِ، وَغَضُّ الْبَصَرِ عَنْ عَوْرَاتِ الْمَوْضِعِ، وَعِنْدَ الْإِسْتِثْنَاءِ لَا يُقَابِلُ الْبَابَ، وَيَدُقُّ بَرَفِقٍ، وَلَا يَقُولُ: أَنَا إِذَا قِيلَ لَهُ مَنْ؟»^(٣).

٤- وَيُسْتَحَبُّ لِلْعَلِيلِ أَيْضًا أَنْ يَقُولَ: أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ، مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأَحَازِرُ سَبْعَ مَرَّاتٍ، بَعْدَ أَنْ يَقُولَ: بِسْمِ اللَّهِ ثَلَاثًا^(٤)، وَقَالَ طَاوُوسٌ: أَفْضَلُ الْعِيَادَةِ أَخْفَهَا، وَجُمْلَةُ أَدَبِ الْمَرِيضِ حُسْنُ الصَّبْرِ، وَقِلَّةُ الشُّكْوَى وَالضَّجَرِ، وَالْفَزَعُ إِلَى الدُّعَاءِ، وَالتَّوَكُّلُ بَعْدَ الدَّوَاءِ عَلَى خَالِقِ الدَّوَاءِ»^(٥).

٥- الزيارة لله ﷻ لها فضل عظيم، فإن من زار أخاه، أو عاده في مرضه، يقال له: «طبت وطاب ممشاك»، ويقال لمن زار أخاه لغير أمر دنيوي، ولكن لمحبه في الله: «إِنَّ اللَّهَ أَحَبُّكَ كَمَا أَحَبَبْتَهُ فِيهِ»^(٦).

(١) تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، ص ٢٣٣.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ١/ ٤٧٨.

(٣) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، لمحمد جمال الدين القاسمي، ص: ١٤٦

(٤) مسلم، برقم ٢٢٠٢، وسيأتي تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ٢٤٣.

(٥) موعظة المؤمنين، ص: ١٤٦.

(٦) مسلم، برقم ٢٥٦٧، وتقدم تخريجه.

٦- والزيارة لها فوائد على النحو الآتي،

أولاً: إدراك هذا الأجر العظيم المذكور في هذه الأحاديث.

ثانياً: تؤلف القلوب، وتجمع الناس، وتذكر الناسي، وتنبه الغافل، وتعلم الجاهل.

ثالثاً: فيها مصالح كثيرة يعرفها من جربها.

٧- وأما عيادة المريض ففيها كذلك أيضاً من المصالح، والمنافع الشيء

الكثير، وقد سبق لنا أن من حقوق المسلم على المسلم: أن يعودّه إذا مرض،

ويُذكره بالله ﷻ بالتوبة، والوصية، وغير ذلك مما يستفيد منه، فهذه

الأحاديث وأشباهاها، كلها تدل على أنه ينبغي للإنسان أن يفعل ما فيه

المودة، والمحبة لإخوانه: من زيارة، وعيادة، واجتماع وغير ذلك^(١).

٨- قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: والقول الراجح أن زيارة المريض فرض

كفاية، أي: إذا قام به البعض سقط عن الآخرين، ومعلوم أن غالب المرضى

يعودهم أقاربهم، وبذلك تحصل الكفاية، ولكن لو علمنا أن أحداً ليس من

أهل البلد مريض فإن الواجب أن نعوده^(٢).

(١) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٣٦٣.

(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٨٩٤.

٥١ - دُعَاءُ الْمَرِيضِ الَّذِي يَنْسُ مِنْ حَيَاتِهِ

١٥٠- (١) «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَالْحَقْنِي بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى» (١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥١٩- عَنْ عَبْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها (٢) أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا سَمِعَتْ النَّبِيَّ ﷺ، وَأَصْغَتْ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ، وَهُوَ مُسْنِدٌ إِلَيَّ ظَهْرُهُ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَالْحَقْنِي بِالرَّفِيقِ» (٣).

٥٢٠- وفي رواية لمسلم، أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ وَهُوَ صَاحِيحٌ: «إِنَّهُ لَمْ يَقْبُضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ فِي الْجَنَّةِ ثُمَّ يُخَيَّرُ» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَلَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَأْسُهُ عَلَى فَخْذِي، غُشِيَ عَلَيْهِ سَاعَةٌ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَأَشْخَصَ بَصَرَهُ إِلَى السَّقْفِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى» قَالَتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ: إِذَا لَا يَخْتَارُنَا، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَعَرَفْتُ الْحَدِيثَ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا بِهِ، وَهُوَ صَاحِيحٌ فِي قَوْلِهِ: «إِنَّهُ لَمْ يَقْبُضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُخَيَّرُ»، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَكَانَتْ تِلْكَ آخِرُ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَوْلُهُ: «اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى» (٤).

(١) البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، برقم ٤٤٤٠، ومسلم، كتاب الفضائل، باب في فضائل عائشة رضي الله عنها، برقم ٢٤٤٤. ورواية مسند أحمد، ٤٣/ ١٠٣، برقم ٢٥٩٤٧، وصححه محققو المسند بلفظ: سَمِعْتُ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَتَوَفَّى، وَأَنَا مُسْنِدَتُهُ إِلَى صَدْرِي، يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَالْحَقْنِي بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى».

(٢) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٥٤ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري، برقم ٤٤٣٥، ومسلم، برقم ٢٤٤٤. وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) مسلم، برقم ٨٦ - (٢٤٤٤)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللهم»: قال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللهُ: «لا خلاف أن لفظة: (اللهم) معناها يا الله؛ ولهذا لا تستعمل إلا في الطلب، فلا يقال اللهم غفور رحيم، بل يقال: اللهم اغفر لي وارحمني»^(١).

٢- قوله: «اغفر لي»: قال ابن منظور: «الْغُفُورُ الْغَفَّارُ، جَلَّ ثَنَاؤُهُ، ... وَمَعْنَاهُمَا: السَّائِرُ لِدُنُوبِ عِبَادِهِ، الْمُتَجَاوِزُ عَنْ خَطَايَاهُمْ وَدُنُوبِهِمْ ... غَفَرَهُ يَغْفِرُهُ غَفْرًا: سَتَرَهُ. وَكُلُّ شَيْءٍ سَتَرْتَهُ، فَقَدْ غَفَرْتَهُ؛ ... وَمِنْهُ: غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ أَي: سَتَرَهَا»^(٢).

٣- قوله: «وارحمني»: طلب رحمة الله ﷻ التي بها حصول المطلوب، وبالمغفرة زوال المرهوب، وهذا إذا جمع بين المغفرة والرحمة، أما إذا فرقت المغفرة عن الرحمة فإن كل واحدة منهما تشمل الأخرى^(٣).

٤- قوله: «وألحقني»: «لحق به كسمع، ولحقه لحقاً، ولحقاً بفتحهما: أدركه كألحقه، وهذا لازم متعد... والملحق: الدعي الملتصق، واستلحق فلانا: ادعاه، واللحق محركة: شيء يلحق بالأول، وتلاحقت المطايا: لحق بعضها بعضاً»^(٤).

٥- قوله: «بالرفيق الأعلى»: المراد بهم ما جاء في قول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾^(٥).

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ: «وَأَمَّا قَوْلُهُ: «وَأَلْحَقْنِي بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى» فَمَأْخُودٌ

(١) لسان العرب، ١٣ / ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، في شرح المفردة، رقم ٦.

(٢) لسان العرب، ٥ / ٢٥، مادة (غفر)، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٢ من حديث المتن رقم ٢.

(٣) انظر الشرح المتمتع، ص ١٣١، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ٤٩.

(٤) القاموس المحيط، ص ١١٨٩، مادة (لحق).

(٥) سورة النساء، الآية: ٦٩.

عِنْدَهُمْ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾^(١)، وَقِيلَ: الرَّفِيقُ الْجَنَّةُ، وَقِيلَ: الرَّفِيقُ الْأَعْلَى مَا عَلَا فَوْقَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، وَهِيَ الْجَنَّةُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(٢).

وقال الإمام البغوي رحمه الله: «قَوْلُهُ: «الرَّفِيقُ الْأَعْلَى»، قِيلَ: هُوَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ ﷻ كَأَنَّهُ أَرَادَ الْحَقَّنِي بِاللَّهِ، وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ: غَلِطَ هَذَا الْقَائِلُ، وَالرَّفِيقُ هَهُنَا جَمَاعَةُ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ يَسْكُنُونَ أَعْلَى عِلِّيِّينَ، اسْمٌ جَاءَ عَلَى وَزْنِ فَعِيلٍ، وَمَعْنَاهُ الْجَمَاعَةُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾»^(٣).

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «إِن النَبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَأَلْحَقْنِي بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى» هَكَذَا يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ، وَهُوَ الَّذِي غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ! مِنْ هُمُ الرَّفِيقِ الْأَعْلَى؟ هُمُ: النَّبِيُّونَ، وَالصِّدِّيقُونَ، وَالشُّهَدَاءُ، وَالصَّالِحُونَ، وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا»^(٤).

٦-قوله: «وَأَصْغَتْ إِلَيْهِ»: مَالَتْ إِلَيْهِ لِتَسْمَعَ مِنْهُ؛ لِأَنَّ الصَّغْوَ أَصْلُهُ الْمِيلُ، قَالَ فِي النَّهَايَةِ: أَنَّهُ كَانَ يُضْغِي الْإِنَاءَ لِلِهَرَّةٍ، أَيُّ: يُمِيلُهُ لِتُسَهِّلَ عَلَيْهَا الشُّرْبَ مِنْهُ، أَضْغَى لَهُ: أَيُّ أَمَالَ صَفْحَةً غُنَّقَهُ إِلَيْهِ، وَالصَّاعِيَّةُ بِالْمَدِينَةِ هُمُ خَاصَّةُ الْإِنْسَانِ، وَالْمَائِلُونَ إِلَيْهِ، وَقَدْ تَكَرَّرَ ذِكْرُ الْإِضْغَاءِ وَالصَّاعِيَّةِ فِي الْحَدِيثِ^(٥)، وَلِذَلِكَ قَالَ فِي الْقَامُوسِ: «وَأَصْغَى: اسْتَمَعَ، وَأَصْغَى إِلَيْهِ: مَالَ بِسَمْعِهِ»^(٦).

٧-قوله: «مُسْنَدٌ إِلَيَّ ظَهْرُهُ»: أَيُّ: اعْتَمَدَ عَلَيْهَا فِي جُلُوسِهِ، وَأَمَالَ ظَهْرَهُ

(١) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٢) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، لابن عبد البر، ٨ / ٣٤٦.

(٣) شرح السنة للبغوي، ١٤ / ٤٦.

(٤) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩١١.

(٥) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣ / ٣٣، مادة (صغى).

(٦) القاموس المحيط، ص: ١٦٨٠، مادة (صغى).

إليها، قال الفيومي: السَّنْدُ - بفتحيتين -: ما استندت إليه من حائط وغيره... ويُعدَّى بالهمزة فيقال: أَسْنَدْتُهُ إلى الشيء فَسَنَدَ هو، وما يستند إليه مِسْنَدٌ - بكسر الميم -، ومُسْنَدٌ - بضمها -، والجمع مَسَانِدٌ»^(١).

٨- قوله: «وهو صحيح»: أي: في حال صحته، لا في حال المرض، و«الصَّحَّ - بالضم - والصَّحَّة - بالكسر -، والصَّحاح - بالفتح -: ذهاب المرض، والبراءة من كل عيب... وأَصَحَّ: صح أهله وماشيته، وأصحَّ الله تعالى فلاناً: أزال مرضه»^(٢).

٩- قوله: «يقبض نبي»: أي: يتوفاه الله بقبض روحه، وقبض: في أسماء الله تعالى (القابض، الباسط)، وهو الذي يُمْسِكُ الرزق وغيره من الأشياء عن العباد بلُطفه وحِكمته، وَيَقْبِضُ الأزواح عند المَمَاتِ، وَقَبْضُ المريض إذا تُوَفِّي وإذا أَشْرَفَ على المَوْتِ، وَقَبْضٌ: أي: هو في حال الْقَبْضِ، ومُعَالَجَةُ النَّزْعِ»^(٣).

١٠- قوله: «غشي عليه مساء»: أي: أمسى مغشياً عليه، غَشِيَ يَعْشَاهُ غَشِيَاناً إذا جاءه، وَغَشَاهُ تَغْشِيَةً إذا غَطَّاه، وَغَشِيَ الشيء إذا لَابَسَهُ، وَغَشِيَ المرأة إذا جَامَعَهَا، وَغَشِيَ عليه فهو مَغْشِيٌّ عليه، إذا أَعْمِيَ عليه»^(٤).

١١- قوله: «فأشخص بصره»: أي: وجه نظره إليه، وحملق به، و«شُخِصَ البَصَرُ: ارْتِفَاعُ الْأَجْفَانِ إِلَى فَوْقٍ وَتَحْدِيدُ النَّظَرِ وَانْزِعَاجُهُ... يقال للرجُل إذا أتاه ما يُقْلِقُهُ: قد شُخِصَ به كأنه رُفِعَ من الأرض لِقْلِقِهِ وانْزِعَاجِهِ، ومنه (شُخُوصُ الْمُسَافِرِ) خُرُوجُهُ عن مَنْزِلِهِ.. والشَّخْصُ: كُلُّ جِسْمٍ له ارتِفَاعٌ

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١ / ٢٩١، مادة (سند).

(٢) القاموس المحيط، ص ٢٩١، مادة (صح).

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤ / ٩، مادة (قبض).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣ / ٦٨٤، مادة (غشي).

وظُهُورٌ، والمُرَاد به في حَقِّ الله تعالى إثباتُ الذات، فاستُعِير لها لفظُ الشَّخْصِ^(١)، وقد ثبت في الحديث: «لا شَخْصَ أَغِيرَ مِنَ اللَّهِ»^(٢)، لكن شَخْصَ لا كالأشخاص ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٣).

١٢- قوله: «إِذْنٌ لَا يَخْتَارُنَا»: أي: عندما يَخَيَّرُ النبي ﷺ بين الدنيا والآخرة، فإنه سيختار الآخرة، وهي الرفيق الأعلى، وهذا ما توقعته عائشة أن النبي ﷺ لن يختار البقاء في الدنيا، قال ابن الملقن رَحِمَهُ اللهُ: «أي: هو في هذه الحالة غير مختار لنا»^(٤).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- اليأس من الحياة لا يُعلم إلا إذا حضر الموت، أما قبل ذلك، فإنه مهما اشتد المرض؛ فإن الإنسان لا ييأس، وكم من إنسان اشتد به المرض حتى جمع أهله ماء تغسيله، وحنوطه، وكفنه، ثم شفاه الله وعافاه، وكم من إنسان أشرف على الموت في أرض مفازة ليس عنده ماء ولا طعام فأنجاه الله ﷻ^(٥).

٢- مشروعية قول هذا الدعاء لمن اشتد به المرض، وشعر بدنو أجله وذلك عند الغرغرة، والنزع، والسكرات اقتداء بالرسول ﷺ، وهو متضمن لطلب: المغفرة، والرحمة، وهذا إحسان ظن من العبد بربه، والله عند حسن ظن عبده به ﷻ.

٣- قول النبي ﷺ لهذا الدعاء كان بعد تخيير الله له بين الحياة والموت؛ لقوله ﷺ: «إِنَّهُ لَمْ يَقْبُضْ نَبِيٌّ قَطُّ، حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ فِي الْجَنَّةِ، ثُمَّ يَخِيرُ» تقول عائشة فأشخص بصره إلى السماء ثم قال: «اللَّهُمَّ! الرَّفِيقَ الْأَعْلَى»^(٦).

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٤٥٠، مادة (شخص).

(٢) البخاري، كتاب التوحيد، باب قول النبي ﷺ: «لا شَخْصَ أَغِيرَ مِنْ» برقم ٧٤١٦، ومسلم، كتاب اللعان، برقم ١٤٩٩.

(٣) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٤) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢٩/ ٦٠٥.

(٥) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ، الحديث رقم ٩١١.

(٦) مسلم، ٢٤٤٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

٤- اللهم اغفر لي وارحمني^(١): إنما جاء الجمع بين المغفرة والرحمة لفائدة عظيمة: وهي الجمع بين الوقاية والعناية، بين الوقاية بالمغفرة، يقيك الله شر الذنوب، والعناية بالرحمة، يعتني الله بك، فيسرك ليسرى ويجنبك العسرى^(٢).

٥- لا يفهم من قوله ﷺ: «اللهم الرفيق الأعلى» جواز أن يتمنى الإنسان الموت؛ لأن النبي ﷺ قال ذلك بعد أن خُير بين الحياة والموت، وأنه قاله أيضًا حالة النزاع والسكرات.

٦- نهى النبي ﷺ عن تمني الموت بقوله: «لا يتمنى أحدكم الموت ولا يدع به، إنه إذا مات انقطع عمله، وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيرًا»^(٣). قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «والنهي للتحريم؛ لأن ذلك فيه عدم الرضا بقضاء الله، والواجب على المسلم الصبر إذا أصابته ضراء، وانتظار الفرج من الله ﷻ»^(٤). وقال ﷺ: «لا يتمنين أحدكم الموت إما محسنًا فلعله أن يزداد خيرًا، وإما مسيئًا فلعله أن يستعقب»^(٥)، والاستعتاب هو طلب العتبي وهو الرضى ولا يتم ذلك إلا بالتوبة النصوح. قال الله ﷻ: ﴿وَإِنْ يَسْتَغْتِيبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾^(٦).

٧- قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «يسوغ، بل يستحب لكل أحد أن يسأل الله تعالى أن يرحمه، فيقول: «اللهم ارحمني»، كما علم النبي ﷺ الداعي أن يقول: «اللهم اغفر لي، وارحمني، وعافني، وارزقني» فلما حفظها قال: «أَمَّا هَذَا، فَقَدْ مَلَأَ يَدَيْهِ

(١) سبق شرحهما.

(٢) الأسماء الحسنى والصفات العلى لعبد الهادي حسن وهبي، ص ٣٦١.

(٣) مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب كراهة تمني الموت لضر نزل به، برقم ٢٦٨٢.

(٤) انظر: شرح رياض الصالحين، حديث رقم ٥٨٥.

(٥) البخاري، كتاب التمني، ما يكره من تمني الموت، برقم ٧٢٣٥.

(٦) سورة فصلت، الآية: ٢٤.

مِنَ الْخَيْرِ»^(١)، ومعلوم أنه لا يسوغ لأحد أن يقول: اللهم صلِّ عليَّ، بل الداعي بهذا معتدٍ في دعائه، والله لا يحب المعتدين، بخلاف سؤال الرحمة، فإن الله تعالى يحب أن يسأله عبده مغفرته، ورحمته، فعُلم أنه ليس معناهما واحداً...»^(٢).

٨- وأكثر المواضع التي تستعمل فيها الرحمة، لا يحسن أن تقع فيها الصلاة، كقول الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٣)، وقوله ﷺ في الحديث القدسي: «إن رحمتي سبقت غضبي»^(٤)»^(٥).

٩- في الحديث منقبة لعائشة رضي الله عنها وقد قالت في أول الحديث: إن النبي ﷺ قال ذلك «وهو مسند إليَّ ظهره» وقالت رضي الله عنها: «مات النبي ﷺ وإنه لبين حاقتي وذائقتي فلا أكره شدة الموت لأحد بعده»^(٦) وفي لفظ: «فمات في اليوم الذي كان يدور عليَّ فيه في بيتي، فقبضه الله، وإنَّ رأسه لبين سحري ونحري، وخالط ريقه ريقه»^(٧) - والحاقة: ما سفل من الصدر، والذاقة: ما علا منها، والسَّحَر: الصدر، والنحر: موضع النحر^(٨)، والمراد أنه ﷺ مات ورأسه بين حنكها وصدرها رضي الله عنها.

١٥١- (٢) «جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ

(١) أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يجزئ الأمي والأعجمي من القراءة، برقم ٨٣٢، ومسند أحمد، ٤٥٥/٣١، برقم ١٩١١٠، وحسنه محققو المسند، وصححه الألباني في إرواء الغليل، ١٢/٢.

(٢) جلاء الأفهام، ص ١١٦.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.

(٤) البخاري، كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء، برقم ٧٤٢٢، ومسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، برقم ٢٧٥١.

(٥) جلاء الأفهام، ص ١٦٦.

(٦) البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، برقم ٤٤٤٦.

(٧) البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، برقم ٤٤٥٠.

(٨) انظر: فتح الباري، ٨٠٨/٧.

بِهِمَا وَجْهَهُ، وَيَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكْرَاتٍ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٢١- عن عائشة رضي الله عنها ^(٢) أنها كانت تقول: إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تُوفِّيَ فِي بَيْتِي، وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي، وَنَحْرِي، وَأَنَّ اللَّهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ، دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَبِيَدِهِ السِّوَاكُ، وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السِّوَاكَ، فَقُلْتُ: أَخْذُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ، فَتَنَاوَلْتُهُ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ: أَلَيْسَ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ، فَلَيْسَتْهُ، فَأَمَرَهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكُوعًا، أَوْ غَلَبَتْهُ يَشْكُ عُمَرُ فِيهَا مَاءً، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ، فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكْرَاتٍ»، ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ: «فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى» حَتَّى قُبِضَ، وَمَالَتْ يَدَهُ»^(٣).

٥٢٢- وفي رواية للبخاري: عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَمَعَهُ سِوَاكٌ يَسْتَنْ بِهِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ لَهُ: أَعْطِنِي هَذَا السِّوَاكَ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، فَأَعْطَانِيهِ، فَقَصَمْتُهُ، ثُمَّ مَضَعْتُهُ، فَأَعْطَيْتُهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَاسْتَنْ بِهِ وَهُوَ مُسْتَسْنِدٌ إِلَى صَدْرِي»^(٤).

٥٢٣- ورواية ثالثة للبخاري: عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَأَنَا مُسْنِدَتُهُ إِلَى صَدْرِي، وَمَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ سِوَاكٌ رَطْبٌ يَسْتَنْ بِهِ، فَأَبْدَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَصَرَهُ، فَأَخَذْتُ السِّوَاكَ، فَقَصَمْتُهُ، وَنَفَضْتُهُ، وَطَيَّيْتُهُ، ثُمَّ دَفَعْتُهُ

(١) البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، برقم ٤٤٤٩.

(٢) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٥٤.

(٣) البخاري، برقم ٤٤٤٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) البخاري، كتاب الجمعة، باب من تسوك بسواك غيره، برقم ٨٩٠.

إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَاسْتَنْ بِهِ، فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَنَّْ اسْتِثْنَانًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ، فَمَا عَدَا أَنْ فَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَفَعَ يَدَهُ، أَوْ إِضْبَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: «فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى» ثَلَاثًا، ثُمَّ قَضَى، وَكَانَتْ تَقُولُ: مَاتَ بَيْنَ حَاقِئَتِي وَذَاقِئَتِي»^(١).

٥٢٤- ورواية أخرى للبخاري أيضاً: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: تُوفِّي النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِي، وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَكَانَتْ إِحْدَانَا تُعَوِّدُهُ بِدُعَاءٍ إِذَا مَرِضَ، فَذَهَبْتُ أُعَوِّدُهُ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: «فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى، فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى»، وَمَرَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَفِي يَدِهِ جَرِيدَةٌ رَطْبَةٌ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَظَنَنْتُ أَنَّ لَهُ بِهَا حَاجَةً، فَأَخَذْتُهَا فَمَضَعْتُ رَأْسَهَا، وَنَفَضْتُهَا، فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهِ، فَاسْتَنَّْ بِهَا كَأَحْسَنِ مَا كَانَ مُسْتَنًّا، ثُمَّ نَاولَنيهَا، فَسَقَطَتْ يَدُهُ، أَوْ سَقَطَتْ مِنْ يَدِهِ، فَجَمَعَ اللَّهُ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَأَوَّلِ يَوْمٍ مِنَ الْآخِرَةِ»^(٢).

٥٢٥- وروى البخاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ وَإِنَّهُ لَبَيْنَ حَاقِئَتِي وَذَاقِئَتِي، فَلَا أَكْرَهُ شِدَّةَ الْمَوْتِ لِأَحَدٍ أَبَدًا، بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ»^(٣).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «جَعَلَ يَدْخُلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمَسُّحُ بِهِمَا وَجْهَهُ»: قال القاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَإِرَادُهَا بِلَفْظِ التَّشْيِيعِ إِشْعَارُ بِنَهَايَةِ حَرَارَتِهِ، وَإِيمَاءٌ إِلَى إِظْهَارِ عَجْزِهِ وَعُيُودِيَّتِهِ. قِيلَ: وَسَبَبُهُ أَنَّهُ كَانَ يُعْمَى عَلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ الْوَجَعِ، ثُمَّ يَفِيقُ وَيُؤْخَذُ مِنْهُ أَنَّهُ يَنْبَغِي فِعْلُ ذَلِكَ لِكُلِّ مَرِيضٍ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْهُ فَعِلْ بِهِ؛ لِأَنَّ فِيهِ نَوْعَ تَخْفِيفِ الْكَرْبِ كَالْتَجْرِيعِ، بَلْ يَجِبُ التَّجْرِيعُ إِذَا اشْتَدَّتْ حَاجَةُ الْمَرِيضِ إِلَيْهِ»^(٤).

٢- قوله: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»: أي: لا معبود بحق إلا الله، قال العلامة ابن عثيمين

(١) البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، برقم ٤٤٣٨.

(٢) البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، برقم ٤٤٥١.

(٣) البخاري، برقم ٤٤٤٦، وتقدم تخريجه في أحاديث شرح هذا الحديث قبل قليل.

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣٨٤٦/٩.

كَحَالَتِهِ: «يعني: لا معبود بحق إلا الله ﷻ، وألوهية الله فرع عن ربوبيته؛ لأن من تأله الله فقد أقر بالربوبية؛ إذ إن المعبود لا بد أن يكون رباً، ولا بد أن يكون كامل الصفات؛ ...، حتى يُعبد بمقتضى هذه الصفات؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾^(١)، أي: تعبدوا له، وتوسلوا بأسمائه إلى مطلوبكم»^(٢).

٣- قوله: «إن للموت سكرات»: سكرات الموت هي مقدماته التي تغيب العقل عن إدراكه، وقال القاضي عياض: «جمع سكرة، قال الله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾^(٣)، وهي غلبة الكرب على العقل، واختلاطه لشدته، وقول أبي بكر ؓ: «وجاءت سكرة الحق بالموت» أي: سكرة الموعد الحق بانقضاء الأجل»^(٤).

٤- قوله: «ما بين سحري ونحري»: السحر: الرِّثَّة، وأرادت: أنه مات عندها في حضنها^(٥)، أي: أنه مات وهو مستند إلى صدرها، ما يحاذي سحرها منه، وقيل السحر: ما لصق بالخلق من أعلى البطن، وحكى القتيبي عن بعضهم أنه بالشين المعجمة والجيم، وأنه سئل عن ذلك فشبك بين أصابعه، وقدمها عن صدره، كأنه يضم شيئاً إليه، أي: أنه مات وقد ضمته بيديها إلى نحرها وصدرها^(٦).

٥- قوله: «ونحري»: النحر هو الموضع الذي يكون فيه النحر للقتل، و«المنحَرُ»: موضع النحر من الحلق، ويكون مصدراً أيضاً، والمنحَرُ: موضع القلادة

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٦٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ٢.

(٣) سورة ق، الآية: ١٩.

(٤) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض بن موسى، ٢ / ٢١٥، وانظر ما قيل في هذه القراءة:

الاستذكار لابن عبد البر، ٢ / ٤٨٤، وكتاب التمهيد له، ٨ / ٢٩٥، وفتح الباري لابن حجر، ٩ / ٢٨.

(٥) جامع الأصول، ١١ / ٦٧.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢ / ٣٤٦، مادة (سحر).

من الصدر، والجمع نُحُورٌ، مثل فَلَسَ وفُلُوسٍ، وتطلق النُّحُورُ على الصدور»^(١)، وقال الحافظ في الفتح: «النَّحْرُ بَفَتْحِ التَّوْنِ وَسُكُونِ الْمُهِمْلَةِ، والمُرَادُ بِهِ مَوْضِعُ النَّحْرِ، وَأَعْرَبَ الدَّوْدِيُّ، فَقَالَ: هُوَ مَا بَيْنَ الثَّدْيَيْنِ»^(٢).

٦- قوله: «أَلَيْتَهُ لَكَ»: أي: أسهله لك، ليصبح سهلاً في الفم، ولا يحتاج إلى جهد في التسوُّك، «وَلَيْتَهُ وَأَلَيْتَهُ: صَيَّرَهُ لَيْتاً»^(٣).

٧- قوله: «بين يديه ركوة»: أي: بين يدي النبي ﷺ إناء ماء، يقال له ركوة، و«الركوة إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء، والجمع ركاء»^(٤)، وقال ابن الأثير رحمه الله: «رَكْوَةٌ: أي: علبة»^(٥).

٨- قوله: «أو علبة»: العلبة إناء معروف، وقال ابن الأثير: «والعلبة: مخلب من جلد، قاله الجوهري، كالقدح يحلب فيه»^(٦)، وقال في النهاية بتعريف العلبة: «العلبة: قدح من خشب، وقيل من جلد، وخشب، يُحلب فيه»^(٧)، والعلبة: قدح ضخم من خشب يُحلب فيه، أي: هو إناء تحفظ فيه السوائل خاصة، كالحليب وغيرها، وهو هنا في الحديث يشير إلى أن فيه ماءً كان النبي ﷺ يأخذ منه ليمسح على وجهه الشريف للتخفيف عنه»^(٨).

٩- قوله: «ونصب يده»، أي: رفعها، ف«النصب إقامة الشيء ورفع»^(٩)، ولذلك جاء في الرواية التي بعدها: «رَفَعَ يَدَهُ، أَوْ إِضْبَعَهُ».

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ٢ / ٥٩٥، مادة (نحر).

(٢) فتح الباري، ٨ / ١٣٩.

(٣) لسان العرب، ١٣ / ٣٩٤، مادة (لین).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢ / ٢٦١، مادة (ركو).

(٥) جامع الأصول، ١١ / ٦٧.

(٦) جامع الأصول، ١١ / ٦٧.

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣ / ٢٨٦، مادة (علب).

(٨) كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي، ص ١٢٠٠.

(٩) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥ / ٦٠، مادة (نصب).

١٠- قوله: «فَقَصَمْتُه، ثُمَّ مَضَعْتُهُ»: أي: جعلت تلوك السواك وتقطعه وتكسره ليسهل على النبي ﷺ ويلين، يقول ابن الأثير: «فقصمته: القصم بالصاد المهملة: الكسر، يقال: قصمت الشيء: إذا كسرتة، والقضم بالضاد المعجمة: من قضم الدابة شعيرها، يقال: قضمت الدابة شعيرها، والفصم، بالفاء والصاد المهملة: أن يتصدع الشيء من غير تبين، فإذا بان: فهو بالقاف والصاد المهملة، قال الحميدي: والذي في حديث عائشة أقرب إلى القضم - بالقاف والضاد المعجمة -؛ لأنه مضغ، وتلين لما اشتد من السواك، والفصم بالفاء والصاد المهملة، قريب من ذلك، قال: والذي رويناه: فبالقاف والضاد المعجمة، والله أعلم بما قالته، أو بما قاله الراوي عنها، قلت [القائل ابن الأثير]: ومما يدل على صحة ما رواه الحميدي: أنه قد جاء في باقي الروايات «فمضغته»، وفي أخرى: «ألينه»، وهو بمعنى القضم، بالقاف والضاد المعجمة»^(١).

«فَمَضَعْتُ رَأْسَهَا»، أي: لاكت رأس جريد النخل؛ لتجعلها سواكاً صالحاً، ليناً، سهلاً على النبي ﷺ ف«مَضَعُ، يَمَضَعُ، وَمَضْعُ مَضْغاً: لاكٌ، وَأَمَضَغَهُ الشَّيْءَ، وَمَضَّغَهُ: أَلَاكَه إِيَّاهُ»^(٢).

١١- قوله: «يَسْتَنُّ»: أي: يضع السواك في فمه، وعلى أسنانه، يسوكها، ولذلك قال ابن الأثير: «الاستنان: التسوك بالسواك»^(٣).

١٢- قوله: «وَطَيَّبْتُهُ»: أي: مضغته ولاكته، وجعلته سهلاً طيباً، «وطيبته أي مضغته بأسنانها وليتته»^(٤)، وقد يكون من تطيبه تنظيفه، ووضع الطيب عليه،

(١) جامع الأصول، ١١ / ٦٧.

(٢) لسان العرب، ٨ / ٤٥٠، مادة (مضغ).

(٣) جامع الأصول، ١١ / ٦٧.

(٤) النهاية في غريب الأثر (٤ / ٧٨).

ف«تَطَيَّبَ بِالطَّيِّبِ، وهو من العطر، وَطَيَّبَتْهُ ضَمَخَتْهُ»^(١)، ويؤكد العيني على أنها آلاته له، وجهازته، ويضيف إلى المعنى وضع الماء عليه، فيقول: «فطيبته: تكراراً أي: قضمته، وإن كان بالمهملة فلا، لأنه يصير المعنى كسرتة لطوله، أو لأنه آلة المكان الذي تسوّك به عبد الرحمن، ثم لبيتته، ثم طيبته أي: بالماء، ويحتمل أن كون قوله: طيبته تأكيداً لقوله لبيتته»^(٢)، وقد ورد في الجاهلية حلف اسمه حلف المطيين، ويقال له (حلف الفضول)، وشهده النبي ﷺ قبل بعثته، وهو الذي «اجتمع بنو هاشم، وبنو زهرة، وتيم في دار ابن جدعان في الجاهلية، وجعلوا طيباً في جفنة، وغمسوا أيديهم فيه، وتحالفوا على التناصر، والأخذ للمظلوم من الظالم، فسموا المطيين»^(٣).

١٣- قوله: «فَأَبَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَصْرَهُ»، وفي الرواية الأخرى: «فنظر إليه رسول الله ﷺ»، أي: أحست عائشة من خلال مدّ النبي ﷺ بصره إلى السواك أنه يريد، لأن أبدأ معناه: مدّ، قال في النهاية: «أبد يده إلى الأرض فأخذ قبضة، أي مدها،... وكان يبدّ ضبعيه في السجود أي: يمدّهما ويجافيهما، وقد تكرر في الحديث، ومنه حديث وفاة النبي ﷺ، فأبدّ بصره إلى السواك، كأنه أعطاه بدته من النظر، أي حفظه»^(٤).

١٤- قوله: «وَنَفَضْتُهَا»: أي: حركتها بشدة ليقع عنها إذا علقها شيء، «نفضت المكان، واستنفضته، وتنفضته: إذا نظرت جميع ما فيه... نفضتها أي حركتها»^(٥).

١٥- قوله: «حَاقَتِي وَذَاقَتِي»: «الحاقنة ما سفّل من الصدر، والذاقنة ما علا

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ٢ / ٣٨٢، مادة (طيب).

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٢٦ / ٣٥٥.

(٣) النهاية في غريب الأثر (٣ / ١٤٩).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١ / ١٠٥، مادة (بدّ).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥ / ٩٦، مادة (نفض).

منها، وأما السَّحَر فهو الصدر، والنحر فهو موضع النحر^(١)، فالحاقنة: الوهدة المنخفضة بين الترقوتين من الحلق^(٢)، وفي كشف المشكل: «الحاقنة: قال أبو عبيد: كان أبو عمرو يقول: هي النقرة التي بين الترقوة وحبل العاتق، وهما حافتان، والذاقنة طرف الحلقوم، وقال أبو سليمان: الحاقنة: نقرة الترقوة، والذاقنة: ما يناله الذقن من الصدر، والذاقنة: الذقن، وقيل طرف الحلقوم، وقيل: ما يناله الذقن من الصدر»^(٣).

١٦- قوله: «وفي يده جريدة رطبة»: الجريدة: القطعة من أعواد النخل، وهي: «السغة، وجمعها جريد»^(٤)، وقال في اللسان: «الجريدة: سعة طويلة رطبة؛ قال الفارسي: هي رطبة سغة، ويأبسة جريدة؛ وقيل: الجريدة للنخلة كالقضب للشجرة، وذهب بعضهم إلى اشتقاق الجريدة فقال: هي السغة التي تُقشَّر من خوصها، كما يُقشَّر القضب من ورقه، والجمع جريد، وجرائد؛ وقيل: الجريدة السغة ما كانت»^(٥).

١٧- قوله: «وكانت إحدانا تُعوذه بدعاء إذا مرض، فذهبت أعوذه»: تعوذه من الفعل أعاده، إذا رقه، أي: كان من عادة نسائه ﷺ تعويذه إذا أصابه شيء، فيقرآن عليه المعوذات، ويقمن بالدعاء له، ويلجأن إلى الله ﷻ، وفي اللسان: «عَاذَ بِهِ يَعُوذُ عَوْذًا، وَعِيَاذًا، وَمَعَاذًا: لَأَذِ بِهِ، وَلَجَأَ إِلَيْهِ، وَاعْتَصَمَ، وَمَعَاذَ اللَّهِ أَيَّ عِيَاذًا بِاللَّهِ... يُقَالُ: عَوَّذْتُ فَلَانًا بِاللَّهِ، وَأَسَمَائِهِ، وَبِالْمُعَوِّذَتَيْنِ، إِذَا قُلْتَ:

(١) انظر: فتح الباري، ٧ / ٨٠٨.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١ / ٤١٦، مادة (حقن).

(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ص ١٢٠٠.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١ / ٢٥٧، مادة (جرد).

(٥) لسان العرب، ٣ / ١١٨، مادة (جرد).

أُعِيْذُكَ بِاللّٰهِ، وَأَسْمَاءُهُ مِنْ كُلِّ ذِي شَرٍّ، وَكُلِّ دَاءٍ، وَحَاسِدٍ، وَحَيْنٍ^(١)... وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعُوْذُ نَفْسَهُ بِالْمَعُوْذَتَيْنِ بَعْدَ مَا طُبَّ، أَيْ: سُحِرَ، وَكَانَ يُعَوِّذُ ابْنَيْ ابْنَتِهِ الْبَثُولَ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، بِهِمَا^(٢).

١٨- قوله: «يدخل يده في الماء»: المراد بذلك أنه ﷺ كانت بين يديه علبه فيها ماء^(٣).

١٩- قوله: «يمسح بهما وجهه»: أي: لتخفيف ما كان فيه ﷺ من شدة عند النزع، قال القاري رَحِمَهُ اللهُ: «أَيُّ: بِالْمَاءِ تَبْرِيدًا لِحَرَارَةِ الْمَوْتِ، أَوْ دَفْعًا لِلْعُشْيَانِ وَكَزْبِهِ، أَوْ تَنْظِيفًا لَوَجْهِهِ عِنْدَ التَّوَجُّهِ إِلَى رَبِّهِ، أَوْ إِظْهَارًا لِعَجْزِهِ وَتَبَرُّتِهِ مِنْ حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ»^(٤).

٢٠- قوله: «فما عدا أن فرغ»: أي: بعد أن فرغ من الاستئذان رفع أصبعه، وفي تاج العروس: «عدا عنه: جاوزَهُ، وَتَرَكَهُ، وَعَدَاهُ الْأَمْرَ، كَتَعَدَّاهُ: تَجَاوَزَهُ، وَعَدَّاهُ تَعْدِيَةً: أَجَاوَزَهُ وَأَنْفَذَهُ»^(٥).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- مشروعية استخدام الماء البارد للمحموم عند اشتداد المرض، وعند مقدمات الموت.
- ٢- ما لاقاه الرسول ﷺ من الشدة قبل الموت دليل على علو منزلته عند ربه، ولما دخل عليه ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهو مريض قال: يا رسول الله إنك لتوعك وعكاً شديداً! قال: «أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم» قلت: ذلك أن لك أجريْن قال: «أجل ذلك، كذلك ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفر

(١) قال ابن منظور: «وَالْحَيْنُ، بِالْفَتْحِ: الْهَلَاكُ؛ ... وَقَدْ حَانَ الرَّجُلُ: هَلَكَ، وَأَحَانَهُ اللهُ... وَكُلُّ شَيْءٍ يُؤَفَّقُ لِلرَّشَادِ فَقَدْ حَانَ... يُقَالُ: حَانَ يَحِينُ حِينًا، وَحَيْنَهُ اللهُ فَتَحِينُ، وَالْحَائِنَةُ: النَّازِلَةُ ذَاتُ الْحَيْنِ، وَالْجَفْنُ الْحَوَائِثُ». لسان العرب، ١٣/ ١٣٦، مادة (حين).

(٢) لسان العرب، ٣/ ٤٩٩، مادة (عوذ).

(٣) في متن هذا الحديث.

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣/ ١١٤١.

(٥) تاج العروس، ٧/ ٣٨، مادة (عدو).

الله بها سيئاته، كما تحط الشجرة ورقها»^(١).

٣- الأنبياء وهم أفضل الخلق يدعون الله أن يخفف عنهم سكرات الموت، فما بالنا بمن دونهم، وما بالنا بأنفسنا حال المعاناة، نسأله الله العافية والسلامة، قال الله ﷻ: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾^(٢).

٤- وقد أتى من شدة الموت وسكراته ما لم يؤت أحد؛ لأنه ﷺ يمرض مرض رجلين شدد عليه المرض شدد عليه النزع لماذا؟ من أجل أن ينال أعلى درجات الصبر؛ لأن الصبر يحتاج إلى شيء يصبر عليه، فكأن الله قد اختار لنبه ﷺ أن يكون مرضه شديداً، ونزعه شديداً، حتى ينال أعلى درجات الصابرين ﷺ^(٣).

٥- جاء عند الترمذي: «اللهم أعني على غمرات الموت»^(٤)، والغمرة عند الموت: هي ما تغطي على عقله وتغيبه.

٦- جاء في هذا الحديث ذكر اعتناء الرسول ﷺ بالسواك، وإنما كان يواظب على ذلك؛ لأنه من أسباب رضا الله على العبد، وقد قال النبي ﷺ: «السواك مطهرة للفم مرضاة للرب»^(٥) وقال أيضاً: «إن أفواهكم طرق للقرآن فطيوها

(١) البخاري، كتاب المرضى، باب أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأول فالأول، برقم ٥٦٤٨.

(٢) سورة ق، الآية: ١٩.

(٣) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩١١.

(٤) الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في التشديد عند الموت، برقم ٩٧٨، وابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في ذكر الموت، برقم ١٦٢٣، والحاكم، ٥٦/٣، وصححه، ووافقه الذهبي، وقد ضعفه الألباني، وقال أحمد شحاتة السكندري، في التعقب المتواني على السلسلة الضعيفة للألباني، ص ١٠٧: «وهذا حديث حسن، وإسناد رجاله كلهم ثقات، وموسى بن سرجس لا يضره تفرد يزيد بن الهاد بالرواية عنه، إذ لم يذكره أحد بجرح، ورواية النسائي توثيق له، وقد قال الحافظ في التقریب، ٢٨٣/٢: «مدني مستور» وقال في فتح الباري، ٣٦٢/١١: «قوله: (إن للموت سكرات) وقع في رواية القاسم عن عائشة عند أصحاب السنن سوى أبي داود بسند حسن بلفظ: «اللهم أعني على سكرات الموت» اهـ.

(٥) البخاري، قبل الحديث رقم ١٩٣٤، وابن ماجه، برقم ٢٨٩، والنسائي، برقم ٥، وصححه الألباني، في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٢٠٩، وتقديم تخريجه في تخريج فوائد أحاديث شرح المتن رقم ١١١، في الفائفة رقم ٩.

بالسواك»^(١) وكان إذا دخل بيته بدأ بالسواك^(٢) ﷺ.

٧- إن للموت سكرات بفتحات جمع سكرة، أي: شدائد، ومشقات عظيمة: من حرارات، ومرارات طبيعيات، حتى للأنبياء وأرباب الكمالات، فاستعدوا لتلك الحالات، واطلبوا من الله تهوينه للأموات^(٣).

١٥٢- (٣) «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»^(٤).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٢٦- عن أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه^(٥)، وَأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه^(٦)، أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، صَدَّقَهُ رَبُّهُ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، وَأَنَا أَكْبَرُ، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، قَالَ اللَّهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي، لَا

(١) ابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، باب السواك، برقم ٢٩١، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، برقم ٢٣٦، ومعنى طرق أي: مجرى للقرآن كجري الناس في الطريق.

(٢) مسلم، كتاب الطهارة، باب السواك، برقم ٢٥٣.

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للقاري، ١٧ / ٢٣٩.

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول العبد إذا مرض، برقم ٣٤٣٠، وابن ماجه، كتاب الأدب، باب فضل لا إله إلا الله، برقم ٣٧٩٤، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١٥٢/٣، وصحيح ابن ماجه، ٣١٧/٢.

(٥) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢١ من أحاديث الشرح.

(٦) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

شَرِيكَ لِي، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، قَالَ اللَّهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، لِي الْمُلْكُ، وَلِي الْحَمْدُ، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، قَالَ اللَّهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِي، وَكَانَ يَقُولُ: مَنْ قَالَهَا فِي مَرَضِهِ ثُمَّ مَاتَ لَمْ تَطْعَمُهُ النَّارُ»^(١).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «لا إله إلا الله، والله أكبر، لا إله إلا الله وحده لا شريك له»: فيه التوجه إلى الله وحده، دون غيره، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «الشهادة لله بأنه لا إله إلا هو، تتضمن إخلاص الإلهية له، فلا يجوز أن يتأله القلب غيره، لا بحب، ولا خوف، ولا رجاء، ولا إجلال، ولا إكرام، ولا رغبة، ولا رهبة، بل لا بد أن يكون الدين كله لله، كما قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾»^(٢).

فإذا كان بعض الدين لله، وبعضه لغير الله: كان في ذلك من الشرك بحسب ذلك، وكمال الدين كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره: «من أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله ومنع لله، فقد استكمل الإيمان»^(٣).

فالمؤمنون يحبون لله، والمشركون يحبون مع الله، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾^(٤) «^(٥).

(١) الترمذي، برقم ٣٤٣٠، وابن ماجه، برقم ٣٧٩٤، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١٥٢/٣، وصحيح ابن ماجه، ٣١٧/٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٩.

(٣) مسند أحمد، ٤٣٢/١٦، برقم ١٠٩٣٧، وأبو داود، كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، برقم ٤٦٨١، والترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق، باب حدثنا أبو حفص، برقم ٢٥٢١، وحسن إسناده محققو المسند، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٩٤/٣، برقم ٣٠٢٩.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم، ٤٥٢/١.

٢- قوله: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»: إظهارٌ للتَّوْحِيدِ وإِعْلَامٌ بِهِ وَاسْتِدَامَةٌ لِلْإِيمَانِ بِهِ، فلا إله حق إلا الله ﷻ^(١)، وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «يعني: لا معبود بحق إلا الله ﷻ، وألوهية الله فرع عن ربوبيته؛ لأن من تأله الله فقد أقر بالربوبية؛ إذ إن المعبود لا بد أن يكون رباً، ولا بد أن يكون كامل الصفات؛ ...، حتى يعبد بمقتضى هذه الصفات؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾^(٢)، أي: تعبدوا له، وتوسلوا بأسمائه إلى مطلوبكم»^(٣).

٣- قَوْلُهُ: «لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ»: تَخْصِيصٌ لَهُ بِالْمُلْكِ، وَالْحَمْدِ، لِأَنَّ الْأَلِفَ وَاللَّامَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِلْجِنْسِ، فَجُعِلَ جِنْسُ الْمُلْكِ وَهُوَ جَمِيعُهُ لِلَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّهُ لَا مُلْكَ لِأَحَدٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا لَهُ، وَجُعِلَ جَمِيعُ الْحَمْدِ لِلَّهِ ﷻ؛ فَإِنَّ أَحَدًا لَا يَسْتَحِقُّ الْحَمْدَ عَلَى الْحَقِيقَةِ سِوَاهُ، وَإِنَّمَا يُحْمَدُ غَيْرُهُ لِمَا أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يُحْمَدَ»^(٤).

٤- قوله: «ولا حول ولا قوة إلا بالله»: أي: لا قوة، ولا حول، ولا قدرة على التحول، والحيلة إلا بعون من الله، وتوفيق، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فَلَفْظُ الْحَوْلِ يَتَنَاوَلُ كُلَّ تَحَوُّلٍ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، وَالْقُوَّةُ هِيَ الْقُدْرَةُ عَلَى ذَلِكَ التَّحَوُّلِ؛ فَذَلِكَ هَذِهِ الْكَلِمَةُ الْعَظِيمَةُ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ لِلْعَالَمِ الْعُلُويِّ، وَالسُّفْلِيِّ حَرَكَةٌ، وَتَحَوُّلٌ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، وَلَا قُدْرَةٌ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُفَسِّرُ ذَلِكَ بِمَعْنَى خَاصٍّ فَيَقُولُ: لَا حَوْلَ مِنْ مَعْصِيَتِهِ إِلَّا بِعِصْمَتِهِ، وَلَا قُوَّةَ عَلَى طَاعَتِهِ إِلَّا بِمُعُونَتِهِ، وَالصَّوَابُ الَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ هُوَ التَّفْسِيرُ الْأَوَّلُ، وَهُوَ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ اللَّفْظُ؛ فَإِنَّ الْحَوْلَ لَا يَخْتَصُّ بِالْحَوْلِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، وَكَذَلِكَ الْقُوَّةُ لَا تَخْتَصُّ بِالْقُوَّةِ عَلَى الطَّاعَةِ، بَلْ لَفْظُ الْحَوْلِ يَعُمُّ كُلَّ تَحَوُّلٍ، وَمِنْهُ لَفْظُ «الْحِيلَةِ»، وَوَزْنُهَا فِعْلَةٌ

(١) المنتقى، شرح الموطأ للباجي، ٣ / ٧٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٣) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٦٠، وتقديم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ٢.

(٤) المنتقى، شرح الموطأ للباجي، ٣ / ٧٧.

بِالْكَسْرِ، وَهِيَ النَّوْغُ الْمُخْتَصُّ مِنَ الْحَوْلِ، كَمَا يُقَالُ: الْجِلْسَةُ، وَالْقَعْدَةُ، وَاللَّيْسَةُ، وَالْإِكْلَةُ، وَالصَّبْجَةُ، وَنَحْوُ ذَلِكَ بِالْكَسْرِ هِيَ النَّوْغُ الْخَاصُّ، وَهُوَ بِالْفَتْحِ الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ، فَالْحِيلَةُ أَصْلُهَا حَوْلَةٌ، لَكِنْ لَمَّا جَاءَتْ الْوَاوُ السَّاكِنَةُ بَعْدَ كَسْرَةِ قُلْبَتِ يَاءٍ، كَمَا فِي لَفْظِ مِزَانٍ، وَمِيقَاتٍ، وَمِيعَادٍ، وَزَنُّهُ مَفْعَالٌ؛ وَقِيَاسُهُ موزان وموقات؛ لَكِنْ لَمَّا جَاءَتْ الْوَاوُ السَّاكِنَةُ بَعْدَ كَسْرَةِ قُلْبَتِ يَاءٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضَعْفِينَ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾^(١) مِنَ الْحِيلِ؛ فَإِنَّهَا نَكْرَةٌ فِي سِيَاقِ التَّنْفِي، فَتَعُمُّ جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْحِيلِ، وَكَذَلِكَ لَفْظُ: «الْقُوَّةُ»، قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾^(٢)، وَلَفْظُ الْقُوَّةِ قَدْ يُرَادُ بِهِ مَا كَانَ فِي الْقُدْرَةِ أَكْمَلَ مِنْ غَيْرِهِ؛ فَهُوَ قُدْرَةُ أَرْجَحُ مِنْ غَيْرِهَا، أَوْ الْقُدْرَةُ التَّامَّةُ، وَلَفْظُ «الْقُوَّةُ» قَدْ يَعُمُّ الْقُوَّةَ الَّتِي فِي الْجَمَادَاتِ، بِخِلَافِ لَفْظِ الْقُدْرَةِ؛ فَلِهَذَا كَانَ الْمَنْفِيُّ بِلَفْظِ الْقُوَّةِ أَشْمَلَ وَأَكْمَلَ، فَإِذَا لَمْ تَكُنْ قُوَّةٌ إِلَّا بِهِ لَمْ تَكُنْ قُدْرَةً إِلَّا بِهِ بِطَرِيقِ الْأُولَى. وَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ^(٣).

٥- قوله: «لم تطعمه النار»: أي: لا تصل إليه النار لتأكله يوم القيامة، فيحفظه الله من تناول ألسنتها، ولهيبها إذا دعا بهذا الدعاء، قال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «أي: يكون ذلك من أسباب تحريم الإنسان على النار، فينبغي للإنسان أن يحفظ هذا الذكر، وأن يكثر منه في حال مرضه حتى يختم له بالخير إن شاء الله تعالى، والله الموفق»^(٤).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- قول هذا الذكر وتكراره والعبد في إدبار عن الدنيا، وإقبال على الآخرة

(١) سورة النساء، الآية ٩٨.

(٢) سورة الروم، الآية: ٥٤.

(٣) مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ٥ / ٥٧٤، وانظر: شرح المفردة رقم ٩ من مفردات حديث المتن رقم ٢.

(٤) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩٠٩.

عنوان على حسن خاتمته إن شاء الله.

٢- جمعت هذه الفقرات من الحديث بين توحيد الله، والثناء عليه بما هو أهله، وتفويض الأمر إليه، وحسن التوكل عليه، وهذه أمور يوفق إليها أهل الإيمان الذين عاشوا على التوحيد، ودعوا إليه.

٣- جاء في متن الحديث أن الله ﷻ يجيب عبده، ويصدقه، كلما قال عبارة من هذا الحديث: «من قال لا إله إلا الله، والله أكبر، صدقه ربه فقال: لا إله إلا أنا، وأنا أكبر...»^(١).

٤- جاء في نهاية الحديث أن من قالها^(٢) في مرضه ثم مات لم تطعمه النار، ومعنى تطعمه أي: تأكله والمراد أن الله ينجيه من دخولها ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾^(٣).

٥- من رحمة الله ﷻ بأهل الإيمان أن ما يعانونه حال النزع هو كفارة لذنوبهم؛ ولذا فقد قال ﷻ: «الْمُؤْمِنُ يَمُوتُ بِعَرَقِ الْجَبِينِ»^(٤)، قال الإمام السندي رَحِمَهُ اللهُ: «وإنما يكون ذلك العرق لما يعالج من شدة الموت، فقد تبقى عليه بقية من ذنوب، فيشدد عليه وقت المرض ليخلص عنها، وقيل: هو من الحياء، أي: أنه إذا جاءته البشري مع ما كان اقترف من الذنوب حصل له بذلك خجل وحياء من الله ﷻ، فعرق لذلك جبينه، وقيل: يحتمل أن عرق الجبين علامة جعلت لموت المؤمن، وإن لم يعقل معناه»^(٥).

(١) الترمذي، برقم ٣٤٣٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) أي هذه الكلمات دون الإجابات.

(٣) آل عمران: ١٨٥.

(٤) أحمد، ٦٢/٣٨، برقم ٢٢٩٦٤، والترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في التشديد عند الموت، برقم ٩٨٢، وقال:

«حسن» والنسائي، كتاب الجنائز، باب علامة موت المؤمن، برقم ١٨٢٩، وابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء

في المؤمن يؤجر في النزاع، برقم ١٤٥٢، وابن حبان، ٢٨١/٧، برقم ٣٠١١، والحاكم، ٥١٣/١، وقال: «صحيح

على شرط الشيخين» وصححه محققو المسند، ٣٨، ١٥٤، والألباني في صحيح الجامع، برقم ٦٦٦٥.

(٥) شرح سنن ابن ماجه، ١٩٧/٢.

٥٢- تَلْقِينُ الْمُحْتَضِرِ

١٥٣- «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٢٧- عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه^(٢)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»، هَذَا لَفْظُ أَبِي دَاوُدَ^(٣).

٥٢٨- وَلَفْظُ أَحْمَدَ: عَنْ كَثِيرِ بْنِ مَرَّةٍ، قَالَ: قَالَ لَنَا مُعَاذٌ رضي الله عنه فِي مَرَضِهِ: قَدْ سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا كُنْتُ أَكْثُمُكُمُوهُ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»^(٤).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «من كان»: أي: من كان من أهل التكليف من الجن والإنس، قال النووي رحمته الله: «أَنْ يَكُونَ خُصُوصًا لِمَنْ كَانَ هَذَا آخِرَ نُطْقِهِ، وَخَاتِمَةَ لَفْظِهِ، وَإِنْ كَانَ قَبْلَ مُخْلَاطٍ، فَيَكُونُ سَبَبًا لِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِيَّاهُ، وَنَجَاتِهِ رَأْسًا مِنَ النَّارِ، وَتَحْرِيمِهِ عَلَيْهَا، بِخِلَافِ مَنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ آخِرَ كَلَامِهِ مِنَ الْمُؤَحِّدِينَ الْمُخْلَطِينَ»^(٥)، وقال الكشميري

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الجنائز، باب التلقين، برقم ٣١١٦، وأحمد، ٣٦٣/٣٦، برقم ٢٢٠٣٤، والطبراني في الكبير، ٣٠٥/٢٠، برقم ٧٢٧، والحاكم، ٥٠٣/١، وقال: «صحيح الإسناد» والبيهقي، ٣٥٥/٦، وصححه محققو المسند، ٣٦٣/٣٦، والألباني في صحيح الجامع، ٤٣٢/٥.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، برقم ٣١١٦، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ٤٣٢/٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) أحمد، ٣٦٣/٣٦، برقم ٢٢٠٣٤، وصححه محققو المسند، ٣٦٣/٣٦، والألباني في صحيح

الجامع، ٤٣٢/٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ٢٢٠/١.

ﷺ: «واعلم أن هذه الكلمة كلمة إيمان، وكلمة أذكاري، فإذا قالها الكافر ليدخل بها في الإيمان، فهي كلمة إيمان، وإذا ذكر بها المسلم فهي ذكر كسائر الأذكار»^(١).

٢- قوله: «آخر كلامه» أي: في الدنيا، وقبل موته أي: قبل خروج الروح، قال العيني ﷺ: «من كان آخر كلامه عند خروجه من الدنيا»^(٢).

٣- قوله: «لا إله إلا الله»: قال العلامة ابن عثيمين ﷺ: الذي ورد هو تلقين لا إله إلا الله فقط؛ لأن كلمة التوحيد مفتاح الإسلام، وما يأتي بعدها فهو من مكملاتها وفروعها^(٣).

٤- قوله: «دَخَلَ الْجَنَّةَ»: قال ابن رجب الحنبلي ﷺ: «فَإِنَّ الْمُحْتَضَرَ لَا يَكَادُ يَقُولُهَا إِلَّا بِإِخْلَاصٍ، وَتَوْبَةٍ، وَنَدَمٍ عَلَى مَا مَضَى، وَعَزْمٍ عَلَى أَنْ لَا يَعُودَ إِلَى مِثْلِهِ، وَرَجَحَ هَذَا الْقَوْلَ الْخَطَّابِيُّ فِي مُصَنَّفٍ لَهُ مُفْرَدٍ فِي التَّوْحِيدِ، وَهُوَ حَسَنٌ»^(٤).

٥- قوله: «وجبت»: أي: حقت، ولزمت له الجنة، فلا بد أن يدخلها، هكذا حكم الله ﷻ، ووجب: قال في النهاية: «عن مالك: يقال وجب الشيء، يجب وجوباً، إذا ثبت، ولزم، ... ومن فعل كذا وكذا فقد أوجب، يقال: أوجب الرجل إذا فعل فعلاً وجبت له به الجنة، أو النار... ومنه حديث طلحة: «كلمة سمعتها من رسول الله ﷺ موجبة، لم أسأله عنها، فقال عمر: أنا أعلم ما هي: لا إله إلا الله»^(٥)، أي كلمة أوجب لقايلها الجنة، وجمعها

(١) فيض الباري شرح البخاري الكشميري، ٥٧ / ٤.

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١١٤ / ١٢.

(٣) انظر: أحكام الجنائز، ص ٢٧٠، وانظر: عون المعبود، ٢٥ / ٥.

(٤) جامع العلوم والحكم، ٥٢٧ / ١.

(٥) السنن الكبرى للنسائي، كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يقوله عند الموت، برقم ١٠٩٣٩، وابن ماجه، كتاب الأدب، باب فضل لا إله إلا الله، برقم ٧٩٥، ومسند أحمد، ٨ / ٣، برقم ١٣٨٤، وصححه إسناده محققو المسند.

موجبات ... ومنه الحديث: «اللهم إني أسألك موجبات رحمتك»^(١).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة، والقرآن كله مملوء من تحقيق هذا التوحيد، والدعوة إليه، وتعليق النجاة والفلاح، واقتضاء السعادة في الآخرة به، ومعلوم أن الناس متفاضلون في تحقيقه، وحقيقته إخلاص الدين كله لله، والفناء في هذا التوحيد مقرون بالبقاء، وهو أن تثبت إلهية الحق في قلبك، وتنفي إلهية ما سواه، فتجمع بين النفي والإثبات، فتقول: لا إله إلا الله، فالنفي هو الفناء، والإثبات هو البقاء، وحقيقته أن تفنى بعبادته عما سواه، ومحبه عن محبة ما سواه، وبخشية عن خشية ما سواه، وبطاعته عن طاعة ما سواه، وبموالاته عن موالاته ما سواه، وبسؤاله عن سؤال ما سواه، وبالاتعاذه به عن الاستعاذه بما سواه، وبالتوكل عليه عن التوكل على ما سواه، وبالتفويض إليه عن التفويض إلى ما سواه، وبالإجابة إليه عن الإجابة إلى ما سواه، وبالتحاكم إليه عن التحاكم إلى ما سواه، وبالتخاصم إليه عن التخاصم إلى ما سواه»^(٢).

٢- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَالْإِلَهَ: الَّذِي يَأْلَهُ الْقَلْبُ عِبَادَةً لَهُ، وَاسْتِعَانَةً، وَرَجَاءً لَهُ، وَخَشْيَةً، وَإِجْلَالًا، وَإِكْرَامًا، وَمَنْ ذَلِكَ الْاِقْتِصَادُ فِي الشَّيْءِ، وَاتِّبَاعُهَا كَمَا جَاءَتْ - بِلاَ زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصَانٍ - مِثْلُ الْكَلَامِ: فِي الْقُرْآنِ، وَسَائِرِ الصِّفَاتِ»^(٣).

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥ / ١٥١، مادة (وجب). والحديث: أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، ٧ / ٢٧٨، وأبو نعيم في الحلية، ١ / ٢٦٦، وجود إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة، ١٣ / ٣١.

(٢) منهاج السنة النبوية، ٥ / ٢٤٤.

(٣) مجموع الفتاوى، ٣ / ٤٠٠.

٣- بيان فضل لا إله إلا الله، وأن من قالها مآله إلى الجنة، حتى وإن دخل النار ابتداءً ليظهر من ذنوبه، إن كان عنده كبائر منها، ومات ولم يتب، ولم يعف الله عنه، غير أنه لا يخلد في النار إن دخلها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله يُبَيِّنُ فضل هذه الكلمة (كلمة التوحيد): «وهذا التوحيد يتضمن إثبات صفات الكمال لله، ونفي النقص، ونفي مماثلته لشيء من الأشياء، وإثبات خصائصه بالمحبة والعبادة، والتعظيم ونحو ذلك، وإنما يتفاوت أهل العلم والإيمان بحسب تفاوتهم في تحقيق هذا التوحيد، كما قد بسط في موضعه والله أعلم»^(١).

٤- ليس كل أحد يوفق إلى هذه الكلمة العظيمة قبل الموت، فمن عاش عليها مات عليها، والأحوال قبل الموت عجيبة لمن تأمل، وعقل، والمثال على ذلك فرعون عليه ما يستحق من الله؛ لما أراد أن يقولها لما عاين العذاب لم يوفق إليها.

٥- بين النبي ﷺ في هذه الكلمة أن التوحيد هو من موجبات الجنة، وأن من كان آخر كلماته هو هذا التوحيد، فإن الجنة قد أوجبها الله له، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ: وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ: وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»^(٢)، وَقَالَ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَا يَقُولُهَا عَبْدٌ عِنْدَ الْمَوْتِ: إِلَّا وَجَدَ رُوحَهُ لَهَا رُوحًا، وَهِيَ رَأْسُ الدِّينِ»^(٣)، وَكَمَا قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَإِذَا قَالُوهَا: عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ

(١) الصفدية، ٢/ ٣٤٠.

(٢) مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، برقم ٢٦، وكل روايات الحديث التي اطلعت عليها بلفظ: «دخل» ولم أجد لفظ: «وجبت».

(٣) مسند أحمد، برقم ١٣٨٤، وصححه إسناده محققو المسند.

إِلَّا بِحَقِّهَا وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»^(١).

٦- مشروعية تلقين المحتضر هذه الكلمة لقول النبي ﷺ: «لَقِنُوا مَوْتَكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(٢)، والمراد قبل موته؛ ليختم له بها، أما تلقينه إياها بعد دفنه فبدعة منكرة، وأنى له السماع والانتفاع، قال الله: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ﴾^(٣)، وقال: ﴿لِيُنْذَرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾^(٤)، أي: بالقرآن، وعلى هذا فلا ينفعه تلقين، ولا قراءة للقرآن على روحه، كما يفعله كثير من الناس، إنما ينفعه ما قاله رسول الله ﷺ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»^(٥).

٧- الناس حال الاحتضار على ثلاثة أقسام:

أ - مسلم وفقه الله لقولها من غير تلقين.

ب - مسلم لم ينطق بها، فهذا يذكره بها أحد من عنده رافعاً بها صوته؛ ليسمعه، أو يلقيه أحب الناس إليه إذا لم ينطق بها.

ج - كافر يؤمر بها، وينصح بقوة؛ فإن قالها فقد وقع المراد، وإن لم ينطق بها، فهو باقٍ على كفره، كما فعل الرسول ﷺ مع عمه أبي طالب^(٦).

٨- شروط شهادة أن لا إله إلا الله التي لا يتنفع قائلها إلا باجتماعها فيه على النحو الآتي:

(١) مجموع الفتاوى، ٢/ ٢٥٦، والحديث أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة، برقم ٢٥، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، محمد رسول الله، برقم ٣٤، وانظر: مجموع الرسائل والمسائل لابن تيمية، ٤/ ٨٣.

(٢) مسلم، كتاب الجنائز، باب تلقين الموتى: لا إله إلا الله، برقم ٩١٦.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٢٢.

(٤) سورة يس، الآية: ٧٠.

(٥) مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، برقم ١٦٣١.

(٦) انظر: البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله، برقم ١٣٦٠.

الشرط الأول: العلم بمعناها نفياً وإثباتاً.

الشرط الثاني: استيقان القلب بها.

الشرط الثالث: الانقياد لها ظاهراً وباطناً.

الشرط الرابع: القبول لها، فلا يرد شيئاً من لوازمها، ومقتضياتها.

الشرط الخامس: الإخلاص فيها.

الشرط السادس: الصدق من صميم القلب، لا باللسان فقط.

الشرط السابع: المحبة لها ولأهلها، والموالاتة، والمعاداة لأهلها^(١).

الشرط الثامن: الكفر بما يعبد من دون الله ﷻ.

٩- من جملة فضائل «لا إله إلا الله»:

الفضيلة الأولى: أنها سبب للخروج من النار وعدم الخلود فيها لقوله ﷻ: «يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير»^(٢).

الفضيلة الثانية: أنها نجاة لقائلها من النار، إن قالها يريد بها وجه الله ﷻ لقول النبي ﷺ: «إن الله حرم النار على من قال لا إله إلا الله يتغني بذلك وجه الله»^(٣).

الفضيلة الثالثة: أنها أعلى شعب الإيمان لقول النبي ﷺ: «الإيمان بضعة وسبعون شعبة، أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق»^(٤).

(١) انظر: سؤال رقم (١٩) في ٢٠٠ س، ج في العقيدة للحكيمي.

(٢) البخاري، كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه، برقم ٤٤.

(٣) البخاري، كتاب الأطعمة، باب الخزيرة، برقم ٥٤٠١.

(٤) البخاري، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، برقم ٩، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، برقم ٣٥، واللفظ له.

الفضيلة الرابعة: أنها أفضل الذكر لقول النبي ﷺ: «أفضل الذكر لا إله إلا الله»^(١).

الفضيلة الخامسة: أنها تصل إلى الله، وتخرق الحجب؛ لقول النبي ﷺ: «ما قال عبد: لا إله إلا الله مخلصاً إلا فتحت له أبواب السماء حتى تفضي إلى العرش ما اجتنبت الكبائر»^(٢).

الفضيلة السادسة: أنها أثقل في الميزان من السموات والأرض؛ لقول النبي ﷺ: «إن نوحاً قال لابنه عند موته: آمرك بلا إله إلا الله، فإن السموات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة، ووضعت لا إله إلا الله في كفة، رجحت بهن لا إله إلا الله، ولو أن السموات والأرض في حلقه مبهمة لقصمتهن لا إله إلا الله»^(٣).

الفضيلة السابعة: أنها ترجح صحائف الذنوب وإن عظمت يوم القيامة؛ لقوله ﷺ في الحديث المعروف عند العلماء بحديث البطاقة، عن عبد الله بن عمرو، يقول: قال رسول الله ﷺ: «يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ، فَيُنْشَرُ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سَجَلًا، كُلُّ سَجَلٍ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: هَلْ تُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: أَظْلَمْتُكَ كَتَبْتَنِي الْحَافِظُونَ؟ فيقول: لا، يا رب، ثُمَّ يَقُولُ: أَلَيْكَ عَذْر، أَلَيْكَ حَسَنَةٌ؟ فَيَهَابُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لَا. فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَاتٍ، وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بَطَاقَةٌ، فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبَطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَلَاتِ، فَيَقُولُ:

(١) الترمذي، برقم ٣٣٨٣، وابن ماجه، برقم ٣٨٠٠، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ١/٣٦٢، وسيأتي تخريجه في حديث المتن رقم ٢٦٤.

(٢) الترمذي، كتاب الدعوات، باب دعاء أم سلمة، برقم ٣٥٩٠، والنسائي في الكبرى، برقم ١٠٩٦٦، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم ٥٦٤٨.

(٣) مسند أحمد، ١١/١٥٠، برقم ٦٥٨٣، وصححه محققو المسند، ١١/١٥١، والألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ١٣٤.

إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، فَتَوْضَعُ السِّجَلَاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتْ السِّجَلَاتُ، وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ»^(١).

١٠- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ فِي شرح هذا الحديث: «وَهَذَا وَأَمْثَالُهُ مِمَّا يَبِينُ أَنَّ الْأَعْمَالَ تُوزَنُ بِمَوَازِينَ تَبَيَّنَ بِهَا رُجْحَانُ الْحَسَنَاتِ عَلَى السَّيِّئَاتِ وَبِالْعَكْسِ، فَهُوَ مَا بِهِ تَبَيَّنَ الْعَدْلُ، وَالْمَقْصُودُ بِالْوِزْنِ الْعَدْلُ كَمَوَازِينِ الدُّنْيَا، وَأَمَّا كَيْفِيَّةُ تِلْكَ الْمَوَازِينِ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ كَيْفِيَّةِ سَائِرِ مَا أَخْبَرْنَا بِهِ مِنَ الْغَيْبِ»^(٢).

(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة، برقم ٤٣٠٠، والترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله، برقم ٢٦٣٩، وابن حبان، ١/ ٤٦١، برقم ٢٢٥، والحاكم، ١/ ٧١٠، وقال: «صحيح الإسناد» وصححه إسناده محقق ابن حبان، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٨٠٩٥.

(٢) مجموع الفتاوى، ٤/ ٣٠٢.

٥٣- دَعَاءُ مَنْ أَصِيبَ بِمُصِيبَةٍ

١٥٤- «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أَجْزِنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٢٩- عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها^(٢)، أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، اللَّهُمَّ أَجْزِنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا»، قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ^(٣)، قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا، فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: أَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ يَخْطُبُنِي لَهُ، فَقُلْتُ: إِنَّ لِي بَيْتًا، وَأَنَا غَيْرُ، فَقَالَ: «أَمَّا ابْتِئْهَا فَندَعُو اللَّهَ أَنْ يُغْنِيَهَا عَنْهَا، وَادْعُو اللَّهَ أَنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرةِ»^(٤).

٥٣٠- وفي لفظ لمسلم: عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: سَمِعْتُ

(١) مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المصيبة، برقم ٩١٨، ومسند أحمد، ٢٦ / ٢٦٢، برقم ١٦٣٤٤، وحسنه محققو المسند، ٢٦ / ٢٦٣، والألباني في إرواء الغليل، ٦ / ٢٢٠.

(٢) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٦٨ من أحاديث الشرح..

(٣) هو عبد الله بن عبد الأسد رضي الله عنه، وكانت أم سلمة تحتة، وأمّه برة بنت عبد المطلب بن هاشم، من السابقين الأولين إلى الإسلام، أسلم بعد عشرة أنفس، وكان أخا النبي ﷺ من الرضاعة، كان ممن هاجر بامرأته أم سلمة بنت أبي أمية إلى أرض الحبشة، ثم شهد بدرًا بعد أن هاجر الهجرتين، وجرح يوم أحد جرحاً اندمل، ثم انتقض فمات منه، وذلك لثلاث مضيئ لجمادى الآخرة سنة ثلاث من الهجرة، وتزوج رسول الله ﷺ امرأته أم سلمة. انظر: الاستيعاب، لابن عبد البر، ٤ / ١٦٨٢، والإصابة في تمييز الصحابة، ٤ / ١٥٢.

(٤) مسلم، برقم ٩١٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ، وَزَادَ: قَالَتْ: فَلَمَّا تُوفِّي أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ: مَنْ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ عَزَمَ اللَّهُ لِي، فَقُلْتُهَا، قَالَتْ: فَتَزَوَّجْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ^(١).

٥٣١- ولفظ أحمد: عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: أَتَانِي أَبُو سَلَمَةَ يَوْمًا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَوْلًا، فَسَرَرْتُ بِهِ، قَالَ: «لَا يُصِيبُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مُصِيبَةٌ، فَيَسْتَرْجِعُ عِنْدَ مُصِيبَتِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَجْزِنِي فِي مُصِيبَتِي، وَاخْلُفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا فَعَلَ ذَلِكَ بِهِ»، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَحَفِظْتُ ذَلِكَ مِنْهُ، فَلَمَّا تُوفِّي أَبُو سَلَمَةَ اسْتَرْجَعْتُ، وَقُلْتُ: اللَّهُمَّ أَجْزِنِي فِي مُصِيبَتِي، وَاخْلُفْنِي خَيْرًا مِنْهُ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي، قُلْتُ: مِنْ أَيْنَ لِي خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتِي، اسْتَأْذَنَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَا أَذْبَعُ إِهَابًا لِي، فَعَسَلْتُ يَدَيَّ مِنَ الْقَرْظِ، وَأَذْنْتُ لَهُ، فَوَضَعْتُ لَهُ وَسَادَةَ أَدَمٍ حَشَوْهَا لَيْفٌ، فَقَعَدَ عَلَيْهَا، فَحَطَبَنِي إِلَى نَفْسِي، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ مَقَالَتِهِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا بِي أَنْ لَا تَكُونَ بِكَ الرُّغْبَةُ فِيَّ، وَلَكِنِّي امْرَأَةٌ فِي غَيْرَةِ شَدِيدَةٍ، فَأَخَافُ أَنْ تَرَى مِنِّي شَيْئًا يُعَذِّبُنِي اللَّهُ بِهِ، وَأَنَا امْرَأَةٌ قَدْ دَخَلْتُ فِي السِّنِّ، وَأَنَا ذَاتُ عِيَالٍ، فَقَالَ: «أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنَ الْغَيْرَةِ فَسَوْفَ يُذْهِبُهَا اللَّهُ ﷻ مِنْكَ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنَ السِّنِّ، فَقَدْ أَصَابَنِي مِثْلُ الَّذِي أَصَابَكَ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنَ الْعِيَالِ، فَإِنَّمَا عِيَالُكَ عِيَالِي»، قَالَتْ: فَقَدْ سَلَّمْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَقَدْ أَبْدَلَنِي اللَّهُ بِأَبِي سَلَمَةَ خَيْرًا مِنْهُ؛ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ^(٢).

ثانيًا: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «إنا لله» أي: كلنا ملك له يتصرف فينا كيف يشاء، «أي: مملوكون لله»

(١) مسلم، برقم ٥- (٩١٨)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) مسند أحمد، ٢٦/ ٢٦٢، برقم ١٦٣٤٤، وحسنه محققو المسند، ٢٦/ ٢٦٣، والألباني في إرواء الغليل، ٦/ ٢٢٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

مدبرون تحت أمره، وتصريفه، فليس لنا من أنفسنا، وأموالنا شيء، فإذا ابتلانا بشيء منها، فقد تصرف أرحم الراحمين، بمماليكه، وأموالهم، فلا اعتراض عليه»^(١).

٢- قوله: «وإنا إليه راجعون» أي: يوم القيامة ليجازي المحسن على إحسانه، ويعاقب المسيء على إساءته، أو يعفو، وقال القرطبي في المفهم: «إنا لله وإنا إليه راجعون»، كلمة اعتراف بالملك لمستحقه، وتسليم له فيما يُجريه في ملكه، وتهوين للمصائب بتوقع ما هو أعظم منها، وبالثواب المرتب عليها، وتذكير للمرجع والمآل الذي حَكَمَ به ذو العزة والجلال»^(٢).

٣- قوله: «اللهم أجرنني في مصيبي»: أي: لا تحرمني الأجر على صبري في هذه المصيبة، والذي هو توفيق منك، وفي النهاية: «جِزني في مصيبي، وأخلف لي خيراً منها: أجره يؤجره، إذا أثابه، وأعطاه الأجر والجزاء، وكذلك أجّره يأجره، والأمر منهما: آجِزني وأجْزني»^(٣)، «ومعنى أجّره الله: أعطاه أجّره، وجزاء صبره، وهمه في مصيبيته»^(٤).

٤- قوله: «أخلف لي خيراً منها» أي: عوّضني خيراً مما فقدته، وأم سلمة ما قالت: أي المسلمين خير من أبي سلمة شاة في صدق الخبر بل قالت له لمعرفة من هذا الرجل^(٥)، قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «وأخلف لي: هو بقطع الهمزة، وكسر اللام، قال أهل اللغة: يقال لمن ذهب له مال، أو ولد، أو قريب، أو شيء يتوقع حصول مثله: أخلف الله عليك، أي: ردّ عليك مثله، فإن ذهب ما لا يتوقع مثله، بأن ذهب والدٌ، أو عمٌ، أو أخٌ لمن لا جدّ له، ولا والد له،

(١) انظر: تفسير السعدي، ص: ٧٥.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٨ / ٤٨.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١ / ٤١، مادة (أجر).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦ / ٢٢٠.

(٥) انظر: شرح رياض الصالحين لابن عثيمين، شرح الحديث رقم ١٦٥٨.

قيل: خلف الله عليك - بغير ألف - أي كان الله خليفة منه عليك»^(١).

٥- قوله: «تصبيه مصيبة»: هي كل ما يتألم منه الجسد، والبدن، أو كلاهما: من فقد مال، أو أهل، أو ولد، أو حبيب، قال في النهاية: «يقال: مُصِيبَة، ومُصُوبَة، ومُصَابَة، والجمعُ مصايب، ومُصَاوِب، وهو الأمر المكروه، ينزل بالإنسان، ويقال: أصابَ الإنسانُ من المال وغيره: أي أَخَذَ وتَنَاوَل»^(٢)، أي أي أخذت منه المصيبة ما يحب.

٦- قوله: «ما أمره الله به»، من قول: «إنا لله، وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبي هذه، وعوضني خيراً منها»^(٣)، وقد يكون فيه إشارة إلى قوله ﷺ: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(٤).

٧- قوله: «فأعقبنى الله ﷻ محمداً ﷺ»: أي: عوضني محمداً بدل أبي سلمة، وكل من خلف عن شيء فهو عاقبة، وعاقبة كل شيء آخره، وعقب فلان مكان أبيه عاقبة أي: خلفه»^(٥).

٨- قوله: «وَأَنَا غَيُورٌ»: قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «وقولها: وأنا غيور، يقال امرأة غَيْرَى، وغيور، ورجل غيور، وغيران، قد جاء فعول في صفات المؤنث كثيراً، كقولهم: امرأة: عروس، وعروب، وضحوك لكثيرة الضحك، وعقبة كؤود، وأرض صعود وهبوط وحدود وأشباهها، قوله ﷻ وادعو الله أن يذهب بالغيرة -هي بفتح الغين- ويقال: أذهب الله الشيء، وذهب به، كقوله

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٢٢٠.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٥٧، مادة (صوب).

(٣) إتحاف السادة المتقين للزبيدي، ٩/ ٢٦.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٥٦.

(٥) شرح أبي داود للعيني، ٦/ ٣٤.

تعالى: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾^(١)»^(٢).

٩- قوله: «ثُمَّ عَزَمَ اللَّهُ لِي» قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «(وقول أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا): «عزم الله لي»؛ أي: خلق في قصداً مؤكداً، وهو العزم؛ لا أن إرادة الله تسمى عزمًا، لعدم الإذن في ذلك، والله أعلم»^(٣).

١٠- قوله: «وَأَنَا أَذْبِغُ إِهَابًا لِي»: أي: كانت مشغولة بتطهير جلد، عن طريق الدباغة، ... الدِّبَاغُ والدِّبَاغَةُ والدِّبْغَةُ، بِالْكَسْرِ: مَا يُذْبِغُ بِهِ الْأَدِيمُ^(٤)، والإهاب: (وهو الجلد، وقيل إنما يقال للجلد إهاب قبل الدبغ، فأما بعده فلا)^(٥).

١١- قوله: «ذات عيال»: أي: لها أولاد تعولهم، وتربيههم، و«أُعِيلَتْ: أي: صارت ذات عيال، ... يُقَالُ: أَعَالَ، وَأَعُولُ: إِذَا كَثُرَ عِيَالُهُ»^(٦).

١٢- قوله: «فَغَسَلْتُ يَدَيَّ مِنَ الْقَرْظِ»: أي: نظفت يديها من أثر الدباغ الذي كانت تقوم به من المادة النباتية التي تدبغ بها الجلد، وهو ورق شجر السلم، قال في النهاية: «الْقَرْظُ: وَهُوَ وَرَقُ السَّلَمِ»^(٧).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- فضيلة الاسترجاع وهي قول: «إنا لله وإنا إليه راجعون» عند وقوع المصيبة وفضيلة الصبر عند الصدمة الأولى؛ لأن البلاء من سنن الله في خلقه، وهذا يكون إما بفوات محبوب، أو حصول مكروه، أو زوال مرغوب.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ٢٢١ / ٦.

(٣) المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٤٨ / ٨.

(٤) لسان العرب، ٨ / ٤٢٤، مادة (دبغ).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١ / ١٩٨، مادة (أهب).

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣ / ٦٠٧، مادة (عول).

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤ / ٦٩، مادة (قرظ).

٢- قال الإمام ابن القيم رحمته الله: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ اللَّهُمَّ أَجْزِنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا...»، وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ مِنْ أَبْلَغِ عِلَاجِ الْمُصَاحِبِ، وَأَنْفَعِهِ لَهُ فِي عَاجِلَتِهِ، وَآجَلَتِهِ، فَإِنَّهَا تَتَضَمَّنُ أَصْلَيْنِ عَظِيمَيْنِ إِذَا تَحَقَّقَ الْعَبْدُ بِمَعْرِفَتِهِمَا تَسَلَّى عَنْ مُصِيبَتِهِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْعَبْدَ، وَأَهْلَهُ، وَمَالَهُ مِلْكٌ لِلَّهِ تعالى حَقِيقَةٌ، وَقَدْ جَعَلَهُ عِنْدَ الْعَبْدِ عَارِيَةً، فَإِذَا أَخَذَهُ مِنْهُ، فَهُوَ كَالْمُعِيرِ يَأْخُذُ مَتَاعَهُ مِنَ الْمُسْتَعِيرِ، وَأَيْضًا فَإِنَّهُ مَخْفُوفٌ بَعْدَ مَنِّ: عَدَمِ قَبْلِهِ، وَعَدَمِ بَعْدِهِ، وَمِلْكُ الْعَبْدِ لَهُ مُتَعَةٌ مُعَارَاةٌ فِي زَمَنِ يَسِيرٍ، وَأَيْضًا فَإِنَّهُ لَيْسَ الَّذِي أَوْجَدَهُ عَنْ عَدَمِهِ، حَتَّى يَكُونَ مِلْكُهُ حَقِيقَةً، وَلَا هُوَ الَّذِي يَحْفَظُهُ مِنَ الْآفَاتِ بَعْدَ وُجُودِهِ، وَلَا يَبْقَى عَلَيْهِ وُجُودُهُ، فَلَيْسَ لَهُ فِيهِ تَأْثِيرٌ، وَلَا مِلْكٌ حَقِيقِيٌّ، وَأَيْضًا فَإِنَّهُ مُتَصَرِّفٌ فِيهِ بِالْأَمْرِ تَصَرُّفُ الْعَبْدِ الْمَأْمُورِ الْمُنْهَيِّ، لَا تَصَرُّفُ الْمَلِكِ؛ وَلِهَذَا لَا يُبَاحُ لَهُ مِنَ التَّصَرُّفَاتِ فِيهِ إِلَّا مَا وَافَقَ أَمْرَ مَالِكِهِ الْحَقِيقِيِّ.

وَالثَّانِي: أَنَّ مَصِيرَ الْعَبْدِ، وَمَرْجَعَهُ إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُ الْحَقِّ، وَلَا بُدَّ أَنْ يُخْلِفَ الدُّنْيَا وَرَاءَ ظَهْرِهِ، وَيَجِيءَ رَبُّهُ فَزْدًا كَمَا خَلَقَهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ: بِلَا أَهْلٍ، وَلَا مَالٍ، وَلَا عَشِيرَةٍ، وَلَكِنْ بِالْحَسَنَاتِ، وَالسَّيِّئَاتِ، فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ بَدَايَةَ الْعَبْدِ، وَمَا خَوْلَهُ وَنَهَايَتُهُ، فَكَيْفَ يَفْرَحُ بِمَوْجُودٍ أَوْ يَأْسَى عَلَى مَفْقُودٍ، فَفَكَّرُهُ فِي مَبْدِئِهِ، وَمَعَادِهِ مِنْ أَعْظَمِ عِلَاجِ هَذَا الدَّاءِ، وَمِنْ عِلَاجِهِ أَنْ يَعْلَمَ عِلْمَ الْيَقِينِ، أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لَكِنِّي لَا تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾^(١).

٣- وَمِنْ عِلَاجِهِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَا أَصِيبَ بِهِ، فَيَجِدُ رَبُّهُ قَدْ أَبْقَى عَلَيْهِ مِثْلَهُ، أَوْ

أَفْضَلَ مِنْهُ، وَادَّخَرَ لَهُ - إِنْ صَبَرَ وَرَضِيَ - مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ فَوَاتِ تِلْكَ الْمُصِيبَةِ بِأَضْعَافٍ مُضَاعَفَةٍ، وَأَنَّهُ لَوْ شَاءَ لَجَعَلَهَا أَعْظَمَ مِمَّا هِيَ.

٤- وَمِنْ عِلَاجِهِ أَنْ يُطْفِئَ نَارَ مُصِيبَتِهِ بِبَرْدِ التَّأْسِي بِأَهْلِ الْمَصَائِبِ، وَلِيَعْلَمَ أَنَّهُ فِي كُلِّ وَادٍ بَنُو سَعْدٍ، وَلِيَنْظُرَ يَمَنَةً فَهَلْ يَرَى إِلَّا مِخْنَةً؟ ثُمَّ لِيَعْطِفَ يَسْرَةً فَهَلْ يَرَى إِلَّا حَسْرَةً؟ وَأَنَّهُ لَوْ فَتَشَّ الْعَالَمَ لَمْ يَرْ فِيهِمْ إِلَّا مُتَبَلِّئًا، إِمَّا بِفَوَاتِ مَحْبُوبٍ، أَوْ حُضُولِ مَكْرُوهٍ، وَأَنَّ شُرُورَ الدُّنْيَا أَخْلَامُ نَوْمٍ، أَوْ كَظَلِّ زَائِلٍ، إِنْ أَضْحَكَتْ قَلِيلًا أَبْكَتْ كَثِيرًا، وَإِنْ سَرَّتْ يَوْمًا، سَاءَتْ دَهْرًا، وَإِنْ مَتَّعَتْ قَلِيلًا، مَنَعَتْ طَوِيلًا، وَمَا مَلَأَتْ ذَارًا خَيْرَةً إِلَّا مَلَأَتْهَا عَذْرَةً، وَلَا سَرَّتْهُ يَوْمٌ شُرُورٍ إِلَّا خَبَّأَتْ لَهُ يَوْمَ شُرُورٍ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «لِكُلِّ فَرْحَةٍ تَرْحَةٌ، وَمَا مُلِئَ بَيْتٌ فَرَحًا إِلَّا مُلِئَ تَرْحًا»^(١)، وَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ: «مَا كَانَ ضَحِكٌ قَطُّ إِلَّا كَانَ مِنْ بَعْدِهِ بُكَاءٌ»^(٢)»^(٣).

٥- قال العلامة السعدي في تفسير: إنا لله وإنا إليه راجعون: «أي: مملوكون لله، مدبرون تحت أمره، وتصريفه، فليس لنا من أنفسنا، وأموالنا شيء، فإذا ابتلانا بشيء منها، فقد تصرف أرحم الراحمين، بمماليكه، وأموالهم، فلا اعتراض عليه، بل من كمال عبودية العبد، علمه بأن وقوع البلية من المالك الحكيم، الذي أرحم بعبدته من نفسه، فيوجب له ذلك الرضا عن الله، والشكر له على تدبيره؛ لما هو خير لعبده، وإن لم يشعر بذلك، ومع أننا مملوكون لله، فإننا إليه راجعون يوم المعاد، فمجاز كل عامل بعمله، فإن صبرنا واحتسبنا وجدنا أجرنا موفوراً عنده، وإن جزعنا وسخطنا، لم يكن حظنا إلا السخط، وفوات الأجر، فكون العبد لله، وراجع إليه، من

(١) الاعتبار لابن أبي الدنيا، ص ٢٩، وقال في كشف الخفاء، ٢ / ١٤٧: «رواه ابن أبي الدنيا في كتاب

الاعتبار عن ابن مسعود موقوفاً».

(٢) الاعتبار لابن أبي الدنيا، ص ٣٠.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٤ / ١٧٣.

أقوى أسباب الصبر»^(١).

٦- قال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «يسن للإنسان إذا أصيب بمصيبة أن يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، يعني نحن ملك لله، يفعل بنا ما يشاء، كذلك ما نجبه إذا أخذه من بين أيدينا فهو له عز حتى الذي يعطيك، أنت لا تملكه، هو الله؛ ولهذا لا يمكن أن تتصرف فيما أعطاك الله إلا على الوجه الذي أذن لك فيه، وهذا دليل على أن ملكنا لما يعطينا الله ملك قاصر، ما نتصرف فيه تصرفاً مطلقاً.

لو أراد الإنسان أن يتصرف في ماله تصرفاً مطلقاً على وجه لم يأذن به الشرع، قلنا: له أمسك لا يمكن؛ لأن المال مال الله كما قال سبحانه: ﴿وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾^(٢)، فلا تتصرف فيه إلا على الوجه الذي أذن لك فيه»^(٣).

٧- المؤمن الصادق يرضى بقضاء الله وقدره، ولا يعترض عليه؛ لأن هذا ما وقع إلا بتقدير الرحيم الحكيم، فمن صبر فله الرضا، ومن فعل غير ذلك، فلا يلومن إلا نفسه.

٨- قائل هذا الاسترجاع حري به أن يفهم معناه، وقد قال الله مادحاً أهل الصبر على المصائب: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾^(٤)، قال سعيد بن جبير رحمته الله: لم يكن الاسترجاع إلا لهذه الأمة، ألا ترى أن يعقوب عليه السلام قال: ﴿يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ﴾^(٥)، فلو كان لهم الاسترجاع لقال ذلك^(٦).

٩- من أيقن أنه إلى الله راجع، علم أنه موقوف بين يديه، ومن علم أنه موقوف، علم

(١) تفسير السعدي، ص: ٧٥.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٣.

(٣) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٢٩.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٥٧.

(٥) سورة يوسف، الآية: ٨٤.

(٦) العلم الهيب، ص ٣٧٧.